مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

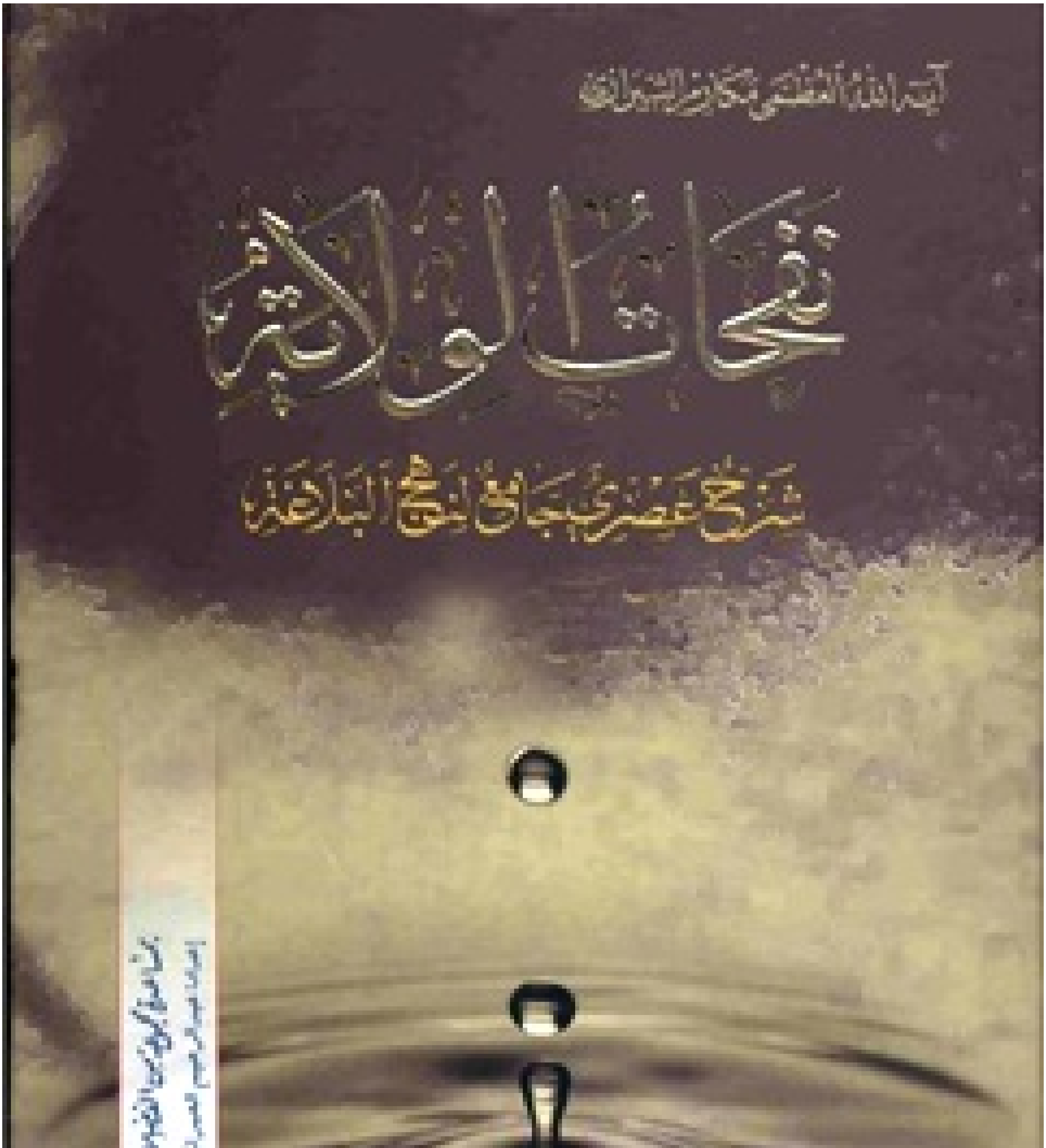
آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحیم

# نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج البلاغه


کاتب:

ناصرمکارم شیرازی



نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب ( علیه السلام )

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

# الفهرس


الفهرس ----- ۵

نفحات الولاية المجلد ۹ ----- ۲۱

اشارة ----- ۲۱

مقدّمة ----- ۲۱

الرسالة ۱ ----- ۲۲

اشارة ----- ۲۲

نظرة إلى الرسالة ----- ۲۲

القسم الأول ----- ۲۳

اشارة ----- ۲۳

الشرح والتفسير: حقيقة ما وقع فى حادثة قتل عثمان ----- ۲۳

تأمّلان ----- ۲۴

۱. حكاية أبى موسى وتعبئة أهل الكوفة لنصرة الإمام عليه السلام ----- ۲۴

۲. عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان ----- ۲۵

القسم الثانى ----- ۲۶

اشارة ----- ۲۶

الشرح والتفسير ----- ۲۶

تأمّل: مصير الناكثين ----- ۲۷

الرسالة ۲ ----- ۲۸

اشارة ----- ۲۸

نظرة إلى الرسالة ----- ۲۸

الشرح والتفسير: إظهار الإمام عليه السلام رضاه عن أهل الكوفة ----- ۲۸

تأمّل: النصّ الكامل لرسالة الإمام عليه السلام لأهل الكوفة ----- ۲۹

الرسالة ۳ ----- ۲۹

اشارة ----- ۲۹
نظرة إلى الرسالة ----- ۳۰
القسم الأوّل ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
الشرح والتفسير: من أين لک هذه الدار؟! ----- ۳۰
القسم الثانی ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
الشرح والتفسير: وثيقة عديمة النظير ----- ۳۲
تأمّلان ----- ۳۴
۱. الباعث لكتابة السند ----- ۳۴
۲. من هو شريح؟ ----- ۳۵
الرسالة ۴ ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
نظرة إلى الرسالة ----- ۳۷
الشرح والتفسير: يجب إقالة الضعفاء ----- ۳۷
تأمّلان ----- ۳۸
۱. جرائم الناكثين فی معركة الجمل ----- ۳۸
۲. على مَن يمكن الاعتماد؟ ----- ۳۹
الرسالة ۵ ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
نظرة إلى الرسالة ----- ۴۰
الشرح والتفسير: المناصب الحكوميّة فی الإسلام أمانة إلهيّة ----- ۴۰
تأمّلات ----- ۴۱
۱. دستور كامل ----- ۴۱

۲. من هو الأشعث بن قیس؟ ۴۲
۳. آذربایجان فی خارطة البلاد الإسلامیّة سابقاً ۴۳
الرسالة ۶ ۴۳
اشارة ۴۳
نظرة إلی الرسالة ۴۳
الشرح والتفسیر ۴۴
تأمّل: لماذا استدلّ الإمام علیه السلام بالشوری والبیعة؟ ۴۵
الرسالة ۷ ۴۶
اشارة ۴۶
نظرة إلی الرسالة ۴۷
الشرح والتفسیر: موعظة الضالّین! ۴۷
تأمّل: رسالة معاویة لأمیرالمؤمنین الإمام علیّ علیه السلام ۴۸
الرسالة ۸ ۵۰
اشارة ۵۰
نظرة إلی الرسالة ۵۰
الشرح والتفسیر: حلّ المشکل بآلیات الصلح ۵۰
تأمّل: من هو جریر بن عبداللّه؟ ۵۱
الرسالة ۹ ۵۱
اشارة ۵۱
نظرة إلی الرسالة ۵۱
القسم الأوّل ۵۳
اشارة ۵۳
الشرح والتفسیر: بنو هاشم حماة الإسلام الأوائل ۵۳
القسم الثانی ۵۵

اشارة ----- ۵۵
الشرح والتفسیر: حماة الإسلام الأوائل ----- ۵۵
القسم الثالث ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
الشرح والتفسیر: ما أنت وقتلة عثمان؟! ----- ۵۹
تأمّل: کلام عن قتلة عثمان ----- ۶۰
الرسالة ۱۰ ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
نظرة إلی الرسالة ----- ۶۲
القسم الأول ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
الشرح والتفسیر: نظرة إلی الافق الغائم ----- ۶۳
القسم الثانی ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
الشرح والتفسیر: حذارِ من الغفلة ----- ۶۴
القسم الثالث ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۶
الشرح والتفسیر: أنا أتحرّک دوماً فی خطّ الحقّ والهدایة ----- ۶۶
تأمّلان ----- ۶۷
۱. مقارنة شجاعة الإمام علیه السلام بالأعداء ----- ۶۷
۲. هل کان معاویة حاضراً فی معرکة بدر؟ ----- ۶۸
القسم الرابع ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
الشرح والتفسیر: المستقبل المظلم والافق المشؤوم للعدو! ----- ۶۸

تأمّل: التنبؤات الواقعة ----- ۶۹
الرسالة ۱۱ ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
نظرة إلى الرسالة ----- ۷۰
الشرح والتفسير: الاستعداد الصحیح للجیش ----- ۷۰
الرسالة ۱۲ ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
نظرة إلى الرسالة ----- ۷۳
الشرح والتفسیر: تعلیمات ضروریة قبل التوجّه إلى المیدان ----- ۷۳
تأمّل: من هو معقل بن قیس؟ ----- ۷۵
الرسالة ۱۳ ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۵
نظرة إلى الرسالة ----- ۷۵
الشرح والتفسیر: مالک الأشتر القائد الفذّ ----- ۷۶
تأمّلان ----- ۷۶
۱. مالک الأشتر المدیر والمدّبر الشجاع ----- ۷۶
۲. شریح بن هانیء الحارثی وزیاد بن النضر ----- ۷۷
الرسالة ۱۴ ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸
نظرة إلى الرسالة ----- ۷۸
الشرح والتفسیر: فصل آخر من القیم الأخلاقیة فی الحرب ----- ۷۹
تأمّلان ----- ۸۱
۱. مکانة المرأة فی نهج‌البلاغة ----- ۸۱
۲. الخلق الإسلامی فی مقابل العدو ----- ۸۱

الرسالة ۱۵ ---- ۸۳
اشارة ---- ۸۳
نظرة إلی الرسالة ---- ۸۳
الشرح والتفسیر: دعاء جامع فی ساحة القتال ---- ۸۳
الرسالة ۱۶ ---- ۸۴
اشارة ---- ۸۵
نظرة إلی الرسالة ---- ۸۵
الشرح والتفسیر: تقویة عزائم الجند ---- ۸۵
تأمّلان ---- ۸۷
۱. شواهد حیّة علی عقائد بنی امیّة الواقعیة ---- ۸۷
۲. فضائل الامام علیّ علیه السلام علی لسان أعدائه ---- ۸۹
الرسالة ۱۷ ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۰
نظرة إلی الرسالة ---- ۹۰
القسم الأول ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۰
الشرح والتفسیر: المدین فی هیئة الدائن ---- ۹۱
القسم الثانی ---- ۹۳
اشارة ---- ۹۳
الشرح والتفسیر: النبوّة افتخار کبیر. ---- ۹۳
تأمّل: أتباع رسول اللّه صلی الله علیه و آله ---- ۹۴
الرسالة ۱۸ ---- ۹۵
اشارة ---- ۹۵
نظرة إلی الرسالة ---- ۹۵

الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة بماء المداراة ----- ۹۶
تأمّل: خصائص أهل البصرة ----- ۹۸
الرسالة ۱۹ ----- ۹۸
اشارة ----- ۹۸
نظرة إلى الرسالة ----- ۹۸
الشرح والتفسير: شمول الرأفة الإسلاميّة لجميع الناس ----- ۹۹
تأمّل: الإسلام وأهل الذمّة ----- ۱۰۰
الرسالة ۲۰ ----- ۱۰۱
اشارة ----- ۱۰۱
نظرة إلى الرسالة ----- ۱۰۱
الشرح والتفسير: إنذار شديد للمتخلّفين ----- ۱۰۲
تأمّل: لماذا اختار الإمام عليه السلام زياداً لهذا المنصب ----- ۱۰۳
الرسالة ۲۱ ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
نظرة إلى الرسالة ----- ۱۰۳
الشرح والتفسير: الإمام عليه السلام يحذّر «زياد» مرّة أخرى ----- ۱۰۳
تأمّلان ----- ۱۰۵
۱. العلاقة بين الأعمال والجزاء ----- ۱۰۵
۲. زياد ابن أبيه الانتهازى ----- ۱۰۶
الرسالة ۲۲ ----- ۱۰۶
اشارة ----- ۱۰۶
نظرة إلى الرسالة ----- ۱۰۶
الشرح والتفسير: السرور والحزن الموهومان ----- ۱۰۷
تأمّلان ----- ۱۰۸

۱. الجواب عن سؤال ---- ۱۰۸
۲. الإنسان فاعل مختار ---- ۱۰۸
الرسالة ۲۳ ---- ۱۰۹
اشارة ---- ۱۰۹
الوصیة فی نظرة عامة ---- ۱۰۹
الشرح والتفسیر: وصایا مهمّة ---- ۱۱۰
تأمّلان ---- ۱۱۲
۱. القصاص أو العفو؟ ---- ۱۱۲
۲. معنی «لا تُضَیِّعُوا سُنَّتَهُ» ---- ۱۱۲
الرسالة ۲۴ ---- ۱۱۳
اشارة ---- ۱۱۳
نظرة إلی الرسالة ---- ۱۱۳
الشرح والتفسیر: توصیات مدروسة لإدارة الموقوفات ---- ۱۱۴
تأمّلان ---- ۱۱۷
۱. الجواب عن سؤالین ---- ۱۱۷
۲. أهمّیة الوقف فی الإسلام ---- ۱۱۸
الرسالة ۲۵ ---- ۱۱۹
اشارة ---- ۱۱۹
نظرة إلی الرسالة ---- ۱۱۹
القسم الأول ---- ۱۲۰
اشارة ---- ۱۲۰
الشرح والتفسیر: الثقة بالجمهور فی جمع الضرائب الإسلامیّة ---- ۱۲۰
تأمّل: آداب جمع الزکاة وحقوق بیت المال ---- ۱۲۲
القسم الثانی ---- ۱۲۳

اشارة ----- ۱۲۳

الشرح والتفسیر: غایة الاحترام لمطالب الدافعین للزکاة ----- ۱۲۴

القسم الثالث ----- ۱۲۵

اشارة ----- ۱۲۵

الشرح والتفسیر: الرأفة الإسلامیّة بالحیوانات ----- ۱۲۶

تأمّلان ----- ۱۲۷

۱. التأکید علی إیصال أموال الزکاة إلی المحرومین ----- ۱۲۷

۲. حمایة الحیوانات فی الإسلام ----- ۱۲۸

الرسالة ۲۶ ----- ۱۲۹

اشارة ----- ۱۲۹

نظرة إلی الرسالة ----- ۱۲۹

القسم الأول ----- ۱۲۹

اشارة ----- ۱۲۹

الشرح والتفسیر: التعامل الحسن مع دافعی الضرائب الإسلامیّة ----- ۱۲۹

القسم الثانی ----- ۱۳۱

اشارة ----- ۱۳۱

الشرح والتفسیر: اعمل بحیث لا یشکوک المحرومون یوم القیامة ----- ۱۳۱

تأمّلان ----- ۱۳۳

۱. الأصناف الثمانیة لمستحقّی الزکاة ----- ۱۳۳

۲. الأمانة، أصل القیم الأخلاقیة فی الإسلام ----- ۱۳۳

الرسالة ۲۷ ----- ۱۳۴

اشارة ----- ۱۳۴

نظرة إلی الرسالة ----- ۱۳۴

القسم الأول ----- ۱۳۵

اشارة ----- ۱۳۵
الشرح والتفسير: حسن الخلق مع جميع الأفراد ----- ۱۳۶
القسم الثانى ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
الشرح والتفسير: الدنيا والآخرة لمن يعيش البساطة والزهد ----- ۱۳۷
القسم الثالث ----- ۱۳۸
اشارة ----- ۱۳۸
الشرح والتفسير: تحذيرات متوالية ----- ۱۳۸
تأمّل: التعادل بين الخوف والرجاء ----- ۱۴۱
القسم الرابع ----- ۱۴۲
اشارة ----- ۱۴۲
الشرح والتفسير: المهمّة الثقيلة ----- ۱۴۲
القسم الخامس ----- ۱۴۴
اشارة ----- ۱۴۴
الشرح والتفسير: الخوف على الامّة من فئة معينة ----- ۱۴۴
تأمّلان ----- ۱۴۵
۱. خطر المنافقين ----- ۱۴۵
۲. رسالة غريبة من المعتضد العباسى ----- ۱۴۶
الرسالة ۲۸ ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
نظرة إلى الرسالة ----- ۱۴۹
القسم الأول ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
الشرح والتفسير: كيف يجلس المحكوم للحكم والقضاء؟ ----- ۱۵۱

القسم الثانی ----- ۱۵۴
اشارهٔ ----- ۱۵۴
الشرح والتفسیر: الامتیازات النادرهٔ ----- ۱۵۴
تأمّلان: فضائل حمزه سیّد الشهداء ----- ۱۵۶
المرتبهٔ السامیهٔ لجعفر بن أبی طالب ----- ۱۵۷
القسم الثالث ----- ۱۵۸
اشارهٔ ----- ۱۵۸
الشرح والتفسیر: نقاط مهمّهٔ أخری فی فضائل أهل البیت علیهم السلام ----- ۱۵۸
تأمّلان ----- ۱۶۱
۱. قصّهٔ السقیفهٔ المثیرهٔ! ----- ۱۶۱
۲. فضائل بنی هاشم فی عصر الجاهلیّهٔ والإسلام ----- ۱۶۱
القسم الرابع ----- ۱۶۲
اشارهٔ ----- ۱۶۲
الشرح والتفسیر: هذه الأمور لا تخصّک! ----- ۱۶۲
القسم الخامس ----- ۱۶۴
اشارهٔ ----- ۱۶۴
الشرح والتفسیر: المقصّر الأصلیّ فی قتل عثمان ----- ۱۶۴
القسم السادس ----- ۱۶۷
اشارهٔ ----- ۱۶۷
الشرح والتفسیر: تهدّدنی بالحرب! ----- ۱۶۷
تأمّل: مدین فی لباس دائن! ----- ۱۶۹
الرسالهٔ ۲۹ ----- ۱۷۰
اشارهٔ ----- ۱۷۰
نظرهٔ إلی الرسالهٔ ----- ۱۷۰

الشرح والتفسیر: إطفاء نار الفتنة فی البصرة ۱۷۱
الرسالة ۳۰ ۱۷۲
اشارة ۱۷۲
نظرة إلی الرسالة ۱۷۲
الشرح والتفسیر: ینبغی أن تفکّر بعاقبة أمرک! ۱۷۳
الرسالة ۳۱ ۱۷۵
اشارة ۱۷۵
نظرة إلی الرسالة ۱۷۶
القسم الأوّل ۱۷۷
اشارة ۱۷۷
الشرح والتفسیر: هذه الوصیّة ممّن وإلی من؟ ۱۷۷
القسم الثانی ۱۸۰
اشارة ۱۸۰
الشرح والتفسیر: علّة کتابة هذه الوصیة ۱۸۰
القسم الثالث ۱۸۱
اشارة ۱۸۱
الشرح والتفسیر: أوثق وسیلة للنجاة ۱۸۲
القسم الرابع ۱۸۳
اشارة ۱۸۳
الشرح والتفسیر: أحی قلبک بالموعظة ۱۸۳
تأمّلان ۱۸۵
۱. الحیاة وإعمار القلب ۱۸۵
۲. الوعّاظ الکثیرون ۱۸۶
القسم الخامس ۱۸۷

اشارة ----- ۱۸۷

الشرح والتفسیر: الاستقامة سبب تحقیق النصر والنجاح ----- ۱۸۸

تأمّلان ----- ۱۹۰

۱. رعایة الاحتیاط عند الإحساس بالخطر ----- ۱۹۰

۲. الطریق لنیل الفضائل الأخلاقیة ----- ۱۹۱

القسم السادس ----- ۱۹۱

اشارة ----- ۱۹۱

الشرح والتفسیر: لا تتساهل فی هذه الوصیّة ----- ۱۹۲

تأمّل: العلوم النافعة وغیر النافعة ----- ۱۹۳

القسم السابع ----- ۱۹۴

اشارة ----- ۱۹۴

الشرح والتفسیر: الباعث لکتابة هذه الوصیة ----- ۱۹۴

تأمّل: معطیات التربیة فی سنّ الشباب ----- ۱۹۶

القسم الثامن ----- ۱۹۷

اشارة ----- ۱۹۷

الشرح والتفسیر: تجارب الآخرین وإطالة عمر اللاحقین ----- ۱۹۷

تأمّلان ----- ۱۹۸

۱. تشکیلة منسجمة من أسرار التاریخ ----- ۱۹۸

۲. کیف توصّل الإمام علیه السلام لتاریخ الأقوام الماضیة؟ ----- ۱۹۹

القسم التاسع ----- ۱۹۹

اشارة ----- ۱۹۹

الشرح والتفسیر ----- ۱۹۹

القسم العاشر ----- ۲۰۱

اشارة ----- ۲۰۱

الشرح والتفسير: الحذر من سلوک الطرق المشكوكة ----- ۲۰۱
القسم الحادى عشر ----- ۲۰۳
اشارة ----- ۲۰۳
الشرح والتفسير: كلّ شىء من اللّه ----- ۲۰۴
تأمّل: المقارنة بين علم الإنسان وجهله ----- ۲۰۵
القسم الثانى عشر ----- ۲۰۶
اشارة ----- ۲۰۶
الشرح والتفسير: اجعل من النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مرشداً لک ----- ۲۰۶
القسم الثالث عشر ----- ۲۰۷
اشارة ----- ۲۰۷
الشرح والتفسير: الإيمان بالواحد الأحد ----- ۲۰۷
تأمّلان ----- ۲۰۹
۱. العلاقة بين الآيديولوجية والرؤية الكونية ----- ۲۰۹
۲. بداية الخلقة ودوام الفيض ----- ۲۱۰
القسم الرابع عشر ----- ۲۱۱
اشارة ----- ۲۱۱
الشرح والتفسير: السالكون طريق الآخرة ----- ۲۱۱
القسم الخامس عشر ----- ۲۱۲
اشارة ----- ۲۱۲
الشرح والتفسير: نظرة واحدة لمصلحة الفرد والجماعة ----- ۲۱۲
القسم السادس عشر ----- ۲۱۴
اشارة ----- ۲۱۴
الشرح والتفسير: لا تكن خازناً لغيرک ----- ۲۱۴
القسم السابع عشر ----- ۲۱۵

اشارة ----- ۲۱۶
الشرح والتفسیر: الآخرون یحملون متاعک إلی الآخرة! ----- ۲۱۶
القسم الثامن عشر ----- ۲۱۷
اشارة ----- ۲۱۷
الشرح والتفسیر: ضع عن کتفک همّ یومک! ----- ۲۱۷
القسم التاسع عشر ----- ۲۱۸
اشارة ----- ۲۱۸
الشرح والتفسیر: فتح أبواب التوبة والدعاء أمام الإنسان ----- ۲۱۹
تأمّل: شروط استجابة الدعاء ----- ۲۲۴
القسم العشرون ----- ۲۲۵
اشارة ----- ۲۲۵
الشرح والتفسیر: الغایة من الخلق ----- ۲۲۵
القسم الحادی والعشرون ----- ۲۲۷
اشارة ----- ۲۲۷
الشرح والتفسیر: الدنیا الخدّاعة وأهلها ----- ۲۲۷
القسم الثانی والعشرون ----- ۲۲۹
اشارة ----- ۲۲۹
الشرح والتفسیر: السائرون بمرکب اللیل والنهار ----- ۲۳۰
تأمّل: السالکون إلی العالم الآخر! ----- ۲۳۰
القسم الثالث والعشرون ----- ۲۳۱
اشارة ----- ۲۳۱
الشرح والتفسیر: لا تذلّ نفسک أبداً ----- ۲۳۱
القسم الرابع والعشرون ----- ۲۳۵
اشارة ----- ۲۳۵

الشرح والتفسیر: سبع وعشرون موعظة ثمینة ----- ۲۳۵
القسم الخامس والعشرون ----- ۲۴۱
اشارة ----- ۲۴۲
الشرح والتفسیر: الإحسان فی مقابل الإساءة! ----- ۲۴۲
القسم السادس والعشرون ----- ۲۴۵
اشارة ----- ۲۴۶
الشرح والتفسیر: لا تضیّع حقّ الصدیق ----- ۲۴۶
القسم السابع والعشرون ----- ۲۴۸
اشارة ----- ۲۴۸
الشرح والتفسیر: ثمان وعشرون موعظة أخری ----- ۲۴۸
القسم الثامن والعشرون ----- ۲۵۸
اشارة ----- ۲۵۸
الشرح والتفسیر: السلوک العادل والحکیم مع المرأة ----- ۲۵۸
تأمّل: مکانة المرأة فی المجتمع ----- ۲۶۰
القسم التاسع والعشرون ----- ۲۶۲
اشارة ----- ۲۶۲
الشرح والتفسیر: تقسیم المسؤولیات ----- ۲۶۲
القسم الثلاثون (القسم الأخیر) ----- ۲۶۳
اشارة ----- ۲۶۳
الشرح والتفسیر: ضع کلّ ودیعة عند اللّه ----- ۲۶۳
تعریف مرکز ----- ۳۰۵

# نفحات الولاية المجلد ۹

## اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شـرح عصـری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصـرمکارم شـیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضـلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ ( چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

## مقدّمة

القسم الثانی من نهج‌البلاغة

القسم الثانی والمهمّ من نهج‌البلاغة یتضمّن رسائل وکتب الإمام أمیرالمؤمنین إلى الأولیاء، الأعداء، الامراء، قادة الجیش وبعض أبنائه، والتی تختزن فی مضـمونها مسائل فی غایة الأهمیة عن بناء الذات، التقوى، إدارة البلاد، النصیحة للأعداء وفتح المجال لهم للعودة إلى أحضان الحق، ومسائل مهمة أخرى من هذا القبیل.

ومحتوى هذه الرسائل بدرجة من الحيوية والحركة، كأنّها صدرت من الإمام فى هذا العصر ومن أجل المخاطبين فى زماننا هذا.

وهذه الرسائل، التى بإمكانها أن تكون درساً لمختلف شرائح المجتمع وينتفع بها جميع الأفراد، تعتبر من الكنوز الغالية للتراث الإسلامى ولسيرة أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام، وليت جميع السياسيين فى العالم يلتفتوا إلى أهميتها ويعملوا على استثمارها لإصلاح الوضع العالمى والمجتمع البشرى، وليت أنّ هذه الرسائل قد وصلت إلينا كلّها.

وممّا يجدر ذكره أنّ عهد الإمام لمالك الأشتر الوارد فى نهج‌البلاغة «وهو الدستور العملى الذى أرسله الإمام علىّ عليه السلام لواليه على مصر مالك الأشتر وورد فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶

نهج‌البلاغة برقم (۵۳) من رسائل الإمام» قد ترجم إلى بعض اللغات الأجنبيّة وقد تمّ وضعه فى هيئة الامم المتحدة كسند تاريخى، و وقع مورد إعجاب وثناء لنواب وممثلى الدول المختلفة فى الامم المتحدة.

وهناك الكثير من أمثال هذه الرسالة التاريخية فى نهج‌البلاغة من بين ۷۹ رسالة وكتاب للإمام على عليه السلام، رغم أنّ كلّ واحدة منها تهدف لغرض خاص.

ومن الرسائل المهمّة فى هذا الصدد وصية الإمام عليه السلام لابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام التى تتضمن مسائل عرفانية، أخلاقية، وتعاليم لتهذيب النفس، وكذلك رسالة الإمام عليه السلام المعروفة لعثمان بن حنيف التى يعترض فيها الإمام عليه السلام على واليه لحضورة وليمةً لطبقة الأغنياء والأشراف، ورسالة الإمام عليه السلام المعروفة لشريح القاضى، ورسالة الإمام عليه السلام إلى «حارث الهمدانى»، ورسالة الإمام عليه السلام لأهل مصر التى أرسلها مع مالك الأشتر، وهناك رسائل متعددة كتبها الإمام عليه السلام لمعاوية بن أبى‌سفيان وحذّره من العواقب الوخيمة لأعماله الشنيعة، وجميع هذه الرسائل تعتبر من الوثائق التاريخية التى قلّ نظيرها فى تراثنا الإسلامى.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹

## الرسالة ۱

### اشارة

إلى أهلِ الْكُوفَةِ، عِنْدَ مَسيرِهِ مِنَ الْمَدينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ[۱]

### نظرة إلى الرسالة

الحقيقة أنّ الغرض من كتابة هذه الرسالة يتمثّل فى ثلاثة أمور:

۱. إنّ الإمام علىّ عليه السلام أراد فى كتابه هذا أن يبيّن أنّ طلحة والزبير وعائشة الذين اتخذوا من قتل عثمان ذريعة لإثارة الناس ضدّه عليه السلام وتحركوا لتهيئة مقدّمات حرب الجمل مع عائشة، أنّهم شركاء فى قتل عثمان، فى حين أنّ الإمام عليه السلام كان قد دافع عنه بالمقدار الممكن.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰

۲. إنّ جميع الناس قد بايعوا الإمام عليه السلام طواعية ورغبة وبدون أىّ شكل من أشكال الجبر والإكراه وإنّ المسلمين قد قبلوا بخلافته على الامّة الإسلاميّة.

۳. نظراً لما وقع من فتنة طلحة والزبير وعائشة، فإنّهم يتوجّب على أهل الكوفة أن يهبّوا لنصرة الإمام وإطفاء نار الفتنة من خلال الالتحاق بجيش الإمام.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱

## القسم الأول

### اشارة

مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَميرِالْمُؤْمِنينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ الْأَنْصارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ.

وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِی النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

### الشرح والتفسير: حقيقة ما وقع فی حادثة قتل عثمان

بدأ الإمام علیّ عليه السلام فی هذه الرسالة، وطبقاً لما كان متداولًا فی ذلك العصر، بالتعريف بكاتب الرسالة والمخاطبين له، حيث قال: «مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَميرِالْمُؤْمِنينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةِ الْأَنْصارِ[۲] وَسَنَامِ الْعَرَبِ».

ومن البيّن أنّ مراده من كلمة الأنصار هنا ليس أنصار النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله فی المدينة الذين يقعون فی مقابل المهاجرين، لأنّه لم يكن هناك فی الكوفة جبهة للأنصار وأخرى للمهاجرين، بل المراد من الأنصار هنا أنصار الإمام علیّ عليه السلام والتعبير ب «جبهة» إشارة إلى شرفهم وعلو مكانتهم، لأنّ الجبهة تعتبر من أشرف

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۲

أعضاء الإنسان.

كلمة «سنام» رغم أنّها فی الأصل بمعنى أعلى مكان فی ظهر الجمل، إلّاأنّها تطلق على كلّ شیء متميز وكلّ شخص ذی مكانة عالية فی المجتمع.

ثم إنّ الإمام عليه السلام قال فی رسالته: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ».

هنا يثار هذا السؤال: لماذا اهتمّ الإمام عليه السلام فی هذه الرسالة قبل كلّ شیء بالبحث عن جذور حادثة مقتل عثمان؟

من المعلوم أنّ الإمام عليه السلام قد كتب هذه الرسالة إلى أهل الكوفة فی زمن إرهاصات معركة الجمل، ونعلم أنّ مسألة الطلب بثأر عثمان كانت ذريعة استخدمها المخالفون وقوى التمرّد «طلحة، الزبير، عائشة، وأنصارهم» وعندما يبيّن الإمام عليه السلام تفاصيل هذه المسألة بشكلّ واضح فإنّ ذلك من شأنه أن يدفع بأهل الكوفة للاشتراك مع الإمام من موقع الوضوح فی الرؤية.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ».

وقد ذكر جميع المؤرخين وعامّة المحقّقين تقريباً أنّ اعتراض الناس على عثمان يعود إلى أمرين: التقسيم غير العادل لبيت المال،

والعطايا والمواهب الجزيلة لأقربائه وأرحامه، والآخر وضع المقاليد الحساسة للحكومة الإسلاميّة بيد أشخاص غير كفوئين من أقربائه وأتباعه.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ ۳]، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ ۴]، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ ۵]. وَكَانَ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۳

مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ[۶] غَضَبٍ، فَأُتِيحَ ۷] لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ».

ويحتمل أيضاً فى تفسير عبارة «اكثر استعتابه»[۸] أننى كنت أطلب من عثمان دائماً أن يهتمّ بكسب رضا الناس.

ثم أضاف عليه السلام: «وَبَايَعَنِى النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ».

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بهذه العبارة الوجيزة والعميقة المعنى أشار إلى ثلاث نقاط ليتيح للناس الحكم على المتمردين بوضوح:

۱. إنّ الإمام عليه السلام كان من المدافعين عن عثمان وكان يريد له الصلاح والسير فى الطريق القويم واطفاء نار الفتنة.

۲. إنّ طلحة والزبير هما اللذان أشعلا نار الفتنة، وبالرغم من أنّ الانتفاضة ضد عثمان كانت عامّة وشاملة، ولكنّ طلحة والزبير كانا ينفخان فى هذه النار ويمدّونها بالوقود، وكذلك الحال مع عائشة التى أثارت المهاجرين والأنصار فى مسجد النبيّ على عثمان بجملة قصيرة عندما رفعت بيدها قميص النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ونعله كما ورد فى الرواية: «ولمّا بَلَغ عائِشَةَ ما صَنَعَ عُثْمانُ بِعَمّارٍ فَغَضِبَتْ وأَخْرَجَتْ شَعْراً مِنْ شَعْرِ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وَنَعْلًا مِنْ نِعالِهِ وَثَوْباً مِنْ ثِيابِهِ، وقالَتْ: مَا أَسْرَعَ مَا تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَهذا ثَوْبُهُ وشَعْرُهُ وَنَعْلُهُ لَمْ يَبْلَ بَعْدُ»[۹].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۴

۳. إنّ البيعة التى بايعنى فيها المسلمون «وخلافاً للبيعة مع الخليفة الأول والثانى والثالث» بيعة عامّة وشاملة ولم يجبر أحد على بيعتى.

ومن هذا المنطلق بيّن الإمام عليه السلام معالم الحقيقة ليعلم الناس أنه على الحق وأنّ المتمرّدين والمناوئين له فى معركة الجمل، على باطل.

## تأمّلان

### ۱. حكاية أبى موسى وتعبئة أهل الكوفة لنصرة الإمام عليه السلام

سبق وأنّ تعرّضنا فى الأقسام السالفة وبشكل وافٍ إلى وقائع خلافة عثمان والأخطاء الكبيرة التى ارتكبها فى مجال إدارة الحكومة الإسلاميّة والتى أدّت بالتالى إلى ثورة الناس عليه وانتهت بقتله، وكذلك تقدّم الكلام عن نقض طلحة والزبير لبيعتهم للإمام علىّ عليه السلام وتمرّدهم على خلافته، وكذلك واقعة بيعة الناس العامّة لأميرالمؤمنين عليه السلام ۱۰].

أمّا قصة كتابة رسالة إلى أهل الكوفة من قِبل الإمام عليه السلام فهى ذات تفاصيل متشعبة وقد أشار ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة بشكل موجز إلى هذه الحكاية، ويمكن الإشارة إلى خلاصة ما ورد فى كلامه:

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۵

ينقل ابن أبى‌الحديد عن محمد بن إسحاق أنّ الإمام علىّ عليه السلام أرسل محمد بن جعفر ومحمد بن أبى بكر إلى الكوفة، ولمّا قدما الكوفة استنفرا الناس، فدخل جماعة منهم على أبى موسى الأشعرى- وكان والياً على الكوفة فى زمن خلافة عثمان، وبعد مقتل عثمان أبقاه الإمام فى منصبه- ليلًا فقالوا له: أشِر علينا برأيك فى الخروج مع هذين الرجلين إلى علىّ عليه السلام، فقال أبوموسى

الأشعری- والذی کان رجلًا خبیثاً فی سریرته وقد تجلی خبثه فی هذا الموقع-: «أمّا سبیل الآخرة فالزموا بیوتکم، وأمّا سبیل الدنیا فاشخصوا معهما» فمنع بذلک أهل الکوفة من الخروج لنصرة الإمام علیه السلام.

وبلغ المحمَّدَین ذلک فأغلظا لأبی موسی الأشعری، فقال أبوموسی: «واللَّه إنّ بیعة عثمان لفی عنق علیّ وعنقی وعنقکما، ولو أردنا قتالًا ما کنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قتلة عثمان»، فخرجا من عنده فلحقا بعلیّ علیه السلام فأخبراه الخبر، فکتب الإمام علیه السلام رسالة لأبی موسی الأشعری، ولکنّ أبا موسی هدّد رسول الإمام بالقتل، وکتب الإمام رسالة أخری لأبی موسی وأرسلها مع عبداللَّه بن عباس ومحمد بن أبی بکر وعزله من منصبه.

ولکنّ أبا موسی الأشعریّ استمرّ فی مخالفته لأوامر الإمام علیه السلام، ثم إنّ الإمام علیّ علیه السلام أرسل مالک الأشتر، فشخص الأشتر نحو الکوفة، فأقبل حتی دخلها والناس فی المسجد الأعظم، فجعل لا یمرّ بقبیلة إلّادعاهم وقال: اتبعونی إلی القصر، حتی وصل القصر، فاقتحمه وأبوموسی یومئذٍ یخطب الناس علی المنبر ویثبطهم، وعمّار یخاطبه، والحسن علیه السلام یقول: اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا، لا امّ لک! فصاح به الأشتر: «أُخْرُجْ مِنْ قَصْرِنا لا امَّ لَکَ أخْرَجَ اللَّهُ نَفْسَکَ فَوَاللَّهِ إنَّکَ لَمِنَ الْمُنافِقِینَ قَدِیماً».

فلمّا رأی أبو موسی الأشعری ضعف موقعه واهتزاز مکانته قال: أجّلنی العشیّة، قال: لقد أجّلتک ولا تبیتنّ فی القصر.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۶

وفی هذه الواقعة استطاع رُسل الإمام علیه السلام من تعبئة اثنی عشر ألف رجل من أهل الکوفة لنصرة الإمام علیه السلام وتوجّهوا إلی البصرة[۱۱].

## ۲. عند الإمتحان یکرم المرء أو یهان

من المعلوم أنّ غالبیة أهل السنّة یذهبون إلی تنزیه الصحابة، یعنی أنّ جمیع الصحابة بدون استثناء هم أشخاص مؤمنون وعادلون وسیرتهم نقیّة، وقد أفرط البعض فی هذا الأمر وسلک سبیل المبالغة إلی درجة أنّه ذهب إلی أنّ المخالف لأحد الصحابة هو زندیق وکافر، ومن هؤلاء ما ذکره «ابن حجر العسقلانی» فی کتابه «الإصابة» نقلًا عن أبی زرعة الرازی قال: «إذا رأیت الرجل ینتقص أحد أصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فاعلم أنّه زندیق وذلک أنّ الرسول حقّ والقرآن حقّ وما جاء به حقّ، وإنّما أدّی إلینا ذلک کلّه الصحابة وهؤلاء یریدون أن یجرحوا شهودنا لیبطلوا الکتاب والسنّة، والجرح بهم أولی، وهم زنادقة»[۱۲].

عندما یواجه هؤلاء المؤرّخون الحوادث التاریخیة المسلّمة من قبیل واقعة الجمل وأنّ طلحة والزبیر وعائشة قد أشعلوا نار الحرب أمام خلیفة المسلمین الذی بایعه المسلمون من المهاجرین والأنصار وقتل فی تلک الواقعة أکثر من عشرة آلاف رجل وعلی روایة قتل سبعة عشر ألف فسوف یصاب بالحیرة والتردّد فی الجواب لتبریر هذا العمل، وکذلک عندما یری أنّ معاویة بن أبی سفیان وقف بوجه خلیفة المسلمین الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السلام وما ترّتب علی ذلک من حرب صفّین وتداعیاتها المؤلمة ومقتل عشرات الاولوف من المسلمین وحتّی قتل بعض الصحابة، کعمّار بن یاسر علی ید أتباع معاویة، فسوف یجد نفسه فی ورطة ومتاهة عجیبة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۷

هؤلاء لا یستطیعون إنکار الحقائق التاریخیة المسلّمة من جهة، ومن جهة أخری لا یستطیعون التخلّی عن مقولة تنزیه الصحابة، ولذلک یتمسّکون بمنطق غریب.

فتارة یقولون: إنّنا لا ینبغی لنا أن نتحدّث عن الصحابة لأنّه «تِلْکَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا کَسَبَتْ»[۱۳] بهذه الطریقة یوصدون نوافذ الفهم والإدراک علی عقولهم، فهل یستطیع أیّ إنسان عاقل أن یغضّ بصره أمام الحقائق التاریخیة التی تتضمّن بیان الکثیر من المسائل التی نحتاجها فی عالمنا المعاصر؟

وتارة أخری یقولون: إنّ الصحابة مجتهدون کلّهم، وإنّ کلّ فرد منهم قد عمل باجتهاده، فالإمام علیّ علیه السلام عمل باجتهاده

وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية عملوا أيضاً باجتهادهم ولذلك هم معذورون أمام اللّه تعالى.

هؤلاء غفلوا عن أنّ الاجتهاد يتعلق بالمسائل النظرية التى تقع مورد الشك والتردد، وأمّا المسائل البديهية والمسلّمة فلا مجال للإجتهاد فيها، فهل يستطيع الشخص أن يقلب باجتهاده الليل إلى نهار أو النهار إلى ليل؟ إنّ مسألة حرب الجمل أو صفّين والتى تعتبر ثورة ضدّ الحكومة الإسلاميّة المقبولة لدى المسلمين، وسفك دماء المسلمين بدوافع دنيوية ونوازع نفسانية وحبّ المقام والمنصب، لا مجال للشك والتردد فى حرمته، فلا يقال حينئذٍ أنّ مثل هذا الشخص مجتهد فى ارتكاب هذا الفعل الشنيع، وإن أخطأ فى اجتهاده فهو معذور ومغفور!

لماذا لا يتخلّى هؤلاء الإخوة عن التعصّب ويعترفوا بأنّ صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله حالهم حال سائر الناس من وجود الصالح والطالح فيهم؟

لقد تحدّث القرآن الكريم فى سورة البقرة، التوبة، الأحزاب، المنافقين وفى موارد عديدة، عن المنافقين وذمّهم، فمن هؤلاء المنافقون؟ إنّ تعريف الصحابة المذكور ينطبق عليهم بشكل كامل، فلماذا يقول الإنسان شعراً يعجز عن الإتيان بالقافية كما يقول المثل؟

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۸

أليس من الأفضل القول بوجود جماعة فى زمان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من المنحرفين والفاسقين، وجماعة أخرى من الصالحين، والصالحون بدورهم على قسمين:

فجماعة منهم استقاموا فى خط الصلاح والخير والإيمان حتى بعد رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وجماعة منهم انحرفوا عن جادّة الصواب والحقّ بسبب الأطماع الذاتية، وقد اصيب العالم الإسلامى من جرّاء ذلك بمصائب كبيرة، أجل هؤلاء لم ينجحوا فى الامتحان الإلهّى بعد النبىّ الأكرم عليه السلام وسقطوا فى متاهات الضلالة وحبّ الدنيا.

وهكذا قيل: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ۱۴].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹

## القسم الثانى

### اشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

### الشرح والتفسير

يستطرد الإمام فى هذا القسم من الخطبة فى بيان ماهية المتمرّدين فى البصرة والموقدين لنار الفتنة ويطلب من أهل الكوفة أن يستعدّوا لنصرة الإمام ومواجهة هذا العدوان وإطفاء نار الفتنة، ولذلك ومن أجل تحريضهم وإيجاد حافز لهم يقول:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ ۱۵] جَيْشَ الْمِرْجَلِ ۱۶]، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ۱۷]».

والإمام عليه السلام يشير هنا إلى اعتراضه على جلوسهم غير مكترثين بما يدور فى عاصمة الإسلام المدينة المنوّرة التى عاشت الغليان والتقلّبات الكبيرة وقد تحرّك المؤمنون فى المدينة معى لإطفاء نار الفتنة التى أوقدها المناوئون فى البصرة.

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

نفحات الولاية، ج‌۹، ص: ۲۰

وكما أسلفنا قبل قليل أنّ المراد من «دار الهجرة» المدينة المنورة التي كانت معروفة بهذا الاسم، وقد عاشت أكبر هجرة في تاريخ الإسلام وهي هجرة المسلمين والنبيّ من مكة إلى المدينة، وأمّا ما ذكره بعضهم من احتمال أن يكون المراد الكوفة أو كلّ بلاد الإسلام فهو احتمال بعيد جدّاً.

أمّا تشبيه المدينة بالقدر الموضوع على المرجل وفي حال الغليان فهو بسبب ما عاشته المدينة في تلك الظروف من حوادث عصيبة وتداعيات خطيرة في أواخر خلافة عثمان وبعد مقتله.

والتعبير بكلمة «قامت الفتنة على القطب» إشارة إلى فتنة طلحة والزبير وعائشة، الذين خططوا لعزل الإمام عليّ عليه السلام عن مركز الخلافة أو تجزئة بلاد الإسلام بحيث تكون المدينة والحجاز بيد الإمام عليّ عليه السلام، ويكون العراق والكوفة والبصرة بيد طلحة والزبير وعائشة، والشام من حصة معاوية، وهذه هي الفتنة العظيمة التي حذّر منها الإمام عليّ عليه السلام في هذه الرسالة.

إنّ هذه الرسالة القصيرة الغزيرة المعنى أثّرت أثرها في أهل الكوفة فخرج منها أكثر من اثني‌عشر ألف رجل لنصرة الإمام عليه السلام في معركة الجمل وتوجّهوا إلى البصرة، وكان لذلك دور مؤثر في انتصار جيش الحقّ على المنافقين والناكثين في معركة الجمل.

واللافت أنّ الطبري ينقل في تاريخه عن أحد الرواة ويدعى أبوالطفيل قال: قال عليّ عليه السلام: «يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل، فقعدت على نجفة ذي‌قار وأحصيتهم فما زادوا رجلًا ولا نقصوا رجلًا»[۱۸].

## تأمّل: مصير الناكثين

إنّ كلّ مؤرخ ومحقّق، بل كلّ إنسان عارف بوقائع معركة الجمل، يعلم أنّ الإمام

نفحات الولاية، ج‌۹، ص: ۲۱

عليّ عليه السلام مضافاً إلى كونه منصوباً للخلافة بأمر النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فإنّ جماهير المسلمين بايعوه للخلافة وقد استلم زمام الأمور ومقاليد الحكومة الإسلاميّة برصيد شعبي أقوى من الخلفاء السابقين، ولكن الطامعين بالثروة والمقام انتفضوا عليه وسفكوا في سبيل تحقيق نوازعهم الذاتية دماء كثيرة، ومعلوم أنّ جميع هؤلاء المتمرّدين على الإمام من العصاة والمذنبين ولا يقبل لهم أيّ عذر في محكمة العدل الإلهي.

ولكن الملفت للنظر أنّ ابن أبي‌الحديد في «شرح نهج‌البلاغة» يتحدّث في هذا المجال ويقول: «اختلف المتكلّمون في حالها، أي عائشة، وحال من حضر واقعة الجمل، فقالت الإماميّة: كفر أصحاب الجمل كلّهم الرؤساء والأتباع، وقال قوم من الحشوية والعامة: إجتهدوا فلا إثم عليهم ولا نحكم بخطئهم ولا خطأ عليّ عليه السلام وأصحابه.

وقال قوم من هؤلاء: بل نقول: «أصحاب الجمل أخطأوا ولكنّه خطأ مغفور، وكخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند مَن قال بالأشبه، وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعرية»[۱۹].

وقال أصحاب المعتزلة «وابن أبي‌الحديد منهم»: «كلّ أهل الجمل هالكون إلّامن ثبتت توبته منهم، قالوا: وعائشة ممّن ثبتت توبتها، وكذلك طلحة والزبير، أمّا عائشة فإنّها اعترفت لعليّ عليه السلام يوم الجمل بالخطأ، وسألت العفو، وقد تواترت الرواية عنها بإظهار الندم، وأنّها كانت تقول: ليته كان لي من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بنون عشرة كلّهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وثكلّتهم، ولم يكن يوم الجمل! وأنّها كانت تقول:

ليتني متّ قبل يوم الجمل، وأنّها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكي حتى تبلّ خمارها.

وأمّا الزبير فرجع عن الحرب معترفاً بالخطأ، لمّا ذكّره علي عليه السلام بما ذكّره، وأمّا طلحة فحاله أيضاً حال الزبير ...»[۲۰].

نفحات الولاية، ج‌۹، ص: ۲۲

وهنا يطرح هذا السؤال على ابن أبى‌الحديد وأمثاله، وهو أنّه إذا صدر عمل معيّن من شخص وأدّى إلى سفك دماء جماعة المسلمين، فهل يكفى إظهار الندم والتوبة أمام حقّ الناس العظيم أو ينبغى جبران هذا الحقّ؟

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۳

## الرسالة ۲

### اشارة

إلَيْهِمْ، بَعْدَ فَتْحِ الْبَصْرَةِ[۲۱]

### نظرة إلى الرسالة

تقدّم آنفاً فى بحث سند هذه الرسالة أنّها تمثّل مقطعاً صغيراً من رسالة مطوّلة كتبها الإمام علىّ عليه السلام بعد معركة الجمل، وتتضمّن تقدير أتعابهم وما بذلوه للإسلام وأهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله فى قبولهم دعوة الإمام واشتراكهم معه فى قمع المتمرّدين من أصحاب الجمل والثناء عليهم من موقفهم واستقامتهم فى هذا السبيل.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۵

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِى الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

### الشرح والتفسير: إظهار الإمام عليه السلام رضاه عن أهل الكوفة

يتبيّن من هذه العبارة أنّ الإمام يدعو بها لأهل الكوفة ويشكر قيامهم وأتعابهم ويثنى على مواقفهم ويصفهم بعدّة أوصاف مهمّة ويقول: «وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِى الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ».

وبديهىّ أنّ المخاطب فى الرسالة هم أهل الكوفة كما ذكر ذلك المرحوم السيد الرضىّ فى عنوان هذه الخطبة وتؤيّد ذلك القرائن الحالية أيضاً، فإنّ أهل البصرة انضمّوا فى غالبيتهم إلى جيش طلحة والزبير وقد ذمّهم الإمام عليه السلام فى خطب أخرى فى نهج‌البلاغة[۲۲]، ولكن أهل الكوفة هم الذين استجابوا لدعوة الإمام عليه السلام ونصروه فى هذه المعركة الحاسمة وبذلك استحقّوا الشكر والثناء.

أضف إلى ذلك أنّ المستوحى من مجموع الرسائل، كما سيأتى فى بحث الملاحظات نقلًا عن بعض مصادر أخرى، أنّ المخاطبين بهذه الرسالة هم أهل الكوفة.

وعبارة: «عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ» إشارة إلى أنّ قيامكم هذا لا يعتبر نصرة للإسلام والقرآن فحسب، بل نصرة لأهل‌البيت عليهم السلام أيضاً، وهذا يستوجب الثواب المضاعف لكم.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۶

ویصف الإمام علیه السلام أهل الکوفة فی هذه الرسالة بخمس صفات استحقّوا علی أثرها دعاء الإمام لهم:

الأولی: العمل بطاعة اللّه عزّ وجلّ.

الثانیة: أداء شکر نعمائه.

والثالثة: الاستماع لأوامره.

والرابعة: إطاعة أمره.

والخامسة: إجابة دعوته، وهذه کلّها فی الحقیقة تعبیرات مختلفة عن حقیقة واحدة.

## تأمّل: النصّ الکامل لرسالة الإمام علیه السلام لأهل الکوفة

لقد أورد المرحوم السیّد الرضی، وطبقاً لمنهجه الانتقائی الذی اتّبعه فی «نهج‌البلاغة»، مقطعاً صغیراً جدّاًمن رسالة الإمام علیه السلام إلی أهل الکوفة، فی حین أنّ هذه الرسالة غزیرة المحتوی وعمیقة المضمون، ومن الجدیر أن یستعرضها کلّها فی هذه الفقرة، لأنّها تتضمّن فنوناً من البلاغة إضافة إلی نکات حساسة ومصیریة للمسلمین.

وقد أورد المرحوم العلّامة المجلسیّ فی «بحار الأنوار» نصّ هذه الرسالة نقلًا عن کتاب «الکافیة فی ابطال توبة الخاطئة» (للشیخ المفید) نقلًا عن أبی مخنف: ورد کتاب أمیرالمؤمنین علیه السلام مع عمر بن سلمة الأرجیّ (الأرحبیّ) إلی أهل الکوفة، فکبّر الناس تکبیرة سمعها عامة الناس واجتمعوا لها فی المسجد، ونودی بالصلاة جامعة فلم یتخلفّ أحدٌ وقرأ الکتاب و فیه:

«بِسْمِ‌اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِیمِ مِنْ عَبْدِاللّهِ أمِیرِالمُؤمِنینَ إلی قُرْظَةَ بْنِ کَعْبٍ (والی الکوفَةِ) وَمَنْ قِبَلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِینَ، سَلامٌ عَلَیْکُمْ، فَإنِّی أحْمَدُ إلَیْکُمُ اللّهَ الّذی لَا إلهَ إلّاهُوَ.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۷

أمّا بَعْدُ، فَإنّا لَقِینا القَوْمَ النّاکِثِینَ لِبَیْعَتِنا وَالمُفارِقِینَ لِجَماعَتِنا، الباغِینَ عَلَیْنا فِی امَّتِنا، فَحَجَجْناهُمْ فَحاکَمْنَاهُم إلی اللّهِ فأدَالَنا عَلَیْهِم، فَقُتِلَ طَلْحَةُ والزُّبَیْرُ وقَد تَقَدَّمْتُ إلَیْهِما بالمَعْذِرَةِ وأقْبَلْتُ إلَیهِما بالنَّصِیحَةِ واسْتَشْهَدْتُ عَلَیْهِما صُلَحاءَ الامَّةِ فَما أطاعا المُرْشِدِین وَلا أجابا النّاصِحِینَ.

وَلاذَ أهْلُ البَغْیِ بِعائِشَةَ فَقُتِلَ حَوْلَها مِنْ أهْلِ البَصْرَةِ عالَمٌ جَسِیمٌ وَضَرَبَ اللّهُ وَجهَ بَقِیَّتِهِم فأدْبَرُوا فَما کانَتْ نَاقَةُ الحَجَرِ بأشْأمَ عَلَیْهِم مِنْها علی أهلِ ذلِکَ المِصْرِ مع ما جاءَتْ بِه مِنَ الحَوْبِ الکَبِیرِ فِی مَعْصِیَتِها رَبَّها ونَبِیَّها واغتِرارَها فی تَفْرِیقِ الْمُسْلِمینَ وسَفْکِ دِماءِ الْمُؤمِنِینَ بِلا بَیِّنَةٍ وَلا مَعْذِرَةٍ وَلا حُجَّةٍ ظاهِرَةٍ.

فَلَمّا هَزَمَهُمُ اللّهُ أمَرْتُ أنْ لا یُتْبَعَ مُدْبِرٌ وَلا یُجازَ (وَلا یُجَهَّزَ) علی جَرِیْحٍ وَلا یُکْشَفَ عَوْرَةٌ وَلا یُهْتَکَ سِتْرٌ ولا یُدْخَلَ دارٌ إلّابِإذْنٍ وآمَنْتُ النّاسَ.

وقَدِ اسْتُشْهِدَ مِنّا رِجالٌ صَالِحونَ ضاعَفَ اللّهُ حَسَناتِهِم ورَفَعَ دَرَجاتِهِم وأثابَهُم ثَوابَ الصّادِقِینَ الصّابِرِینَ.

وجَزاکُمُ اللّهُ مِن أهْلِ مِصْرٍ عَنْ أهْلِ بَیْتِ نَبِیِّکُمْ أحْسَنَ جَزاءِ العَامِلِینَ بِطاعَتِهِوالشّاکِرِینَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأطَعْتُمْ وَأجَبْتُمْ إذا دُعِیْتُمْ فَنِعْمَ الإخْوانِ والأعْوانِ علی الحَقِ أنْتُمْ والسَّلامُ عَلَیْکُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَکاتُهُ»[۲۳].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۹

## الرسالة ۳

## اشارة

لشریح بن الحارث قاضیه ۲۴] وَرُوِیَ أَنَّ شُرَیْحَ بْنَ الْحارِثِ قاضِیَ أَمِیرِالْمُؤْمِنِینَ علیه السلام، اشْتَرَی عَلَی عَهْدِهِ داراً بِثَمَانِینَ دِینَاراً، فَبَلَغَهُ ذلِکَ، فَاسْتَدْعَی شُرَیْحاً، وَقالَ لَهُ:

## نظرة إلى الرسالة

تعتبر هـذه الرسالـة فریدة فی حدّ ذاتها، وتبیّن موقف الإمام علیّ علیه السـلام من أحد قضاته المعروفین حین اشتری له داراً غالیة الثمن نسبیّاً، ومضـمون الرسالة أنّ الإمام علیه السـلام بعد أن یوبّخ شـریح علی شرائه لهذه الدار، یکتب له سنداً ووثیقة لها، ولکنّ هذا السند لیس کالأسـناد المتداولة للدور والعقارات، بل سند زاخر بالعبر والدروس ویتضمّن تغیّر الدنیا وعدم الوثوق بها، ویشیر إلی غفلة الناس عن هذا الأمر واغترارهم بزخارفها وأنّهم بعیدون عن حقیقة الأمر، ولو أنّ شریح القاضی

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۳۰

اطّلع علی هذا السند الأخلاقیّ قبل شرائه الدار کما یقول الإمام علیه السلام فسوف یصرف النظر عن شرائها.

والسؤال الـذی یفرض نفسه: لماذا اتّخـذ الإمام علیه السـلام هذا الموقف المتشدّد من شـریح القاضـی؟ هل أنّ شـریح قد اشتری تلک الدار من مال الحرام ومن الرشاوی؟

نستبعد هـذا الاحتمال فی حین أنّ الإمام علیه السـلام قد جعله قاضـی الکوفة وهو بهذا الحال، أو یقال: إنّ الإمام علیّ علیه السـلام فی هـذه الرسالة یرید أن یقول أنّ الشـخص إذا تولّی منصب القضاء بما فیه من ولایة علی نفوس وأموال وأعراض الناس، فلابدّ أن یعیش بعیداً عن زخارف الدنیا والتکالب علی مطامعها، ویکون قدوة للناس فی هذا المجال.

***

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۳۱

## القسم الأوّل

### اشارة

بَلَغَنِی أَنَّکَ ابْتَعْتَ داراً بِثَمَانِینَ دِینَاراً، وَکَتَبْتَ لَهَا کِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِیهِ شُهُوداً.

فَقَالَ لَهُ شُرَیْحٌ: قَدْ کَانَ ذَلِکَ یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَیْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:

یَا شُرَیْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَیَأْتِیکَ مَنْ لَایَنْظُرُ فِی کِتَابِکَ، وَلَا یَسْأَلُکَ عَنْ بَیِّنَتِکَ، حَتَّی یُخْرِجَکَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَیُسْلِمَکَ إِلَی قَبْرِکَ خَالِصاً. فَانْظُرْ یَا شُرَیْحُ لَا تَکُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَیْرِ مَالِکَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَیْرِ حَلَالِکَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْیَا وَدَارَ الْآخِرَةِ! أَمَا إِنَّکَ لَوْ کُنْتَ أَتَیْتَنِی عِنْدَ شِرَائِکَ مَا اشْتَرَیْتَ لَکَتَبْتُ لَکَ کِتَاباً عَلَی هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِی شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ.

### الشرح والتفسیر: من أین لک هذه الدار؟!

بعد أن استدعی الإمام علیه السلام شریح القاضی قال له: «بَلَغَنِی أَنَّکَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِینَ دِینَاراً، وَکَتَبْتَ لَهَا کِتَاباً، أَشْهَدْتَ فِیهِ شُهُوداً».

فَقَالَ لَهُ شُرَیْحٌ: «قَدْ کَانَ ذَلِکَ یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ».

قَالَ (الراوی): فَنَظَرَ إِلَیْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:.

«يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَايَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً».

نفحات الولايهْ، ج٩، ص: ٣٢

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول- فى كلامه هذا- لشريح: إنّك وإن دعيت لتثبيت هذه الدار باسمك ومن خلال السند والوثيقة لئلا يزاحمك عليها شخص آخر، ولكن عندما يأتى إليك ملك الموت فإنّه لا يعتنى بهذه الوثائق، بل يأخذك رغماً عنك ويخرجك من هذه الدار، لأنّ هذه الأسناد والمستمسكات إنّما تنفعك فى أمور الدنيا لا فى أمر الآخرة، فلا تنفع الإنسان عندما يحين أجله ويتوجه إلى العالم الآخر.

وعبارة «شاخص» من الشخوص، بمعنى المسافر، ومفهوم الجملة هو: أنّك سوف تخرج من الدنيا إلى العالم الآخر كالمسافر.

واحتمل البعض أنّ كلمة «شاخص» تعنى الشىء البيّن والظاهر للعيان، والإنسان عندما يرحل من هذا الدنيا يُحمل على الأكّف بشكل ظاهر للناس حيث يساق إلى قبره، ويحتمل أيضاً أنّ أحد معانى هذه الكلمة هو الشخوص وتركّز البصر على شىء معيّن، وهذا يشير إلى أنّ الكثير من الناس عندما يحين أجلهم تشخص أبصارهم وتبقى مفتوحة بدون حركة وكأنّه ينظر إلى نقطة معينة، ولكنّ المعنى الأوّل أنسب من الجميع.

وجملة: «وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً» إشارة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الإنسان لا يحمل من أمواله ودنياه إلى القبر سوى الكفن.

وطبعاً هذا كلّه فى حال أنّه قد اشترى الدار من ماله الحلال والطيب والطاهر، ولكن إذا كان قد اشتراها من مال حرام ومشبوه، فإنّ المصيبة أعظم، ولذلك يشير الإمام علىّ عليه السلام فى كلامه إلى هذه النقطة ويقول: «فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَاتَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ٢٥]، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَةِ».

نفحات الولايهْ، ج٩، ص: ٣٣

وفى مقام الفرق بين جملة «مِنْ غَيْرِ مَالِكَ وجملة «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ مع أنّهما متّحدان فى المعنى والمضمون ظاهراً، إلّاأنّه يمكن القول أنّ الجملة الاولى إشارة إلى المال الذى لا يعتبر من أموال الشخص ظاهراً، مثلًا يكون شريح قد اشترى هذه الدار ودفع ثمنها من بيت المال، وهذا المال ليس ماله ظاهراً وواقعاً، أمّا جملة: «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ فهى إشارة إلى الأموال التى تعتبر من ماله ظاهراً وتحت تصرّفه، ولكنّه قد اكتسبها من طريق الرشوة وغيرها من الطرق المشبوهة والمحرمة.

وجملة: «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا» ربّما تشير إلى أنّ المال الحرام يترتّب عليه آثار وضعيّة خطيرة ويؤدّى إلى شقاء الإنسان وايقاعه فى المهالك، كما ورد هذا المعنى فى الكلمات القصار لأميرالمؤمنين عليه السلام حيث يقول: «الْحَجَرُ الْغَصْبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرابِها»[٢٦] أو أنّه إشارة إلى أنّك ياشريح لو اشتريت هذه الدار من المال الحرام فإنّك عمّا قريب سوف تفتضح وتخسر الدنيا مضافاً إلى خسرانك الآخرة.

ثم إنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يشير إلى نقطة مركزية فى هذا المقام ويقول:

«أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِى عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ».

وجملة: «بِدِرْهَمٍ فَما فَوْقُ» يمكن أن يقصد بها أنّ الثمن درهم أو أكثر منه فى القلّة كما ورد فى تفسير الآية الشريفة: «إِنَّ اللَّهَ لَايَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا»[٢٧]. فهنا يقصد من هذا المثال الموجودات الصغيرة ظاهراً كالبعوض وما هو أصغر منها.

نفحات الولايهْ، ج٩، ص: ٣٥

## القسم الثانى

### اشارة

وَالنُّسْخَةُ هَذِهِ:

«هَـذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ. وَتَجْمَعُ هَذِهِ الـدَّارَ حُـدُودٌ أَرْبَعَـةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَـدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَـذِهِ الدَّارِ. اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الـدَّارَ بِـالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَـةِ، وَالـدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَـةِ، فَمَـا أَدْرَكَ هَـذَا الْمُشْـتَرِي فِيمَـا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَـامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَـرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَـدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَـدِ، إِشْخَاصُـهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا».

## الشرح والتفسير: وثيقة عديمة النظير

فی سیاق ما ورد فی القسم الأول من هـذه الرسالة، وطبقاً لبعض الروایات فإنّ شـریح القاضـی طلب من الإمام علیه السـلام وثیقة هذه الدار فأوصاه الإمام علیه السلام بأن یکتب

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۶

هـذه الوثیقة بهذه العبارة: «هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ ۲۸] لِلرَّحِيـلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ[۲۹] الْهَالِكِينَ».

والجدیر بالذکر أنّ المتداول فی تنظیم الأسناد والمستمسکات لزوم رعایة ستّ جهات:

۱. اسم البائع والمشتری.

۲. عنوان الدار أو العقار مورد المعاملة.

۳. الحدود الأربعة لها وموقع الباب الرئیسی.

۴. الثمن والقیمة.

۵. تعیین المسؤول فی حالة انکشاف الغشّ والخلل.

۶. الشهود.

هنا نری أنّ الإمام علیّ علیه السلام فی هذه الوثیقة التی کتبها لشریح یبدأ بذکر صفات المشتری والبائع ثم یشیر إلی عنوان محلّ الدار کما ذکر فی العبارة أعلاه.

ثم إنّ الإمام علیه السلام أشار إلی الجهة الثالثة: یعنی تعیین حدود الدار الأربعة وقال:

«وَتَجْمَعُ هَـذِهِ الـدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي ۳۰] الْآفَاتِ، وَالْحَـدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي ۳۱]، وَفِيهِ يُشْرَعُ ۳۲] بَابُ هَذِهِ الدَّارِ».

وبما أنّ الإنسان یعیش فی هـذه الـدنیا محاطاً بأربعة عوامل خطیرة: أحدها: ما یصـیب الإنسان من آفات وبلایا، ومن السـیل والأمراض والحروب التی تفرض علی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷

الإنسان نفسـها، والآخر: المصائب التی یبتلی بها الإنسان فی داخله، من قبیل فقدان بعض أعضاء البدن أو موت الأعزّة والأقرباء وأمثال ذلک من مصائب الدنیا، ومن جهة ثالثة ورابعة، ما یواجهه الإنسان من إفرازات الأهواء والشـهوات التی تضغط علی الإنسان من داخله وتقوده إلی مهاوی الرذیلة، والشیطان الذی یوسوس للإنسان من خارجه کما یقول الإمام علیه السلام عنه: «الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي».

هـذه العوامـل الأربعـة تحيـط بالإنسـان من كـلّ الجهـات، ويسـتطيع الإنسان من خلال تهـذيب النفس والسـيطرة على الأهواء والنوازع النفسانيـة وكبـح جمـاح الشـهوات وبالتصـدّى بحزم لوسـاوس الشـيطان أن يخلّص نفسه من هـذين العـاملين الآخرين، ولكنّ الآفات والمصائب التى تصـيب جميع الناس بلا استثناء غير قابلة للاجتناب، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى مورد آخر عن الدنيا أنّها: «دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ»[۳۳].

والتعبير ب «دَوَاعِى فيما يخّص الآفات والمصائب، إشارة إلى الأسباب التى تحيط بالإنسان وتنغّص معيشته.

والتعبير ب «الْهَوَى الْمُرْدِى إشـارة إلى الأهـواء والشـهوات التى تقود الإنسان فى خطّ الضـلالة والهلكـة المادّيـة والمعنويّـة، لأنّ «ردى بمعنى الهلكة أو الأهواء والنوازع النفسانية التى تسوق الإنسان نحو هاوية السـقوط، لأنّ اتباع هوى النفس يؤدّى إلى أن يهوى الإنسان من مقام الإنسانية السامى ويسقط فى أعماق جهنّم.

وجملـة: «وَفِيهِ يُشْـرَعُ بَابُ هَـذِهِ الـدَّارِ» إشـارة إلى أنّ طريق نفوذ الشـيطان يكمن فى بـاب هـذه الـدار الخطيرة، رغم أنّ سائر العوامل الأخرى تؤثّر بدورها فى زعزعة استقرار الإنسان وسوقه فى خطّ الرذيلة والسقوط المعنوىّ.

وفى سياق هذا الكلام يبيّن الإمام عليه السلام القسم الرابع من هذه الوثيقة ويقرّر أنّ المشترى لهذه الدار مَن يتّصف بالصفات التالية:

«اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸

الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِى ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ[۳۴]».

أى أنّ ثمن الدار هو أن يخرج الإنسان من عزّ القناعة ويرتدى لباس الذّل والحرص وحبّ الدنيا.

إنّ عبارات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة وأشكال التجانس والتضادّ الموجود فى هذه الجمل مثيرة للإنتباه: «خروج» و «دخول»، «عزّة» و «ذلّة»، «قناعة» و «حرص».

وفى العبارات أعلاه نشاهد كلمات من الجناس المطلوب مثل: «آفات» و «مصيبات» و «مردى» و «مغوى».

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشرع فى بيان النقطة الخامسة المتعلّقة بسند ملكيّة هذه الدار وتعيين المسؤول فى مقابل كشف الخلل والضرر والخسارة الناشئة منها ويقول: «فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِى فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، زَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ».

إنّ روح كلامـ الإمـام عليه السـلام فى هـذا المقطع من الرسالـة يقرر أنّه إذا اكتشف الإنسـان غشّـاً وفسـاداً أو عيباً ونقصاً فى المعاملة، فينبغى أن يكون أحـدهم مسؤولًا عن هـذا الضـرر والعيب، وكـذلك إذا تبيّن أنّ المتاع أو البضاعـة مغصوبة ومن أملاك الغير، فيجب العمـل طبقاً للعقـد المكتوب فى المعاملـة، وهنا يقول الإمام عليه السـلام: ينبغى التوجّه بالمسؤوليـة وجبران هـذه النقائص إلى عزرائيل ملك الموت الذى بيده قبض أرواح الملوك وهدم الحكومات، والمزيل لملك الفراعنة والقياصرة وأمثالهم من الجبابرة الذين قصروا همّتهم على جمع الأموال وبناء القصور وتشييد المنازل الفخمة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹

والإكثار من استملاك الضياع والعقار، فهؤلاء كلّهم محكومون بالفناء والزوال من واقع الحياة.

«مبلبـل من مـادة «بلبلـة» على وزن «مزرعـة» ولهـا معانٍ متعـدّدة، فأحياناً تأتى بمعنى التشويش والاضـطراب، وأحيانـاً أخرى تأتى بمعنى الفرقـة والتشـرذم، و «ثالثـة» بمعنىالفسـاد، وفى هـذه العبـارة الأنـسب هوالمعنى الأخير وهو الفسـاد والمرض الـذى يترتّب على سـلب النفوس من جراء زوال الملك الوارد فى العبارة أعلاه.

وينبغى الالتفات إلى أنّ مفردة «كسـرى» الواردة فى كلام الإمام عليه السـلام هى فى الأصل من «خسرو»، ولها مفهوم عامّ يشمل جميع

ملوک الفرس کما أنّ مفردة «قیصر» تستعمل لجمیع ملوک الروم، أمّا «تبع» فتستعمل لملوک الیمن وحِمیر (وکذلک لبعض الملوک فی الیمن) وکلّها تأتی بمعنی الملک والسلطان رغم تنوّع التعبیر لکلّ قوم من الأقوام.

وجملة: «مَنْ بَنَی وَشَیَّدَ» یحتمل فیه معنیان نظراً لوجود کلمة «تشیید» التی تأتی معنی تقویة البناء وکذلک علوّه وارتفاعه، ولا مانع من الجمع بینهما، أی الأشخاص الذین یشیدون الأبنیة والعمارات المرتفعة والقویّة.

وعبارة: «زَخْرَفَ وَنَجَّدَ» کل واحدة منها تشیر إلی نوع من أشکال الزینة، «زخرف» إشارة إلی تزیین البناء والعمارة، و «نجّد» إشارة إلی تزیین الوسائل والأدوات من قبیل الفرش والأثاث والستائر وأمثال ذلک.

جملة: «اعتقد» التثبت والترکیز والاهتمام بدقّة فی حفظ وتنظیم الأسناد والمدارک حیث یسعی طلّاب الدنیا بوسواس کبیر فی حفظ ذخائرهم وأموالهم من خلال هذه الأسناد وحفظها من عدوان الآخرین وإبعادهم عن ممتلکاتهم وهم یظنون أنّها باقیة لأبنائهم من بعدهم.

ثم إنّ الإمام علیه السلام فی سیاق هذه الوثیقة یقول: «إِشْخَاصُهُمْ ۳۵] جَمِیعاً إِلَی مَوْقِفِ

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۴۰

الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنالِکَ الْمُبْطِلُونَ»[۳۶]».

وکلمة: «إشخاصهم» طبقاً للتفسیر أعلاه یقع مبتدأ، و «إِلَی مَوْقِفِ الْعَرْضِ» بمنزلة الخبر[۳۷] ولکن جمع من مفسّری «نهج‌البلاغة» ذهبوا إلی أنّ (إشخاص) مبتدأ مؤخّر، وجملة: «فَعَلی مُبَلْبِلِ أَجْسامِ الْمُلُوکِ ...» خبر مقدّم، وعلی ضوء ذلک یکون مفهوم الجملة: إنّ ملائکة الموت التی تزلزل أجساد الملوک والسلاطین وتقبض أرواحهم وتزیل سلطانهم هم المسؤولون عن کشف الخلل والفساد فی الأملاک الدنیویة یوم القیامة وعند موقف العرض والمیزان الأعمال.

أجل، إنّ جمیع أشکال القدرة والهیمنة معرّضة للزوال، وجمیع الثروات والأموال ستبقی بعد رحیل الإنسان من هذه الدنیا، «کُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ‌وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ‌الْقِیَامَةِ ...»[۳۸] ویحضرون إلی‌الحساب وینالون جزاءهم من‌الثواب والعقاب.

وفی ختام هذه الوثیقة یشیر الإمام علیه السلام، کما فی الأسناد والمدارک الدنیویة، إلی الشهود لهذه المعاملة المعنویة، ویقول: «شَهِدَ عَلَی ذَلِکَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَی وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْیَا».

وبما أنّ الشاهد یجب أن یکون عادلًا وثقة فإنّ الإمام علیه السلام یقول فی هذا الصدد:

إنّ العقل یمکنه أن یکون شاهداً علی هذا الأمر إذا خرج عن أسر الأهواء النفسانیة وتخلّص من العلائق المادیة والدنیویة التی من شأنها تکبیل العقل وحجبه عن درک الحقیقة.

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۴۱

وعلی هذه الأساس یبیّن الإمام علیّ علیه السلام بأجمل صورة وأبلغ بیان، الأرکان السّتة لهذه السند المعنویّ.

## تأمّلان

### ۱. الباعث لکتابة السند

هذا السند العجیب الذین کتبه الإمام علیّ علیه السلام لأحد قضاته یستحقّ الدراسة والتمعّن من عدّة جهات:

الأولی: إنّ ثمانین دیناراً لهذه الدار لم یکن بالثمن الباهض للدار، ولکن بما أنّ المشتری لهذه الدار أحد القضاة، ومعلوم أنّ القاضی یقع دائماً فی دائرة الاتّهام والوساوس النفسانیة، فمن هذه الجهة لم یرتضِ الإمام علیه السلام لشریح دفع هذا الثمن من المال للدار.

أضف إلی ذلک فنحن نعلم أنّ عصر حکومة وخلافة الإمام علیه السلام جاءت بعد سنوات مریرة وخطیرة من خلافة عثمان التی

اقترنت بمظاهر الإسراف والتبذير بشكل واسع لبيت المال، وتوجّه بعض رموز المجتمع الإسلاميّ للحياة المرفّهة، والتوغّل فى التجمّل والثراء، ومن أجل أن يتصدّى الإمام لهذه الظاهرة الخطيرة ويوقف هذا التيار عند حدّه، كان يكثر فى خطبه وكتبه الواردة فى «نهج‌البلاغة» من التحذير من زخارف الدنيا وبريقها الخادع واتّخذ لنفسه أيضاً حياة الزهد والتقشّف، وفى حين أنّه يقف على رأس الحكومة الإسلاميّة لم يكن مستعدّاً أبداً أن يعطى لأخيه عقيل شيئاً- ولو قليلًا- من بيت المال، وعندما أُخبر بأنّ واليه على البصرة (عثمان بن حنيف) استجاب لدعوة أحد أثرياء تلك المدينة وجلس على مائدة يستطاب فيها أنواع الأطعمة وقد دعى معه طبقة من الأشراف والأغنياء ولم يدعَ إليها الفقراء، اغتمّ لذلك بشدّة وكتب إليه رسالة شديدة اللهجة يوبّخه فيها على عمله واستجابته لدعوة الأغنياء.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۲

كلّ ذلك من أجل أن يغيّر الإمام علىّ عليه السلام تلك الثقافة الخاطئة والمنافية للتعاليم الإسلاميّة، ويعيد المسلمين إلى ثقافة الإسلام الأصيلة التى عاشوها فى عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ومعلوم أنّ شراء القصورالفخمة والبيوت المجلّلةالباهضة الثمن و التّى ربّما تكون أغلى بكثير من دار شريح، كان متداولًا بين الطبقة المترفة من المسلمين، ولكن هذه الرسالة كانت بمثابة إنذار للجميع أن يأخذوا حذرهم ويحسبوا حسابهم وخاصة من المنتسبين للحكومة الإسلاميّة ليكونوا على فاق تامّ مع توجّهات الحكومة الإسلاميّة.

ومعلوم أيضاً أنّ هذه الرسالة قد انتشرت فى ذلك الوقت بين الناس من يد لأخرى وقد اطّلع الكثير على مضمونها وأنّ الإمام عليه السلام كتب رسالة بهذه المضمون إلى شريح القاضى، وبالتالى انتبه البعض إلى تطّلعات الإمام عليه السلام وربّما أدّى بالبعض الآخر أن يوفّق مسيرته وسلوكياته مع تعاليم الإمام عليه السلام خوفاً من اعتراض الناس.

هذه الرسالة لا تخّص ذلك العصر والزمان، بل تمتدّ بمضمونها وفحواها إلى عصرنا هذا والمستقبل، وتصدّق على جميع الأجيال والعصور ولا تختصّ بطائفة معيّنة أو شريحة خاصّة من الناس.

نحن اليوم نرى بعض الأشخاص يبذلون الكثير من الأموال لبناء الدور الفخمة ويتعبون أنفسهم فى تشييدها بأغلى الزينة ويشترون لها الكثير من الأثاث وغير الأثاث واللوازم غير الضروريّة ويجلبون لها من التحف والزخارف والأمور النفيسة من شتّى بقاع العالم وأحياناً ينفقون عمرهم لبناء هذه الدار وربّما ينتهى عمرهم دون أن ينتهى البناء، وغنىّ عن البيان أنّ مثل هذه النفقات الباهضة لا يمكن للإنسان توفيرها من طريق مشروع، وبالتالى يكون وزرها وإثمها على عاتقه، بينما يستفيد منها الآخرون.

## ۲. من هو شريح؟

شريح بن الحارث، أبواميّة من قبيلة «بنى كندة» وما ذكره البعض من كونه شريح

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۳

بن هانى فهو خطأ، ولكن هناك بحث بين المؤرّخين هل أنّ شريح من الصحابة أم لا؟ فقد ورد فى كتاب «اسد الغابة»: أنّ شريح أدرك عصر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولكنّه لم يحضَ بلقائه، وقال بعضهم: إنّه لقى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأسلم على يده وقال شريح:

يارسول اللَّه! أنا من اسرة كثيرة العدد فى اليمن، فقال النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله: فاتِ بهم.

ولكنّه عندما أتى باسرته إلى المدينة كان النبىّ قد رحل من هذه الدنيا.

يقول ابن الأثير فى «اسدالغابة»: كان عمر بن الخطّاب قد نصبه قاضياً للكوفة وبقى على هذا المنصب إلى زمان أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وقد أبقاه الإمام فى منصبه لسابقته فى هذا العمل، ولكن طبقاً للرواية المعتبرة الواردة فى كتاب «وسائل‌الشيعة»: أنّ الإمام عليه السلام اشترط عليه أن لا- يصدر حكماً دون اطّلاعه وإعلامه: «لَمّا ولّى أميرُالْمُؤْمِنينَ شُرَيْحاً القَضاءَ اشْتَرَطَ عَلَيْه أنْ لا

يُنْفِذَ الْقَضاءَ حَتّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ»[۳۹].

وبقى شريح فى هذه المنصب إلى زمان الحجّاج.

وذهب جماعة من المؤرّخين أنّ شريحاً كان ذكياً وبارعاً، ولكنّ هذا لا يعنى أنّه لم يرتكب بعض الأخطاء الفاحشة فى أمر القضاء والتى وردت موارد منها فى كتب الحديث ۴۰].

كتب الدميرى صاحب كتاب «حياة الحيوان»: قيل للشعبىّ (وهو من التابعين) يقال فى المثل «إنَّ شُرَيْحاً كانَ أدْهى مِنَ الثَّعْلَب وأحْيَل»، فما هذا؟

فقال: خرج شريح أيّام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلّى يجىء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيّل بين يديه ويشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميّه وجعل قلنسوته عليها، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه وأخذه بغتة فلذلك يقال: «إنَّ شُرَيْحاً كانَ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۴

أدْهى مِنَ الثَّعْلَب وأحْيَل»[۴۱].

ويرى ابن خلكان أنّ شريحاً كان من التابعين رغم أنّه أدرك عصر الجاهلية وقال ابن خلكان: إنّ شريحاً جلس على كرسى القضاء خمس وستين عاماً وفى طيلة هذه المدة لم يترك القضاء سوى ثلاث سنوات فى زمن فتنة عبداللّه بن الزبير، وقد استقال من منصبه فى زمان الحجّاج ولم يمارس القضاء إلى آخر عمره.

وذكر المؤرخون أنّه كان أمرداً.

أمّا فيما يخصّ عمره فهناك خلاف، حيث ذهب بعض إلى أنّه بلغ من العمر مائة وعشرين سنة، وذهب آخرون إلى عمره مائة وعشر سنوات، بينما ذكر آخرون أقلّ من هذا وأكثر.

ولا شكّ أنّ شريحاً قد اصيب فى خاتمة عمره بسوء العاقبة، وأحد الشواهد على ذلك القصّة التى يذكرها الطبرى فى تاريخه عن أبى مخنف، يقول: حدّثنى الصقعب ابن زهير عن عبدالرحمن بن شريح قال: سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة، قال:

دخلت على هانى بن عروة (فى زمن إمارة ابن زياد على الكوفة) فلمّا رآنى قال: يا للّه، يا للمسلمين أهلكت عشيرتى فأين أهل الدين وأين أهل المصر، إيّاى يخلّون وعدوّهم وابن عدوّهم، والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر، وخرجت واتبعنى فقال: يا شريح إنّى لأظنّها أصوات مذحج وشيعتى من المسلمين، إن دخل علىَّ عشرة نفر أنقذونى، قال: فخرجت إليهم ومعى حميد بن بكر الأحمرىّ- أرسله معى ابن زياد- وكان من شرطته وممّن يقوم على رأسه، وأيم اللّه لولا مكانه معى لكنت أبلغت أصحابه ما أمرنى به، فلمّا خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته ونظرت إليه فأمرنى أن ألقاكم وأن اعلمكم أنه حىّ وأنّ الذى بلغكم من قتله كان باطلًا، فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل فالحمد للّه، ثم انصرفوا[۴۲].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۵

فلمّا انصرف الناس أقدم ابن زياد على قتل هانى، وفى الحقيقة أنّ شريحاً كان يعلم أنّ هانى فى خطر، فلماذا أمر أصحابه وأنصار بالعودة والانصراف وقدّم رضا ابن زياد على رضا اللّه عزّ وجلّ؟! إنّ المواقف غير المسؤولة أو السكوت المشبوه فى مقابل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأسر ذرّيته وأهل بيته والمجىء بهم إلى الكوفة، كلّها شواهد أخرى على خبث طبعه وضعف نفسه واهتزاز إيمانه، فلو أنّ شريحاً لم يأمر قبيلة بنى مذحج بالعودة عندما أحاطوا بدار الإمارة، فإنّه من الممكن أن تتغيّر أوضاع الكوفة وتنقلب الموازين ضدّ قوى الكفر والانحراف ويكون مصير ثورة الإمام الحسين عليه السلام بشكل آخر[۴۳].

يستفاد من رواية أبى مخنف فى كتابه (مقتل الحسين) أنّ المختار عندما ولى أمر الكوفة عزل شريحاً من منصبه بسبب تقصيره فى أمر

نصرة الإمام الحسين عليه السلام ۴۴].

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۴۷

## الرسالۀ ۴

### اشارۀ

إلى بَعْضِ أُمَراءِ جَيْشِهِ ۴۵]

### نظرۀ إلى الرسالۀ

إنّ مضمون هذه الرسالۀ بيّن وجليّ، فالإمام عليّ عليه السلام يأمر فيها أحد قادۀ جيشه الذى كان يواجه فئۀ من المنحرفين والعصاۀ أن يأخذهم بالنصيحۀ والعودۀ إلى خطّ الطاعۀ والإيمان، فإن لم يقبلوا فيجب عليه استخدام القوّۀ فى سبيل إسكات هذا التمرد وإطفاء نار الفتنۀ.

وكما سنشير لاحقاً أنّ المخاطب لهذه الرسالۀ هو عثمان بن حنف والى البصرۀ والذى كان فى ذلك الوقت قائداً لجيش الإمام عليه السلام فى تلك المنطقۀ، ومن هنا عبّر السيّد الرضيّ فى عنوان هذه الرسالۀ أنّها: «إلى بَعْضِ أُمَراءِ جَيْشِهِ».

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۴۹

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِى نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

### الشرح والتفسير: يجب إقالۀ الضعفاء

قبل البحث فى تفسير هذه الرسالۀ لابدّ من الالتفات إلى شأن صدورها، فقد ذكر المرحوم الشيخ المفيد فى كتاب الجَمَل:

«لمّا تمّ أمر البيعۀ لأميرالمؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام واتّفق على طاعته عامّۀ بنى هاشم و وجوه المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأيس طلحۀ والزبير ممّا كانا يرجو انه بقتل عثمان من بيعۀ الناس لأحدهما بالإمامۀ، وتحقّقت عائشۀ بنت أبى بكر تمام الأمر لأميرالمؤمنين عليه السلام واجتماع الناس عليه وعدو لهم عن طلحۀ والزبير و كانت تعلم أن كثيراً من الناس يميل لها لمكانها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنها من أمّهات المسلمين، و ....

ولمّا عرف طلحۀ والزبير من حالها وحال القوم، عملا على اللحاق بها والتعاضد على شقاق أميرالمؤمنين عليه السلام وسارا إلى مكّۀ خالِعَيْن الطاعۀ ومفارِقَين الجماعۀ، فلما وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما، طافا بالبيت طواف العمرۀ وسعيا بين الصفا والمروۀ، وبعثا إلى عائشۀ عبداللّه بن الزبير وقالا له: إمضِ إلى خالتك فاهدِ

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۵۰

إليها السلام منّا وقل لها: إنّ طلحۀ والزبير يقرء انك السلام ويقولان لك: إنّ أميرالمؤمنين عثمان قتل مظلوماً، وأنّ على بن أبى طالب ابتزّ الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولّوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الأمر به، فإن رأيتِ أن تسيرى معنا، لعل اللّه يرتق بك فتق هذه الامّۀ ويشعب بك صدعهم ويلمّ بك شعثهم ويصلح بك امورهم، فأتاها عبداللّه فبلّغها ما أرسلاه به، فأظهرت الامتناع من إجابتهما إلى الخروج عن مكۀ وقالت: يا بنى لم آمر بالخروج لكنى رجعت إلى مكۀ لأعلم الناس ما فعل بعثمان إمامِهم ....

فقال لها عبداللَّه: فإذا كان هذا قولك فی علیّ یا امّه، ورأيك فی قاتلی عثمان فما الذی يقعدك عن المساعدة على جهاد علیّ وقد حضرك من المسلمين من فيه غنیً وكفاية فيما تريدين! فقالت: يا بنیّ افكّر فيما قلتَ وتعود إلیّ ... ولما كان الغد أجابت إلى الخروج ....

إن عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أغذّوا السير مع من اتبعهم من بنی‌اميّة وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبی‌موسى فبلغ عثمان بن‌حنيف وهو عامل البصرة يومئذٍ وخليفة أميرالمؤمنين عليه السلام».

فكتب عثمان بن حنيف كتاباً لأميرالمؤمنين عليه السلام يعلمه فيه بدخول عائشة وطلحة والزبير البصرة ويطلعه على مجريات الأمور فيها، فكانت هذه الرسالة- مورد البحث- جواباً على رسالة عامله عثمان بن حنيف، يأمره فيها والمخلصين له من أهل البصرة بالوقوف بوجه المتمردين وقتالهم ۴۶].

والآن نأتی إلى شرح هذه الرسالة، فالإمام يقول فيها: «فَإِنْ عَادُوا- أی المتمرّدين الذين لم يمتثلوا الأوامر فی جيش طلحة والزبير، فعليكم بتقديم النصحية لهم- إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِی نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ ۴۷] الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۱

الشِّقَاقِ والْعِصْيَانِ فَانْهَدْ[۴۸] بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ ۴۹] عَنْكَ .

والتعبير ب «ظِلِّ الطَّاعَةِ» تعبير لطيف ويشير إلى أنّ العصيان والتمرّد ومخالفة أوامر الحاكم الإسلامیّ حالها حال الشمس المحرقة، بينما الطاعة والسكينة وامتثال أوامر القادة العدول بمثابة الظلّ الوارف الذی يعمّ خيره المجتمع الإسلامیّ.

والفرق بين الشقاق والعصيان، أنّ الشقاق بمعنى الفرقة والانفصال، وأمّا العصيان والتمرّد فشیء أعلى وأشدّ من مجرّد الافتراق عن جماعة المسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير فی ختام هذه الرسالة إلى الدليل على أمره هذا ويقول:

«فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ ۵۰] مَغِيبُهُ ۵۱] خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ».

وهذا هو ما ذكر القرآن الكريم عن بعض المنافقين فی سورة التوبة وقال: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ»[۵۲].

فالعناصر الضعيفة التی تخاف من النزول إلى ساحة القتال وتكره مواجهة الأعداء لا تزيد الجيش الإسلامیّ إلّاضعفاً، وبالتالی فإنّ غيابهم وعدم حضورهم أفضل من مشاركتهم فی المواجهة الحاسمة.

## تأمّلان

### ۱. جرائم الناكثين فی معركة الجمل

يستفاد من تاريخ الطبری وبعض الكتب الأخرى وكذلك فی خطبة ۱۷۲ التی

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۲

سبق وأن شرحناها بالتفصيل أنّ عثمان بن حنيف بعد ورود طلحة والزبير وجيشهما إلى البصرة جاء إلى هذه المدينة ومعه أمر من الإمام علیّ عليه السلام بمواجهة المتمرّدين وعناصر الشغب فی البصرة إلى أن يأتی إليها الإمام عليه السلام بنفسه، ولكنّ أهل البصرة انقسموا إلى فئتين: فئة تقول بوجوب نصرة الإمام علیّ عليه السلام ضد مناوئيه، وفئة أخرى تؤيّد المخالفين والمتمرّدين وتقول بوجوب نصرة عائشة زوجة النبیّ وأنصارها، وكانت هناك بعض المناوشات بين هاتين الفئتين، والجدير بالذكر أنّ (جارية بن قدامة) وهو أحد رؤساء قبائل البصرة جاء إلى عائشة فقال: ياامّ المؤمنين، واللَّه فإنّ قتل عثمان بن عفّان أهون من خروجكِ من بيتكِ على

هـذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من اللّه ستر وحرمة فهتكتى سترك وأبحتى حرمتك، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك، إن كنتِ أتيتنا طائعة فارجعى إلى منزلك وإن كنتِ أتيتنا مستكرهة فاستعينى بالناس.

وعلى أيّة حال، فإنّ طلحة والزبير وأتباعهم كانوا قد لبسوا الدروع تحت لباسهم وجاؤوا إلى المسجد عند الفجر لإقامة صلاة الصبح، وجاء عثمان بن حنيف إلى المسجد وهو لا يعلم بمجريات الأمور ليصلّى بالناس أيضاً، فجاءه أنصار طلحة والزبير وسحبوه من ردائه وقدّموا الزبير للصلاة، وكانت طائفة من حراس بيت المال يدعون «السبابجة» أخرجوا الزبير من المسجد ووضعوا عثمان مكانه، ولكنّ أنصار الزبير هجموا عليهم ودفعوا عثمان بن حنيف وأتباعه من موقعهم، واستمرّ هذا التدافع والمناوشات إلى طلوع الشمس، فصاحت جماعة: ياأصحاب محمّد اتّقوا اللّه فإنّ الشمس قد أوشكت على الطلوع فكيف الصلاة؟ وأخيراً تغلّب الزبير وأنصاره وأقام الزبير صلاة الصبح بالناس، وبعد الصلاة هجم الزبير مع أنصاره المسلّحين على عثمان بن حنيف وأتباعه وقبضوا عليه وضربوه حتى كاد أن يموت ونتفوا شعر رأسه ولحيته وأهدابه، وعذّبوا جماعة من أنصاره وقتلوهم.

وقد أشار الإمام علىّ عليه السلام فى الخطبة ۱۷۲ إلى هذه القضيّة وقال: «فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳

يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِى قَتْلُ ذلِكَ الْجَيْشِ، كُلِّهِ»[۵۳].

وطبعاً فإنّ هـذه المناوشات غير ما حدث من تنازع واختلاف بين طلحة والزبير على مسألة إمامة الصلاة، حيث كان كلّ منهما يريد إمامة الجماعة فتوسّطت عائشة بينهما وتقرّر أن يصلّى بالناس عبداللّه بن الزبير.

وقد ارتكب أتباع طلحة والزبير وعائشة فى هذة المدّة جرائم عجيبة، منها أنّهم قتلوا «السبابجة» الذين كان عددهم سبعين رجلًا وقيل: أربعة نفر، وقطعوا رؤوسهم بأمر من عائشة، وقد استمرّت هذه الأوضاع الدامية إلى أن جاء الإمام علىّ عليه السلام وجيشه وسحقوا المتمرّدين والناكثين فى معركة الجمل وقتل طلحة والزبير وأرسل الإمام عليه السلام عائشة مع جماعة من الحرس إلىالمدينة، وعاد الهدوء والأمن إلى البصرة[۵۴].

## ۲. على مَن يمكن الاعتماد؟

وقد أشار الإمام علىّ عليه السلام فى هـذه الرسالة إلى نقطة مهمّة جديرة بتدبّر واهتمام جميع القادة والعسكريين، وهى أنّه لا ينبغى الاعتماد على العناصر المهزوزة وضعيفة الإرادة فى حسابات المعركة، ولا ينبغى تحشيدهم لمجرّد تكثير السواد فى ميدان القتال، لأنّ ضررهم وخطرهم أكثر من نفعهم، فعدم حضور هؤلاء المزيّفين، فى ميدان القتال يوجب السكينة والطمأنينة فى قلوب المجاهدين وبالعكس فإنّ حضورهم ومشاركتهم تؤدّى إلى اهتزاز الموقف وتشويش النوايا واضطراب الدوافع.

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يشبه هذا المعنى كما أسلفنا فى معركة تبوك (وكذلك معركة احد) وفى المورد الأول يقول القرآن الكريم: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُم ما

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴

زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ»[۵۵]. والفتنة هنا العمل على إيجاد الفرقة والنفاق وتمزيق الصف.

وبالنسبة لغزوة أُحد تقول الآية الشريفة بعدها: «لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كارِهُونَ»[۵۶] أى أنّ هؤلاء كان قد سبق أن طلبوا الفتنة وتشويش الأمور فى معركة احد.

وخلاصة الكلام، أنّ الآيات الشريفة أعلاه تبيّن لجميع المسلمين درساً مهمّاً وهو أنّه لا ينبغى لهم الاهتمام بزيادة عدد الجيش وكثرة الجنود، بل ينبغى الاهتمام بكسب واختيار الأشخاص الذين يتمتّعون بروح الإيمان والإخلاص مهما كان عددهم قليلًا، كما يظهر ذلك من الآيات الشريفة التى تتحدّث عن قصّة بنى اسرائيل وطالوت وجالوت: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ»[۵۷].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۵

## الرسالة ۵

### اشارة

إلى الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ عامِلِ أَذْرِبيجان [۵۸

### نظرة إلى الرسالة

هذه الرسالة تشير فى الأساس إلى نقطة واحدة، وهى أنّ المقامات والمناصب فى الحكومة الإسلاميّة ليست وسيلة للوصول إلى المال والثروة وما إلى ذلك، بل هى أمانات إلهيّة يجب مراعاتها بدقة والالتزام بلوازمها من موقع الوعى والإيمان، ولهذا السبب لا ينبغى استخدام وسائل الإكراه ومنهج الاستبداد فى إدارة الامور وكذلك لزوم الاحتياط التام فى التعامل مع بيت المال.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۷

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيسَ لَکَ بِطُعْمَةٍ وَلكِنَّهُ فِی عُنُقِکَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَکَ. لَيسَ لَکَ أَنْ تَفْتَاتَ فِی رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِی يَدَيْکَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّی أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِکَ لَکَ، وَالسَّلَامُ

### الشرح والتفسير: المناصب الحكوميّة فى الإسلام أمانة إلهيّة

كما أشرنا آنفاً أنّ السيد الرضى الذى أورد هذه الرسالة نقل مقطعاً من رسالة مفصلة وردت فى كتاب وقعة صفين، ويستفاد من هذه الرسالة أنّ الأشعث بن قيس وبسبب السوابقه السيئة كان يشعر بالقلق على موقعه بعد استلام الإمام علىّ عليه السلام مقاليد الخلافة فربما عزله الإمام عليه السلام عن إمارة آذربايجان وبذلك اتّخذ من معركة الجمل وقتل عثمان ذريعة للتمرّد على حكومة الإمام عليه السلام، ومن أجل ذلك والحيلولة دون وقوع الفتنة، كتب له الإمام عليه السلام هذه الرسالة ليتدارك أمره وقد ذكر فى بدايتها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِاللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَمَّا بَعْدُ، فَلَوْ لَاهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ كُنَّ مِنْکَ لَكُنْتَ الْمُقَدَّمَ فِی هذَا الْأَمْرِ قَبْلَ النَّاسِ وَلَعَلَّ آخِرَ أَمْرِکَ يَحْمَدُ أَوَّلَهُ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُ بَعْضاً، إِنِ اتَّقَيْتَ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام، فى سياق هذه الرسالة، أشار إلى قتل عثمان وبيعة الناس له وتمرّد طلحة والزبير ونقضهم البيعة له وأضاف: أنّهما أخرجا عائشة من بيتها إلى البصرة وأنّى قد سرت إليهم مع ثلّة من المهاجرين والأنصار حتى اصطفّ الجيشان

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۸

وتقابل جيش الحقّ مع زمرة المتمرّدين والمخالفين وطلبت منهم الكفّ عن التمرّد والعناد والعودة إلى البيعة والوفاء بالعهود، وقد أتممت عليهم الحجّة ولكنّهم لم يقبلوا إلّا بالقتال، وما كان من أمر المعركة ما كان ودارت عليهم الدائرة وجرح بعضهم وفرّ الآخرون، وقد أمرت أن لا- يجهز على المجروحين ولا- يتمّ تعقيب الهاربين وكل من ألقى سلاحه على الأرض ورجع إلى داره وأغلق بابه عليه فهو آمن [۵۹].

ثم إنّ الإمام عليه السلام فى هذه المقطع من الرسالة الذى ينقله السيّد الرضىّ يقول محذّراً بجملتين ذات معنى عميق: «وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيسَ لَکَ بِطُعْمَةٍ[۶۰] وَلكِنَّهُ فِی عُنُقِکَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَکَ».

التعبير أعلاه يبيّن رؤية الإسلام للمناصب الحكومية والمسؤوليات التى تقع على عاتق أصحاب الشأن السياسى، ومن وجهة نظر الإسلام

أنّ رئيس الحكومة، الوزراء، الامراء، والولاة، ليسوا سوى امناء يتولّون إدارة أمور المجتمع الإسلامىّ ويتحمّلون الأمانة الإلهيّة فى هذا الشأن، فلا ينبغى استخدام هذه المناصب وسيلة لاحراز التفوق وتغليب المصالح الشخصية والتوصّل إلى المآرب الذاتية والفئوية بل ينبغى مراعاة هذه المسؤولية كالشخص الأمين الذى يجب عليه إعادة الأمانة سالمة إلى أهلها.

وقد ورد هذا المعنى فى روايات عديدة فى تفسير الآية الشريفة: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا»[۶۱]، فإنّ هذه الأمانة هى الولاية وحكومة الأولياء الصالحين ۶۲].

وطبعاً أنّ تفسير هذه الآية لا يعنى أنّ مفهوم الآية ينحصر فى أمر الحكومة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹

والإمامة، بل هى من المصاديق البارزة والمهمّة لهذا المفهوم الأخلاقى الواسع.

ثم إنّ الإمام عليه السلام بعد أن يتقدّم للأشعث بهذا الإنذار يبيّن ثلاث وظائف له بوصفه والياً، فيقول أوّلًا: «لَيسَ لَکَ أَنْ تَفْتَاتَ ۶۳] فِى رَعِيَّةٍ[۶۴]».

بل يجب عليك العمل وفق الموازين الإلهيّة وما ورد فى تعاليم الإسلام عن حقوق اللّه، لا أن تتصرّف كما يحلو لك، وتتعامل مع الرّعية كما يتعامل السيّد مع عبيده.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يقرّر الأمر الثانى ويقول: «وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ». أى أنّه لا ينبغى لك فى الأعمال المهمّة والخطيرة أن تتسرّع وتقدم عليها بدون اطمئنان من النتائج.

ومع الالتفات إلى أنّ جملة «وَلَا تُخَاطِرَ» من مادة خطر، وأنّ كلمة خطير تستخدم للأمور المهمّة بسبب الأخطار المترتبة عليها، فيكون مراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة هو اجتناب الإقدام على أىّ عمل مصيرىّ للناس والمجتمع إلّابعد التأمل والدقّة والمشورة، وإذا لزم الأمر يجب الاستئذان من الإمام والقائد الأعلى، لأنّه من أجل حفظ الأمانات المهمّة لابدّ من الامتناع من أى عمل خطير، وعلى ضوء ذلك فإنّ مفردة «وثيقة» تستوعب فى مضمونها التفكر والتأمل وكذلك المشورة والاستئذان من الإمام عند اللزوم.

وفى الأمر الثالث الذى أكّد عليه الإمام عليه السلام فيما يتّصل بحفظ الأموال وبيت‌المال،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰

قال عليه السلام: «وَفِى يَدَيْکَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ».

وفى نهاية هذه الرسالة يثير الإمام علىّ عليه السلام فى نفس واليه الطمأنينة بأنّه إذا سار فى الخطّ السليم وحفظ هذه الأمانة الإلهيّة ورعى شؤون هذه المسؤولية فالإمام عليه السلام لا يتعرّض له بأىّ مكروه وسيكون فى أمان من المؤاخذة، يقول: «وَلَعَلِّى أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِکَ لَکَ وَالسَّلَامُ».

وبديهىّ أنّ هذا التعبير زاخر بالتواضع ومفعم بالابوّة.

## تأمّلات

### ۱. دستور كامل

اللافت أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع القصير من الرسالة بيّن جميع ما ينبغى عمله لمسؤول سياسىّ فى الحكومة الإسلاميّة، ففى البداية بيّن حقيقة منصبه وماهيّة هذه المقام ليعيش الوالى الوعى الكامل بمقتضيات هذا المقام وأنّه ليس سوى أمين لا حاكم متسلّط على رقاب الناس.

ثمّ يلفت الإمام عليه السلام النظر إلى أوّل شىء يصيب الولاة فى عمليّة الحكم وهو مسألة الاستبداد بالرأى وترجيح الرغبات الشخصية

والرؤى الذاتية على منافع الناس ومصالح الامّة، وخاصّة أنّ الإمام عليه السلام استخدم فى هذه العبارة مفردة «الرعيّة» التى توحى بمفهوم ضرورة مراعاة هذه الطبقة ولزوم النظر فى مصالحهم وتقديم النفع الجمعى فى سلّم الأوليات.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يأمر واليه بأن لا يحسب الأمور الاجتماعية المهمّة كالأمور الشخصيّة، فلا ينبغى أن يتسرّع فى اتّخاذ التدابير الخطيرة بدون النظر إلى أبعادها وآثارها فى المجتمع، وأن لايتصرّف من دون الاطمئنان والنظر إلى عواقبها وتداعياتها.

وأخيراً أشار الإمام عليه السلام إلى أحد العوامل التى تؤدّى إلى فساد وانهيار الحكومات وهى مسألة الأموال والثروات العامّة واعتبر هذه الأموال «مال اللّه» وهذا هو التعبير

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۶۱

الذى ورد فى القرآن الكريم عندما تحدّث عن العبيد الذين تحرّروا من ربقة الرّق والأمر الشرعى بإعطائهم المال الكافى لمزاولة العمل والكسب وأداء ديونهم فقال تعالى: «وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِى آتاكُم»[۶۵].

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر واليه بوصفه أميناً وخازناً لمال اللّه ويأمره بالمحافظة على هذا المال إلى أن يصل بيد الإمام ويتمّ توزيعه على مستحقيّه.

وفى ختام الرسالة يثير الإمام عليه السلام الاطمئنان فى نفس واليه أنّه لو لم ينحرف عن جادّة الصواب ومسير الحق فإنّه سيكون فى أمان من المؤاخذة والعقوبة، ولكنّ الإمام عليه السلام فى ذات الوقت يحذّر من مغبّة عدم العمل بالنصائح الثلاث المذكورة لهذه الرسالة وأنّه ينبغى للأشعث أن ينتظر العواقب السّيئة من جرّاء عدم امتثال الأوامر.

وممّا يجدر ذكره أنّ نصر بن مزاحم يذكر فى كتاب «صفّين»: «لمّا كتب عليه السلام إلى الأشعث مع ماضيه الأسود، قال الأشعث لأصحابه: قد أوحشنى وهو آخذنى بمال آذربايجان، وأنا لاحق بمعاوية، فقالوا: الموت خير لك من ذلك، أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذَنَباً لأهل الشام، فسار حتّى قدم عليه عليه السلام». فانتبه الأشعث إلى خطئه وجاء أخيراً إلى الإمام عليه السلام وسكن فى الكوفة»[۶۶].

## ۲. من هو الأشعث بن قيس؟

تقدّم فى الجزء الأول من هذه الدورة وفى ذيل الخطبة ۱۹ أنّ الإمام علىّ عليه السلام كتب رسالة شديدة اللهجة للأشعث بن قيس، وكتبنا شرحاً وافياً عن حال الأشعث واسمه الحقيقى، معدى كرب وبسبب شعره الجعد سمّى بالأشعث بحيث غلب على اسمه الأصلىّ وبقى هذا الاسم الثانى متداولًا ومعروفاً بين الناس.

وللأشعث ماضٍ أسود وسوابق سيئة كثيرة، فقد ارتكب الكثير من الجرائم فى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۶۲

عصر الجاهلية وتمّ أسره من قِبل أعداء قومه واضطرّ قومه إلى دفع مبلغ كبير كفدية لتحريره من الأسر.

أمّا تاريخه المظلم فيشير إلى أنّه كان من المنافقين، وكان فى زمان حكومة الإمام علىّ عليه السلام- كما يذكر ذلك بعض المؤرّخين- الأساس والأصل لجميع المفاسد والخلل فى المجتمع الإسلامىّ، وقد عمل مع عمرو بن العاص فى حرب صفّين لإيجاد النفاق والبلبلة فى صفوف جيش الإمام عليه السلام.

وقد نُصّب الأشعث بن قيس والياً على آذربايجان، وبعد ذلك أبقاه الإمام عليه السلام فى منصبه- طبقاً لرواية- مداراة له لئلّا يتوجّه إلى الشام ويلتحق بمعاوية.

واللافت أنّ أبابكر زوّج اخته ام فروة للأشعث ليأمن خطره، ولدت له هذه المرأة ثلاثة أبناء أحدهم محمّد الذى كان أحد قادة جيش ابن زياد فى كربلاء لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وكانت للأشعث بنت تسمى جعدة، ونعلم جميعاً أنّها زوجة الإمام

الحسن علیه السلام وقد أقدمت علی قتل الإمام الحسن المجتبی علیه السلام بالسّم، ومعلوم أنّ الأشعث أیضاً کان من الأشخاص الذین اشترکوا فی قتل أمیرالمؤمنین الإمام علیّ علیه السلام ۶۷].

ونختم هذا الکلام بحدیث عن أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام حول الأشعث حیث قال علیه السلام مخاطباً الناس: «أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَشْعَثَ لَایَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَإِنَّهُ أَقَلُّ فِی دِینِ اللَّهِ مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»[۶۸].

والجدیر بالذکر أنّ الأشعث أصبح والیاً علی آذربایجان فی عهد خلافة عمر ابن الخطاب وبقی فی هذا المنصب فی عهد عثمان وکذلک بقی فیه لمدّة معینة من خلافة الإمام علیّ علیه السلام.

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۶۳

### ۳. آذربایجان فی خارطة البلاد الإسلامیّة سابقاً

یستفاد من کتاب «فتوح البلدان» للبلاذری و «تاریخ الطبری» و «معجم البلدان» للحموی بشکل إجمالیّ أنّ منطقة آذربایجان تمّ فتحها فی عام ۲۰ للهجرة تقریباً ودخلت فی دائرة البلاد الإسلامیّة، ولکن لم تمض فترة وجیزة حتّی قامت جماعة من الأقوام المعادیة واستولت علی تلک المنطقة، فبعث الخلیفة الثانی الأشعثَ بن قیس واستطاع فتحها مرّة ثانیة وبقی الأشعث والیاً علی تلک المنطقة.

أمّا حدود آذربایجان فی ذلک الوقت فکانت أوسع من آذربایجان الحالیة حیث کانت تضمّ مضافاً إلی مدینة تبریز، خویی سلمان وارومیة وأردبیل ومناطق من کیلان ومازندران أیضاً وکانت تمتد من جهة الغرب إلی الحدود الرسمیة الحالیة، یقول الحموی: «تعتبر هذه المنطقة مملکة عظیمة وتتمتع ببرکات کثیرة وهی منطقة خضراء وفیرة المیاه وفیها عیون کثیرة» ویقول الیعقوبی فی تاریخه: «إنّ معاویة کان یستلم فی کلّ عام ثلاثین ألف ألف درهم من خراج آذربایجان، وهذا یشیر إلی وسع تلک المنطقة ووفرة خیراتها»[۶۹].

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۶۵

## الرسالة ۶

### اشارة

إلی مُعاوِیَةِ[۷۰

### نظرة إلی الرسالة

کان الإمام علیّ علیه السلام یهدف من خلال هذه الرسالة إلی إتمام الحجّة علی معاویة من خلال عدّة أمور:

الأول: إنّ بیعته من قِبل المهاجرین والأنصار حالها حال بیعة الناس للخلفاء السابقین (بل أفضل منها من جهات معیّنة) وعلی هذا الأساس لا یحقّ لأیّ شخص مخالفة هذه الحکومة الشرعیة ویجب علی الجمیع الامتثال والطاعة والعمل علی التنسیق معها لإدارة الأمور.

الثانی: إنّ الأشخاص الذین یقطنون فی المناطق البعیدة من منطقة البیعة یجب علیهم حال وصول خبر بیعة المهاجرین والأنصار لشخص معیّن أن یبایعوا بدورهم

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۶۶

کما بایعوا فی الماضی.

الثالث: إنّ کلّ شخص إذا أراد الخروج من دائرة هذه البیعة یجب إعادته إلی الطاعة، فإن امتنع وقاوم وتمرّد علی الحکومة الشرعیة

فيجب على المسلمين التصدى له ومقاتلته.

الرابع: إنّ جعل قتل عثمان ذريعة للتمرّد وعدم البيعة أمر غير صحيح وغير معقول، لأنّ الإمام علىّ عليه السلام لم يتدخّل إطلاقاً فى قتل عثمان.

وفى الختام وطبقاً لما ورد فى كتاب نهج‌البلاغة، يدعو الإمام علىّ عليه السلام معاوية أن يبايع رسوله ووكيله جريربن عبداللّه ويعمل على إطفاء نار الحرب والفتنة بهذا العمل.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۷

إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ لِلَّهِ رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَلَعَمْرِى، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّى أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّى كُنْتُ فِى عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسير

تقدّم فى بيان سند هذه الرسالة أنّ ما أورده السيّد الرضىّ من هذه الرسالة يمثّل مقطعاً من رسالة مطولة أرسلها الإمام علىّ عليه السلام بعد واقعة الجمل إلى معاوية بيد جرير بن عبداللّه البجلى وهو من مشاهير الصحابة.

وفى بداية هذه الرسالة كما أوردها صاحب نهج‌البلاغة الكامل رقم الكتاب ۲۹ ولم ينقله السيّد الرضىّ، جاء فيه أنّ الإمام بعد الحمد والثناء قال: «إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ».

واللافت أنّ الإمام عليه السلام لم يشر فى هذا المورد لا إلى مسألة الغدير ولا إلى وصيّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى حقّه والروايات الكثيرة الواردة فى إمامته وولايته على المسلمين، لأنّ معاوية يستطيع، إنكار كلّ هذه النصوص الجليّة، ولكنّ مسألة خلافة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۸

الخلفاء السابقين لم تكن مسألة قابلة للانكار، وفى الحقيقة أنّ استدلال الإمام عليه السلام استدلال جدلىّ كما فى الاصطلاح، حيث يتّخذ المتكلّم مسلّمات ومقبولات الطرف المقابل ويستدلّ بها ضدّه، ومن هذا المنطلق بما أنّ معاوية كان يرى نفسه من ولاة الخلفاء السابقين أبوبكر، عمر، وعثمان، فإنّه لا يستطيع إنكار مشروعية خلافتهم وكيفية وصولهم إلى سدّة الحكم والخلافة، وهذا الأمر هو ما وقع أيضاً للإمام علىّ عليه السلام فى خلافته بصورة أكمل وأتمّ، فإنّ عموم المهاجرين والأنصار بايعوا الإمام علىّ حتى طلحة والزبير اللذين نكثا البيعة بعد ذلك كانا من أوائل المبايعين للإمام فى أمر الخلافة، وكانت السنّة جارية فى ذلك العصر أنّ المهاجرين والأنصار فى المدينة إذا اختاروا شخصاً للخلافة فيجب على الغائبين والبعيدين عن المدينة أن يتّبعوا المهاجرين والأنصار فى مركز الخلافة، وعلى هذا الأساس لا يمكن لمعاوية أن يعترض على استدلال الإمام عليه السلام فى هذا الأمر.

ومن هنا فإنّ الإمام علىّ عليه السلام يقول فى هذا السياق: «وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ لِلَّهِ رِضاً».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستنتج من ذلك ويقول: «فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى .

وكما أسلفنا أنّ هذا الاستدلال يتّسم بالمنهج الجدلىّ والاستفادة من مسلّمات الطرف المقابل فى دحض حجّته، فلا ينبغى استنباط هذا

المفهوم وهو أنّ الإمام علیه السلام ترک مسألة الإمامة المنصوبة وذهب إلی أنّ الإمامة هی من اختیار الناس لا من شؤون الباری تعالی ولیست بوسیلة التنصیب الإلهیّ کما تصوّر ذلک بعض شرّاح نهج‌البلاغة، بل إنّ الطریق الوحید للاستدلال فی مقابل معاویة لا یمکن بغیر هذا المنهج الجدلی، ونری کثیراً من قبیل هذا النحو من الاستدلال فی القرآن الکریم فیما یخصّ المجادلة مع المشرکین.

وفی مقطع آخر من هذه الرسالة یذکر الإمام علیه السلام مسألة قتل عثمان التی جعلها

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۹

معاویة ذریعة للتمرّد فی مقابل الإمام علیه السلام کما سبقه بذلک طلحة والزبیر أیضاً، یقول الإمام علیه السلام: «وَلَعَمْرِی، یَا مُعَاوِیَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِکَ دُونَ هَوَاکَ لَتَجِدَنِّی أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّی کُنْتُ فِی عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّی ۷۱]، فَتَجَنَّ ۷۲] مَا بَدَالَکَ، وَالسَّلَامُ».

إنّ من القضایا العجیبة فی تاریخ صدر الإسلام أنّ جماعة کانوا فی زمن خلافة عثمان قد رفعوا لواء المخالفة الشدیدة له، وحتی کان لهم دور مباشر أو غیر مباشر فی قتله، ولکن بعد مقتل عثمان تغیّر مسارهم فجأة وأخذوا یطالبون بدمه وبالثأر له ویذرفون علیه وعلی مظلومیته دموع التماسیح، ومثل هذا التغییر فی المسار لا یعدّ أمراً عجیباً فی أمر السیاسة، ولکن کیف یمکن تبریر مثل هذه السلوکیات عندما تصدر ممّن یدّعون الإسلام ویعتبرون أنفسهم من قادة المسلمین؟

إنّ حادثة قتل عثمان والعوامل التی أدت إلی إثارة الناس ضدّه وکذلک الحوادث التی وقعت فی هذه القضیة التاریخیة، وکذلک مسألة إجبار الثوّار عثمان علی التوبة واعتزال الخلافة وقبول عثمان للتوبة وعدم قبوله الاعتزال عن مقامه وکذلک دفاع أمیرالمؤمنین علیه السلام عنه ومنع الثوّار من قتله لئلّا تتّسع دائرة الفتنة وتعمّ جمیع مناطق البلاد الإسلامیّة، وأیضاً کیفیة قتل عثمان والحوادث التی وقعت بعد مقتله کلّها تعدّ من المسائل المهمّة فی تاریخ الإسلام، التی تستدعی الدقّة والتمعّن لاکتشاف الحقائق الکامنة فی طیّات التاریخ لهذه الواقعة.

وقد أسلفنا فی البحوث السابقة بعض الأمور عن حقیقة ما جری فی هذه الواقعة فی الجزء الأول من هذه المجموعة فی شرح الخطبة الشقشقیة وکذلک الجزء الثانی ذیل الخطبة الثلاثین، وکذلک ذیل الخطبة ۴۳ أیضاً.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۷۰

## تأمّل: لماذا استدلّ الإمام علیه السلام بالشوری والبیعة؟

نعلم أنّ المسلمین قد اختلفوا فی مسألة الإمامة والخلافة بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله علی رؤیتین: فطبقاً لعقیدة الشیعة فإنّ الإمامة والخلافة بالنصّ، أی أنّ تعیین الإمام والخلیفة بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله یکون بالنصّ الإلهیّ من خلال بیان النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وهناک آیات قرآنیة تؤیّد هذه الرؤیة وکذلک الأحادیث الشریفة الواردة فی هذه المجال من قبیل حدیث الغدیر، المنزلة، حدیث الثقلین، مضافاً إلی أنّ الشیعة یقیمون أدلّة عقلیّة علی هذه المسألة لیس هنا مجال لاستعراضها[۷۳].

ولکن أهل السنّة ذهبوا إلی مقولة الشوری حیث یعتقدون بأنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله ترک تعیین الخلیفة بعده للُامة وقد تمّ تعیین الخلیفة بعد النبیّ صلی الله علیه و آله من خلال شوری المهاجرین والأنصار وبیعة المسلمین وقد اتّخذ أبوبکر لهذا المقام فی سقیفة بنی ساعدة بحضور ثلّة قلیلة من المهاجرین والأنصار، وأمّا عمر بن الخطاب فقد أصبح خلیفة بتعیین من أبی بکر وانتخب عثمان بالخلافة بأربعة آراء من أعضاء الشوری الستّة الذین اختارهم عمر لهذا الغرض، وأمّا الإمام علیّ علیه السلام فقد بویع بعد مقتل عثمان من قِبل المهاجرین والأنصار وجمهور المسلمین عامة.

أمّا أنصار مدرسة الشوری فإنّهم عندما یصلون إلی الخطبة الشقشقیة التی تثیر علامات استفهام علی خلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل، فإنّهم یعترضون تارة علی سند الروایة وأخری علی دلالتها، ولکن عندما یصلون إلی الرسالة السادسة المذکورة أعلاه، یشرحون

صدرهم لها ويستقبلون ما ورد فيها ويعتبرونه دليلًا على حقّانية مذهبهم ورأيهم فى مسألة الخلافة فى حين أنّ كلّاً من هذه الرسالة وتلك الخطبة للإمام علىّ عليه السلام.

والنقطة المهمّة هنا هى أنّه لابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار المخاطب للكلام

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۱

والنصّ، لأنّ عقائد المخاطب وأفكاره وتوجّهاته مؤثّرة كثيراً فى كيفية بيان المتكلّم، ففى الخطبة الشقشقية نرى أنّ المخاطب لها عموم الناس، ولكن المخاطب لهذه الرسالة هو معاوية نفسه.

كيف يمكن للإمام عليه السلام أن يستدلّ فى هذه الرسالة على حقّانيته فى مقابل معاوية بالنصّ، وهذا هو الشيء الذى يخالفه معاوية من الأساس، لابدّ من الاستفادة من دليل يعجز من إنكاره، ويجد نفسه مضطرّاً للتسليم أمامه، وليس ذلك سوى مسألة الشورى، أى الشورى التى انتخب على أساسها الخلفاء السابقون الذين نصبوا معاوية فى زمن خلافتهم على الشام.

وهذا هو الشيء الذى يعبّر عنه فى علم المنطق بفنّ الجدل، وهو بأن يتمسّك المستدلّ بمسلّمات الخصم ويستدلّ بها ضدّه وإن كان لايعتقد بها أو ليست مسلّمة لديه.

وهذا من قبيل أن نستدّل بالتوراة والإنجيل الحاليين فى مقابل اليهود والنصارى، وأنّه طبقاً لما ورد فى الآية الفلانية فى السفر الفلانى من كتابكم المقدّس فإنّ العقيدة التى تعتقدون بها فى هذا الشأن باطلة، مثلًا نقول: أنتم أيها المسيحيون تعتقدون بأنّ عيسى عليه السلام صلب ومات ودفن، وبعد عدّة أيّام بعث من قبره ورفع إلى السماء، وطبقاً لهذه العقيدة يجب القبول بمسألة رجعة الإنسان إلى هذه الحياة الدنيا رغم أننا لا نعتقد بمقتل المسيح عليه السلام.

وقد ورد فى القرآن الكريم مثل هذا النمط من الاستدلال، من قبيل ما ورد فى قصة إبراهيم عندما وقف أمام عبدة النجوم والقمر والشمس وقال لهم: «هذا رَبّى» أو «هذا رَبّى هذا أَكْبر»[۷۴]، فقد وافقهم ظاهراً على ما يعتقدونه وما هو من المسلّمات لديهم، ولكن عندما أفلت هذه الكواكب استدلّ إبراهيم عليه السلام من افولها وغروبها على أنّها حادثة ومخلوقة، وبذلك أبطل حجّتهم وأجهض مزاعمهم.

ومن العجيب أنّ ابن أبى‌الحديد بالرغم من أنّه سلك مسلك الاعتدل فى الكثير

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۲

من المسائل، عندما يصل إلى هذه الرسالة يقول: «إعلم أنّ هذا الفصل دالّ بصريح العبارة على كون الاختيار طريقاً إلى الإمامة كما يذكره أصحابى المتكلّمون (أهل السنّة ...) فأمّا الإماميّة فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام على التقيّة وتقول: إنّه ما كان يمكنه أن يصرّح لمعاوية فى مكتوبه بباطن الحال ويقول له: أنا منصوص علىَّ من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ومعهود على المسلمين أن أكون خليفة فيهم بلا فاصلة، فيكون فى ذلك طعن على الأئمّة المتقدّمين ....»[۷۵].

إنّ خطأ ابن أبى‌الحديد هو أنّه أوّلًا: لم يلتفت إلى مخاطب هذه الرسالة أبداً، وهو معاوية.

وثانياً: أنّه خلط بين مسألة الجدل ومسألة التقيّة، فالشيعة لا يقولون إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد سلك مسلك التقيّة فى مقابل معاوية، بل يقولون: إنّه استدلّ بما لا يمكن لمعاوية إنكاره ومخالفته، أى أنّ الإمام استدلّ بالأمور المسلّمة لدى معاوية ضدّه، وقد ورد فى نهج‌البلاغة عبارات أخرى شبيهة أيضاً بما ذكر أعلاه، ويتبيّن جواب الجميع ممّا قلنا آنفاً ولا حاجة للتكرار.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۷۳

## الرسالة ۷

### اشارة

إلَيْهِ أيْضاً[۷۶]

## نظرة إلى الرسالة

تقدمّ فى بيان مدرك هذه الرسالة أنّها وقعت جواباً على رسالة كتبها معاوية للإمام عليه السلام فى أواخر معركة صفين وكانت رسالة معاوية تتضمن الوقاحة وعدم رعاية الأدب وتشير إلى نقاط مختلفة أهمها عدم الاعتراف ببيعة المسلمين للإمام عليه السلام بذريعة أنّ أهل الشام لم يحضروا هذه البيعة ولم يوافقوا عليها، وقد أجاب الإمام جواباً حاسماً على كلّ هذه التقوّلات والكلمات اللامسؤولة[۷۷].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۷۵

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِی مِنْکَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِکَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِکَ، وَکِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَی فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً.

وَمِنْهُ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَايُثَنَّی فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ.

الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّی فِيهَا مُدَاهِنٌ.

## الشرح والتفسير: موعظة الضالّين!

بما أنّ معاوية قد تمسّک فی رسالته للإمام عليه السلام ببعض الآيات القرآنية لبعض الإمام عليه السلام بالتقوى والورع!! منها قوله تعالی: «وَلَقَدْ أُوحِیَ إِلَيْکَ وَإِلَی الَّذينَ مِن قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَلَتَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرينَ»[۷۸] وهذه الآية کما هو معلوم ليس لها أیّ إرتباط بادّعاءات معاوية الباطلة، ولذلک يقول الإمام عليه السلام فی مطلع رسالته له:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِی مِنْکَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ[۷۹]، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ[۸۰]، نَمَّقْتَهَا[۸۱] بِضَلَالِکَ،

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۷۶

وَأَمْضَيْتَهَا[۸۲] بِسُوءِ رَأْيِکَ».

والتعبير ب (مُوَصَّلَةٌ) إشارة إلى عدم التجانس المشهود فی رسالة معاوية حيث يتمسّک ببعض الآيات القرآنية التی ليس لها أیّ علاقة بالمقصود، ومن جهة أخرى يتهمّ الإمام عليه السلام بشقّ عصا المسلمين وإيجاد الاختلاف بين الامّة، فی حين أنّ کلماته وعباراته تعتبر مصداقاً بارزاً لإثارة الخلاف وإيجاد الفتنة فی المجتمع الإسلامی.

وعبارة (رِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ) (مع الالتفات إلى أنّ «محبّرة» تعنی التزيين والتنميق) إشارة إلى أنّ معاوية کان يسعى بأیّ وسيلة ممکنة إلى إظهار أنّ الحقّ بجانبه، فأحياناً يتحدّث عن يوم القيامة والعذاب الإلهیّ، وأخرى عن مصالح المسلمين، وثالثة يتمسّک بالآيات القرآنية للدفاع عن مواقفه المتهرّئة.

وجملة: (نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِکَ إشارة إلى أنّ العبارات الجميلة فی الظاهر هی ذاتها العبارات والکلمات التی کان يتوصّل بها المنافقون الضالّون لإظهار إيمانهم فی مقابل النبیّ الأکرم صلى الله عليه و آله، وجملة (أَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِکَ إمّا أن يکون المقصود بها أنّ إمضاء مثل هذه الرسالة لا يصدر إلّامن الإنسان المنحرف والسائر فی خطّ الضلالة والجهالة، أو يکون المعنى فيما لو أخذنا الإمضاء بمعنى الإرسال فيکون مفهومها أنّ فکرک المنحرف والباطل أجاز لک کتابة هذه الرسالة الوقحة للإمام وقائد المسلمين.

وفی سياق کلام الإمام عليه السلام فی رسالته، يبيّن الإمام مضمون رسالة معاوية وشخصيته الانتهازيّة فی عبارات قصيرة وزاخرة بالمعنى ويقول: «وَکِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَی فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ[۸۳] لَاغِطاً[۸۴]، وَضَلَّ خَابِطاً[۸۵]».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۷۷

والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الجمل الثلاث استفاد من التجانس بين الثنائيات بشكل لازم وملزوم، فيقول فى الجملة الاولى: (لَيسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ) وقال فى الجملة الثانية التى تعتبر نتيجة لما سبق: «قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ» وفى الجملة الثالثة التى تعتبر نتيجة للجملة الثانية يقول: «فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً»، أى يتحدّث فى خبط وهذيان بسبب الضلالة والسير فى متاهة الحيرة، والحقيقة كذلك، لأنّ نور الهداية إمّا أن ينبع من باطن الإنسان أو يحصل عليه الإنسان من خارجه من خلال التمسّك بالقادة الإلهيين والمرشدين الصالحين، وفى غير هذه الصورة فإنّ الإنسان يعيش الظلمات الباطنية والضلالة الخارجية التى تنشأ بسبب مشورة الأشخاص المنحرفين والانتهازيين، وهكذا ينحدر الإنسان فى هوّة الضلالة ومنزلقات الجهالة، فلا يملك حينئذٍ كلاماً منطقيّاً ولا تسير أعماله وفق التخطيط العقلانى المدروس.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير فى رسالته الجوابية إلى أحد اشتباهات معاوية الكبيرة التى ذكرها فى رسالته، فقد كتب معاوية فى رسالته أنّ بيعة المسلمين للإمام عليه السلام لم تكن صحيحة، لأنّ أهل الشام لم يقبلوا بها، فيقول الإمام فى مقام الجواب: «لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَايُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ[۸۶]، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ. الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى ۸۷] فِيهَا مُدَاهِنٌ ۸۸]»، يعنى أنّ بيعة الخلافة لا تقع سوى مرّة واحدة غير قابلة للتعديل ولا للتجديد.

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام استدلّ فى هذا المقطع بإحدى المسلّمات فى مسألة الخلافة عند معاوية، لأنّه يعتقد بأنّ خلافة الخلفاء السابقين قامت على أساس آراء

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۷۸

المهاجرين والأنصار وأنّ الأشخاص الذين كانوا يعيشون بعيداً عن المدينة يجب عليهم احترام آراء المهاجرين والأنصار فى المدينة وإتّباعهم والقبول بمن اختاروه لهذه المقام، هكذا كانت سنّة الخلفاء السابقين، والإمام عليه السلام يقول: كيف تقبل برأى المهاجرين والأنصار وأهل الحلّ والعقد بالنسبة لما يتّصل بالخلفاء السابقين، ولكنّك تشكّك فى بيعتهم الآن مع أنّها أوسع وأشمل وأكثر امتداداً فى الوسط الجماهيرى من بيعة الخلفاء السابقين؟ أمّا عدم قبول أهل الشام فهذا يشير إلى أحد أمرين: إمّا أنّك ترى بطلان منهج الخلفاء السابقين، أو حالك حال المنافقين الذين يقبلون أحياناً بشيء وينكرونه أحياناً أخرى حسب المصالح وما تمليه عليهم مطامعهم الشخصية بعيداً عن واقع الإيمان وتعاليم الرسالة.

فلو وجب انتخاب جميع المسلمين فى مختلف مناطق البلاد الإسلاميّة لقبول حكومة الإمام علىّ عليه السلام وتحقّق مشروعيتها فيلزمك أن تعتقد ببطلان حكومة الخلفاء السابقين وبالتالى فإنّ حكومتك تقتبس مشروعيتها منهم فستكون باطلة أيضاً.

وأشار الإمام عليه السلام فى جملة «لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ ...» إلى حقيقة حاسمة ومسلّمة فى التاريخ الإسلامى وهى أنّ البيعة كالبيع اللازم لا خيار فيه للفسخ ولا التكرار، فإذا وقعت البيعة فإنّها تقع مرّة واحدة وللأبد.

## تأمّل: رسالة معاوية لأميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام

مع الالتفات إلى أنّ رسالة الإمام عليه السلام المذكورة آنفاً ناظرة لرسالة سابقة أرسلها معاوية للإمام عليه السلام، ومن هنا لزم نقل نصّ رسالة معاوية المذكورة فى كتب التاريخ رغم أنّها وقحة جدّاً وخالية من الأدب، ولذلك نعتذر قبل ذلك للقرّاء الكرام وخاصّة من الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام على إيراد مثل هذه الرسالة والكلمات اللامسؤولة فيها:

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۷۹

«مِنْ عَبْدِاللَّهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ إِلَى عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِب:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِى مُحْكَمِ كِتَابِهِ «وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

الْخاسِرينَ» إِنِّى أَحَذِّرُكَ اللَّهَ أَنْ تُحْبِطَ عَمَلَكَ وَسابِقَتَكَ بِشَقِّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهَا فَاتَّقِ اللَّهَ وَاذْكُرْ مَوْقِفَ الْقِيامَةِ وَاقْلَعْ عَمَّا أَسْرَفْتَ فِيهِ مِنَ الْخَوْضِ فِى دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَوْ تَمالَأَ أَهْلُ صَنْعَاء وَعَدَنٍ عَلى قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ عَلى مَنَاخِرِهِمْ فِى النَّارِ» فَكَيْفَ يَكُونُ حالُ مَنْ قَتَلَ أَعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ وسَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ بَلْهَ مَا طَحَنَتْ رَحَى حَرْبِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَذَوِى الْعِبَادَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ وَشَابٍّ غَرِيرٍ كُلُّهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى مُؤْمِنٌ وَلَهُ مُخْلِصٌ بِرَسُولِهِ مُقِرٌّ عارِفٌ فَإِنْ كُنْتَ أَبَا حَسَنٍ إِنَّمَا تُحَارِبُ عَلَى الْإِمْرَةِ وَالْخِلَافَةِ فَلَعَمْرِى لَوْ صَحَّتْ خِلَافَتُكَ لَكُنْتَ قَرِيباً مِنْ أَنْ تُعْذَرَ فِى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنَّهَا ما تَصِحَّ لَكَ أَنَّى بِصِحَّتِهَا وَأَهْلُ الشَّامِ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهَا فَقَدْ وَاللَّهِ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا كالثَّمَدِ فِى قَرَارَةِ الْغَدِيرِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»[۸۹].

هذه الرسالة المسيئة وغير المؤدّبة من جهة، والسخيفة من جهة أخرى، تبيّن سوء طويّة معاوية وبطلان رأيه لأنها أوّلًا: تتمسّك بآية حبط الأعمال بسبب الشرك، فى حين أنّه لا يوجد فى الموضوع أدنى كلام عن الشرك، وبالنسبة لشقّ عصا المسلمين وإيجاد الفرقة بينهم على فرض أن يكون صحيحاً لا يرتبط بمسألة الشرك، وهذا هو ما وصفه الإمام عليه السلام بأنّه: «مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ» أى أنّه كلام متشتّت وغير متجانس فى مضامينه وعباراته.

ثانياً: إنّ الإمام عليه السلام فى جوابه على هذه الرسالة والذى لم يذكره السيد الرضى فى نهج‌البلاغة يقول: إنّك أمرتنى بالتقوى وأنا أرجو أن أكون من أهل التقوى ولكننى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۸۰

أعوذ باللّه أن أكون ممّن يأمر الناس بالتقوى وفى ذات الوقت يجرّهم إلى المعصية وطلب الدنيا (وأنت من هؤلاء).

ثالثاً: يقول الإمام عليه السلام فى مقام الجواب عن مسألة حبط الأعمال وسابقته فى الإسلام: إذا كنت قد خرجت مع ا لخارجين على عثمان فجدير بك هذا التحذير لى، ولكنّى أرى اللّه تعالى يقول: «فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»[۹۰]. فيجب عليك النظر بعقلك دون هواك لتعرف من هم أهل البغى هل نحن أم أنتم؟ وبديهىّ أنّ أهل البغى هم أنت وجماعتك، لأنّ بيعتى وقعت فى المدينة من قِبل المهاجرين والأنصار وهى ملزمة لكم فى الشام، كما أنّ بيعة عثمان فى المدينة كانت ملزمة لكم أيضاً، فى حين أنّك كنت والياً على الشام من قِبل عمر بن الخطاب، وكما أنّها- بيعة عمر- كانت ملزمة لأخيك يزيد فى حين أنّه كان والياً على الشام من قِبل أبى بكر.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يجيب عن هذه النقطة التى ذكرها معاويه، وهى مَن هو المسؤول عن شقّ عصا المسلمين؟ ويقول: يجب أن احذّرك وأنهاك عن هذا العمل، فقد أمرنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله بجهاد أهل البغى وخاطب أصحابه قائلًا: إنّ منكم من يجاهد على تأويل القرآن كما جاهد على تنزيله، وأشار إلىّ فى كلامه هذا وكنت أوّل شخص أطاع رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى هذا الأمر.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستعرض الجواب عمّا تبقّى من الرسالة وهو المقطع الذى ذكره السيّد الرضىّ فى «نهج‌البلاغة» وسبق أن شرحناه.

وعلى ضوء ذلك يتبيّن صدق الإمام عليه السلام وصراحته فى موقفه من معاوية وكذلك، تتبيّن وقاحة وحمق معاوية من جهة أخرى. وقد تمسّك الطغاة على امتداد التاريخ بهذا المنطق المتلوّن، وقد أورد القرآن الكريم ببيان جلىّ ذلك فى قصة موسى عليه السلام وفرعون وذلك عندما دعا موسى عليه السلام الفراعنة للتوحيد وترك الظلم والجور وقال فرعون: «إِنِّى أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۸۱

يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسادَ»[۹۱]، فى حين أنّ المفسد الحقيقىّ فى الأرض هو فرعون نفسه الذى كان يقتل حتّى الأطفال الأبرياء ويشقّ بطون الحوامل.

وفى ختام البحث يفرض علينا هذا السؤال نفسه، وهو أنّ معاوية مع علمه بكذبه فى محتوى رسالته، وأنّه هو الذى شقّ عصا المسلمين

وأثار الغبار حول إجماع المسلمين على البيعة، وهو الذى سلك طريق الانحراف والتمرّد والطغيان على الحكومة الإسلاميّة، وإن كان له عمل صالح فى الماضى فقد أحبطه بما ارتكبه من حرب طاحنة ضد أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنّه هو وأصحابه شركاء فى قتل عثمان لا الإمام علىّ عليه السلام، إذن فلماذا يتّخذ لنفسه شخصيّة محقّة ويكتب للإمام تلك الرسالة الزاخرة بالأكاذيب والدجل؟

ويتبيّن الجواب عن كلّ هذه الاستفهامات إذا عرفنا هذه الحقيقة، وهى أنّ معاوية لم يكتب فى الواقع هذا الكتاب للإمام علىّ عليه السلام بل كتبه لاستغفال أهل الشام وخلط الأوراق، وبذلك يريد أن يقول لهم إنّنى إنسان صالح وأرفع لواء الصلح والعدالة، ولكن علىّ بن أبى طالب عليه السلام لا يستمع لكلامى ولا يرضخ لواقع العدل والحقّ، وفى الحقيقة أنّ عمله هذا يشبه ما قام به من رفع المصاحف على الرماح فى معركة صفّين، ولم يكن معاوية وأصحابه يريدون تحكيم القرآن قطعاً، بل كانوا يريدون أن يخدعوا أهل الشام من جهة، ومن جهة أخرى العمل على إيجاد الفرقة والنفاق فى جيش الإمام علىّ عليه السلام.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۸۳

## الرسالة ۸

### اشارة

إلى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ الْبَجَلىّ لَمّا أرْسَلَهُ إلى مُعاوِيَة[۹۲]

### نظرة إلى الرسالة

إنّ مضمون هذه الرسالة بيّنٌ وجلىّ تماماً، فالإمام عليه السلام يريد من رسوله جرير أن يتمّ الحجّة على معاوية وأخذ البيعة منه، إذا أراد البيعة للإمام عليه السلام، وإن لم يكن مستعدّاً للبيعة، فعليه أن يكون مستعدّاً لقتاله.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۸۵

أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاکَ كِتَابِى فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: حلّ المشكل بآليات الصلح

جاء فى المصادر التاريخية أنّ أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أرسل جرير إلى معاوية لأخذ البيعة منه بهذا الكتاب، وقد أوصل جرير هذا الكتاب لمعاوية، أخذ معاوية يسوّف بالأمر ويتباطأ فى الجواب إلى أن ظنّ أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام به سوءً واتّهموه بالتعاطف والتعاون مع معاوية، حتّى قال الإمام عليه السلام عنه: إنّ جريراً لبث عند معاوية طيلة هذه المدّة فإمّا أن يكون مذنباً أو مخدوعاً.

ومن هنا كتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة لجرير حتّى لا يطيل المسألة ويوصد بذلك باب المماطلة على معاوية وطلب منه أن يلزم معاوية بأحد أمرين: فإمّا البيعة أو الحرب، فالإمام يقول فى هذه الرسالة:

«أَمَّا بَعْدُ- بعد الحمد والثناء الإلهىّ- فَإِذَا أَتَاکَ كِتَابِى فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ۹۳]، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ[۹۴]، أَوْ سِلْمٍ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۸۶

مُخْزِيَةِ[۹۵]، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ[۹۶] إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ».

وعندما وصلت هذه الرسالة لجرير في الشام سلّمها بيد معاوية ونهض من مكانه وخطب بالناس وذكّرهم بقضية عثمان وأنّ جميع المسلمين بايعوا الإمام عليّ عليه السلام بدون تردّد، يعني أننا لو خلّينا ومسألة الخلافة لم نكن نختار غير الإمام عليّ عليه السلام.

## تأمّل: من هو جرير بن عبداللَّه؟

يعتبر جرير بن عبداللَّه من مشاهير الصحابة، ومن قبيلة بجيلة من قبائل اليمن، وبجيلة اسم امرأة معروفة في تلك القبيلة حيث سمّيت قبيلتها باسمها، وتارة يسمّى الشخص بجليّاً لانتمائه إلى هذه القبيلة، وقد جاء جرير في السنة العاشرة للهجرة إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على رأس جماعة من مائة وخمسين رجلًا من قبيلة بجيلة، وأسلموا على يد النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فاستقبله النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله بكلّ احترام، وعندما مدّ يده للبيعة قال: أقبل بيعتك بشرط أن تشهد بالتوحيد وتؤمن بالنبوّة وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحب، الخير للمسلمين وتصوم شهر رمضان وتطيع إمام المسلمين.

وسأله النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله عن أوضاع منطقته، فقال جرير: لقد ظهر الإسلام في هذه المنطقة وكسر الناس الأوثان، فقال: وما حال صنم «ذوالخلصة»؟

فقال: هذا صنم كبير بقي لحاله.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۸۷

فأمر النبيّ الأمر بتحطيم هذا الوثن، فتوجّه جرير مع مائتي نفر من قبيلته وبعد عدّة أيّام رجع إلى النبيّ وقال: واللَّه لقد حطّمته وأحرقته أمام أعين عابديه.

وقد اشترك جرير مع قبيلته بجيلة في معركة القادسيّة، وكان سهمه كبيراً ومؤثراً في الفتح، وبعد ذلك نصبّه عثمان والياً على منطقة همدان، وبعد قتل عثمان ووصول كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إليه دعا جرير الناس للبيعة للإمام عليّ عليه السلام، وبعد مدّة جاء إلى الكوفة، ولمّا كان يتمتّع بشهرة لدى أهل الشام اختاره الإمام عليه السلام لإيصال رسالته إلى معاوية وبعثه إلى الشام، ولكنّه لم يستطع أداء مهمّته بشكل صحيح وعاد إلى الكوفة فظنّ به أهل العراق سوءً واتّهموه بالتواطؤ مع معاوية، فاستاء جرير من ذلك وعزم على التوجّه إلى جزيرة قرقيسا واختار العزلة هناك وترك النشاط السياسي والاجتماعي.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۸۹

## الرسالة ۹

## اشارة

إلى مُعاوِيَةِ[۹۷]

## نظرة إلى الرسالة

بما أنّ هذه الرسالة بمثابة جواب على رسالة معاوية الوقحة والمهينة والمليئة بالخبث والشيطنة فإنّ رسالة الإمام عليه السلام هذه تجيب

على شيطنة معاوية وخبثه وناظرة إلى الكشف عن زيف مدّعياته وأباطيله.

فى أحد مقاطع هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهى أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما قام بالدعوة ونشر الرسالة الإلهيّة همّت جماعة من المشركين من قريش بقتل النبىّ، إلّاأنّ اللّه تعالى أنقذه منهم ومنع عتاة قريش من إجهاض الرسالة،

نفحات الولاية ؛ ج ۹ ؛ ص ۸۹

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۹۰

وأنّ قريش كانت تتصدّر المتمرّدين والمخالفين لهذه الدعوة الجديدة.

وفى قسم آخر من الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الرسول الأكرم عليه السلام كان يجعل أهل بيته فى ميدان القتال فى الخطّ الأول للمواجهة، وبذلك يحفظ أصحابه من الخطر من خلال تضحية وجهاد أهل بيته وأرحامه، والشاهد على ذلك استشهاد حمزة وجعفر وآخرين من بنى هاشم فى ميادين الجهاد ضدّ قوى الكفر والباطل، وهذا الكلام فى الحقيقة جواب على ادّعاء معاوية فى رسالته أنّ غير بنى هاشم كالخليفة الأول والثانى كانوا من أكثر الناس تحرّقاً للدعوة الجديدة واستعداداً للتضحية والفداء فى سبيل الإسلام.

وفى المقطع الثالث من الرسالة يظهر الإمام عجبه الشديد كيف أنّ الدهر جعله فى صفّ معاوية الذى لم يقدّم أىّ خدمة للإسلام ولا يملك أىّ سابقة فى الدين؟

وأخيراً وفى القسم الرابع من الرسالة يتحدّث الإمام عليه السلام عن عدم قبوله لطلب معاوية فيما يخصّ تحويل قتلة عثمان، لأنّه إذا تقرّر محاكمة وإنزال العقوبة بقتلة عثمان، فهذا من شأن الحكومة الإسلاميّة لا من شأن شخص متمرّد على الحكومة.

والجدير بالذكر أنّ لمعاوية فى رسالته وجواب الإمام علىّ عليه السلام عليها حكاية مثيرة ولا بأس من استعراضها من أجل الكشف بشكل أفضل عن مضمون رسالة الإمام عليه السلام لمعاوية، والحكاية كالتالى:

«كان أبو مسلم الخولانى وهو من أهل اليمن قد أدرك عصر الجاهلية ولكنّه لم يؤمن بنبىّ الإسلام أبداً وكان يعيش فى الغالب فى الشام، وقد جاء إلى معاوية مع جماعة من أهل الشام قبل حركة الإمام علىّ عليه السلام باتجاه صفّين وطلب منه أن يجتنب قتال علىّ بن أبى طالب الذى يتمتّع بمقام شامخ ومنزلة كبيرة من جهة قرابته للنبىّ وسابقته فى الإسلام وهجرته، وقال له بأنّك لا تملك مثل هذا الموقع الاجتماعى والدينى الممتاز.

وفى مقام الجواب عن كلامهم توسّل معاوية بهذه الذريعة، وهى أنّ علىّ بن

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۹۱

أبى‌طالب قد أجار قتلة عثمان فلو أنّه دفعهم إليه ليقتصّ منهم فإنّه سيمتنع من قتاله، فطلب أبومسلم وأتباعه أن يكتب هذ الطلب إلى الإمام علىّ عليه السلام فى رسالة ويبعثها إليه، فكتب معاوية رسالة بهذه المضمون وسلّمها إلى أبى مسلم ليوصلها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

فجاء أبو مسلم بالرسالة إلى الإمام علىّ عليه السلام وسلّمها له بحضور جماعة من أصحابه ثم نهض واقفاً وتوجّه للإمام بالقول: إنّنى لا احبّ أن تكون ولاية امور المسلمين بيد غيرك، ولكنّ عثمان قتل بغير حقّ، فادفع قتلته إلينا، فإن خالفك أحد فنحن سنكون فى اختيارك.

فأجابه الإمام عليه السلام: ائتنى غداً لتستلم جواب الكتاب، فجاء أبو مسلم فى اليوم التالى لاستلام جواب الرسالة، فرأى المسجد حاشداً بالناس وكلّهم ينادى: نحن جميعاً اشتركنا فى قتل عثمان.

واللافت أنّ اجتماع هذا الجمهور الغفير فى المسجد كان بدافع أنّ الناس تصوّروا أن يقوم الإمام عليه السلام بتسليم قتلة عثمان إلى

معاويـة ليزيل أيّة ذريعة يمكن لمعاوية التمسّک بها، ومن هنا اجتمع أنصار الإمام عليه السلام وأتباعهم فی المسجد ليؤكّدوا أنّ قاتل عثمان لا يمثّل شخصاً واحد أو عدّة أشخاص معدودين، ومع أنّ الإمام عليه السلام لم يكن يقصد أبداً تسليم بعض الأشخاص لمعاوية، فإنّ مثل هذا العمل ليس بالأمر الممكن عملًا.

وفی هذا الموقع سلّم الإمام عليه السلام جواباً مكتوباً لأبی مسلم لينقله إلی الشام ويسلّمه إلی معاوية، فقال أبو مسلم فی نفسه: «الْآنَ طابَ الضِرابُ»[۹۸] أی حان الأوان للقتال طلباً للثأر بدم عثمان.

وتبيّن من ذلک أنّ أبا مسلم وأتباعه كأنّهم لم يكونوا قد أدركوا هذه الحقيقة وهی أوّلًا: أنّ قتل عثمان وقع بعد انتفاضة شعبية عارمة ضدّه بسبب أعماله وتصرّفاته

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹۲

السلبية فی إدارة الأمور، فلم يكن عمل شخص واحد أو عدد من الأشخاص.

وثانياً: علی فرض أنّ الحكومة الإسلاميّة أرادت محاكمة قتلة عثمان والاقتصاص منهم، فإنّ هذه العمل لا يرتبط بشخص متمرّد كمعاوية بل هو من شأن رئيس الحكومة الإسلاميّة الذی انتخب من قِبل المهاجرين والأنصار وبايعه الناس.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹۳

## القسم الأوّل

### اشارة

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَی جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَی الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِی بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِی عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ.

### الشرح والتفسير: بنو هاشم حماة الإسلام الأوائل

كما تقدّمت الإشارة إليه فإنّ هذه الرسالة تمثّل جواباً علی رسالة معاوية، وبما أنّ معاوية فی بداية رسالته قد ارتدی قناع الصلاح والإيمان وأخذ يتحدّث عن الإسلام وعظمة النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله وأعوانه وأنصاره، وسعی لرفع مكانة الخلفاء الثلاثة زيادة عن الحدّ من جهة، ومن جهة أخری فإنّ والد معاوية هو أبو سفيان العدوّ الأول للإسلام الذی أشعل نار الحروب ضد الإسلام والمسلمين، فالإمام فی هذا المقطع من الرسالة يقول:

«فَأَرَادَ قَوْمُنَا- قريش- قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ ۹۹] أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ۱۰۰] وَفَعَلُوا بِنَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۹۴

الْأَفَاعِيلَ ۱۰۱]، مَنَعُونَا الْعَذْبَ ۱۰۲]، وَأَحْلَسُونَا[۱۰۳] الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَی جَبَلٍ وَعْرٍ[۱۰۴]، وَأَوْقَدُوا[۱۰۵] لَنَا نَارَ الْحَرْبِ».

هذه العبارات إشارة إلی مقطع مهمّ وعظيم من تاريخ الإسلام يبيّن فيها الإمام عليه السلام سلوک الأعداء وخاصة قبيلة قريش تجاه النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله والرسالة الإلهيّة، فقد واجه النبیّ والمسلمون فی مكة صنوف الأذی من قريش والقذف بالحجارة والاستهزاء والتعذيب بمختلف الأشكال، وأخيراً عندما شعروا بالخوف من تقدّم الإسلام وامتداده فی القبائل العربية حوالی مكة، عزموا

على محاصرة المسلمين الذين كانوا ثلّة قليلة، اجتماعياً واقتصادياً وكتبوا ذلك الكتاب المعروف بأن لايتواصل أىّ شخص من قريش وسائر العرب مع المسلمين ولا ـ يبيعونهم شيئاً ولا ـ يشتروا منهم ولا ـ يتزوّجوا منهم ولا يزوّجوهم، وختموا هذا العهد ووضعوه داخل الكعبة تأكيداً منهم على الالتزام بهذا الميثاق، والتجأ المسلمون إلى شعب أبى طالب ۱۰۶] الذى كان وادياً موحشاً ومليئاً بالأحجار وعاشوا هناك ثلاث سنوات من الحرمان الشديد تحت طائلة الحصار الاقتصادى، فكانت تلك الأيّام من أصعب الأيّام التى عاشها المسلمون مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى درجة أنّ أصوات بكاء الأطفال والجائعين كانت تسمع من خارج الشعب، وأخيراً عندما أخبرهم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۹۵

بواسطة أبى طالب أنّ الأرضة قد أكلت وثيقة العهد فى الكعبة سوى كلمة البسملة، فشعر الأعداء بالخوف الشديد واعتنق جماعة منهم الإسلام وطلب جماعة منهم أن يحرّروا المسلمين من هذا الحصار الآثم، وهكذا كسر طوق الحصار المضروب على المسلمين.

وجملة: «وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ إشارة إلى حياة المسلمين فى المدينة الذين خاضوا حروباً عديدة شنّها كفّار قريش عليهم. وعلى رأس قوى الكفر والشرك كان أبو سفيان والد معاوية، وكان الإمام علىّ عليه السلام فى جميع هذه الحروب يمثّل أبرز المضحّين والمجاهدين الذين دافعوا عن النبىّ والإسلام فى معركة بدر واحد والأحزاب وما إلى ذلك، وفى المقابل كانت اسرة معاوية لها النصيب الوافر فى إشعال نار هذه الحروب ضدّ النبىّ ورسالته السماوية، ومع كلّ ذلك يتحدّث معاوية عن عظمة الإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وعن أعوانه وأنصاره ويثنى عليهم غاية الثناء ويذكر الإمام علىّ عليه السلام بوصفه حاسداً له ولأمثاله على مواقفهم المخزية.

وفى سياق هذه الرسالة يتقدّم الإمام عليه السلام لإبطال مزاعم معاوية الواهية فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ويأخذ بيده إلى الماضى من تاريخ الإسلام والحوادث الواقعة فيه ويقول له: عندما تحرّك أعداء الإسلام ضدّ النبىّ والرسالة وحشدوا جميع قواهم لإجهاض الدعوة الجديدة، فإنّ اللّه تعالى أراد الدفاع عن رسالته بواسطتنا «فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِ ۱۰۷] عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْىِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ». (وفى ذلك الوقت كان بنوهاشم على مجموعتين وطائفتين، فطائفة منهم المؤمنون والأخرى الذين لم يلتحقوا بالإيمان والإسلام، وكلا الطائفتين هبّوا للدفاع عن الدين الحنيف «مُؤْمِنُنَا يَبْغِى بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِى عَنِ الْأَصْلِ» أى يدافع عن عشيرته وعن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بخلفيات عشائرية وبدافع الرحم.

وجملة: «وَالرَّمْىِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ كناية عن حفظ حريم الإسلام والنبىّ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۹۶

الأكرم صلى الله عليه و آله، لأنّ الرماة عادة يقفون خلف المتاريس للدفاع عن الجيش وحفظ أفراده، وعلى حدّ تعبير العلّامة المجلسى كلمة «وراء» فى هذا المورد ربّما تشير إلى معنى المقدّم والأمام لأنّ الوراء أحياناً تأتى بهذا المعنى، وربّما تأتى بمعنى الخلف كما أنّ الرماة بحسب اللزوم والموقع الذى يفرضه ميدان المعركة يقبعون أحياناً خلف الجيش وأحياناً أخرى يتقدّمون الجيش.

وجملة «وَكَافِرُنَا يُحَامِى عَنِ الْأَصْلِ ذهب جماعة من مفسرى نهج‌البلاغة أنّ هذه العبارة إشارة إلى بعض رموز بنى هاشم مثل العباس، أبوطالب، وحمزة وأمثالهم الذين اشتهروا بالدفاع عن الإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله حتى قبل اعتناقهم الإسلام بدافع الوفاء للقيم القبلية وعواطف الرحم والقرابة.

والملفت للنظر أنّ بعض المحقّقين ذهب إلى أنّه عندما فرضت قريش الحصار الاقتصادىّ على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين فى شعب أبى طالب كان بعض الأفراد من بنى هاشم ممّن لم يعتنق الإسلام لحدّ الآن كالعباس، وعقيل بن أبى طالب وأخيه طالب بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطّلِب وابنه الحارث وأخيه أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب (هو غير أبى سفيان بن حرب) كانوا يعيشون مع المسلمين فى ذلك الشعب فى حين لم يعتنقوا الإسلام بعد[۱۰۸].

وطبعاً ذهب البعض إلى أنّ أبا طالب وحمزة كانوا قد اعتنقوا الإسلام قبل ذلك بمدّة إلّاأنّهما أخفيا إسلامهما لأسباب معيّنة.

هذا كلّه فى حين أنّ اسرة معاوية وأبى سفيان ومن لفّ لفّهم وكانوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين جهاراً وخفية، وكأنّ معاوية قد نسى أو تناسى كلّ هذه القضايا التاريخية المسلّمة فى رسالته وأخذ يتبجّح بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ويدّعى بأنّ بعض الأشخاص الذين لم يكونوا فى ميدان الجهاد والدفاع أنّهم من زمرة المدافعين عن الإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۹۷

ولذلك يضيف الإمام عليه السلام: أمّا سائر أفراد قريش من غير بنى هاشم، ممّن أسلم فلم يكونوا فى دائرة الخطر ولم يواجهوا ما واجهنا نحن من مصاعب لأنّهم كانوا يعيشون فى إطار التحالفات والمعاهدات «وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ[۱۰۹] مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ».

وعلى هذا الأساس يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمّة وهى أنّ حماة الإسلام الحقيقيين هم بنوهاشم الذين آمنوا باللَّه ورسوله ودافعوا بأرواحهم ونفوسهم عن الإسلام والنبىّ، وحتّى من لم يسلم منهم كان يذبّ عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله احتراماً لمقامه ودفاعاً عن شرفه، أمّا سائر مكوّنات قريش من القبائل العربية ومنهم الخلفاء الثلاثة، الذين استعرض معاوية خدماتهم وتضحياتهم للإسلام، فلم يكونوا فى صفّ المدافعين عن النبىّ والإسلام أبداً.

وطبعاً لم يكن معاوية غافلًا أو جاهلًا بتاريخ الإسلام، بل كان يتغافل عن الوقائع التاريخية لتبرير رؤاه وأفكاره.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۹۹

## القسم الثانى

### اشارة

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِى أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ. فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِى مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِى، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِى الَّتِى لَايُدْلِى أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِىَ مُدَّعٍ مَا لَاأَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

### الشرح والتفسير: حماة الإسلام الأوائل

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة بالتفصيل ما أجمل بيانه سابقاً ويبيّن من هم الأشخاص من بنى هاشم الذين بذلوا نفوسهم دفاعاً عن الإسلام وشربوا كأس الشهادة فى سبيل التصدّى لقوى الكفر والشرك، فى حين أنّ أشخاصاً ممّن ذكرهم معاوية بوصفهم قادة الإسلام ومن روّاد الدفاع عن الرسالة الإلهيّة لم يصلوا إلى هذا المقام، يقول:

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ ۱۱۰] وَأَحْجَمَ ۱۱۱] النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۰۰

أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ الْأَسِنَّةِ[۱۱۲]».

جملة: «احْمَرَّ الْبَأْسُ إشارة إلى اشتعال نار الحرب، وبما أنّ الحرب تشبّه عادة بالنار التى تحمرّ فى حال اشتدادها واستعارها، فلذلك استخدمت هذه الكناية، وقيل أيضاً أنّ الإحمرار هنا كناية عن كثرة سفك الدماء عند اشتداد المعركة والقتال.

إنّ العبارات المذكورة تشير إلى أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وخلافاً للقادة العسكريين فى عالمنا المعاصر الذين يحتفظون

بأبنائهم وأقربائهم فی الخطوط الخلفیة عند مواجهة الخطر ویبعثون الغرباء إلی الصفوف الإمامیّة من المعرکة، یقدّم النبیّ أعزّ أرحامه وأقربائه إلی الصفّ الأوّل من جبهات الحرب والقتال لیثبت أنّه علی یقین من رسالته وأنّه یسلک فی هذا السبیل حالات الانسجام التام بین أهدافه وسیرته ومستعدّ دوماً للتضحیة فی سبیل الغایات الإلهیّة التی یصبو إلیها ویهدف لتحقیقها فی واقع الحیاة والمجتمع.

ثم إنّ الإمام علیه السلام فی سیاق کلامه یذکر ثلاثة أشخاص من أقربائه وأرحامه الذین شارکوا فی الحروب وتصدّوا لقوی الکفر والانحراف ونالوا درجة الشهادة، أولهم «عبیدة بن الحارث» (وهو ابن عمّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله الذی استشهد یوم بدر)، والثانی «حمزة بن عبدالمطلب» عمّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله الذی استشهد یوم احد، والثالث «جعفر بن أبی طالب» ابن عمّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أیضاً الذی نال وسام الشهادة فی معرکة مؤتة، یقول الإمام علیه السلام: «فَقُتِلَ عُبَیْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ یَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ حَمْزَةُ یَوْمَ أُحُدٍ وَقُتِلَ جَعْفَرٌ یَوْمَ مُؤْتَةَ».

«بدر» اسم بئر تقع بین مکة والمدینة وهی أقرب إلی المدینة، وسمّیت بهذا الإسم لأنّه اسم الحافر لها، وأمّا قصة استشهاد عبیدة بن الحارث علی ید «عتبة ابن ربیعة» وأحد المشرکین فهی:

عندما تقابل جیش المسلمین فی معرکة بدر مع جیش الکفر والشرک نزل للبراز

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۰۱

ثلاثة أشخاص من شجعان المشرکین، وفقاً لما کان متداولًا فی ذلک الزمان کمقدّمة للقتال والحرب، وهم عتبة وأخیه شیبة وابنه ولید، وطلبوا من المسلمین أن یبرز إلیهم من یقاتلهم، فتطوّع لهذه المهمّة بعض الأنصار وتوجهوا إلی المیدان لمقابلة هؤلاء المشرکین الثلاثة، ولکنّ المشرکین قالوا: نحن نرید أکفاءنا من قریش، فالتفت النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله إلی حمزة وعبیدة والإمام علیّ علیهم السلام وقال: استعدّوا وتوجّهوا إلی هؤلاء الأعداء، فبرز عبیدة إلی عتبة وحمزة إلی شیبة وعلیّ إلی الولید، أمّا الإمام علیّ علیه السلام فقد استطاع الإجهاز علی الولید بعد مناوشات قلیلة، وأمّا حمزة فقد صرع شیبة، ولکن عبیدة الذی کان مسنّاً تقریباً بقی یقاتل عتبة، وأخیراً سقط عبیدة علی الأرض وهو بالنزع الأخیر وجیء به إلی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، فعندما رأی النبیّ قال: هل أنا شهید، فقال له النبیّ صلی الله علیه و آله: نعم أنت شهید فی سبیل اللّه.

أمّا حمزة بن عبدالمطلب فقد استشهد فی معرکة احد التی وقعت بعد واقعة بدر فی السنة الثالثة للهجرة، وقتله شخص یدعی «وحشیّ» وهو اسم علی مسمّی وأمّا أسباب هذه المعرکة فقد ذکر المؤرخون: إنّ المشرکین بعد هزیمتهم فی معرکة بدر رجعوا إلی مکة وأقسموا فیما بینهم (بقیادة أبی سفیان) أن یبیعوا بعض إبلهم ویجمعوا الأسلحة والعدّة للهجوم مرّة أخری علی المسلمین وکانت النتیجة أنّ المشرکین استطاعوا من تحشید ثلاثة آلاف نفر داخل وخارج مکة ومعهم مائتی فرس وثلاثة آلاف بعیر وسبعمائة درع واستعدّوا للتوجّه إلی المدینة لمواجهة جیش الإسلام.

وقصة هذه الحرب فیها تفاصیل کثیرة، وإجمالًا نعلم أنّه بسبب اشتباه بعض المسلمین وتمرّدهم علی أوامر النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله انتهت هذه المعرکة بانکسار وهزیمة الجیش الإسلامی وجرح فیها النبیّ وکسرت رباعیته بحجر رماه به «عتبة ابن أبی وقاص» واستشهد حمزة بطل الإسلام وعمّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وجاءت هند زوجة أبی سفیان وام معاویة ومعها جماعة من النسوة إلی المیدان فی نهایة المعرکة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۰۲

وأخذت تمثّل بشهداء المسلمین، فکانت تقطع آذان وانوف هؤلاء الشهداء وتجعل منها عقداً لها، ثم إنّها جاءت إلی جسد حمزة وبقرت بطنه وأخرجت کبده ولاکته بأسنانها بقصد أکله ولکنّها لم تتمکّن من ذلک، فقذفت به خارجاً، ومن هنا کان المسلمون یطلقون علی هند «آکلة الأکباد» ویسمّون معاویة «ابن آکلة الأکباد».

أمّا «جعفر بن أبی طالب فقد استشهد فی غزوة مؤتة، وهذه المعرکة وقعت فی منطقة مؤتة علی مقربة من الشام (الحدود الشمالیة من

جزيرة العرب) فى السنة الثامنة للهجرة وكانت بداية هذه الحرب أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أرسل رسولًا من قِبله يدعى «الحارث بن عميرة» إلى حاكم «بُصرى» ودعاه إلى الإسلام، فعندما وصل منطقة مؤتة أمر حاكم بصرى بقتله، وهذا العمل يمثّل خرقاً للتقاليد الموجودة والعرف المتداول فى ذلك الوقت بالنسبة للرسل والمبعوثين، وهذه السنّة جارية لحدّ الآن فى الثقافاتالبشرية، وهذهالمصيبة ثقلت علىالمسلمين بحيث أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله جهّز جيشاً من ثلاثة آلاف رجل بقيادة زيد بن حارثة وأمره بمواجهة أهل الشام.

وقد أمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه إذا استشهد زيد بن حارثة فإنّ جعفر هو الذى يتولى قيادة الجيش ويكون صاحب اللواء، وإذا استشهد جعفر بن أبى طالب، فصاحب اللواء عبداللَّه بن رواحة، وإذا استشهد عبداللَّه بن رواحة فإنّ على المسلمين أن يختاروا من بينهم رجلًا لقيادة الجيش.

وتحرّك الجيش الإسلامىّ حتّى وصل المحلّ الذى قتل فيه رسول النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ودعوا اولئك القوم إلى الإسلام، ولكن عندما اطّلع الأعداء على مجىء جيش الإسلام قاموا بتحشيد جيش عظيم بلغ عدده مائة ألف رجل، ولكن المسلمين لم يتردّدوا أو يجبنوا أمام هذا العدد الكبير من جيش الأعداء الذى لا يقارن مع قلّة عدد المسلمين، وبدأت الحرب، وخاض المسلمون معركة صعبة فى هذه المنطقة، وكما توقّع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فقد استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبىطالب وعبداللَّه بن رواحة واحداً بعد الآخر وقطع الأعداء يدى جعفر، ولذلك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۳

عندما أخبروا النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بالحدث بعد ذلك قال: «إنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّضَهُ جَناحَيْنِ يَطِيرُ بِهِما فى الجَنَّةِ» فسمّى جعفر الطيار.

وأخيراً أخذ المسلمون يتداركون الأمر وأظهروا للأعداء أنّ هذا العدد من الجيش الإسلامىّ وهو ثلاثة آلاف رجل ما هو إلّامقدّمة لجيش الإسلام العظيم الذى سيصل عمّا قريب، وعلى ضوء ذلك رأى الأعداء أنّ الانسحاب أفضل وعاد المسلمون بخسائر محدودة إلى المدينة من دون أيّة هزيمة تفرض عليهم من الأعداء، وفى الحقيقة أنّ هذه الحرب انتهت بدون انتصار العدوّ على المسلمين.

وممّا تقدّم أعلاه يتبيّن بجلاء صدق كلمات الإمام عليه السلام فى رسالته، وكيف أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقدّم أهل بيته وأرحامه من بنى هاشم فى المعارك الطاحنة بين قوى الإيمان وقوى الكفر والشرك، بينما كان يعيش الآخرون فى الصفوف المتأخّرة خلافاً لما ذكره معاوية فى رسالته.

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى رسالته مستخدماً اسلوب الكناية، والكناية أبلغ من التصريح فى إشارة إلى نفسه المباركة وأنّه أيضاً مشتاق إلى الشهادة فى سبيل الإسلام، ولكنّ اللَّه تعالى لم يشأ له ذلك ولم يحن أجله ويقول: «وَأَرادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِى أَرادُوا مِنَ الشَّهادَةِ وَلَكِنَّ آجالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ».

وهذه العبارة تؤكد على الأمر الذى كثيراً ما ذكره الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وأنّه يشتاق إلى الشهادة كشوق الطفل الرضيع إلى لبن امّه كما قال: «وَ اللَّهِ لَابْنُ أَبى طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْىِ أُمِّهِ»[۱۱۳]. أو ما ورد فى الأحاديث الشريفة بعد انتهاء معركة احد عندما جاء الإمام علىّ عليه السلام للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وهو مهموم وقال: لقد استشهد جماعة من المسلمين (ومنهم عمىّ حمزة) ولكنّى حرمت من الشهادة فقال له النبىّ صلى الله عليه و آله: «يا عَلىُّ أَبْشِرْ فَإنّ الشَّهادَةَ مِنْ وَرائِكَ»[۱۱۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۴

وبعد أن بيّن الإمام عليه السلام بأدلّة وشواهد قويّة دفاعه- هو وأهل بيته- المستميت عن الإسلام والنبىّ وأفضليّتهم على الآخرين، شرع بإظهار التعجّب ممّا أوقعه فيه الدهر، بمعنى أهل الدهر والناس الذين لم يدركوا هذه الحقائق وأنّه هو وأهل بيته مع كلّ هذه الفضائل قد جعلوه فى عرض من ليست له مثل تلك الامتيازات والسوابق فى تاريخ الإسلام، ولم يكن يملك أدنى امتياز فى الشخصية

والإيمان والجهاد: فَيا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِی مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِی، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسابِقَتِی الَّتِی لَایُدْلِی ۱۱۵] أَحَدٌ بِمِثْلِهَا».

وقد تصوّر البعض من هذه العبارة أنّها إشارة إلى أنّ الناس كانوا يقارنون بين الإمام علیّ عليه السلام ومعاوية فی حين أنّ مقصود الإمام عليه السلام يختلف عن هذا المعنى، فمراده فی الحقيقة ناظر إلى رسالة معاوية وما ذكره من أنّ الخلفاء الثلاثة السابقين كانت لهم من الفضائل والسوابق فی الإسلام حيث أخذ معاوية يتبجّح ويتفاخر بفضائل هؤلاء الخلفاء فی مقابل الإمام عليه السلام، والّا فإنّ معاوية لم يشر فی رسالته إلى سوابقه الإسلام، لأنّه أساساً لم يكن يملك أيّة سابقة حسنة فی تاريخ الإسلام وإن كانت له سابقة فهی سابقة سوء فی العداء للإسلام والمسلمين هو وقبيلته وآل بيت أبی سفيان.

وعلى أيّة حال فإنّ الإمام عليه السلام أبدى تعجّبه من أهل زمانه ومنهم معاوية كيف أنّهم يقرنونه مع الخلفاء السابقين عليه، وهذا الكلام فی الحقيقة يتناغم مع ما ورد فی الخطبة الشقشقية حيث يقول: «مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِیَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَـذِهِ النَّظَائِرِ». أی أعضاء شورى عمر بن الخطاب الذين جعلهم عمر بعده لاختيار الخليفة وجعل معهم الإمام علیّ عليه السلام كواحد من الشورى.

ولعلّ الأشخاص، الذين تصوّروا أنّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام هنا ناظر إلى مقارنته

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۵

مع معاوية، كانوا تحت تأثير عبارة أخرى من كلام الإمام عليه السلام وردت فی مورد آخر، ولكن إذا تمعّنوا فی هذه النقطة اللطيفة، وهی أنّ رسالة الإمام عليه السلام فی الواقع جواب على رسالة معاوية له، وفی تلك الرسالة تحدّث معاوية عن أفضليّة الخلفاء السابقين على الإمام عليه السلام، لزال هذا التوهّم، ومن هذا المنطلق يتبيّن أنّ مقصود الإمام عليه السلام هو ما ذكرناه آنفاً.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستمرّ فی كلامه بالكناية البليغة أيضاً ويقول: «إِلَّا أَنْ يَدَّعِیَ مُدَّعٍ مَا لَاأَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ»، أی أن يدّعی أحد بعض الفضائل لهؤلاء لا توجد لديهم فی الواقع ولست مطّلعاً عليها ولا أتصوّر أنّ اللَّه تعالى أيضاً مطّلع عليها لأنّها أساساً غير موجودة لديهم.

وهذا يشبه ما ورد فی الآية الشريفة ۱۸ من سورة يونس حيث يقول تعالى: «قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَايَعْلَمُ فِی السَّمَوَاتِ وَلَا فِی الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»، أی أنّ المشركين الذين يعبدون غير اللَّه تعالى، ما لا يضرّهم ولاينفعهم يقولون:

هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه، فيردّ عليهم القرآن الكريم بأنّ اللَّه تعالى لا يعلم أنّ له مثل هؤلاء الشفعاء، لا فی السموات ولا فی الأرض.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فی خاتمة الرسالة وبعد أن بيّن سوابق أهل البيت ومخالفيهم، يشكر اللَّه تعالى ويقول: «وَالْحَمْدُ للَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

وجملة: «فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ» لا تعنی أنّ الإمام عليه السلام يعلم بمصائر الناس وبأنّ الدهر يملك تأثيراً فی الحوادث الواقعة كما يعتقد الدهريون، بل مراده من الدهر هنا هو أهل الدهر الذين لم يعرفوا ولم يقدّروا مقام الإمام عليه السلام وما يقتضيه ويفرضه عليهم، حيث جعلوه قريناً لأشخاص لم يقدّموا أیّ شیء فی سبيل الإسلام ولم يكن لديهم أیّ امتياز فی تاريخهم، وعلى هذا الأساس كان عتب الإمام عليه السلام ناظر إلى أهل الزمان والدهر وإن كان الكلام متوجّهاً ظاهراً إلى الدهر نفسه.

وبعبارة أخرى أنّ حسن الدهر وقبحه يتمّ تشخيصه من خلال حسن الناس

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۰۶

وسوء أخلاقهم وسلوكهم كما يقول الشاعر:

يَعيبُ النّاسُ كُلُّهُمُ زَماناًوَما لِزَمانِنا عَيْباً سِوانا

نَعيبُ زَمانَنا وَالْعَيبُ فِيناوَلَوْ نَطَقَ الزَمانُ بِنا هَجانا

ومفهوم جملة: «مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِی أنّ مثل هؤلاء الأشخاص لم يتقدّموا بخطوة كما تقدّمت أنا فی خطّ الرسالة والإيمان والحقّ، وهذا

کنایـة عن أنّ الآخرین لم یقـدّموا أیّـة خدمة للإسـلام کما قدّمت من تضـحیات فی سبیل الدفاع عن النبیّ الأکرم صلـی الله علیه و آله والرسالة.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۰۷

## القسم الثالث

### اشارة

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَهِ عُثْمَانَ إِلَیْکَ، فَإِنِّی نَظَرْتُ فِی هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ یَسَـعُنِی دَفْعُهُمْ إِلَیْکَ وَلَا إِلَی غَیْرِکَ، وَلَعَمْرِی لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَیِّکَ وَشِـقَاقِکَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِیـلٍ یَطْلُبُونَکَ، لَایُکَلِّفُونَکَ طَلَبَهُمْ فِی بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ لَا سَـهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ یَسُوءُکَ وِجْـدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَایَسُرُّکَ لُقْیَانُهُ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

### الشرح والتفسیر: ما أنت وقتلة عثمان؟!

نعلم أنّ معاویة کان قد طلب فی کتابه من الإمام علیه السـلام أن یسلّم إلیه قتلة عثمان، وهذا الطلب غیر معقول وبعید عن المنطق، لأنّه لو تقرّر أن یقدّم شـخص إلی المحاکمة والقصاص بسبب قتله لإنسان بریء فإنّ هذا العمل من شأن إمام المسلمین وخلیفتهم الشرعیّ، ویتمّ ذلک بموافقـة أولیاء الدم، لا شـخص متمرّد ولا یعتبر من أولیاء الدم، هذا فی صورة ما إذا ثبت أنّ المقتول کان بریئاً وأنّ القاتل أو القتلة مذنبون، ولذلک یقول الإمام فی مقابل طلب معاویة هذا: «وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَهِ عُثْمَانَ إِلَیْکَ، فَإِنِّی نَظَرْتُ فِی هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ یَسَعُنِی ۱۱۶] دَفْعُهُمْ إِلَیْکَ وَلَا إِلَی غَیْرِکَ»، لأنّه لا علاقة لک بهذا الأمر، فلا أنت ولیّ الدم ولا الحاکم الإسـلامیّ لیکون طلباً مشروعاً ومعقولًا.

وبـدیهیّ أنّ مسألـة طلب الثأر بدم عثمان لم تکن سوی ذریعة لرفع لواء الفرقة والشـقاق ضدّ الإمام علیه السـلام والإمتناع من البیعة له، وهذه المسألة من ناحیة تاریخیة إلی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۰۸

درجـة من الوضوح بحیث کان یضـرب بها المثل بین الناس عنـدما یریدون أن یقولوا بأنّ فلاناً یتمسّک بشـیء لتبریر سـلوکه أو لدعم وجهة نظره فی مقابل المخالف، فیقال: «إنّ فلان جعل من القضیـة کقمیص عثمان» ومعلوم أنّ الإمام علیّ علیه السـلام لو سلّم لمعاویة بعض الأشـخاص المتّهمین بقتل عثمان فإنّ معاویة لم یکن یقنع بذلک، بل سیسـتمر بالمطالبة بآخرین ویتذرّع دوماً بمثل هذه الذریعة والحجّة لدعم وتقویة أرکان حکومته فی الشام، وهذه الحالة تمثّل منتهی الخسّة والانتهازیة فی مقابل إمام المسلمین.

أضف إلی ذلک فهناک الکثیر من الأدلّة والشواهـد التی تدلّ علی أنّ معاویة لیس له الحقّ بأن یطلب من الإمام علیه السـلام مثل هذا الطلب، والإمام علیه السـلام بـدوره لا ینبغی أن یهتمّ بمثل هذه الطلب، وعلاوة علی ذلک أنّ مثل هذا الطلب لا یمکن أن یتحقق علی أرض الواقع لأنّ انتفاضـة المسلمین ضـدّ عثمـان کانت انتفاضـة عامـة وشاملـة والشاهـد علی هـذا الکلام القصّـة التی یرویها الشارح البحرانی فی «شرح نهج‌البلاغة» حیث یقول:

«کما روی أنّ أباهریرة وأبالدرداء أتیا معاویة فقالا له: علام تقاتل علیّاً وهو أحقّ بالأمر منک لفضـله وسابقته، فقال معاویة: لست اقاتله لأنّـی أفضـل منه ولکن لیـدفع إلیّ قتلة عثمـان، فخرجا من عنـده وأتیـا علیّـاً، فقالا ـ له: إنّ معاویـة یزعم أنّ قتلة عثمـان عنـدک وفی

معسکرک، فادفعهم إلیه فإنّ قاتلک بعدها علمنا أنه ظالم لک، فقال علیّ علیه السلام: إنّی لم أحضر قتل عثمان یوم قتل ولکن هل تعرفان من قتله؟ فقالا: بلغنا أنّ محمّد بن أبی بکر وعمّار بن یاسر وعدیّ بن حاتم وعمر وبن الحمق وفلاناً وفلاناً ممّن دخل علیه.

فقال علیّ علیه السلام: فامضیا إلیهم فخذوهم.

فأقبلا إلی هؤلاء النفر وقالا لهم: أنتم من قتلة عثمان وقد أمر أمیرالمؤمنین بأخذکم. قال: فوقعت الصیحة فی المعسکر بهذا الخبر فوثب من عسکر علیّ أکثر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۰۹

من عشرة آلاف رجل فی أیدیهم السیوف وهم یقولون: کلّنا قتلته، فبهت أبوهریرة وأبوالدرداء، ثم رجعا إلی معاویة وهما یقولان: لا یتمّ هذا الأمر أبداً، فأخبراه بالخبر، فإذا کان القائلون والمتعصبون لهم بهذه الکثرة فکیف یمکنه علیه السلام تسلیمهم وتمکین أحد منهم؟»[۱۱۷].

عندما یکون قتلة عثمان بهذا العدد من الکثرة فهل یستطیع الإمام علیه السلام أن یسلّمهم جمیعاً أو یسلّم أحدهم إلی معاویة علی فرض أنّ معاویة ولیّ دم عثمان وأنّه یرید إقامة الحقّ والعدالة؟

ولکن بما أنّ معاویة فی ختام رسالته هدّد الإمام علیه السلام بالقتال والحرب، فقد أجابه الإمام علیه السلام علی هذا التهدید بالمثل وکتب فی ختام رسالته عبارة شدیدة اللهجة زاخرة بأنواع الفصاحة والبلاغة وقال: «وَلَعَمْرِی لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَیِّکَ ۱۱۸] شِقَاقِکَ ۱۱۹] لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِیلٍ یَطْلُبُونَکَ، لَایُکَلِّفُونَکَ طَلَبَهُمْ فِی بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، لَاجَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ یَسُوءُکَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ[۱۲۰] لَایَسُرُّکَ لُقْیَانُهُ ۱۲۱]، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ».

وهنا یذکّر الإمام علیه السلام بهذه العبارة الحکیمة معاویة بأنّ قتلة عثمان لیس کما تحسب أنّهم نفر قلیل (علی فرض أن یکونوا فی جیشی) بل هم جماعة عظیمة سیأتونک سراعاً فلا تکلّف نفسک جهد البحث عنهم، أجل فعمّا قلیل سیأتونک تباعاً وسیواجهونک فی میدان القتال وستعرف منهم ضربات السیوف والرماح وسوف تدور الدائرة علیک فلا تستطیع أن تتمسّک بعد ذلک بهذه الذریعة الواهیة.

والواقع أثبت صحّة هذا الکلام ولولا بعض السذّج والمخدوعین فی جیش

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۱۰

الإمام علیّ علیه السلام الذین انطوت علیهم حیلة عمرو بن العاص فی رفع المصاحف علی الرماح؛ لکان الإمام علیه السلام قد انتهی من معاویة وحکومته فی الشام وأزاح هذه الفتنة من واقع الامّة الإسلامیّة وأراح المسلمین منها.

### تأمّل: کلام عن قتلة عثمان

بالرغم من أنّنا بحثنا أکثر من مرّة عن واقعة قتل عثمان والعوامل التی أدّت إلی انتفاضة المسلمین ضدّه، نری من اللازم أیضاً الإشارة إلی نقطة أخری فی هذا المجال بشکل موجز.

إنّ من بین أصحاب الإمام علیّ علیه السلام مَن شهد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله لهم بالجنّة، وکانوا ممّن یرون أنّ عثمان یستحقّ القتل بسبب البدع التی اختلقها فی أیّام خلافته.

یقول نصر بن مزاحم فی کتابه (صفین): إنّ عمّار بن یاسر وقف فی أحد الأیّام فی معرکة صفین بین أصحابه وقال: امضوا معی عباد اللَّه إلی قوم یطلبون فیما یزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاکم علی عباد اللَّه بغیر ما فی کتاب اللَّه، إنّما قتله الصالحون المنکرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذین لا یبالون إذا سلمت لهم دنیاهم ولو درس هذا الدین: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه، فقالوا: إنّه ما أحدث شیئاً، وذلک لأنّه مکّنهم من الدنیا، فهم یأکلونها ویرعونها ولا یبالون لو سقطت علیهم الجبال، واللَّه ما أظنهم یطلبون

دمه إنّهم ليعلمون أنّه الظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرأوها وعلموا لو أنّ صاحب الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيها، ولم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولايه، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون»[١٢٢].

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١١١

وعندما يقرّ مثل هذا الرجل العظيم وهو عمّار بن ياسر الذى هو من أهل الجنّة بمشاركته بقتل عثمان ويستدلّ لذلك بما اختلقه عثمان من البدع الخطيرة فى الإسلام، فمن البديهىّ أنّ الإمام عليه السلام لا يسمح لنفسه بتسليم مثل هؤلاء الأشخاص من المهاجرين والأنصار والتابعين، إلى معاوية ليقتلهم.

إنّ الباعث على ثورة الناس ضدّ عثمان يمكن بيانه فى خمسة أمور:

١. تعطيل الحدود والموازين الإلهيّة فى أيّام خلافة عثمان.

٢. تقسيم بيت المال بين بنى اميّة.

٣. تعيين أفراد من بنى اميّة فى المناصب الحسّاسة فى الحكومة الإسلاميّة.

۴. ضرب وجرح أصحاب النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كعبداللَّه بن مسعود وعمّار بن ياسر.

۵. تبعيد ونفى الشخصيّات الإسلاميّة الكبيرة كأبى‌ذرّ، مالك الأشتر، صعصعة ابن صوحان وأخيه، وعمرو بن الحِمَق الخُزاعى.

إنّ أمواج المخالفة والاعتراض ضدّ عثمان اتّسعت واشتدّت إلى درجة أنّ أفراداً كعبدالرحمن بن عوف الذى كانت له يد الطولى فى نصب عثمان واستلامه الخلافة فى مسألة الشورى الستّة الذين نصبهم عمر بن الخطاب لتعيين الخليفة من بعده، اعترض عليه وأصبح من مناوئيه، وينقل المؤرخون أنّ عبدالرحمن- لهذا الأسباب المتقدمة- قطع علاقته مع الخليفة الثالث ولم يتحدّث معه إلى نهاية عمره، وحتى عندما جاء عثمان لعيادته وهو فى حال مرضه أعرض بوجهه عن الخليفة ولم يتحدّث معه بكلمة[١٢٣].

ومن بين هؤلاء المعترضين على عثمان كانت عائشة زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تعترض أكثر من الآخرين على أعمال عثمان، وعندما أمر عثمان بضرب عمّار ابن ياسر أخرجت عائشة ثوب النبىّ ونعله وقالت: أيّها الناس! هذا ثوب النبىّ ونعله لم

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١١٢

يجفّا بعد وقد نسيتم سنّته.

وقد ذكر المؤرّخون عبارة مشهورة لعائشة فى حقّ عثمان حيث كانت تقول:

«اقْتُلُوا نَعْثَلًا قَتَلَ اللَّهُ نَعْثَلًا»[١٢۴] وتقصد به عثمان بن عفّان.

ومن جملة المعترضين والمخالفين لعثمان، طلحة والزبير اللذان كانا ينتقدان سياسة عثمان وتصرّفاته كثيراً، ومن العجيب أنّ هذين الرجلين خرجا بعد ذلك ومعهما عائشة للطلب بدم عثمان فى مواجهة الخليفة الحقّ يعنى أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام الذى بايعاه قبل ذلك وكان من أمر خروجهما ومعركة الجمل ما كان.

على أيّة حال فإنّ الأشخاص الذين حرّكوا الناس ضدّ عثمان بأقوالهم وبتحريضهم وبذلك مهّدوا الأرضية لقتل عثمان؛ أكثر من أن نحصيهم فى هذا المقال.

إنّ العوامل الخمسة المذكورة أعلاه جعلت الكثير من المسلمين فى المراكز الإسلاميّة كالكوفة والبصرة ومصر يتوجّهون إلى المدينة لأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويجتمعون إلى أنصارهم ومؤيّديهم لبحث الأزمة فى مركز الخلافة ويجبروا الخليفة على التوبة والعودة إلى تعاليم الإسلام أو يعتزل سدّة الحكم ويفوّض أمر الخلافة إلى غيره، وبذلك حاصرت الجماهير بيت الخليفة وطلبوا منه التوبة بإرسالهم رسالة إليه.

وقد سعى عثمان الذى لم يكن يعلم بعمق الاعتراض الجماهيرى والسخط الشعبىّ إلى إنهاء الاضطرابات من خلال تعيين بعض

الأشخاص من ذوى السعة كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص فى مركز الخلافة والقرار، ولكنّ الناس لم يقبلوا بهما ورفعوا نداء الاعتراض ضدّهما.

وبعد اشتداد الأزمة بدأ عثمان يتوسّط لدى أميرالمؤمنين عليه السلام لتخفيف وتهدئة الأوضاع المضطربة، وكان الإمام عليه السلام فى كل مرّة يعمل على تهدئة الأوضاع بتدابيره الحكيمة، ولكن للأسف كان عثمان فاقداً للإرادة القوية وكان خاضعاً بشكل تامّ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۱۳

لإرادة عناصر فاسدة فى جهاز الحكومة كمروان بن الحكم حيث كان يستشيره فى كل مرّة ولا يعمل بنصائح أميرالمؤمنين عليه السلام ولا يقيم لسعيه الإصلاحىّ وزناً.

وأخيراً قام المعترضون والثوّار بمحاصرة دار الخليفة ومنعوا عنه الماء فى هذه المرّة، وفى هذه الأثناء قام أميرالمؤمنين عليه السلام وبطلب من الخليفة ومساعدة بنى هاشم بنقل الماء بالقربة إلى دار الخليفة عثمان، حتى أنّ بعض أفراد بنى هاشم فى خضّم هذا الصراع اصيبوا بجراح من قِبل الثوّار والجمهور الذى يحاصر دار عثمان.

وقد كتب عثمان فى أيّام الحصار هذه رسالة إلى معاوية وطلب منه أن يرسل له المدد والعون ولكن معاوية لم يهتمّ لرسالة عثمان ولم يرتّب عليها أثر يذكر وكان يقول: إننى لا ـ اخالف صحابة النبىّ، ولم يكن هدف المحاصرين بيت الخليفة قتله، بل كانوا يريدون استسلام عثمان وأعوانه ورضوخهم لمطالبهم من خلال منع الماء والطعام عنهم، ولكن سوء تدبير مروان بن الحكم الذى قتل أحد الثوّار أدى إلى تفاقم الأزمة وهجومهم على دار الخليفة.

وكانت شدّة الهجوم إلى درجة بحيث إنّ بنى امية الذين كانوا يحرسون الدار ويدافعون عن الخليفة وأعوانه، فضّلوا الهرب من الميدان، حيث قامت ام حبيبة زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وبنت أبى سفيان «وكانت أيضاً من بنى اميّة بإخفائهم فى دارها»، ولكن ثلاثة أشخاص من أعوان الخليفة الذين لم يتمكّنوا من الفرار قتلوا على يد المهاجمين، وأخيراً قتل عثمان أيضاً على أيديهم، وفى هذ المجال كان لبعض الأفراد دور كبير فى هذه النهاية الدامية ومنهم: محمد بن أبى بكر وكنانة ابن بُشر التجيبى وسودان بن حمران المرادى وعمرو بن الحَمِق الخُزاعىّ وعمير ابن الصابى [۱۲۵].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۱۵

## الرسالة ۱۰

### اشارة

إِلَيْهِ أيضَاً[۱۲۶]

### نظرة إلى الرسالة

تتألف هذه الرسالة من أربعة أقسام:

القسم الأوّل ينصح الإمام علىّ عليه السلام معاوية ويحذّره من المصير الأليم يوم القيامة والعواقب الوخيمة المترتّبة على تصرّفاته المعادية والمغرضة، رغم أنّ الإمام عليه السلام يعتبره أسير الشيطان وأنّه لا أمل فى هدايته.

والقسم الثانى يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهى أنّ معاوية كيف يستطيع إدارة أمور الامّة الإسلاميّة وتولّى شؤونها فى حين أنّه لا يملك أيّة سابقة محمودة فى تاريخ الإسلام ولا ينتمى إلى اسرة شريفة ومؤمنة؟!

وفى القسم الثالث منها يبيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة وهى أنّه يدعو معاوية إلى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۶

ترك الناس وعدم إقحامهم فى الحرب وأن يأتى هو بنفسه إلى الميدان ليواجه الإمام عليه السلام بمفرده ويحسم بذلك مصير الامّة ويعيد إلى الأذهان ما مضى من تاريخ الإسلام حيث كان المسلمون يقاتلون إخوانهم وآباءهم وبنى عمومتهم على الإسلام والإيمان.

وأخيراً فى القسم الرابع من هذه الرسالة يطرح الإمام عليه السلام ذريعة معاوية فى الطلب بدم عثمان ويقول: إنّك تعلم جيداً من هو القاتل لعثمان، فلماذا لا تتوجّه إليه وتترك المسلمين وشأنهم؟ وفى نهاية الرسالة يقول: إننى أرى عمّا قريب صراخك وصراخ جيشك فى ميدان الحرب وسوف تلحق بك الهزيمة بعد الهزيمة وتضطرّ أخيراً إلى اللجوء إلى كتاب اللّه فى حين أنّك لا تؤمن به.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۷

## القسم الأول

### اشارة

وَكَيفَ أَنْتَ صَانِعٌ إذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا. دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَايُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ.

### الشرح والتفسير: نظرة إلى الافق الغائم

رأينا آنفاً أنّ هذه الرسالة تبتدىء بكلمات لم يذكرها السيّد الرضىّ فى «نهج‌البلاغة»، فالإمام عليه السلام فى بداية هذا الكتاب بعد الحمد والثناء على اللّه تعالى أشار إلى سرعة انقضاء الدنيا وزوال الحياة وخاطب معاوية بالقول: يا معاوية أنت تدّعى شيئاً لست من أهله، لا فى الماضى ولا فى الحاضر، ولا تملك الدليل على إثبات مدّعاك (جدارتك بالحكومة والخلافة على المسلمين) وليس لديك شاهد من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبويّة الشريفة، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أخذ ينبّه معاوية على عواقب التكالب على الدنيا وزخارفها ويحذّره من الوقوف أمام اللّه تعالى يوم القيامة لعلّه ينتبه لخطئه ويرعوى عن سلوكه ويتحرّك فى الصراط المستقيم، يقول الإمام عليه السلام: «وَكَيفَ أَنْتَ صَانِعٌ إذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ ۱۲۷] مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۱۸

تَبَهَّجَتْ ۱۲۸] بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا».

ثم يضيف الإمام عليه السلام: إنّ هذه الدنيا هى التى‌دعتك وخدعتك إلى بريقها وزخارفها وقد أجبتها وأسرعت إليها وسلّمت إليها قيادك وعقلك: «دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا».

والإمام عليه السلام فى هذه العبارات يطرح تشبيهات رائعة للدنيا وبريقها ويشبّهها بالملابس البرّاقة والملوّنة التى يلبسها المرء ويزهو بها أمام الآخرين، أو بمثابة الجلباب الذى يغطّى به الإنسان رأسه، وزخارف الدنيا تخدع الإنسان ولذّتها تجذبه إلى خطّ الهاوية والضلالة، فالأشخاص الذين يتحرّكون فى خطّ الأهواء والشهوات والذين لا يعرفون حقيقة الدنيا سيقعون فى فِخاخِها سريعاً ومن أجل

الاستفادة من زینتها ولذّاتها سیجدون أنفسهم مضطرّین لاتّباع أوامرها والامتثال لمطالبها، وبذلک یبتعدون عن طریق الحقّ والإیمان ویتحرّکون فی متاهات الضلالة ومنزلقات الخطیئة.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یشیر إلی عاقبة هذا المسار المنحرف ویقول: «وَإِنَّهُ یُوشِکُ ۱۲۹] أَنْ یَقِفَکَ وَاقِفٌ عَلَی مَا لَایُنْجِیکَ مِنْهُ مِجَنٌ ۱۳۰]، فَاقْعَسْ ۱۳۱] عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ[۱۳۲] الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ[۱۳۳] لِمَا قَدْ نَزَلَ بِکَ، وَلَا تُمَکِّنِ الْغُوَاةَ[۱۳۴] مِنْ سَمْعِکَ».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۱۹

ویتحدّث الإمام علیه السلام فی هذه العبارات عن جذور الإنحرافات التی وقع فیها معاویة وکذلک یشیر إلی طریق الحلّ والعلاج حیث یقول: إنّ أفضل طریق لنجاتک من هذه المتاهة هو أن تعزل حکومة الشام وتأخذ الاهبة للحساب الإلهیّ.

وجملة «شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِکَ إمّا إشارة إلی الحوادث الألیمة والوخیمة التی ستصیب معاویة وأعوانه فی هذه الدنیا، أو إشارة إلی الحوادث والعاقبة الألیمة التی ستلحق بهم فی الآخرة (والاحتمال الثانی أنسب فی المقام) وعلی أیة حال بما أنّ هذه الحوادث حتمیة الوقوع فإنّ الإمام علیه السلام ذکرها بصیغة الماضی.

ثم إنّ الإمام علیه السلام فی سیاق کلامه لمعاویة یستعمل لغة التهدید ببعض الأمور المعنویة ویقول: إنّک إن لم تعمل بما أمرتک به وأرشدتک إلیه فذلک لأنّک تعیش الغفلة عن العاقبة الوخیمة التی تنتظرک، وأنّ السبب فی ذلک طغیانک وغرورک بالنعمة «وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْکَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِکَ، فَإِنَّکَ مُتْرَفٌ ۱۳۵] قَدْ أَخَذَ الشَّیْطَانُ مِنْکَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِیکَ أَمَلَهُ، جَرَی مِنْکَ مَجْرَی الرُّوحِ وَالدَّمِ».

وقد ذهب بعض المحقّقین إلی أنّ «إِلَّا تَفْعَلْ ...» إشارة إلی أنّ الإمام علیه السلام یهدد معاویة فی هذه العبارة بالحرب، ومراده من إعلامه هو الإعلام العملیّ، ولکن مثل هذا المفهوم لا یستوحی من أیٍّ من العبارات والجمل المذکورة قبل هذه الجملة وبعدها، بل إنّ مجموعة هذه الکلمات والعبارات توحی بالنصیحة وتثیر فی المخاطب الیقظة والانتباه.

واللافت أنّ معاویة قد هدّد الإمام علیه السلام فی رسالته بالحرب، ولکن الإمام علیه السلام هدّده بسیطرة الشیطان علیه ووقوعه فی شباکه وحذّره من هذا المصیر السیء.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۲۱

## القسم الثانی

### اشارة

وَمَتَی کُنْتُمْ یَا مُعَاوِیَةُ سَاسَةَ الرَّعِیَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بِغَیْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ. وَأُحَذِّرُکَ أَنْ تَکُونَ مُتَمَادِیاً فِی غِرَّةِ الْأُمْنِیَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلَانِیَةِ وَالسَّرِیرَةِ.

### الشرح والتفسیر: حذارِ من الغفلة

فی هذا المقطع من الرسالة یشیر الإمام علیه السلام إلی حقیقة عدم صلاحیّة معاویة وبنی امیة لاستلام أمر الحکومة ومقالید السلطة علی الامّة الإسلامیّة حتی الحکومة علی جزء من البلاد الإسلامیّة، لأنّه یعلم أنّ مسألة الطلب بدم عثمان وأمثالها لیست سوی ذریعة بید معاویة لإیهام الناس واستغفالهم، بینما الغرض الأصلیّ منها أن یفرض حکومته وسیطرته علی أهل الشام بوصفه حاکماً إسلامیّاً، یقول الإمام علیه السلام:

«وَمَتَی کُنْتُمْ یَا مُعَاوِیَةُ سَاسَةَ الرَّعِیَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بِغَیْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ۱۳۶]».

صحيح أنّ اسرة بنى امية وأسلافهم كانوا حكّاماً فى ما مضى على قريش، ولكنّ هذا الأمر يتعلّق بزمان الجاهلية وعصر الكفر والشرك، وعبارة «وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» تبين أنّ مقصود الإمام عليه السلام هو عصر ظهور الإسلام، لأننا نعلم أنّ بنى امية وعلى رأسهم أبى سفيان كانوا عند ظهور الإسلام يقفون فى الجبهة المخالفة للرسالة الجديدة وكانوا يدافعون عن الشرك والكفر ويسيرون فى خطّ الضلالة.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۲

وعبارة «سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ» و «وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» يمكن أن تكون من قبيل العطف والتفسير وأنّ كلا ـ هاتين الجملتين إشارة إلى الحكومة الإسلاميّة، ولكن يحتمل أيضاً أنّ عبارة «سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ» تتعلّق بمرحلة ما قبل الإسلام، وعبارة «وُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» تتعلّق بما بعد ظهور الإسلام فى جزيرة العرب، لأنّ بنى امية قبل الإسلام لم يكونوا سوى ولاة أمر قبيلتهم فقط، فى حين أنّ كلمة الرعيّة توحى بالمعنى الواسع للكلمة، وبعبارة أخرى إنّ أهل مكة كانوا تحت زعامة عبدالمطلب وبعده تحت زعامة أبى‌طالب.

والإمام عليه السلام فى عبارته «بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ...» يشير إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الحكومة ومسألة قيادة وزعامة الامّة الإسلاميّة تستلزم توفّر الشروط والضوابط ومنها أن يكون الشخص ذا سابقة فى الإسلام ويكون شريف النسب، فى حين أنّ معاوية هو ابن أبى سفيان الذى كان يقف فى خطّ المواجهة مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى آخر لحظة، وقصّة تلوث ام معاوية معروفة ومشهورة فى كتب التاريخ.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يحذّر معاوية فى ثلاث جمل ويقول أولًا: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ».

هذه الجملة يحتمل كونها إشارة إلى أنّ معاوية، وبسبب العوامل الوراثية السلبية الصالحة التى انتقلت إليه من أبيه وامّه، (أبى سفيان وهند آكلة الأكباد) وحركته فى خطّ الباطل والشرك ومواجهة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والرسالة الإلهيّة مع أبيه، قد وفّر الأرضية لنفسه للشقاء والانحراف والتوغّل فى خطّ الضلالة، وهذا ما لا يمكن الخلاص منه إلّابتهذيب النفس والسعى الجادّ فى تغير المسار.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يذكر فى الجملة الثانية «وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ[۱۳۷] الْأُمْنِيَّةِ[۱۳۸]»، أى أنّ الغفلة الناشئة من الآمال والطموحات الموهومة تقود صاحبها فى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۳

طريق الشيطان والتمرّد على الحقّ.

وهذه الجملة ناظرة إلى ما أشارت إليه الروايات الإسلاميّة مراراً، وهو أنّ الآمال العريضة والطموحات البعيدة من شأنها إبعاد الإنسان عن طريق الحقّ وعن الإيمان باللّه واليوم الآخر بحيث يغفل الإنسان حتّى عن واقعه وما يصلحه فى هذه الدنيا:

«وَأمّا طَولُ الأمَلِ فَيُنْسِى الْاخِرَةَ»[۱۳۹].

وفى الجملة الثالثة يقول الإمام عليه السلام: إنّى احذّرك أن تكون ممّن يختلف ظاهره عن باطنه، وتظهر للناس الإسلام والإيمان، ولكنّك تبطن الشرك وعقائد الجاهلية (مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ).

وهذه الجملة إشارة إلى نفاق معاوية الذى يطالب بدم عثمان ويدافع عن مقام الخلافة فى الظاهر ولكنّه فى الباطن ليس له هدف سوى الحكومة على الشام، ونعلم أنّ حالة النفاق والازدواجية فى الشخصيّة لدى المنافقين هى أشدّ خطراً من الشرك، لأنّ المسلمين يعرفون تكليفهم الشرعىّ فى مقابل المشركين وأعداء الإسلام فى حين أنّهم لا يعرفون الموقف الصحيح من المنافقين بسبب تسترّهم بقناع الإسلام والإيمان الظاهرىّ وطعنهم الإسلام من ورائه.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۵

## القسم الثالث

## اشارة

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِى، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّى، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً. وَإِنِّى لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِى تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

## الشرح والتفسير: أنا أتحرّك دوماً فى خطّ الحقّ والهداية

يبيّن الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة جواباً آخر على ما ذكره معاوية فى رسالته، حيث هدّد معاوية الإمام عليه السلام بكلمات وقحة وغير مسؤولة بالحرب واتّهم الإمام عليه السلام بأنّه قد غطّى على عينه بحجاب الأنانية وأمّا قلبه قد أصابه الصدأ والرين!! وما يثير العجب أنّ شخصاً من بقايا عصر الجاهلية وابن لأشدّ أعداء الإسلام والمسلمين يتحدّث بهذا الكلام مع من قد ملأ الإيمان قلبه وعاش منذ طفولته إلى نهاية عمره فى خدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين ويعدّ أشجع العرب على الإطلاق.

وعلى أية حال، يقول الإمام عليه السلام: «وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ».

وهكذا نرى الإمام عليه السلام فى هذه العبارة بدون أن يخاطب معاوية بمثل العبارات التى خاطبه بها، يجيب على تهديد معاوية جواباً حاسماً وقاطعاً بأنّك إذا كنت

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۶

صادقاً فى تهديدك بالحرب، فبدلًا من سفك دماء المسلمين من كلا الطرفين ينبغى عليك أن تأتى إلى الميدان بمفردك وتقف أمامى للنزال، ومعلوم أنّ معاوية لا يجد جواباً على مثل هذه الاقتراح، لأنّه لم يكن يوم من الأيّام رجل الميدان ولا يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لمواجهة الإمام عليه السلام فى مواقع الخطر.

ويذكر الشيخ مغنية فى كتابه الإمامة والسياسة نقطة ملفتة للنظر، وهى أنّ هذه الرسالة عندما وصلت معاوية قال عمرو بن العاص لمعاوية: هل تخشى على نفسك من مواجهة علىّ بن أبى طالب، فواللّه لأذهب إليه حتّى لو قتلت ألف مرّة، وبذلك برز عمرو بن العاص فى حرب صفّين فى مقابل الإمام عليه السلام فما كان من الإمام إلّاأن ضربه بقناته فسقط على الأرض ولم يجد عمرو بن العاص شيئاً ينقذه من الهلكة المحتومة سوى أن ينزع عنه لباسه ويبدى عورته، لأنّه يعلم أنّ الإمام يستحى من ذلك ويعود من حيث أتى، ويسلم بذلك عمرو من الهلكة.

ولهذا السبب قال معاوية بعد ذلك لعمرو بن العاص: أمران قد أنقذاك من الهلكة، الأول عورتك، والثانى حياء علىّ بن أبى طالب.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام قال تأييداً لكلامه «فَأَنَا أَبُوحَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِى، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّى».

ونعلم أنّ «عتبة بن ربيعة» والد هند امّ معاوية قتل فى غزوة بدر فى مقابل «عبيدة بن الحارث» ابن عمّ الإمام علىّ عليه السلام، فقد هبّ الإمام لمساعدة عبيدة فى هذه الواقعة وقتل عتبة، وكان «شيبة بن أبى سفيان» أخو معاوية قد بارز فى هذه المعركة حمزة عمّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وقد أعان الإمام عليه السلام حمزة على قتله، وأمّا خال معاوية «الوليد بن عتبة» فقد بارز الإمام عليه السلام فى هذه الواقعة وقتله الإمام عليه السلام.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ كلمة «شدخ» بمعنى كسر الشىء الأجوف، فتعبير الإمام عليه السلام هذا يبيّن هذه الحقيقة، وهى أنّ جدّ وخال وأخا معاوية قتلوا فى معركة بدر وأنّ جماجمهم كانت فارغة من العقل والتفكير السليم.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۷

وبالرغم من أنّ معاوية استخدم فى رسالته كلمات نابية وشديدة إلّاأنّها كانت خاوية وفاقدة للمحتوى، بينما استخدم الإمام علىّ عليه السلام عبارات أكثر انسجاماً وقوّةً، وعميقة المعانى، وبينما كان معاوية يدعو إلى الحرب بين طائفتين، كان الإمام علىّ عليه السلام يدعوه إلى القتال منفردين، أى يطلب المبارزة بينه وبين معاوية وجهاً لوجه.

ورأينا أنّ معاوية يتحدّث فى رسالته عن مدّعيات خاوية دون إسنادها بالمدارك التاريخية، بينما نرى أنّ الإمام علىّ عليه السلام أخذ بيد معاوية إلى الماضى من صدر الإسلام وبيّن له سوابقه التاريخية فى معركة بدر وأنّه هو علىّ بن أبى طالب الذى قتل جدّه وأخاه وخاله وأئمّة الكفر والشرك من قبيلته، وأنّ سيفه هو ذلك السيف الذى مرّغ به انوف عتاة المشركين والمردة من قوى الكفر، وأنّ قلبه هو ذلك القلب الشجاع الذى كان يقاتل به المشركين فى معارك صدر الإسلام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى نقطة أخرى وهى ثباته واستقامته فى خطّ الإسلام والإيمان ويقول: لم أبتدع فى الدين شيئاً ولا اخترت نبيّاً غير نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله فأنا أتحرّك فى الطريق القويم والصراط المستقيم: «مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً.

وَإِنِّى لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِى تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ».

وهذه إشارة إلى أنّ أباسفيان وأذنابه وأعوانه دخلوا الإسلام مكرهين يوم فتح مكّة والشواهد التاريخية الإسلاميّة تشير إلى أنّهم لم يعتنقوا الإسلام أبداً، ولم يؤمنوا طواعية، ولذلك بعد استلام بنى امية أزمّة الحكم ومقاليد السلطة فى زمان الخليفة الثالث، سحق الكثير منهم أصول الإسلام وسنّة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله تحت أقدامهم ونهبوا بيت مال المسلمين واستأثروا بفيئهم وحرموا بذلك الطبقة المستضعفة والمحرومة ممّا يستحقونه من هذه الأموال.

وقد تبيّن ممّا ذكر آنفاً أنّ مراد الإمام عليه السلام من قوله: «الَّذِى تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ»، يتعلّق بموقفهم بعد قبولهم الإسلام ظاهراً، أى أنّهم فى البداية قبلوا بالإسلام مكرهين، ثمّ عندما استلموا مقاليد السلطة نقضوا سنن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله واحدة بعد

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۸

الأخرى، والشاهد على هذا الكلام أنّ الإمام عليه السلام قال: «مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً» أىّ أنّنى لم أغيّر ولم ابتدع فى الدين شيئاً، وعلى ضوء ذلك فإنّ ما ذهب إليه جمع من شرّاح نهج بالبلاغة فى جملة «تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ» وأنّها تعود إلى عدم قبولهم للإسلام قبل فتح مكة، لا يبدو تفسيراً صحيحاً نظراً لما ذكره الإمام عليه السلام عن نفسه، وخاصّة أنّ مفردة «ترك» تقال فى مورد يكون الإنسان قد قبل شيئاً قبل ذلك أو ذهب إلى مكان معيّن وتركه بعد ذلك.

## تأمّلان

### ١. مقارنة شجاعة الإمام عليه السلام بالأعداء

من النقاط الملفتة للنظر ما ذكره أصحاب السير والتواريخ عن مقدار شجاعة معاوية وعمرو بن العاص، فالمؤرّخ المعروف «الواقدى» وطبقاً لما نقله ابن أبى‌الحديد عنه فى شرح نهج‌البلاغة يقول:

«قال معاوية يوماً- بعد استقرار الخلافة له- لعمرو بن العاص: ياأباعبداللّه لا أراك إلّاويغلبنى الضحك، قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب فى صفّين فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه، وكشفت سوءتك له. قال عمرو بن العاص: أنا منك أشدّ ضحكاً، إنّى لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك فى فمك، وغصصت بريقك، وارتعدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك، فقال معاوية: لم يكن هذا كلّه، وكيف يكون ودونى عكّ والأشعريّون!، قال: إنّك لتعلم أنّ الذى وصفت دون ما

أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكّ والأشعريون، وكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب. فقال: ياأبا عبداللَّه خض بنا الهزل إلى الجدّ «إنَّ الجُبنَ وَالفِرارَ مِنْ عَلِيٍّ لا عارَ عَلى أَحَدٍ فِيهِما»[۱۴۰].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۲۹

## ۲. هل كان معاوية حاضراً فى معركة بدر؟

يقول ابن أبى‌الحديد: سألت النقيب أبا زيد (استاذه) عن معاوية، هل شهد بدراً مع المشركين؟ قال: نعم، شهدها ثلاثة من أولاد أبى سفيان: حنظلة، عمرو ومعاوية، قتل أحدهم واسر الآخر، وأفلت معاوية هارباً على رجليه وقد انتفخ رجلاه وورمت ساقاه، فعالج نفسه شهرين حتى برىء.

قال النقيب أبوزيد: ولا خلاف عند أحد أنّ علياً عليه السلام قتل حنظلة وأسر عمراً أخاه ولقد شهد بدراً وهرب على رجليه من هو أعظم منهما ومن أخيهما، عمرو ابن عبدودّ فارس يوم الأحزاب، شهدها ونجا هارباً على قدميه وهو شيخ كبير وارتثّ جريحاً، فوصل إلى مكة وهو وقيذ فلم يشهد احداً، فلما برىء شهد الخندق فقتله قاتل الأبطال، والذى فاته يوم بدر استدركه يوم الخندق.

ثم قال لى النقيب «رحمه اللَّه»: أما سمعت نادرة الأعمش ومناظرته فقلت: ما أعلم ما تريد؟ فقال: سأل رجل الأعمش وكان قد ناظر صاحباً له: هل معاوية من أهل بدر أم لا؟ فقال له: أصلحك اللَّه، هل شهد معاوية بدراً، فقال: نعم من ذلك الجانب.

ويشير الإمام عليه السلام أيضاً فى أحد كتبه إلى قصّة فرار معاوية ويقول: واذكر ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله إلى القليب، وأسرت أخاك عمراً وجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك، ففررت ولك حصاص فلولا ـ أنّى لا ـ أتبع فارّاً، لجعلتك ثالثهما[۱۴۱].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۳۱

## القسم الرابع

### اشارة

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثائِراً بِدَمِ عُثْمانَ. وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فاطْلُبْهُ مِنْ هُناكَ إِنْ كُنْتَ طالِباً، فَكَأَنّى قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمالِ بِالْأَثْقالِ، وَكَأَنِّى بِجَماعَتِكَ تَدْعُونى جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتابِعِ، وَالْقَضاءِ الْواقِعِ، وَمَصارِعَ بَعْدَ مَصارِعَ، إِلى كِتابِ اللَّهِ، وَهِىَ كافِرَةٌ جاحِدَةٌ، أَوْ مُبايِعَةٌ حائِدَةٌ.

### الشرح والتفسير: المستقبل المظلم والافق المشؤوم للعدو!

وفى آخر قسم من رسالة الإمام عليه السلام لمعاوية يتحدّث الإمام عليه السلام مرّة أخرى عن قصّة قتل عثمان التى جعلها معاوية ذريعة لتمرّده ومخالفته للإمام علىّ عليه السلام وطلب بالثأر لدم عثمان فيقول الإمام: «وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثائِراً[۱۴۲] بِدَمِ عُثْمانَ. وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فاطْلُبْهُ مِنْ هُناكَ إِنْ كُنْتَ طالِباً».

وهذا إشارة إلى أنّه إذا أردت من شارك بدم عثمان فاطلبه من أصدقائك طلحة والزبير، وإذا كنت تطلب الأشخاص الذين تركوه وحيداً ولم يمدّوا له يد العون ويغيثوه، فأنت الذى كتب إليك عثمان يطلب منك ولم تجبه، لم تتقدّم خطوة فى هذا السبيل، وعليه فأنت لست صادقاً بدعواك بطلب الثأر لدم عثمان، وإن كنت صادقاً لزمك أن تسلك غير هذا المسلك.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۳۲

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يرسم مستقبل معاوية وأعوانه والحرب ضدّهم ويتنبأ له بالافق المظلم ويقول: «فَكَأَنِّى قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ۱۴۳] ضَجِيجَ الْجِمَالِ ۱۴۴] بِالْأَثْقَالِ».

وكما هو معلوم فإنّ هذه النبوءة قد تحقّقت على أرض الواقع فى معركة صفّين عندما ضيّق جيش الإمام الخناق على جيش معاوية، ووصل مالك الأشتر على مقربة من سرادق معاوية، ولم يبق إلّاالقليل ليصل إليه ويقتله، وفى ذلك الوقت ارتفع صراخ معاوية وأتباعه طالبين إنهاء القتال برفع المصاحف.

وفى تنبؤ آخر يقول الإمام عليه السلام: «وَكَأَنِّى بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِى جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَهِىَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ[۱۴۵]».

وهذا التنبُؤ وقع أيضاً بشكل كامل عندما رأى جيش الشام أنّهم عاجزون عن مجابهة أنصار الإمام علىّ عليه السلام وعاشوا المحنة والقتل المتتابع فى صفوفهم، رفع جماعة منهم مع عمرو بن العاص المصاحف على رؤوس الرماح وقالوا: إننا نسلّم أمرنا إلى كتاب اللَّه ونحتكم إليه فى هذا الأمر، فى حين أنّ هذه الجماعة من أهل الشام لا يعتقدون بكتاب اللَّه ويكفرون بما أنزل اللَّه، لأنّهم لم يبايعوا إمام الحقّ، وفيهم جماعة أخرى ممّن بايع الإمام عليه السلام ولكنّهم نكثوا بيعتهم خلافاً لجميع الأصول والمبادىء الإسلاميّة المعروفة والتقاليد العربية، والتحقوا بمعاوية وأعداء الإمام فى هذه الواقعة.

وطبعاً ربّما يثير البعض هذا السؤال، وهو أنّ تعبير الإمام عليه السلام هذا يفتح المجال أمام استغلال الأعداء لكتاب اللَّه عندما يشاهدوا نهايتهم المخزية على الأبواب،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۳

ولكنّ هذا الكلام غير صحيح، لأنّ الإمام عليه السلام أشار بشكل مجمل إلى هذه الواقعة بحيث لم تكن هذه الإشارة المجملة مفهومة لدى معاوية وأتباعه، لأنّ هذا الكلام يتحدّث عن الدعوة إلى كتاب اللَّه فقط، رغم أننا اليوم نعرف تفاصيل الواقعة التاريخية وما حدث فى معركة صفّين من استغلال المصاحف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من فلول جيش الشام، فهذه الإشارة فى كلام الإمام تعتبر إشارة معبّرة.

## تأمّل: التنبؤات الواقعة

إنّ تنبؤات الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الرسالة التى كتبها لمعاوية قد تحقّقت على أرض الواقع بشكل تام، لأنّ القتال بدأ على أشدّه فى صباح يوم الثلاثاء من العاشر من شهر صفر سنة ۳۷ للهجرة بعد صلاة الصبح، فتقاتل الجيشان ودارت بينهما رحى الحرب، فكانت الدائرة على جيش الشام الذين تزعزعت مواقعهم وأحسّوا بالضعف والانهيار أمام جيش الإمام عليه السلام الذى كان يتقدّم بقيادة مالك الأشتر فى أرض المعركة، ولم يبق من انهيار جيش الشام وقتل معاوية أو أسره إلّاالقليل، يقول عمّار بن ربيعة: كان مالك الأشتر واقفاً بين أنصاره وأتباعه ويقول: «فداكم امّى وأبى وجميع عشيرتى، اهجموا عليهم هجمة واحدة ويفرح اللَّه لكم واعزّوا بذلك دينه، فانظروا إلىَّ حين أهجم عليهم فاهجموا بدوركم معى».

وهكذا كان مالك الأشتر غارقاً فى صفوف الأعداء يقاتل ببسالة وهو حاسر الرأس وقد وضع مغفره على قربوس السرج، وهو ينادى: اصبروا يامعشر المؤمنين فقد حمى الوطيس ... يقول ابن أبى‌الحديد: للّه‌من امّ قامت عن الأشتر لو أنّ إنساناً يقسم أنّ اللَّه تعالى ما خلق فى العرب ولا فى العجم أشجع منه إلّااستاذه علىّ عليه السلام لما خشيت عليه الإثم.

وأخيراً استطاع مالك الأشتر وأنصاره من تدمير صفوف جيش الشام وتحطيم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۳۴

كلّ مقاومة أمامهم وقتلوا حملة الألوية، فوصلوا إلى الخيام، وقد استمرّ القتال حتّى تلك الليلة التى سمّيت «ليلة الهرير»[۱۴۶].

وفى هذه المعركة كان مالك الأشتر قائداً على ميمنة الجيش، وابن عباس على الميسرة، والإمام علىّ عليه السلام بالقلب وقد لاحت

بوادر النصر المؤزّر على ضدّ جيش الشام، وبلغ معاوية الخبر فطلب عمرو بن العاص وقال له: ياعمرو إنّما هى الليلة حتّى يغدو علىّ علينا بالفيصل، فماترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافونك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن إلقِ إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، إدعهُم إلى كتاب اللّه حكماً فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغ حاجتك فى القوم، وإنّى لم أزل أُؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرف معاوية ذلك وقال له: صدقت.

وهكذا وقع ما كان يخشى منه ممّا أسلفنا بيانه [١٤٧].

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ١٣٥

## الرسالة ١١

### اشارة

وَصّى بِها جيشاً بَعَثَهُ إلَى الْعَدُوِّ[١٤٨]

### نظرة إلى الرسالة

نقرأ فى شرح سند هذه الرسالة أنّها تمثّل قسماً من رسالة أرسلها الإمام عليه السلام إلى رجلين من قادة جيشه عندما تحرّك الجيش نحو صفّين، وتقدّم أنّ الإمام عليه السلام جعل مالك الأشتر أميراً على هذين الرجلين.

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة عن جميع الأمور الهامّة التى تتعلّق بأساليب القتال والدفاع فى مواجهة العدوّ وكيفية الاستفادة من الفرص وتجنب الوقوع فى كمين الأعداء وكيفية حماية أفراد الجيش فى الليل عند استراحة المقاتلين، وغير

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ١٣٦

ذلك من المسائل الدقيقة التى تتّصل بمسؤوليات القيادة العسكرية، والحقيقة أنّ دقة نظر الإمام عليه السلام هنا إلى درجة من العمق بحيث أنّ هذه التوصيات والتعليمات للإمام عليه السلام يمكن الاستفادة منها فى الجيش الإسلامى فى كلّ عصر وزمان.

***

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ١٣٧

فَإذَا نَزَلْتُم بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِى قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً. وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِى صَيَاصِى الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ، لِئَلَّا يَأْتِيكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً.

### الشرح والتفسير: الاستعداد الصحيح للجيش

يبيّن الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة والتوصية العسكرية سبعة تعاليم وتوصيات عسكرية مهمّة، وكيفية المواجهة الدقيقة لجيش

الأعداء، وضمان النصر على العدوّ، وهذا يبيّن دقّة نظر الإمام عليه السلام فى المسائل التى تتّصل بقيادة الجيش وترتيب وضعه العسكرى فى ميادين القتال. يقول الإمام عليه السلام: «فَإِذَا نَزَلْتُم بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِى قُبُلِ الْأَشْرَافِ ١٤٩]، أَوْ سِفَاحِ ١٥٠] الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ[١٥١] الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٣٨

رِدْءاً[١٥٢]، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً[١٥٣]».

ويبيّن الإمام عليه السلام الغرض من هذه التوصية ويقول بأنّ الجيش إذا كان يتّخذ مواقع إلى جانب مرتفعات أو سفوح الجبال أو شواطىء الأنهار، فمن البعيد أن يستطيع العدوّ محاصرة الجيش الإسلامى أو بياغته بالهجوم عليه من الخلف، وبذلك يستطيع الجيش المحافظة على استعداده الكامل وعدم حدوث الخلل والاهتزاز فى صفوفه.

ويبيّن الإمام عليه السلام فى هذا التوصية نقطتين فى مقام الاستدلال، الاولى أنّ مثل هذا الموقف يساهم فى تقويتكم ورصّ صفوفكم، والأخرى أنّه يعيق هجوم العدوّ عليكم، ومفهوم الجملة الثانية واضح لأنّ العدوّ فى مثل هذه الظروف لا يستطيع أن يهجم على الجيش من الخلف، وأمّا مفهوم الجملة الاولى فربّما يكون المراد أنّ الجيش إذا اتّخذ موقعاً إلى جانب المرتفع وسفح الجبل، فإنّ حركته باتّجاه العدوّ ستكون أسهل وأيسر، وحركة العدوّ باتّجاه الجيش الإسلامى ستكون أصعب وأعسر، وطبعاً مثل هذا الكلام إنّما يصدق فى موارد الأراضى الجبلية والتى تكثر فيها المرتفعات.

ويحتمل أيضاً فى معنى كلمة «مردّاً» أن يكون المراد منها محل العودة إذا أرادت مجموعة منكم العودة والتقهقر أمام العدوّ لفترة معينة لغرض الاستراحة واستعادة القوّة فإنّ سفوح الجبال وأمثالها سيكون محلًّا مناسباً لهذا الغرض والتهيؤ للهجوم مرّة أخرى على العدوّ.

ولا ينبغى الغفلة عن هذه النقطة، وهى أنّ اتّخاذ مثل هذا الموضع العسكرى يتمتّع بميزة ثالثة، وهى أنّ الأفراد الجبناء من الجيش قلّما يستطيعون العثور على مهرب للفرار من الزحف لوجود المانع الطبيعى خلفهم، فلا يجدون بدّاً من الصمود والمواجهة.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٣٩

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية الثانية، ويقول: «وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ».

فتعدّد الجهات ومحاور القتال من شأنه إضعاف قوّة الجيش وبعثرة طاقاته فيكون من اليسير إيجاد ثغرة فى صفوفه، ولهذا السبب فإنّ أحد فخاخ العدو فى الماضى والحاضر لكسر مقاومة المخالفين، السعى لإيجاد جبهات متعدّدة فى الميادين العسكرية أو السياسية لإضعاف قوّة الخصم وتشتيت طاقاته، وربّما لا يكون المراد من جبهتين مختلفتين بأن تكون جبهة واحدة إلى الشرق أو إلى الغرب مثلًا، بل يتمّ التحرّك على جبهتين بشكل دائرة تذهب مجموعة من جهة يمين العدو ومجموعة أخرى من جهة الشمال لمحاصرة العدوّ بشكل تامّ.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية الثالثة ويقول: «وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِى صَيَاصِى ١٥٤] الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ ١٥٥] الْهِضَابِ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ».

يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية إلى أمرين مهمّين لابدّ من الأخذ بهما بالحسبان، أحدهما قمم الجبال والأخرى أعالى الهضاب والمرتفعات، لأنّ هذه المواقع تتمتّع بإشراف كامل على جميع الجهات، فالشخص الناظر من هذا الموقع يستطيع رؤية جميع النقاط التى يتحرّك فيها الجيش.

والتعبير ب «مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ ناظر إلى احتمال هجوم الأعداء بغتة، ويكون من المنطقة المتوقعة منها، وعلى ضوء ذلك يجب على المراصد أن ترى جميع هذه النقاط.

ويشير الإمام عليه السلام فى التوصية الرابعة إلى إحدى التقسيمات المهمّة للجيش التى

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٤٠

تشكّل المكوّنات الأساسية له، يقول: «وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ».

وقد كان متداولًا فى الماضى أنّ الجيش لا يتحرّك كلّه مرّة واحدة، بل تتحرّك مجموعة من الصفوة أمام الجيش بوصفها مقدمة له، ومن بين أفراد هذه المجموعة الشجعان وأكثر القوم خبرة بامور الحرب، واطّلاعاً على مسيرة الجيش بوصفهم مخبرين وطلائع الجيش الذين يمثّلون فى الواقع القوى المعلوماتية والاستخباراتية لمركز القيادة، وبمجرّد الاطّلاع على وضع العدو ومكان تواجده يخبرون القيادة بذلك لاتّخاذ الموقف المناسب.

وفى التوصية الخامسة يحذّر الإمام عليه السلام بشدّة من الفرقة والاختلاف ويقول:

«وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً».

وبما أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه التوصيات والتعاليم العسكرية إلى «زياد بن النضر الحارثى» و «شريح بن هانىء» اللذين يمثّلان مقدّمة الجيش وطلائعه، فمراده من هذا الكلام هو أنّ مقدّمة الجيش يجب عليها اجتناب التسرّع ولزوم العمل من موقع الانسجام والتجانس لئلّا يدبّ فيهم الضعف والفتور.

ويبيّن الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة نمط وكيفية الاستراحة الليلية للجيش ويقول: «وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً[۱۵۶]» أى بصورة دائرية حول الجيش بحيث يكون الجيش فى الوسط.

وهذا هو الشىء المتداول فى التعاليم العسكرية فى العالم المعاصر، سواء فى ميدان القتال أو فى غيره، بحيث يستدعى بعض أفراد الجيش ليقوم بواجب الحماية الليلية ومهمّة الخفر والعمل على مراقبة الأوضاع بالتناوب، سواءً فى المعسكرات أو فى الأماكن الحسّاسة والمراكز المهمّة داخل المدن، وبمحض الإحساس بالخطر،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۱

يجب عليهم إنذار القيادة وإخبارها بتفاصيل الحدث، وهذا هو ما يطلق عليه فى هذا العصر بقوى الحراسة.

وفى التوصية السابعة والأخيرة يوجّه الإمام عليه السلام خطابه إلى جميع أفراد الجيش بأن لا يغرقوا أثناء الاستراحة الليلة فى نوم عميق كما هو حال النائم فى بيته، ويقول: «وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً» كما يتمضمض الإنسان بالماء جرعة بعد جرعة.

وهذا بالضبط كما ينتظر الشخص مسافراً أو ضيفاً عزيزاً يريد القدوم عليه ليلًا، فنراه لا ينام بشكل عميق، بل تأخذه سِنة وينتبه، ثمّ يعود إلى النوم بشكل خفيف، ثمّ ينتبه أيضاً، فينبغى على جيش الإسلام أن يكون كذلك فى استراحته الليلية فى مقابل العدوّ لئلّا يباغته العدو ويُغير عليه ويستطيع إنزال أكبر الضرر والخسائر فى صفوف الجيش، وهذا هو معنى تشبيه النوم بالغرار أو المضمضة حيث يدير الشخص الماء فى فمه ولا يرتوى منه تماماً.

وطبعاً إنّ هذه النقاط السبعة الدقيقة فى بيان الإمام عليه السلام تمثّل توصيات لمقدّمة الجيش وكيفية حركته باتّجاه المواجهة، وأمّا التوصيات والتعاليم التى تتّصل بميدان الحرب والقتال، فقد سبق أن بيّنها الإمام عليه السلام فى الخطب والرسائل السابقة (انظر الخطبة ۱۱ فى الجزء ۱، ص ۴۸۷، والخطبة ۶۶ فى الجزء ۳، ص ۹۱ فصاعداً، والخطبة ۱۲۴، الجزء ۵، ص ۲۵۷ فصاعداً).

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۳

## الرسالة ۱۲

### اشارة

وَصّی بِها مَعْقِلِ بْنِ قیسِ الرِّیاحی حینَ أَنْفَذَهُ إِلَی الشام

فی ثَلاثَهِ آلافٍ مُقَدّمةً لَهُ ۱۵۷]

## نظرهٔ إلی الرسالهٔ

هـذه الرسالـهٔ التی کتبها الإمام علیه السلام لأحد قوّاد جیشه تبتدیء کما فی سائر الرسائل الأخری لقادهٔ الجیش، فی التوصـیهٔ بالتقوی والورع، والتأکید علی التقوی التی تمثّل أصلًا وأساساً لسعادهٔ الإنسان ومسیرته المعنویهٔ فی الحیاهٔ، ثمّ یبیّن الإمام بعض التوصیات فیما یتصل بتعبئهٔ القوی وکیفیهٔ حرکهٔ الجیش باتّجاه العدو وبدایهٔ الإلتحام معه فی المیدان.

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۱۴۴

ثمّ یؤکـد الإمام علیه السـلام فی هذه الرسالهٔ کراراً أن لا یبتدیء جیش الإسـلام بالقتال وأن لا یقتربوا من العدو بحیث یتصوّرون أنّهم یریدون أن یهجموا علیهم ولا یبتعد عنهم بحیث یتبادر إلی ذهن العدوّ أنّ هذا التباعد ناشـیء من الضعف والجبن، ویوصی أیضاً بعدم إنهاک الجنود فی المسیر، فلابـدّ من أخـذ قسط من الراحهٔ فی بدایهٔ اللیل وفی أوقات السـحر، وکذلک القیلولهٔ فی وسط النهار حیث ترتفع درجـات الحرارهٔ و ...، وهنـاک وصایـا أخری فی هـذه الرسالـهٔ کلّهـا تشـیر إلی الروح العالیـهٔ للإمـام علیه السـلام وحبّه للصـلح واستتباب الأمن وضرورهٔ رعایهٔ الأخلاق الإسلامیّهٔ حتی فی مقابل العدوّ الغاشم.

***

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۱۴۵

اتَّقِ اللّهَ الَّذِی لَابُدَّ لَـکَ مِنْ لِقَـائِهِ، وَلَا مُنْتَهی لَکَ دُونَهُ. وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَکَ. وَسِـرِالْبَرْدَیْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ فِی السَّیْرِ، وَلَا تَسِـرْ أَوَّلَ اللَّیْـلِ، فَإِنَّ اللّهَ جَعَلَهُ سَـکَناً، وَقَـدَّرَهُ مُقَاماً لَاظَعْناً، فَأَرِحْ فِیهِ بَـدَنَکَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَکَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِینَ یَنْبَطِـحُ السَّحَرُ، أَوْ حِینَ یَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِـرْ عَلَی بَرَکَـهِٔ اللّهِ. فَإِذَا لَقِیتَ الْعَـدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْـحَابِکَ وَسَـطاً، وَلَا تَـدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ یُرِیدُ أَنْ یُنْشِبَ الْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ یَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّی یَأْتِیَکَ أَمْرِی، وَلَا یَحْمِلَنَّکُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَی قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَیْهِمْ.

## الشرح والتفسیر: تعلیمات ضروریهٔ قبل التوجّه إلی المیدان

فی بدایهٔ هذه الرسالهٔ یوصـی الإمام علیه السلام قائد جیشه «معقل بن قیس» بتقوی اللّه تعالی ویقول: «اتَّقِ اللّهَ الَّذِی لَابُدَّ لَکَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهی لَکَ دُونَهُ».

وهذه العبارات فی الحقیقهٔ مقتبسهٔ من التعالیم القرآنیهٔ حیث یقول تعالی:

«وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ مُلاقُوهُ»[۱۵۸] و یقول فی آیهٔ أخری: «وَأَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی [۱۵۹].

أجل، فأینما تکونوا ومَن تکونوا فإنّه لابدّ أن تکون العاقبهٔ لقاء اللّه عزّ وجلّ والحضور فی محکمهٔ العدل الإلهیّ حیث یحاسب الإنسان علی ما قدّم وأخّر فی حیاته من أعمال وأقوال وسلوکیات فی حرکهٔ الحیاهٔ.

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۱۴۶

وعندما یبتدیء الإمام علیه السلام رسالته بالتوصیهٔ بتقوی اللّه والتفکیر بالمعاد، فإنّه یترتّب علی ذلک آثار مختلفهٔ، فإنّه من جههٔ یؤدّی إلی تطبیق وترجمهٔ التعالیم والتوصیات الواردهٔ فی هذه الرسالهٔ بدقّهٔ، ومن جههٔ أخری، بما أنّ محتوی هذه الرسالهٔ والبرنامج العسکری للجیش هو الجهاد فی سبیل اللّه والسیر إلی اللّه، فإنّ التوصـیهٔ بالتقوی من شأنها أن تبعث الروحیهٔ والمعنویهٔ فی أفراد الجیش ویکونوا

على استعداد تام لمقاتلة العدوّ والتصدّى لقوى الانحراف والضلالة بشكل أقوى.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى عشر نقاط عسكرية فيما يتّصل بإرسال القوّات إلى ميدان القتال وكيفية مقاتلة الأعداء ومجابهة قوى الباطل والتى هى فى الحقيقة تعتبر من مقدّمات النزال فيما يخصّ الاستعداد للحرب، ويقول فى البداية: «وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَکَ».

هذا هو الدستور الأول فى تعاليم الإسلام العسكرية، ويبيّن روحية الصلح وطلب السلم للإنسان المسلم الذى لا يحبّ البدء بالقتال، فما لم يبدأ العدوّ بالحرب والقتال فلا ينبغى للمسلمين أن يسبقوهم بالقتال، يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[۱۶۰].

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الدستور الثانى والثالث والرابع ويقول: «وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ ۱۶۱]، وَغَوِّرْ[۱۶۲] بِالنَّاسِ، رَفِّهْ ۱۶۳] فِى السَّيْرِ»، أى أنّ المسير بالجيش ينبغى أن يتزامن مع الأجواء المناسبة فى وقت الصباح والعصر حيث يبرد الهواء نسبياً فى هذين الوقتين، فيما تكون الاستراحة عند وقت الظهيرة حيث ترتفع حرارة الجو، ومن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۷

البديهىّ أنّ السير السريع والاستعجال فى لقاء العدوّ بدون ملاحظة حرارة الجوّ وبرودته ووقت الاستراحة من شأنه أن يثير فى أفراد الجيش التعب والضعف وبالتالى عدم مقاومة العدو ومجالدته بالشكل المطلوب.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى الدستور الخامس والسادس من هذه التوصيات ويقول: «وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَاظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَکَ، رَوِّحْ ظَهْرَکَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ ۱۶۴] السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ».

وهذا الكلام إشارة إلى ما ذكره القرآن الكريم فى أكثر من مورد حيث يؤكّد على أنّ اللَّه تعالى جعل الليل مصدراً للسكون والدعة والراحة: «فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً»[۱۶۵]، ومثل هذا المضمون ورد فى سورة يونس فى الآية ۶۷، وسورة القصص، الآية ۷۳، وسورة غافر، الآية ۶۱ وغير ذلك من الآيات الشريفة.

وهنا ربّما يفرض هذا السؤال نفسه وهو أنّ القرآن الكريم ذكر حقيقة أنّ الليل مصدر السكون والراحة للإنسان، فى حين أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن بداية الليل واستثنى وقت السحر.

والجواب على هذا السؤال يتبيّن من خلال الإلتفات إلى هذه الحقيقة وهى أنّ المراد من الليل جميع ساعاته باستثناء السحر وهو الوقت القليل من آخره، ويستفاد من التعاليم الإسلاميّة فى العبادات فيما يتّصل بصلاة الليل أنّ آخر الليل مستثنى من هذا الوقت، وهو وقت التنبه واليقظة والحركة والجديّة والاستغفار والتوبة، فلا يشمله مفهوم الليل الذى جعله اللَّه سكناً كما ورد فى الآية الشريفة: «وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ»[۱۶۶].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۸

وعندما يؤكّد الإمام عليه السلام على أوّل الليل، فالظاهر أنّ الكثير من الناس عندما يبتدئون بعمل معين وقت العصر، فإنّهم يستمرّون بالعمل إلى ساعات من الليل، فيقول الإمام عليه السلام: عندما يبتدىء الليل توقّف عن المسير، وقف للصلاة، ثمّ عليك بأخذ قسط من الراحة.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ جملة «رَوِّحْ ظَهْرَکَ إشارة إلى لزوم إراحة الخيل والجمال التى يطلق عليها بالظهر لمناسبة الركوب، وذهب البعض الآخر إلى أنّه إشارة إلى الجمال المحمّلة بما يحتاجه الجيش من المؤن ولوازم السفر، ولكن لا مانع من أن يكون المراد كلا هذين الأمرين.

وينبغى الالتفات إلى أنّ أحد معانى «الظهر» الحيوانات التى يحمل عليها الإنسان لوازمه وحاجاته أويستخدمها للركوب أيضاً، وأمّا ما ذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ معنى الظهر يختصّ بالإبل التى تحمل المؤن، أو بالخيل التى يركب عليها الإنسان، فلا وجه له.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى الأمر السابع والثامن والتاسع من هذه التوصيات ويقول:

«فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ ١٦٧] الْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِى».

عندما يقف قائد الجيش فى الوسط والمحور من القوّات العسكرية فإنّ ذلك من شأنه أن يمنح أفراد الجيش قوّة وعزماً واستقامة فى مواجهة العدو، ومن جهة أخرى يتيح له إيصال أوامره وتوصياته إلى أفراد الجيش كافّة.

وفى الدستور العاشر يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ ١٦٨] عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۴۹

دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ[١٦٩] إِلَيْهِمْ»، أى أنّ حالة العداء والبغض والكراهية للعدو لا ينبغى أن تكون الدافع على قتالهم قبل الإعذار ودعوتهم للصلاح وإتمام الحجّة عليهم.

## تأمّل: من هو معقل بن قيس؟

ذكر بعض المؤرّخين أنّ معقل كان رجلًا شجاعاً من أهل الكوفة، وكان قائداً لأحد جيوش الإسلام فى زمن عمر بن الخطّاب، وكان من شيعة أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام، وقد اختاره الإمام ليكون قائداً على إحدى الكتائب فى الجيش وفى معركة الجمل كان أحد امراء الجيش أيضاً، وأمّا بالنسبة لإيمانه وإخلاصه فيكفى أنّ أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام عندما اجتمع بالجيش قبل معركة صفّين فى منطقة النخيلة فى منزل (على مقربة من الكوفة) ألقى الإمام عليه السلام خطبة بجيشه فيما يتّصل بالجهاد ضد المتمرّدين من أهل الشام، فقال معقل: «وَاللَّهِ يا اميرالْمُؤْمِنينَ لا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ إلّاظَنينٌ وَلا يَتَرَبَّصُ بِكَ إلّامُنافِقٌ».

وورد فى بعض الروايات أنّ أحد الخوارج ويدعى «مستورد» برز لمعقل فى إحدى المعارك وكان بيد هذا الخارجىّ رمح وبيد معقل سيف، فطعن مستورد معقلًا برمحه، لكنّ معقل استطاع ضربه بالسيف على رأسه، وسقط الرجلان على الأرض صريعين، وفاز معقل بالشهادة وذهب مستورد إلى جهنّم وبئس المصير.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۱

## الرسالة ۱۳

### اشارة

إلى أَميرَيْنِ مِنْ أُمَراءِ جَيْشِهِ ١٧٠]

### نظرة إلى الرسالة

تبيّن هذا الرسالة فى الحقيقة أمرين: الأول: التوصية التى أمر بها الإمام هذين القائدين فى الجيش فى اتّباع مالك الأشتر والحركة ضمن أوامره وقيادته، والآخر:

تبيّن بعض صفات مالك الأشتر التى جعلته جديراً ولائقاً لقيادة الجيش.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۳

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِى حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنًّا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَايُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْ ءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

## الشرح والتفسير: مالک الأشتر القائد الفذّ

يشير الإمام عليه السلام فی هذه الرسالة التی کتبها إلی زياد بن النضر و شريح بن هانیء أنّ الوظيفة الاولی والمهمّة لهما هی اتّباع مالک الأشتر وأنّه منصوب من قِبل الإمام علیّهما وعلی سائر أفراد الجيش، ويقول: «وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا[۱۷۱] مَالِکَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا».

ثمّ يضيف عليه السلام: «وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً[۱۷۲]، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَايُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ ۱۷۳] وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ۱۷۴]، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ ۱۷۵]».

يستفاد من تعبير الإمام عليه السلام أعلاه أنّ قائد الجيش ينبغی أن يکون مطّلعاً محافظاً بشکل تامّ علی أفراد جيشه کما يکون الدرع حافظاً لصاحبه من ضربات الحديد، وبذلک يتمکّن الجيش من التقليل من خسارته للحدّ الأدنی فی القتلی والجرحی.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۴

والنقطة الأخری فی هذه توصية أنّ الإمام عليه السلام ذکر فيها أربع خصوصيات يتمتّع بها مالک الأشتر، بحيث إنّ القائد العسکری لو اجتمعت فيه هذه الخصال فإنّه يکون جديراً بالقيادة ولائقاً بإمرة الجيش:

۱. أن لا ـ يشعر بالضعف والوهن فی مقابل هجوم العدوّ والظروف الصعبة التی يفرضها الواقع العسکری عليه، بل يتحلّی بالجرأة والاستقامة کالجبل الراسخ أمام العواصف العاتية.

۲. أن لا ـ يخطیء فی الحسابات العسکرية بل يأخذ بنظر الاعتبار جميع المواقع لقوّاته وقوّاتالعدو ويتحرّک وفقاً لما يمليه عليهالواقع الميدانی لإحراز النصر علی العدو.

۳. إنّ الدقائق وحتی اللحظات ربّما تکون مصيرية فی حسم المعرکة وإحراز النصر، وينبغی للقائد أن يتحرّک بدقّة وبسرعة تامة فی الوقت المناسب دون أدنی تأخير أو استعجال، فالقائد الفذ يجب أن يعرف هذه اللحظات والدقائق المصيرية ويتحرّک وفقاً لهذه الخبرة والتجربة الميدانية.

۴. وقد تأتی لحظات فی ميدان القتال يکون فيها التباطؤ والتمهّل أفضل من العجلة والتسرّع، مثلًا عندما يتربّص أفراد الجيش فی الکمين لإيقاع العدو فی المصيدة، فلو تسرّعوا فی إيقاعه فربّما يفلت من المصيدة ويحسّ بوجود کمين له، ففی مثل هذه الموارد ينبغی التعامل مع الحدث بأعصاب باردة.

ومعلوم أنّ القائد الذی يتمتّع بهذه السمات الأربع هو قائد فذّ ولائق لتسنّم قيادة الجيش وإحراز النصر، وهذه هی الصفات التی کان مالک الأشتر يتمتّع بها مضافاً إلی الصفات الأخری أيضاً.

## تأمّلان

### ۱. مالک الأشتر المدير والمدّبر الشجاع

بالنسبة لمالک الأشتر وسيرته وحالته فسنتحدّث عنه بإذن اللَّه فی شرح الکتاب

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۵

المرقم ۵۳ من نهجالبلاغة وهو الکتاب المعروف بعهد مالک الأشتر، وهنا نشير فقط إشارة موجزة إلی بعض صفاته وخصائصه الکريمة.

يتحدّث ابن أبیالحديد فی نهاية هذه الرسالة تحت عنوان «نُبَذٌ مِنَ الْأَقْوالِ الْحَکِيمَةِ» عن بعض المسائل المتعلّقة بالإدارة وتدبير أمور المجتمع، ونقل فی هذا المجال کلمات عن شخصيّات متعدّدة، ثم قال فی ختام کلامه: لقد جمع أميرالمؤمنين عليه السلام من أصناف

الثناء والمدح ما فرّقه هؤلاء فى كلماتهم بكلمة واحدة فى الأشتر وهى قوله: «لا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ».

وفى ذيل هذا الكتاب يقول: وقد روى المحدّثون حديثاً يدلّ على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه اللَّه، وهى شهادة قاطعة من النبىّ بأنّه مؤمن. وذلك عندما كان أبوذرّ فى الربذة وقد حان أجله وكانت زوجته قد احتارت فى أمر موته وتجهيزه وغسله ودفنه وهى ترى نفسها وحيدة فى الصحراء القاحلة، فقال أبوذر لها: ما يبكيكِ، فقالت: ما لى لا أبكى وأنت تموت فى فلاة من الأرض .. فقال: أبشرى ولا تبكى فإنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً» وسمعت أيضاً رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلّاوقد مات فى قرية وجماعة وأنا لا أشك فى ذلك الرجل، واللَّه ما كذبت ولا كُذبت، فانظرى الطرق.

قالت ام ذرّ: قلت: أنّى وقد ذهب الحاجّ وتقطّعت الطرق! فقال: اذهبى فتبصّرى، قالت: فكنت أشتدّ إلى الكثيب، فأصعد فانظر، ثم أرجع إليه فأمرّضه، فبينا أنا وهو على هذه الحال إذ أنا برجال على ركابهم كأنّهم الرَّخم تخبّ بهم رواحلهم، فأسرعوا إلىَّ حتّى وقفوا علىَّ وقالوا: يا أمة اللَّه! ما لكِ؟ فقلت: امرء من المسلمين يموت تكفّنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قلت: أبوذرّ، قالوا: صاحب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۶

قلت: نعم، ففدّوه بآبائهم وامهاتهم، وأسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه، فقال لهم:

أبشروا، فإنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: لنفر أنا فيهم: ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلّاوقد هلك فى قرية وجماعة، واللَّه ما كذبت ولا كُذّبت، ولو كان عندى ثوب يسعنى كفناً أو لامرأتى لم اكفّن إلّافى ثوب لى أو لها، وأنى أنشدكم اللَّه ألّا يكفّننى رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً!

قالت: وليس فى أولئك النفر أحد إلّاوقد قارف بعض ما قاله، إلّافتىً من الأنصار قال: أنا اكفّنك ياعمّ فى ردائى هذا، وفى ثوبين معى فى عيبتى من غزل امّى، فقال أبوذرّ: أنت تكفّننى، فمات فكفّنه الأنصارىّ وغسّله النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه ....

ثم ينقل ابن أبى‌الحديد عن ابن عبدالبرّ فى كتاب «الاستيعاب»، أنّ تلك الجماعة حضروا فجأة بعد وفاة أبى‌ذرّ وكان من جملتهم «حجر بن عدىّ» و «مالك الأشتر» وحجر بن عدىّ هو الذى قتله معاوية وكان من كبار رموز الشيعة ورجالهم [۱۷۶].

وهذا الحديث الشريف يدلّ دلالة واضحة على عظمة أبى ذرّ وكذلك مالك الأشتر، وسيأتى لاحقاً تفصيل أكثر عن هذه الشخصية الإسلاميّة العظيمة والذى يعدّ من أخلص أصحاب الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام وقد ذكره الإمام فى أربعة مواضع أخرى من «نهج‌البلاغة»، منها ما ورد فى الكتاب ۳۴ و ۳۸ و الكلمات القصار ۴۴۳ وذيل الكتاب ۵۳ (عهد مالك الأشتر) الذى سوف يأتى تفصيل ذلك لاحقاً إن‌شاءاللَّه.

### ۲. شريح بن هانىء الحارثى وزياد بن النضر

سبق وأن ذكرنا أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة الموجزة والزاخرة بالمعانى لرجلين من قادة جيشه عندما أرسلهما إلى ميدان معركة صفّين، بالنسبة للشخص

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۵۷

الأول، يعنى شريح بن هانىء، يقول ابن عبدالبر فى «الاستيعاب»: كان من الأشخاص الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وهو من صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ومن كبار أصحاب الإمام علىّ صلى الله عليه و آله وأنصاره المقرّبين الذين رافقوا الإمام فى جميع ميادين الحرب [۱۷۷].

وذكر الذهبى فى تاريخه: وفى سنة ثمان وسبعين ولّى الحجاج عبيداللّه بن أبى بكرة سجستان فوجّه أبابرذعة، فأخذ عليه (على شريح) المضيق، وقتل شريح بن هانىء، وقال القاسم بن مخيمرة: ما رأيت حارثياً أفضل من شريح بن هانىء[۱۷۸].

أمّا بالنسبة لزياد بن النظر القائد الثانى من قادة جيش الإمام عليه السلام فالمرحوم المحقّق النمازى الشاهرودى يقول عنه فى «مستدرك علم رجال الحديث»: كان من أركان أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام أمّره أميرالمؤمنين على مذحج والأشعريين وأوصاه بوصايا، فقال: أوصيت ياأميرالمؤمنين حافظاً لوصيّتك مؤدّباً بأدبك، يرى الرشد فى نفاذ أمرك والغىّ فى تضييع عهدك، فبعث أميرالمؤمنين مع شريح ابن هانىء اثنى عشر ألفاً على مقدّمته، فلما سارا اختلفا وكتب كلّ منهما إليه يشكو صاحبه.

ويقول الطبرى فى تاريخه أنّه عليه السلام قال للأشتر: اجعل على ميمنتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً .. وارسال أميرالمؤمنين عليه السلام إيّاه للاحتجاج مع الخوارج. وأضاف:

ويستفاد من ذلك كلّه علمه وكماله وديانته وعدالته ۱۷۹].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۵۹

## الرسالة ۱۴

### اشارة

لِعَسْكَرِهِ قِبَلَ لِقاءِ الْعَدُوِّ بِصِفّين ۱۸۰]

### نظرة إلى الرسالة

هذه الرسالة حالها حال الرسائل السابقة تتضمّن سلسلة من التعاليم الأخلاقية والمثل الإنسانية فيما يتّصل بالحرب مع العدو، والتعاليم المذكورة هنا تبيّن روح العطف الإنسانى والرأفة الإسلاميّة، وتدلّ على أنّه لا ينبغى الغفلة عن القيم الأخلاقية فى جميع الموارد، حتى فى ميدان الحرب، والتوصيات المتداولة فى العالم المعاصر بعد مرور أربعة عشر قرناً تعدّ بداية المسير فى طريق الأخلاق

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۶۰

والمعنوية، وتتضمن بعض ما ورد فى هذه الرسالة القيمة من توصيات أخلاقية، مع أنّ هذه التعاليم المعاصرة لم تترجم على أرض الواقع العملى إطلاقاً.

وسنلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد كثيراً على رعاية النساء وأن لا يلحق بهنّ أىّ ضرر أو أذى حتّى لو شتمن أفراد الجيش الإسلامى، ونطقن بكلمات لا مسؤولة عن قادة الإسلام، وفى هذه التوصيات والإرشادات نرى أنّ أول ما يؤكّد الإمام عليه السلام هو أن لا يبتدىء أصحابه بالقتال والحرب، وهذه التوصية نراها فى توصيات الإمام عليه السلام لأصحابه وأتباعه.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۶۱

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ؛ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ

بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

## الشرح والتفسير: فصل آخر من القيم الأخلاقية فى الحرب

ثمّة خلاف بين شرّاح «نهج‌البلاغة» والمؤرّخين فى المخاطبين لهذه الرسالة هل هم أتباعه فى معركة الجمل أم فى صفّين، المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار[١٨١] يرى أنّ هذه الوصيّة ترتبط بمعركة الجمل رغم أنّه نقلها فى مورد آخر فى ما يتّصل بمعركة صفّين، ويرى المسعودى فى مروج الذهب أنّ هذه الرسالة تعود إلى معركة الجمل.

وقد ذهب ابن ميثم فى شرح نهج‌البلاغة لإيجاد حلٍّ لهذه المشكلة وقال:

«إنّه عليه السلام كان يوصى أصحابه فى كلّ موطن يلقون العدوّ فيه بهذه الوصيّة».

وذكر نصر بن مزاحم فى كتاب صفين والطبرى فى تاريخه قبل ابن ميثم هذا المعنى أيضاً، وبما أنّ محتوى هذه الرسالة يمثّل دستوراً عاماً للجيش الإسلامى،

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٦٢

فلا يبعد أن يكون هذا الكلام صحيحاً.

وعلى أيّة حال فالإمام عليه السلام فى هذه الرسالة يؤكّد على خمسة أمور:

الأوّل: يقول عليه السلام: «لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِاللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ»، فأنتم من أتباع إمام يتفق على مشروعيته وحقانيته البارى تعالى وجميع المؤمنين، فلا يكون بدؤكم بالقتال حجّة لهم ضدّكم، وترككم لهم حتى يكون البادىء هو العدو يمّثل حجّة أخرى تدعم موقفكم ومشروعيتكم وحقانيتكم.

وهذه التوصية قد تقدّم بها النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أيضاً لجيش الإسلام وكانت نتيجة ذلك كما بيّنه الإمام عليه السلام فى هذا الكلام أنّ جيش الإسلام يمتلك حجّتين وبرهانين ضدّ العدو، الأوّل أنه تابع للنبىّ الأكرم أو الإمام الذى يتمتّع بمشروعية وحقانية تقوم على أساس الموازين الصحيحة والمنطقية، والآخر أنّ العدو عندما يبتدىء الحرب والقتال يقدّم عملياً دليلًا آخر ضدّه، لأنّه يكون سبباً فى قتل الأبرياء والسعى فى إشعال نار الفتنة وإيجاد الفساد فى الأرض وبالتالى يكون مصداقاً لمن حارب اللَّه ورسوله، لأنّ كلّ شخص جرّد السلاح على الأبرياء من الناس وسفك الدماء، فهو محارب، وحينئذٍ سيكون مشمولًا للآية الشريفة: «إِنَّمَا جَزآءُ الَّذينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَساداً ...»[١٨٢].

ومضافاً إلى ذلك يكون مصداقاً للآية الشريفة: «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ»[١٨٣].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتحدّث عن ثلاث توصيات مهمّة فى هذه المجال ويقول:

«فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً[١٨٤]، وَلَا

نفحات الولاية، ج٩، ص: ١٦٣

تُجْهِزُوا[١٨٥] عَلَى جَرِيحٍ».

إنّ هذه التوصيات الثلاثة تتسم بالطابع الأخلاقى بشكل كامل لأنّ الغرض من الحرب هو كسر مقاومة العدو والتصدّى لحركته، لا مجرّد الانتقام، فالشخص الذى فرّ من الميدان وترك القتال فلا معنى لقتله، وكذلك الشخص العاجز الذى عجز عن المقاومة فإنّ الاجهاز عليه وقتله يتنافى مع المثل الإنسانية والقيم الأخلاقية، كالشخص الذى فقد سلاحه فى المعركة أو عجز عن القتال وحمل السلاح ضدّ الجيش الإسلامى، فلا يمثّل خطراً على أفراد الجيش، ومن هذا القبيل الجريح الذى سقط ولم تبق له قدرة على المقاومة والقتال، فالإجهاز على مثل هؤلاء يتقاطع مع المبادىء الإنسانية.

ويثير العلّامة التسترى فى شرح نهج‌البلاغة هذا السؤال هنا، وهو أنّه يستفاد من بعض الروايات كالرواية التى ينقلها الكلينى فى (الجزء

الخامس من الكافى) أنّ الإمام علىّ عليه السلام أصدر مثل هذا الأمر فى معركة الجمل وأصدر أمراً بخلافه فى معركة صفّين وأذن بقتل الهاربين والمجروحين.

ولكن ورد فى رواية أخرى الجواب عن هذا السؤال، فالإمام الصادق عليه السلام يقول:

«لَيسَ لِأَهْلِ الْعَدْلِ أَنْ يَتْبَعُوا مُدْبِراً وَلَا يَقْتُلُوا أَسِيراً وَلَا يُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَهَذَا إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ أَحَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فَإِنَّ أَسِيرَهُمْ يُقْتَلُ وَمُدْبِرَهُمْ يُتْبَعُ وَجَرِيحَهُمْ يُجْهَزُ عَلَيْهِ»[۱۸۶].

وخلاصة الكلام أنّ رعاية هذه المبادىء الإنسانية والقيم الأخلاقية فى الحرب، ترتبط فى موارد يكون جيش العدو قد مُنىّ بالهزيمة وتبعثرت قواه وقدراته القتالية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۴

ولا يحتمل فى شأنه العودة إلى الحرب والهجوم مرّة أخرى، ونعلم أنّ العدو فى معركة الجمل كان قد مُنى بالهزيمة بحيث لا يحتمل أن يعود للقتال مرّة أخرى.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه ويتعرّض لبيان التوصية الخامسة حيث يقول: «وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ».

ويبيّن الإمام عليه السلام بعد ذلك علّة هذه التوصية ويقول: «فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ».

بما أنّ النساء يفقدن القدرة على القتال والمواجهة العسكريّة، فذلك من شأنه أن يكرّس الحقد فى قلوبهنّ فينطلقن بالسبّ والشتم للتنفيس عن هذا الحقد وإبراز العداء للطرف المقابل، وبما أنّ النسوة يتمتّعن بنفس ضعيفة وعقل ضعيف فستكون ترجمة انتقامهنّ من خلال السبّ والشتم والكلمات البذيئة، ولذلك لا ينبغى على ذوى العقل والحجى أن يردّوا عليهنّ بالمثل ويطلقوا ألسنتهم بالسبّ والشتم أيضاً، والمفروض أن يسمحوا لهنّ بتفريغ شحنات الغضب والحقد المكبوت من خلال السبّ والشتم حتّى تهدأ نفوسهنّ وتسكن عواطفهنّ، ومعلوم أنّ مواجهة مثل هذه النسوة بكلام مماثل فى مقابل كلماتهنّ من شأنه أن يثير فى أنفسهنّ العداوة والبغضاء أكثر ويهيج انفعالهنّ ضدّهم وربّما يدفعهنّ إلى الكفر.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسنّته فى مقابل نساء المشركين ويقول: «إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ» أى فى زمان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ثالثة فى هذ المجال ويقول: «وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ[۱۸۷] أَوِ الْهِرَاوَةِ[۱۸۸] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ ۱۸۹] مِنْ بَعْدِهِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۵

فإذا كان الناس فى عصر الجاهلية يقفون هذا الموقف من المرأة، وعندما يؤمر المسلمون بحفظ النفس وعدم الانفعال فى مقابل المشركين، ففى عصر ظهور الإسلام وفى مقابل النسوة المسلمات الجاهلات يكون من الضرورىّ ضبط النفس واللسان بطريق أولى.

وعندما يأمر الإمام عليه السلام أفراد جيشه بهذا الأمر الأخلاقى فى مقابل النساء، فإنّه بنفسه قد سبق الآخرين بالعمل بهذه التوصية وتجسيدها على أرض الواقع، فقد ورد فى تاريخ معركة الجمل أنّه عندما انتصر الإمام علىّ عليه السلام وجيشه على المتمرّدين والناكثين، وبينما كان عليه السلام يسير فى أزقّة البصرة، كانت زوجة عبداللّه بن خلف (أحد رجال البصرة المعروفين) واقفة أمام باب بيتها فالتفتت للإمام وقالت: «يا قاتِلَ الْأَحِبَّةِ لا مَرْحَباً بِكَ أَيْتَمَ اللَّهُ مِنْكَ وَلَدَكَ كَما أَيْتَمْتَ بَنى عَبْدِاللَّهِ بْنِ خَلَفَ» فلم يرد عليه السلام عليها، ولكنّه وقف وأشار إلى ناحية من دارها، ففهمت إشارته، فسكتت وانصرفت، وكانت قد سترت عندها عبداللّه بن الزبير ومروان بن الحكم، فأشار إلى الموضع الذى كانا فيه، أى لو شئت أخرجتهما! فلمّا فهمت انصرفت، وكان الإمام عليه السلام حليماً كريماً[۱۹۰].

## تأمّلان

### ۱. مکانة المرأة فی نهج‌البلاغة

یلاحظ القاریء لکتاب نهج‌البلاغة أنّ الإمام علیه السلام یذمّ النساء فی عدّة موارد من الخطب والرسائل والکلمات القصار، وقد فسرّ بعض الجهلاء ذلک علی أساس الضدّیة للنساء وأنّ الإمام علیه السلام یتّخذ موقفاً سلبیاً منهنّ، فی حین أنّ الشواهد والقرائن التی تقترن مع کلمات الإمام علیه السلام تشیر إلی أنّ الإمام کان ناظراً لمجموعة خاصة من النسوة، مثلًا وردت بعض هذه العبارات بعد معرکة الجمل حیث کانت إحدی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۶۶

زوجات النبیّ قد عملت علی إشعال نیران هذه الحرب الضروس، وهذا یشیر إلی أنّ الإمام علیه السلام کان ناظراً لمثل هذه المرأة التی انحرفت عن مسارها الصحیح وأضحت آلة بید الانتهازیین والعاملین فی الشأن السیاسی کطلحة والزبیر وهو الأمر الذی أدّی إلی سفک دماء آلاف المسلمین، وبعد أن خمدت نیران الحرب قام الإمام علیه السلام بإرسال هذه المرأة بغایة التکریم احتراماً للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله مع أخیها وجماعة من الحرس إلی المدینة.
وفی الرسالة مورد البحث أیضاً یتحدّث الإمام علیه السلام عن النسوة اللاتی یفتحن أفواههنّ بالسبّ والشتم وینطلقن من مواقع الانفعال ومواجهة جنود الإسلام بکلمات بذیئة، ویصفهنّ بأنّهن ضعاف العقول والنفوس.
فلو أخذنا بنظر الاعتبار القرائن الحالیة والمقالیة فی مثل هذه الموارد، فسوف یتبیّن الجواب عن هذه الإشکالات وعلامات الاستفهام.
ولذلک ورد فی الحدیث الشریف عن الإمام الباقر علیه السلام فی کتاب أصول الکافی أنّه قال بعد الإشارة إلی وجود العیب والنقص فی طائفة من النسوة: «إِلَّا الْمُسْلِمَاتُ مِنْهُنَّ»[۱۹۱].
وفی آخر عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال: «الامْرَأَةُ الصَّالِحَةُ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ غَیْرِ صَالِحٍ»[۱۹۲].
وجاء فی حدیث مفصّل عن الإمام الصادق علیه السلام فی کتاب الکافی تقسیماً جلیّاً للنساء، حیث یقرّر الإمام الصادق علیه السلام أنّ فئة من النسوة سبب لسعادة الرجال، وفئة أخری منهنّ یورثن الندم والخسران یقول: «فَمَنْ یَظْفَرْ بِصَالِحِهِنَّ یَسْعَدْ وَمَنْ یُغْبَنْ فَلَیْسَ لَهُ انْتِقَام»[۱۹۳].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۶۷

وهذه الروایات الثلاث المذکورة أعلاه، وکذلک روایات أخری فی هذا الباب من کتاب الکافی (باب أصناف النساء) تشکل قرینة واضحة علی ما اخترناه من تفسیر کلام الإمام علیّ علیه السلام فی نهج‌البلاغة فیما یتّصل بخصال النساء وأخلاقهنّ.

### ۲. الخلق الإسلامی فی مقابل العدو

إنّ ما ورد فی الرسالة أعلاه وبعض الرسائل السابقة واللاحقة أیضاً یبیّن بوضوح منهج الإسلام فی مواجهة العدو والأخلاق التی ینبغی للمجاهد المسلم أن یتحلّی بها فی میدان المعرکة، وهذا المنهج الذی یؤکّد علی المعاییر السلیمة والقیم الأخلاقیة فی مقاتلة الأعداء یتقاطع مع ما نراه فی المناهج المادّیة ومنهج أعداء الإمام علیه السلام الذین لا یراعون أیّ قید وشرط فی میدان القتال، ولا یلتزمون بأیّة قیمة أخلاقیة فی ساحة المواجهة، فتراهم یستخدمون أسوأ الوسائل ویرتکبون أبشع الأعمال من أجل الوصول لغایاتهم وتحقیق أهدافهم، ویسحقون أعلی المثل الإنسانیة والأخلاقیة تحت أقدامهم إذا لم تتحقّق لهم طموحاتهم، وهذا التباین والتفاوت یمکن ملاحظته بوضوح من خلال نمط واسلوب الإمام علیّ علیه السلام واسلوب معاویة فی السجال التاریخی بینهما.
وقد ذهب بعض المحللین فی الماضی والحاضر من الذین تأثّروا بالمذاهب المادیة والمصلحیّة أنّ هذا التفاوت یعدّ دلیلًا علی أفضلیّة

سياسة معاوية على سياسة الإمام عليه السلام.

وهنا لا بأس بالإشارة إلى كلام للجاحظ فى هذا المجال حيث يقول: ربّما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز وهو من العامة، ويظنّ أنّه من الخاصّة، يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً من علىّ عليه السلام وأصحّ فكراً وأجود رؤية وأبعد غاية وأدقّ مسلكاً، وليس الأمر كذلك وسأرمى إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه والمكان الذى دخل عليه الخطأ من قبله، كان علىّ عليه السلام لا يستعمل فى حروبه

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۸

إلّا ما وافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة كما يستعمل الكتاب والسنّة، ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها، ويسير فى حروبه بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وسيرة خاقان إذا لا قى رتبيل، وعلىّ يقول فى حروبه: «لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، ولا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً» هذه سيرته فى ذى الكلاع وأبى الأعور السلمى وعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وفى جميع الرؤساء، كسيرته فى الحاشية والحشو والاتّباع والسفلة، وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات بيّتوا وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا، وإن أمكن ذلك فى طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعة، وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخّروا الحرق إلى وقت الغرق، وإن أمكن الهدم لم يتكلّفوا الحصار، ولم يدعوا أن نصبوا المجانيق والعرادات، والنقب والتسريب والدبابات والكمين، ولم يدعوا دسّ السموم ولا التضريب بين الناس بالكذب وطرح الكتب فى عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور ويجاش بعض من بعض وقتلهم بكلّ آلة وحيلة، وكيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال، فمن اقتصر من التدبير على ما فى الكتاب والسنّة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكائد، والكذب أكثر من الصدق، والحرام أكثر من الحلال.

فعلىّ عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلى ما هو للّهرضى، وممنوع اليدين من كلّ بطش إلّاما هو للّهرضى، ولا يرضى الرضا إلّافيما يرضاه اللّه ويحبّه، ولا يرى الرضا إلّافيما دلّ عليه الكتاب والسنّة، دون ما يقول أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد والآراء، فلما أبصرَت العوامّ كثرة غرائب معاوية ظنّوا بقصر عقولهم وقلّة علومهم أنّ ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علىّ عليه السلام ۱۹۴].

والنقطة المهمّة هنا والتى لا ينبغى الغفلة عنها، هى أنّ الإمام علىّ عليه السلام وجميع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۶۹

الأولياء الإلهيين كانوا يهدفون فى سلوكياتهم فى الشأن السياسىّ والاجتماعىّ إلى حفظ القيم والمثل الإنسانية، ويرجّحونها حتّى على النصر فى ميدان القتال، لأنّ مثل هذا النصر على العدو مؤقّت، بينما القيم والمثل الإنسانية باقية، فلو نظرنا من هذه الزاوية إلى منهج الأنبياء والأولياء فسيتبيّن الجواب عن الكثير من الأسئلة وعلامات الإستفهام فى هذا المجال.

على سبيل المثال يتساءل البعض: لماذا لم يقتل الإمام علىّ عليه السلام عمرو بن العاص وبسر بن أرطاة عندما تمكّن منهما وكان قادراً على أن يخلّص المجتمع الإسلامى من وجودهما، لمجرّد أنّ هذين الرجلين كشفا عن عورتهما؟

الجواب: إنّ الإمام علىّ عليه السلام يرى أنّ حفظ القيم الأخلاقية فى هذه الأمور أولى من قتل العدو، وربّما لا يستطيع الكثير من الناس تحمّل مثل هذا الموقف وحفظ التعاليم الإلهيّة والإنسانية من موقع الوعى والالتزام.

وفى عالمنا المعاصر نسمع الكثير من لزوم حفظ القيم والمبادىء الإنسانية فى ميادين الحرب، ولكن الكثير من الأسلحة التى تعتبر من جملة الأسلحة الممنوعة والمحرمة دولياً، وقد صدر المنع من استخدامها ضدّ المدنيين ومنع التعامل غير الإنسانى مع الأسرى، ولكننا نرى مراراً فى تاريخنا المعاصر عدم الالتزام بأىّ من هذه القوانين فى حالات الحرب من قبيل استخدام أسلحة الدمار الشامل كالقنابل الذرّية والأسلحة الكيمياوية ضد المدنيين والعزّل من الناس وتعذيب الأسرى بمختلف صنوف العذاب، ويمكن القول إنّ مثل هذه

الأعمال تصدر من قِبل الفئات والجهات التى تدّعى الدفاع عن حقوق الإنسان أكثر من الفئات التى لا تعترف بها، وهذا بذاته يعتبر عملًا شنيعاً ومنكراً، لأنّ الإنسان عندما يدّعى الدفاع عن القيم وحقوق الإنسان ثمّ يرتكب خلاف ذلك على مستوى العمل والطبيق، فهذا يعنى النفاق، وأنّ مثل هؤلاء الأشخاص هم منافقون.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۱

## الرسالة ۱۵

### اشارة

كانَ يَقُولُ إذا لَقِيَ الْعَدوَّ مُحارِباً[۱۹۵]

### نظرة إلى الرسالة

يتحدّث الإمام علىّ عليه السلام فى هذا الدعاء عن خلجات روحيّة تجاه الحرب ويبرز استياءه الشديد منها، ويشكو إلى اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله من كثرة الأعداء وتفرّق المسلمين عن حقّهم، وأخيراً يسأل اللَّه تعالى إقامة الصلح والعدالة وإنهاء الحروب والاقتتال.

هذا كلّه يشير إلى أنّ الإسلام لا يؤيّد الحرب إطلاقاً، ويعتبر أنّ الحرب أمر مفروض على البشر، لأنّ الأضرار والخسائر الوخيمة للحرب ربّما تمتدّ لتنال الأجيال اللاحقة أيضاً، وخاصّة فى الحروب المعاصرة التى تتّسع آثارها المدمّرة

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۷۲

إلى مديات قصوى أكثر بكثير من الماضى.

على سبيل المثال؛ نرى أنّ الحرب العالمية قد انتهت قبل عقود من الزمان ولكن لحدّ الآن يوجد الملايين من المعلولين والمتضرّرين من هذه الحرب فى مختلف بلدان العالم.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۷۳

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ. اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغانِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ».

### الشرح والتفسير: دعاء جامع فى ساحة القتال

كما تقدّمت الإشارة إليه أنّ الإمام عليه السلام كان يقرأ هذا الدعاء عندما يواجه العدو فى ميدان الحرب، وهذا يدلّ على أنّ الإمام عليه السلام يهدف من ذلك لفت نظر أتباعه إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الغرض من الحرب ليس تحقيق الغلبة والنصر على العدوّ

للتوصّل إلى الثروة والمقام ونيل المطامع الدنيوية، بل هو جهاد فى سبيل اللَّه ومن أهم العبادات الدينية، وينبغى أن يبتدىء المجاهد فى حركته فى ميدان القتال باسم اللَّه عزّ وجلّ ويطلب منه النصر على العدوّ، ويخطو فى هذا السبيل بنيّة خالصة وبقلب مفعم بالعشق الإلهىّ، ويهجم على العدو من موقع الاستقامة والإيمان والإخلاص.

يقول الإمام عليه السلام فى مطلع الدعاء: «اللّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ ۱۹۶] الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْناقُ وَشَخَصَتِ ۱۹۷] الْأَبْصارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدامُ وَأُنْضِيَتِ ۱۹۸] الْأَبْدَانُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۴

وهذا إشارة إلى أنّ الهدف النهائى للحرب مع قوى الباطل هو طلب رضا اللَّه تعالى، وأننا فى كلّ خطوة نخطوها فى هذا الطريق، فهى من أجلك وباتّجاهك.

أجل، فالمجاهدون المسلمون يهدفون من جميع أعمالهم وبرامجهم نيل رضا اللَّه تعالى وامتثال أمره، ولذلك يقول القرآن الكريم: «ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ* وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ»[۱۹۹].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى سياق هذا الدعاء يشير إلى الباعث لهذه الحرب لدى العدو ليعلم أفراد الجيش الإسلامى بحقيقة الأمر فيكونوا على بيّنة من مواقعهم وغاياتهم ويقول: «اللّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجاشَتْ ۲۰۰] مَراجِلُ ۲۰۱] الْأَضْغانِ ۲۰۲]».

وهذا إشارة إلى أنّ عناصر الحقد والبغضاء لدى هؤلاء الأعداء، والتى بقيت مكبوتة منذ زمان الجاهلية وصدر الإسلام بسبب ما حقّقه النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من النصر المؤزّر عليهم، قد تجلّت وظهرت فى هذا الوقت، لأنّهم وإن أظهروا الإسلام وادّعوا الإيمان حسب الظاهر، ولكنّهم مازالوا يخفون الحقد والعداوة فى قلوبهم وقد وجد هؤلاء المنافقون الأرضية الخصبة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لإبراز حقدهم الدفين وإظهار ضغائنهم ضدّ الإسلام والمسلمين.

فمن ينكر أن معاوية وهو ابن أبى سفيان العدو الأوّل للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وابن هند

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۵

المعروفة بآكلة الأكباد، وأنصاره وأتباعه من المنافقين وأعداء الإسلام كانوا فى عصر ظهور الإسلام يواجهون الرسالة الإلهيّة من موقع الحقد والعداء الشديد وقد خلّفت المعارك فيهم أحقاداً بدرية وحنينية وغيرها.

وهذه الحقيقة بمثابة الدرس لأصحاب وأنصار الإمام عليه السلام ليعلموا من يقاتلون ولأىّ غرض يجاهدون.

وفى ختام هذا الدعاء يلتجىء الإمام عليه السلام مرّة أخرى إلى رحمة اللَّه ولطفه ويعكس ذلك صفاء قلبه ونورانية باطنه وحبّه لجميع الخلائق حتى الأعداء منهم، ويقول: «اللّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَتَشَتُّتَ أَهْوائِنا «رَبَّنَا افْتَحْ ۲۰۳] بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ»[۲۰۴]».

وهذه العبارات تعتبر غاية ما يعيشه الإمام علىّ عليه السلام من حالات اللطف والمحبّة حتّى بالنسبة للأعداء والمنحرفين والضالّين حيث يعبّر عنهم: «قَوْمِنا» وقوله: «غَيْبَةَ نَبِيِّنا، وَتَشَتُّتَ أَهْوائِنا» بدلًا من قوله «ربنا انصرنا» وكذلك ما ورد من هذه العبارات «غَيْبَةَ نَبِيِّنا» و «وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا» و «وَتَشَتُّتَ أَهْوائِنا» كلّها تشير إلى أنّ الغرض الأقصى للإمام علىّ عليه السلام يتلخّص إلى جذبهم إلى طريق الحقّ والصواب وأن يتّحد المسلمون صفّاً واحداً فى مقابل الأعداء.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۷

## الرسالة ۱۶

## اشارة

لِأَصْحابِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ ۲۰۵]

## نظرة إلى الرسالة

إنّ هذه الرسالة، والأصحّ هذا الكلام، لأميرالمؤمنين عليه السلام الذى تحدّث فيه لأصحابه فى ميدان الحرب يهدف لبيان فنون القتال وأسرار المجابهة والنصر على العدوّ لأصحابه وأنصاره، وقد رأينا فيما تقدّم من التوصيات العسكرية أنّها تمثّل تعاليم لكيفية الحركة والتوجّه إلى ميدان القتال واتّخاذ المواقع الحسّاسة فى مقابل العدو، والإمام فى هذه الكلام يبيّن فنون الحرب والقتال لأنصاره وجنوده، وفى المقطع الأخير من هذا الكلام يطرح الإمام عليه السلام فى الحقيقة جواباً عن سؤال ربّما يثيره البعض من أصحابه أو يدور فى خلجات قلبه، ويجيب عنه بأننا عندما نقاتل معاوية وأعوانه وأنصاره فإنّ ذلك لا يعتبر حرباً ضدّ المسلمين، فلو أنّ بنى امية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۸

وعلى رأسهم أبا سفيان أظهروا الإسلام فى الماضى فإنّهم فى الحقيقة يتظاهرون بالإسلام ويتقنعون بالإيمان، ولذلك عندما وجدوا أعواناً وأنصاراً لإظهار الكفر والشرك ونزع رداء الإسلام لم يمتنعوا من الإعلان عن نواياهم والبوح بمكنوناتهم.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۷۹

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصارِعَهَا وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِن اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

نفحات الولاية ؛ ج۹ ؛ ص۱۷۹

## الشرح والتفسير: تقوية عزائم الجند

يبيّن الإمام عليه السلام فى هذا الكلام الدقيق والزاخر بالمضامين العميقة، ستّ توصيات عسكرية مهمّة وبعبارات بليغة ومقتضبة.

يقول الإمام عليه السلام فى التوصية الاولى والثانية: «لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ[۲۰۶] بَعْدَهَا كَرَّةٌ[۲۰۷]، وَلَا جَوْلَةٌ[۲۰۸] بَعْدَهَا حَمْلَةٌ».

والمقصود من الجملة الاولى أنّ المقاتلين أحياناً تفرض عليهم الظروف والتحدّيات الصعبة التراجع والانسحاب المؤقّت فيتوهّم العدو وجود ثغرة وضعف فيكم فيسارع فى ملاحقتكم، وفجأة يعود أفراد الجيش إلى تماسكهم ويحملوا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۰

حملة واحدة على العدو ويحطّموا قواه ويبعثروا صفوفه، وهذا فى الحقيقة نوع من الانسحاب التكتيكى المتداول فى الحروب المعاصرة، وأحياناً يكون الإصرار على المقاومة والثبات فى أرض المعركة يكلّف الجيش غالياً ولذلك يقول الإمام عليه السلام:

لاتأسفوا على مثل هذا الفرار والتراجع الذى يستتبع الهجوم الصولة على العدو، ويشير الإمام عليه السلام فى الجملة الثانية إلى حالات الجولة من هذه الجهة قبل ابتداء الهجوم، لأنّ الفارس الشجاع أحياناً يضطرّ لتغيير مواقعه فى ميدان القتال للعثور على موقع مناسب

للهجوم على العدو، فيعثر على المنفذ المناسب للحملة أو يتراجع لغرض إنهاك العدو واستنزاف طاقاته وأتعابه، وعلى ضوء ذلك فلا إشكال في الفرار الذي يتبعه هجوم، ولا في الجولات وتغيير المواقع التي تستتبع إيجاد ثغرة في صفوف العدو والنفوذ منها لتحطيم قواه وقدراته الدفاعية.

وبعبارة أخرى أنّ بعض الأشخاص المغرورين تصوّروا أنّ الفرار يعدّ عيباً ونقصاً كيف ما كان، وكذلك تأخير الهجوم على العدوّ بجولات متعددة، في حين أنّ كلّاً من هذه الأمور لا يعدّ عيباً أو نقصاً، بل هو نوع من أساليب المواجهة التي تضمن في الكثير من الموارد النصر على العدو.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر في التوصية الثالثة والرابعة ويقول: «وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا[۲۰۹]».

يعدّ السيف أهم سلاح يستخدم في ميدان القتال في ذلك العصر، فعندما يواجه الفارس العدو بسيفه فينبغي الاستفادة القصوى من هذا السلاح وأداء حقّه في الضرب والطعن.

وجملة «وَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ ...» إشارة إلى أنّ ضرباتكم للعدو يجب أن تكون من الشدّة بدرجة تستتبع سقوط العدو على الأرض في الضربات الاولى وكأنّكم بهذا الضرب المتوازي والشديد قد أعددتم سلفاً مصارع أفراد العدو وأماكن سقوطهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۱

على الأرض صرعى.

واحتمل البعض أنّ هذا الكلام إشارة إلى مواطن أفراد الجيش الإسلامي، يعني أنّكم في الوقت الذي ترومون تحقيق النصر على العدو ينبغي أن تكونوا مستعدين للشهادة في سبيل اللّه وتوطّئوا لأنفسكم مكاناً لمصرعكم وسقوطكم على الأرض شهداء في سبيل اللّه.

ولكن مع الالتفات إلى ما ورد في الجملة السابقة والجملة اللاحقة فإنّ هذا المعنى بعيد، لأنّ كلتا الجملتين تدعوان الجند إلى بانزال ضربات قاصمة بالعدو.

وفي التوصية الخامسة والسادسة، التي تقع أيضاً في سياق الحديث عن الضربات القاصمة على العدو يقول الإمام عليه السلام: «وَاذْمُرُوا[۲۱۰] أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ ۲۱۱] الدَّعْسِي ۲۱۲]، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِي ۲۱۳]».

الواقع أنّ الإمام عليه السلام في هذه العبارة يدعو المقاتلين للاستفادة من جميع الأدوات المتداولة في ذلك الزمان فتطعنوا بالرماح جسد العدو بحيث ينهار تماماً ويسقط على الأرض مضرّجاً بدمه وتضربوا بسيوفكم على هامات القوم بحيث يلفظوا أنفاسهم معها، ومن أجل تحقيق هذا الغرض لابدّ من تهييج أحاسيسكم وتفوير مشاعركم من خلال الاستعانة باللّه تعالى لأنّ النصر الحاسم إنّما يكون من نصيب الجماعة التي تقاتل بشدّة وتنزل ضربات سيوفها ورماحها على العدو بأشدّ قوّة.

وفي التوصية السابعة والأخيرة يقول: «وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۲

الأشخاص الذين يمارسون الصراخ والصياح في ميدان القتال ربّما يتبادر إلى ذهن العدو أنّ ذلك ناشيء من خوفهم ووحشتهم، وبالتالي يؤدّي ذلك إلى رفع معنويات العدو من جهة، ومن جهة أخرى ربّما يفضي الصياح إلى استنزاف القوى الجسمية والفكرية لهؤلاء الرجال ويقلّل من قدرتهم على مقاومة العدو، ولهذا السبب يأمر الإمام عليه السلام بعدم صرف الطاقات في الصياح والصراخ، والالتفات بشكل كامل إلى مواجهة العدو في ميدان العمل والممارسة.

وطبعاً هذا العمل لا- يتنافى مع رفع الأصوات بالتكبير عند تحقّق النصر، وحتى التكبير ينبغي أن يكون محدوداً ومحسوباً ولا ينبغي الإفراط فيه لأنّ ذلك مخالف لهذا التوصية.

ولهذا السبب ورد في كتب التاريخ عن واقعة بدر أنّ المشركين عندما شاهدوا جيش الإسلام بعددهم القليل في مقابل جيش الكفر والشرك، تصوّروا أنّ مجموعة من المسلمين تكمن لهم خلف التلال حتى تسنح لهم الفرصة المناسبة ويهجموا على قوى الشرك،

ولذلک أرسلوا عمر بن وهب للتحقّق فی هذا الأمر والبحث عن الکمین فی نواحی المنطقة، فتوجّه عمر بن وهب لاستطلاع الموقف ورأی أنّ مواقع جیش الإسلام مستحکمة ورصینة فرجع إلی موقعه وقال لقادة جیش الشرک: إنّ المسلمین لیس لدیهم أیّ کمین أو مدد غیر الثلّة الحاضرة فی المیدان، ولکننی أظنّ أنّ إبل یثرب المحمّلة ستحمل الموت لکم، ثم أضاف: «أَمَا تَرَوْنَهُمْ خُرْسٌ لَایَتَکَلَّمُونَ یَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْأَفَاعِی مَا لَهُمْ مَلْجَأٌ إِلَّا سُیُوفَهُمْ وَمَا أَرَاهُمْ یُوَلُّونَ حَتَّی یُقْتَلُوا وَلَا یُقْتَلُونَ حَتَّی یَقْتُلُوا بِعَدَدِهِمْ فَارْتَئُوا رَأْیَکُم»[۲۱۴].

ثم یبیّن الإمام علیه السلام فی ختام هذا الکلام نقطة أخری وهی فی الواقع تعتبر جواباً عن سؤال مقدّر أو مذکوراً فی کلمات أصحابه عندما تصوّروا أنّ معاویة وأتباعه هم

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸۳

من المسلمین، فکیف نقاتل المسلمین؟ فیقول الإمام علیه السلام: «فَوَ الَّذِی فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[۲۱۵]، مَا أَسْلَمُوا وَلَکِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْکُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَیْهِ أَظْهَرُوهُ».

وعندما یختم الإمام علیه السلام بصفات اللّه تعالی ویؤکّد علی انشقاق الحبّ تحت التراب وخلق الإنسان، ذلک یعود إلی أنّ هذه المظاهر فی عالم الخلقة تعتبر من أعجب الأفعال الإلهیّة، فالحبوب عندما توضع تحت التراب وهی مغلفة بقشرة قویة وصلبة وتصل إلیها رطوبة التراب، فیکفی ذلک لأن تبعث فیها الروح والحرکة فی داخلها حیث تبدأ النطفة بالنموّ وتظهر بعد ذلک السیقان الناعمة للنبات، هذه الساق اللطیفة عندما واجهت الضیق فی داخل إطار الحبّة کسرت هذا الإطار والقشرة وأخرجت رأسها من التراب وانفصلت عن امها وأصلها واتّخذت سبیلها للنموّ والارتفاع إلی أن تصیر بعد ذلک شجرة باسقة، وهکذا الحال فی نطفة الإنسان فی رحم الام، حیث یعیش الجنین خلقاً آخر ویتکامل تدریجیاً ویتخذ لنفسه شکلًا جدیداً من خلال سلسلة من التحوّلات المعقّدة والدقیقة والسریعة فی ذات الوقت ویتبدل الجنین إلی إنسان کامل، وعندما یجد الجنین أنّ رحم الام لا یکفی فی استمرار حیاته ورشده ونموّه فإنّه یعزم علی الخروج من الرحم ویغادر رحم امّه بهیجان ویخطو الخطوة الاولی نحو الولادة والمجیء إلی الدنیا.

إنّ التمعن فی ظاهرة نموّ النباتات وولادة البشر من شأنها أن تعرّف الإنسان أکثر علی عظمة اللّه وقدرته اللامتناهیة، ومن هنا نری أنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله والأئمة المعصومین علیهم السلام یقسمون أحیاناً بهذه الصفات الإلهیّة، ولا ینبغی الغفلة عن أنّ هذه العبارات وردت فی زمن لم یتولد علم النبات وعلم الأجنّة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸۴

## تأمّلان

### ۱. شواهد حیّة علی عقائد بنی امیّة الواقعیة

فی آخر کلمة من کلام الإمام علیه السلام مورد البحث یصرّح الإمام علیه السلام بأنّ مخالفه (معاویة وأتباعه)، لم یقبلوا بالإسلام طرفة عین، بل خضعوا له من موقع الإجبار والإکراه، ولذلک عندما وجدوا أنصاراً وأعواناً أظهروا کفرهم الباطنی.

وربّما یکون قبول هذا الکلام صعباً بالنسبة لبعض المسلمین من أهل السنّة، ولکن إلقاء نظرة إلی کتب الصحاح وسائر المصادر لأهل السنّة یدلّ علی هذه الحقیقة الحاسمة، ونحن هنا نستعرض بعض الروایات المذکورة فی مصادرهم المعروفة عن عقائد معاویة وأعماله دون أن نضیف إلیها شیئاً، ونترک الحکم علیها بعهدة القراء الأعزاء:

۱. ورد فی صحیح مسلم أنّ عبدالرحمن بن عبد ربّ الکعبة یقول: «دخلت المسجد (المسجد الحرام) فإذا عبداللّه بن عمرو بن العاص جالس فی ظلّ الکعبة والناس مجتمعون علیه، فأتیتهم فجلست إلیه، فقال: کنّا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی سفر، فنزلنا منزلًا، فمنّا من یصلح خباءه ... فقلت له: هذا ابن عمک معاویة یأمرنا أن نأکل أموالنا بیننا بالباطل، ونقتل أنفسنا واللّه یقول: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ

آمَنُوا لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ ...» وقال: «وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَکُم ...»[۲۱۶] قال فسکت ساعة ثم قال: إطعه فی طاعة اللّه، واعصه فی معصیة اللّه ۲۱۷].

۲. ورد فی تاریخ الطبری أنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله رآه (أباسفیان) مقبلًا علی حمار ومعاویة یقود به ویزید (أخو معاویة) یسوقه به، قال صلی الله علیه و آله: «لَعَنَ اللّهُ الْقائِدَ وَالرَّاکِبَ وَالسائِقَ»[۲۱۸]. (وفی روایة أخری أنّ الذی کان قابضاً علی زمام الدابة هو عتبة أخو



معاویة ومعاویة کان یسیر خلفهم).

۳. وکذلک ورد فی تاریخ الطبری أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله أشار یوماً إلی مکان وقال:

یطلعُ من هذا الفج، رجل من امّتی یحشر علی غیر ملّتی، فطلع معاویة[۲۱۹].

۴. نقل ابن أبی‌الحدید فی شرح نهج‌البلاغة عن کتاب أخبار الملوک: إنّ معاویة سمع مؤذّناً یقول: «أشْهَدُ انْ لا الهَ إلّااللّهُ فقالها ثلاثاً، فقال المؤذّن: «أشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ قال معاویة: للّه‌أبوک یاابن عبداللّه! ولقد کنت عالی الهمّة، ما رضیت لنفسک إلّاأن یقرن اسمک باسم ربّ العالمین ۲۲۰].

۵. ویروی أحمد بن حنبل فی مسنده عن عبداللّه بن بریدة أنّه قال: «دخلت أنا وأبی علی معاویة فأجلسنا علی الفرش ثمّ أُتینا بالطعام فأکلنا ثم أُتینا بالشراب، فشرب معاویة ثمّ ناول أبی (ثمّ قال:) ما شربته منذ حرّمه رسول اللّه صلی الله علیه و آله»[۲۲۱].

۶. یقول ابن أبی‌الحدید فی شرح نهج‌البلاغة: «قَدْ طَعَنَ کَثیرٌ مِنْ أَصْحابِنا فی دینِ مُعاوِیَةَ وَلَمْ یَقْتَصِرُوا عَلی تَفْسیقِهِ وَقالُوا عَنْهُ: إنّه کانَ مُلْحِداً لا یَعْتَقِدُ النُّبُوَّةَ وَنَقَلُوا عَنْهُ فی فَلَتاتِ کَلامِهِ وَسَقَطاتِ أَلْفاظِهِ ما یَدُلُّ عَلی ذلِکَ»[۲۲۲].

۷. ولم تقتصر إشکالیة إیمان معاویة وأعماله علی هذا الحدّ، فطبقاً لما ذکره ابن عبد ربه فی العقد الفرید أنّ الحسن البصری قال: «علم معاویة واللّه إن لم یبایعه عمرو لن یتمّ له أمر، فقال له: یاعمرو، اتبعنی، قال: لماذا؟ للآخرة؟ فواللّه ما معک آخرة، أم للدنیا فواللّه لا کان حتی أکون شریکک فیها، قال: فأنت شریکی فیها. قال:

فاکتب لی مصر وکورها، فکتب له مصر وکورها، وکتب فی آخر الکتاب: وعلی عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: إنّ السمع والطاعة لا ینقصان من شرطه شیئاً، قال معاویة: لا ینظر الناس إلی هذا، قال عمرو: حتی یکتب، قال فکتب، واللّه ما یجد بدّاً



من کتابتها.

ودخل عتبة بن أبی سفیان علی معاویة وهو یکلّم عمراً فی مصر، وعمرو یقول له: إنّما ابایعک بها لدینی، فقال عتبة: ائتمن الرجل بدینه فإنّه صاحب من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه وسلم»[۲۲۳].

۸. وینقل ابن الأثیر أیضاً فی کامل التواریخ عن الحسن البصری أنّه قال:

أربع خصال کنّ فی معاویة، لو لم تکن فیه إلّا واحدة لکانت موبقة: انتزاؤه علی هذه الامّة بالسیف حتی أخذ الإمرة من غیر مشورة وفیهم بقایا الصحابة وذوو الفضیلة، واستخلافه بعده إبنه سکّیراً خمیراً یلبس الحریر ویضرب بالطنابیر، وادعاؤه زیاداً، وقد قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»! وقتله حجراً.[۲۲۴] ۹. وطبقاً لما أورده البیهقی فی کتاب المحاسن والمساوی أنّ رجلًا من أهل الشام سأل ابن عباس وقال: من الناکثون، قال: الذین بایعوا علیّاً بالمدینة ثم نکثوا، فقاتلهم بالبصرة وهم أصحاب الجمل، والقاسطون معاویة وأصحابه والمارقون أهل النهروان ومن معهم، فقال الشامی: یاابن عباس ملأت صدری نوراً وحکمة وفرّجت عنّی فرّج اللّه عنک، أشهد أنّ علیّاً رضی اللّه عنه مولای ومولی کلّ مؤمن ومؤمنة[۲۲۵].

۱۰. ونختم هذا المقطع من البحث بکلام عجیب أورده المسعودی فی مروج الذهب ونقله الزبیر بن بکار فی الموفقیّات وابن

أبی‌الحدید فی شرح نهج‌البلاغة (والملاحظ من بین هؤلاء الثلاثة نری أنّ الزبیر بن بکار لا یوافق الشیعة فی عقائدهم فحسب بل من المخالفین لهم) أنّ مطرف بن المغیرة بن شعبة یقول: دخلت مع أبی علی معاویة وکان أبی یأتیه، فیتحدّث معه ثم ینصرف إلیَّ ویذکر معاویة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸۷

وعقله ویعجب ممّا یراه منه، إذ جاء ذات لیلة وأمسک عن العشاء ورأیته مغتّماً فانتظرته ساعة وظننت أنّه لأمر حدث فینا، فقلت: ما لی أراک مغتماً منذ اللیلة؟

فقال: یا بنی جئت من عند أکفر الناس وأخبثهم، قلت: ماذا؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّک قد بلغت سناً یاأمیرالمؤمنین، فلو أظهرت عدلًا وطففت خیراً، إنّک قد کبرت ولو نظرت إلی إخوتک من بنی هاشم، فوصلت أرحامهم فواللّه ما عندهم الیوم شیء تخافه، وإن ذلک ممّا یبقی لک ذکره وثوابه، فقال: هیهات هیهات، أیّ ذکر أرجو بقاءه، ملک أخو تیم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلک حتی هلک ذکره، إلّا أن یقول قائل: قال أبوبکر، ثم ملک أخو عدی فاجتهد وشمّر عشر سنین، فما عدا أن هلک حتی هلک ذکره، إلّاأن یقول قائل: عمر، وإنّ ابن أبی کبشة لیصاح به کلّ یوم خمس مرات: (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمّـداً رَسُولُ اللّهِ) فأیّ عمل یبقی؟ وأیّ ذکر یدوم بعد هذا لا أباً لک «لَا وَاللّهِ إِلَّا دَفْناً دَفْناً»[۲۲۶]، (أی لابدّ من العمل لدفن هذا الاسم أو لدفن بنی هاشم إلی الأبد).

ومرّة أخری نعید القول أنّ جمیع هذه الموارد المذکورة أعلاه لیست من مصادرنا، بل هی عین عبارات علماء أهل السنة فی شأن معاویة ولم نضف أیّ شیء علیها.

## ۲. فضائل الامام علیّ علیه السلام علی لسان أعدائه

بالرغم من أنّ عمرو بن العاص کان مؤیّداً لمعاویة بشکل کامل ولولا حیلته الشیطانیة لم ینتصر معاویة فی حربه مع الإمام علیه السلام قطعاً، ولکنّه مع ذلک کان أصرح منه فی الکلام، وفی بعض المواقع یذکر بشکل صریح أفضلیة الإمام علیّ علیه السلام علی معاویة ویتحدّث عن شجاعة جیش الإمام علیه السلام فی أکثر من مورد.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۱۸۸

ینقل نصر بن مزاحم فی کتابه صفین أشعاراً عجیبة لعمر بن العاص یحقّر فیها معاویة بشدّة ویتحدّث فیها عن جیش الإمام علیّ علیه السلام یقول:

فَإِنْ وَرَدَتْ فَأَوَّلُهَا وُرُوداًفَإِنْ سَدَّتْ فَلَیْسَ بِذِی صُدُود

أی أنّ فرسان جیش معاویة عندما یردون میدان المعرکة فسوف نجدهم فی المقدّمة، فإذا تصدّوا لجیش العدو فلا أحد یستطیع مواجهتهم والوقوف أمامهم.

ثم یضیف:

وَمَا هِیَ مِنْ أَبِی حَسَنٍ بِنُکْروَلا هُوَ مِنْ مَسَائِکَ بِالْبَعِیدِ

أی أنّ فضائل علیّ لیست بالشیء المجهول وغیر المعروف ونقاط ضعفک لیست بالبعیدة عن الأنظار.

ثم یشیر عمرو بن العاص إلی طلب معاویة من أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام فیما یتّصل بحکومة الشام ویقول:

وَقُلْتَ لَهُ مُقَالَةَ مُسْتَکِینٍضَعِیفِ الرُّکْنِ مُنْقَطِعِ الْوَرِیدِ

دَعَنَّ الشَّامَ حَسْبُکَ یَا ابْنَ هِنْدٍمِنَ السَّوْءاتِ وَالرَّأْیِ الزَّهِیدِ

وَلَوْ أَعْطَاکَهَا مَا ازْدَدْتَ عِزّاًوَلا لَکَ لَو أَجَابَکَ مِنْ مَزِیدٍ

فلمّا بلغ معاوية قول عمرو دعاه فقال: ياعمرو، إننى قد أعلم ما أردت بهذا، قال:

ما أردت؟ قال: أردت تقبيح رأيى، وإعظام علىّ، وقد فضحك، قال: أما تقبيحى رأيك فقد كان، وأمّا إعظامى علياً فإنّك بإعظامه أشدّ معرفة منّى، ولكنك تطويه وأنا أنشره، أمّا فضيحتى فامرؤ لقى أبا الحسن ۲۲۷].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۸۹

## الرسالة ۱۷

### اشارة

إلى مُعاوِيَةَ جَواباً عَنْ كِتابٍ مِنْهُ إلَيْهِ ۲۲۸]

### نظرة إلى الرسالة

روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، إنّ الإمام علىّ عليه السلام قال يوماً: سأتوجّه غداً إلى الميدان واقاتل هؤلاء القوم، فانتشر هذا الكلام فى صفوف جيش معاوية واستولى عليهم الخوف والذعر.

فكتب معاوية إلى علىّ عليه السلام مع رجل من السكاسك، يقال له: عبداللّه بن عقبة وكان من ناقلة أهل العراق:

«أما بعد فإنّى ما أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم‌يحبّها بعضنا على بعض، وإن كنّا قد غلبنا على قولنا فقد بقى لنا منها ما نندم على

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۰

ما مضى ونصلح به ما بقى، وقد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك علىَّ، فأعطانى اللّه ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنّى لا أرجو البقاء إلّاما ترجو، ولا أخاف من الموت إلّاما تخاف وقد واللّه فارقت الأجناد وذهبت الرجال، ونحن بنوعبدمناف فضل الأفضل لا يستذل به عزيز، ولا يسترق به الحرّ، والسلام».

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علىّ عليه السلام قرأه ثم قال: العجب من معاوية ولكتابه، ثم دعا عبيد بن أبى رافع كاتبه وقال له: اكتب إلى معاوية ...[۲۲۹].

وطبعاً فإنّ السيد الرضى كما هو دأبه وعادته لم يذكر مطلع هذه الرسالة، ولكنّه أورد القسم المهم منها[۲۳۰].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۱

### القسم الأول

#### اشارة

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ. وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

## الشرح والتفسير: المدين فی هيئة الدائن

سبق أن ذكرنا أنّ هـذه الرسالـة تعـدّ جواباً لرسالة كتبها معاوية للإمام عليه السـلام وتحدّث فيها عن بعض مطالبه، وحسب القاعدة فإنّ معاوية بقراءة مثل هذه الرسائل على المنابر أو على الجند إنّما يبغی تبرئة نفسه من الإثم الذی ارتكبه بحقّ المسلمين، وكذلك حسب القاعـدة أنّ هـذه الرسالـة إن وصـلت لأصـحاب الإمام عليه السـلام أيضاً ربّما يتأثر بها بعض السذّج من الناس، ومن هنا لم يجد الإمام عليه السلام بدّاً من كتابة رسالة جوابية للردّ على ما جاء فيها بشكل حاسم.

ولذلك نری أنّ الإمام عليه السلام أشار فی هذه الرسالة إلی أربعة أمور محورية فی

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۲

مقابل أربعة ادّعاءات لمعاوية.

فی البدايـة يقول الإمـام عليه السـلام: «وَأَمَّا طَلَبُکَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّی لَمْ أَکُنْ لِأُعْطِيَکَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُکَ أَمْسِ»، وكما هو معلوم أنّ معاوية طلب الشام دون أن يبايع أو يلتزم بطاعة أوامر الإمام عليه السلام.

ومنع الإمام عليه السـلام بـدوره يقوم علی أساس الحكم الإلهی الـذی يقرر منع الظالمين والمفسـدين من تولّی أمور البلاد الإسـلاميّة، وأنّه لا ينبغی أن تكون أیّ منطقة أو إمارة فی الحكومة الإسلاميّة بيد المنحرفين وقوی الفسق والجور، وهذا الحكم الشرعیّ لازال باقٍ علی قوّته، فليست هذه المسألة من المسائل السياسية التی تتغيّر وفقاً لتغيّر الظروف وتبدّل المصالح.

وهـذا الكلام فی الواقع يعـدّ جواباً للأشـخاص الذين يقولون: ألم يكن الأفضل أن يدع الإمام الشام بيد معاوية بشـكل مؤقت ثم يعزله عن هذا المقام بعد استقرار حكومته واستتباب الأمن فيها؟

إنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلی هـذه الحقيقـة، وهی أنّ الإمـام عليه السـلام إذا أذعن لطلب معاويـة وأوكل حكومـة الشام إليه، (وطبقاً لبعض الروايات أنّ معاويـة طلب حكومـة مصـر أيضاً) وفسح المجال لمعاوية لتقوية أركان سـلطته وسـيطرته علی منطقة الشام فإنّ إزاحته بعد ذلـک سـتكون مسـتحيلة، والحال نری أنّ الإمـام عليه السـلام فی حرب صـفّين كـان قـد اقترب من النصـر الحاسم علی جيش معاوية وشارف علی دفع هذه الفتنة والشرّ من البلاد الإسلاميّة لولا سلوک بعض الجهلاء والانتهازيين ممّن كانوا فی جيش الإمام عليه السلام ظاهراً.

ثم يتحـدّث الإمـام عليه السـلام فی المقطع الثـانی من هـذه الرسالـة جوابـاً عن كلام معاويـة الآخر ويقول: «وَأَمَّا قَوْلُکَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَکَلَتِ الْعَرَبَ [۲۳۱] إِلَّا حُشَاشَاتِ [۲۳۲] أَنْفُسٍ بَقِيَتْ،

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۳

أَلَا وَمَنْ أَکَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَی الْجَنَّهِ، وَمَنْ أَکَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَی النَّارِ».

ثم يشير الإمـام عليه السـلام إلی الجواب الثالث لمعاويـة الـذی قال فی رسالته: أنا وأنت فی هـذه الحرب سيّان (وأننا كلينا نتبع هـدفاً واحداً ونطلب أمراً واحداً، يقول الإمام فی مقام الجواب: «وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِی الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَی [۲۳۳] عَلَی الشَّکِّ مِنِّی عَلَی الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَی الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَی الْآخِرَهِ».

وهذا الكلام إشارة إلی وجود أمرين مختلفين بين أصحابی وأصحابک، فأصحابی يسيرون مع إمام عادل وعالم بتكليفه الشرعیّ وأنّهم يسيرون علی بصيرة من حركتهم ودينهم، فی حين أنّک لا تملک هدفاً واضحاً سوی التوصّل إلی المال والمقام.

والآخر أنّ أصحابک حريصون علی الدنيا وأنّک استطعت جرّهم إلی الميدان بالوعود الماديۀ والمغريات الدنيوية عسی أن يصيبوا من الغنائم فی هذه المعركۀ، فی حين أنّ قادة جيشی لم يتحرّكوا طمعاً بالجائزة ولم يفكّروا فی هذا الأمر أيضاً.

وبتعبير آخر، أنّک لاـ تملک اليقين علی استحقاقک للخلافۀ والرئاسـۀ علی الناس، فی حين أننی علی يقين من ذلک، وأنّ أتباعک

يقاتلون طلباً للدنيا، فى حين أنّ أتباعى لا يهدفون من قتالك سوى نيل رضا اللّه تعالى وإقامة الحكومة الإلهيّة العادلة على الأرض، ولهذين السببين نحن أكثر عزماً وأمضى سعياً منكم فى هذا المسير المعنوى، فى حين أنّك وأتباعك لا ـ تملكون هذه الروحية والمعنوية، ونتيجة ذلك أننا لسنا سواء فى هذا الأمر وأنّ النصر النهائى سيكون من نصيبنا قطعاً، وهكذا تحقّقت نبوءة الإمام عليه السلام ووصل جيش الإمام إلى مشارف النصر النهائى، ولكن للأسف فإنّ جماعة من الجهلة ومن بينهم ثلّة من المنافقين أجهضوا هذا النصر ولم يتحقّق ما كان الإمام يصبو إليه.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۴

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض للجواب عن الإدعاء الرابع لمعاوية ويقول: «وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ»، فهنا يتعرّف الإمام بهذه الحقيقة، وهى أننا جميعاً أبناء عبدمناف وهذا صحيح لا ريب فيه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض للفوارق بينه وبين معاوية ويذكر منها خمسة أمور.

ففى البداية يشير إلى الشرف فى النسب، ويقول: «وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِالْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِىطَالِبٍ».

وهذا إشارة إلى أنّ جدّك الأعلى هو امية وجدّك الأدنى هو حرب، وأباك أبو سفيان، وكلّهم معروفون بين العرب بالشرّ والدناءة والخسة، فى حين أنّ جدّى الأعلى هاشم وجدّى الأدنى عبدالمطلب وأبى أبو طالب، وكلّهم من سادات العرب ومن كرمائهم وأشرافهم، فكيف يمكن مقايسة هؤلاء بأولئك، والحال أنّهم ليسوا سواء.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى التفاوت الثانى والثالث، ويقول: «وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ [۲۳۴]، وَلَا الصَّرِيحُ [۲۳۵] كَاللَّصِيقِ [۲۳۶]».

وهو إشارة إلى أننى كنت من أوائل المهاجرين من مكة إلى المدينة مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله ولكنّك وأبا سفيان كنتما تعيشان فى ظلمات الشرك والكفر فى مكّة إلى أن فتحها جيش الإسلام وحكم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بإطلاق سراحك وسائر الأسرى من قومك عندما قال: «إذْهَبُوا فأنْتُمُ الطُّلَقاءُ».

ومن جهة أخرى، فإنّ نسبنا معروف وصريح، ولكن نسبك غامض وفيه الكثير من الكلام، فبعض لا يرى أنّك ابن أبى سفيان بل الابن غير المشروع لمسافر بن أبى عمرو وهو من عبيد أبى سفيان، وطبعاً هذا الكلام لا يتنافى مع ما ذكره الإمام عليه السلام من أبى معاوية يعنى أبا سفيان لأنّ تلك الجملة قالها الإمام عليه السلام وهو يتماشى مع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۱۹۵

الامور بحسب الظاهر، وهذه الجملة إشارة إلى أنّه لو تمّ البحث والتدقيق فى نسبك، فهناك كلام كثير فى ذلك.

ومع هذا فإنّ ابن أبىالحديد لا يرى هذا التفسير منسجماً مع الجملة الأخيرة وذهب لتفسير آخر لهذا العبارة وقال: المراد من الصريح هو الشخص الذى اعتقد بالإسلام اعتقاداً راسخاً، واللصيق هو الشخص الذى اعتنق الإسلام خوفاً من السيف أو بدافع حبّ الدنيا[۲۳۷].

وهذا التفسير وإن كان خلاف ظاهر العبارة، ولكن على فرض أن يكون صحيحاً فذلك يعنى أيضاً وجود تفاوت جلىّ بين الإمام عليه السلام ومعاوية فى هذا المجال.

ثمّ يتعرّض الإمام عليه السلام لذكر الفرق والاختلاف فى الصفات والأفعال الدينية والإنسانية بين الطرفين ويقول: «وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ [۲۳۸]».

وهذا إشارة إلى أنّ الاختلاف بيننا لا ينحصر بانتسابنا إلى بنى هاشم وانتسابك إلى بنى امية، فإنّ صفاتنا وأفعالنا أيضاً لا تقبل القياس والمقارنة، فنحن نسير دوماً فى خطّ الحقّ والخير والإيمان، بينما بنو امية يسيرون فى خطّ الباطل والشرّ، ونحن آمنّا بالإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من موقع الإخلاص، ولكنكم أظهرتم الإيمان والإسلام من موقع النفاق (والحوادث التاريخية تثبت ذلك).

ويقول الإمام عليه السلام فى نهاية هذه الفقرة: «وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى [۲۳۹] فِى نَارِ جَهَنَّمَ».

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لا يذمّ معاوية على انحراف أسلافه وجدّه وأبيه فقط، بل يؤكّد فى كلامه على أنّ هذا الابن

يسير فى طريق آبائه الضالّين الذين ينتهى مصيرهم إلى النار.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۷

## القسم الثانى

### اشارة

وَفِى أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِى أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ.
وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِى دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِى الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: النبوّة افتخار كبير.

ويشير الإمام عليه السلام فى هذا القسم من كتابه إلى ما ذكره معاوية فى رسالته حيث قال: «لِبَعْضِنا فَضْلٌ عَلى بَعْض»، وأنّه لا فضل لأحدنا على الآخر، وعلى فرض وجود فضيلة فهى جزئية لا تعزّ الذليل ولا تذلّ العزيز، فيجيبه الإمام عليه السلام جواباً حاسماً ويقول: «وَفِى أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِى أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا[۲۴۰] بِهَا الذَّلِيلَ».

وهذا إشارة إلى أنّ الإسلام عندما انتشر فى الجزيرة العربية كان أمثال أبى‌سفيان وأبى جهل الذين حكموا الناس سنين متمادية من موقع الظلم والجور، أضحوا أذلّاء، بينما أعزّ الإسلام أمثال سلمان والمقداد وعمّار وياسر وبلال الذين

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۸

كانوا غالباً يعيشون أجواء الأسر والذلة والعبوديه، فرفعهم الإسلام إلى أوج العزّة، وبذلك كيف تقول أنّ نبوّة نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله لم تؤثّر أثراً فى هذا المجال.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أخذ بيد معاوية وأرجعه إلى عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وكيف كان اعتناقهم للإسلام هو وأهل بيته، وقال: «وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِى دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِى الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً».

وهو إشارة إلى فتح مكة كما يتحدّث القرآن الكريم عن ذلك ويقول: «إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابا»[۲۴۱]، فى ذلك اليوم دخل الكثير من الناس الإسلام بدافع الإخلاص والإيمان وطهّروا قلوبهم من لوث عبادة الأصنام، ولكنّ المشركين المتعصّبين والانتهازيين الذين كانوا يحاربون الإسلام والدعوة الإلهيّة سنين متمادية اضطرّوا إعتناق الدين الجديد ظاهراً وأذعنوا مكرهين لهذه الحقيقة، فأبوسفيان وهو العدوّ الأول للإسلام وأبو معاوية كان من الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام ظاهراً، وكذلك أظهر أهل بيته وأقربائه الإسلام من موقع الإكراه ولم تؤمن قلوبهم.

ومنذ ذلك اليوم تغيّرت الخارطة وأخذ أعداء الإسلام يفكرون فى إيجاد ثغرة فى صفوف المسلمين، والنفوذ من خلالها إلى مواقع القرار والحكم، وليجلسوا فى مجلس النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وعبارة «رغبة» المذكورة أعلاه إشارة إلى هذا المعنى، وهذه الرغبة لا تتنافى مع وجود «الرهبة» يعنى أنّ قبولهم للإسلام اقترن فيه الخوف مع الأمل والرغبة فى الوصول إلى المقام وسدّة الحكم فى المستقبل.

فهل يمكن مقارنة مثل هذا الإسلام بإسلام أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام الذى أسلم منذ بداية بعثة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وتصدّى للدفاع عن الرسالة والرسول فى تلك الظروف الصعبة وصاحب النبىّ صلى الله عليه و آله فى أيّام الوحدة والغربة؟

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۱۹۹

وعلى هذا الأساس يقول الإمام علىّ عليه السلام بعد ذلك: «عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ».

وهذا الكلام يشير إلى تقسيم المسلمين إلى عدّة طوائف كما ورد ذلك فى القرآن الكريم: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه»[۲۴۲]، فهناك طائفة من السابقين فى اعتناق الإسلام، والإمام عليه السلام من بين هؤلاء يعتبر من أسبق السابقين، وطائفة أخرى اعتنقوا الإسلام وهاجروا من مكة إلى المدينة، والطائفة الثالثة من أهالى المدينة الذين نصروا الدين والنبىّ واعتنقوا الإسلام وساروا فى خطّ الرسالة، والطائفة الرابعة هم الجيل اللاحق الذين التحقوا بالمسلمين الأوائل عن رغبة وطواعية، وهنا أين نجد مكان معاوية فى هذا الطوائف الأربع؟ نقول فى مقام الجواب: لا مكان له إطلاقاً، والعجيب أنّ معاوية مع هذا الحال يقيس نفسه مع الإمام عليه السلام وبنى هاشم ويرى نفسه فى الإسلام فى عرض الإمام علىّ عليه السلام! ولكن تاريخ الإسلام ملىء بأمثال هذه العجائب والغرائب.

وفى الختام يحذّر الإمام عليه السلام معاوية ويقول: «فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَالسَّلَامُ».

وهذا إشارة إلى أنّك بهذا الكلام تخدع نفسك، وأنّك بهذا القياس وبهذه المقارنة غير السليمة تفتح الباب للشيطان ليتسلّط على نفسك، وبالتالى تعيش الغفلة عن حقيقة موقعك، وتريدأنتنصّب نفسك بمكانرسولاللّه صلى الله عليه و آله وبذلك تخسردنياكوآخرتك.

### تأمّل: أتباع رسول اللّه صلى الله عليه و آله

يستفاد منالآيةالشريفة ۱۰۰ من سورة براءة أنّأتباع رسولاللّه صلى الله عليه و آله على عدّة طوائف:

الطائفة الأولى: السابقون، وهم الذين سبقوا للإيمان واعتناق الإسلام والذين

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۰۰

آمنوا بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أيّام وحدته وغربته فى بداية الدعوة، وبايعوه على ذلك، ومن بين الأوائل من هؤلاء السابقين من النسوة خديجة الكبرى عليها السلام، ومن بين الرجال علىّ بن أبى طالب عليه السلام، ثمّ التحق بهم جماعة آخرون، وهذا العنوان يعدّ افتخاراً كبيراً للإنسان لأنّه قدّم نفسه على طبق الإخلاص للإسلام والنبىّ صلى الله عليه و آله فى الظروف الصعبة التى عاشها المسلمون الأوائل.

الطائفة الثانية: المهاجرون، وطبعاً فى السابقين مَن هم من المهاجرين أيضاً، وهؤلاء هم المسلمون الذين آمنوا بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى مكة وعندما ضاق عليهم الخناق ومارس المشركون فى حقّهم أنواع التعذيب والتضييق حتّى بات الخطر يهدّد النبىّ صلى الله عليه و آله، هاجروا مع النبىّ إلى المدينة، وهذا يعنى أنّهم تركوا جميع ما لديهم من أموال ودور ولوازم المعيشة والحياة وهاجروا مع أهلهم إلى المدينة التى ليس لهم فيها بيت ولا وسائل المعيشة وبقوا هناك لسنين عديدة وهم يواجهون المشكلات والتحدّيات إلى أن فتح اللّه عليهم وسارت الأمور على ما يرام.

وطبعاً هناك جماعة أخرى منالمسلمين هاجروا إلى الحبشة قبل هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة هرباً من بطش قريش والمشركين، وبعد استقرار الإسلام فى المدينة عادوا من الحبشة والتحقوا بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين فى المدينة المنورة.

الطائفة الثالثة: الأنصار، وهم أهل المدينة الذين أسلموا واستقبلوا المهاجرين برحابة صدر وأسكنوهم فى بيوتهم رغم الحياة الصعبة التى كانوا يعيشونها غالباً فى المدينة وتواصلوا مع المهاجرين من موقع المواساة واقتسموا معهم كلّ ما لديهم من شؤون الحياة.

وطبعاً يوجد فى الأنصار سابقون وغير سابقين، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة ويقول: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرينَ

وَالْأَنْصارِ[۲۴۳]»، یعنی أنّ الأنصار الذین آمنوا بالنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی البدایة أو آمنوا به قبل ذلک فی مکة وفی منطقة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۰۱

تسمی «العقبة» علی مقربة من مکة، وبایعوه صلی الله علیه و آله قبل الهجرة، وهؤلاء الطوائف من المهاجرین والأنصار والسابقین یطلق علیهم عنوان: الصحابة.

الطائفة الرابعة: الأشخاص الذین لم یروا النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وفی الحقیقة یمثّلون الجیل اللاحق من المهاجرین والأنصار، وهذا الجیل یطلق علیه فی المصطلح «التابعین» وهم الذین اتّبعوا الأنصار والمهاجرین فی الإیمان والإسلام، وذکرهم القرآن الکریم بقوله: «وَالَّذینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ[۲۴۴] وبقوله: «وَآخَرینَ مِنْهُمْ لَمَّا یَلْحَقُوا بِهِمْ»[۲۴۵] و بقوله أیضاً: «وَالَّذینَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ»[۲۴۶]، وأفراد هذه الطائفة- کما ذکرنا آنفاً- لم یدرکوا النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله ولم یروه، ولکنهم أدرکوا الصحابة.

الطائفة الخامسة: تابعو التابعین؛ وهم الأشخاص الذین لم یدرکوا الصحابة ولم یشاهدوا أحداً منهم، ولکنّهم فی الحقیقة تلامذة التابعین.

وهناک کلام کثیر فی أنّ أفراد هذه الطوائف الخمس هل هم صالحون وعدول جمیعاً، أو أنّ البعض منهم کان فی بدایة الأمر من الصالحین والأخیار ولکنّه لم یستقم فی هذا المسار بعد ذلک وخاصّة بعد رحلة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله؟ وقد بحثنا هذا الموضوع فی تنزیه الصحابة.

ومن المعلوم وجود أشخاص من هؤلاء المسلمین الأوائل کانوا فی وقت قد بلغوا ذروة الفضیلة والإیمان والالتزام بالمبادیء الإسلامیّة، ولکنّهم بعد ذلک اتبعوا هوی النفس وساروا فی خطّ الضلالة وحبّ الدنیا وسقطوا فی وحل الانحراف وشرک الشیطان ۲۴۷].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۰۳

## الرسالة ۱۸

### اشارة

إلی عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ وَهُوَ عامِلُهُ عَلَی الْبَصْرَةِ[۲۴۸]

### نظرة إلی الرسالة

یقول المرحوم ابن میثم فی مقدّمة شرحه لهذه الرسالة أنّ ابن عباس بعد أن عیّنه أمیرالمؤمنین علیه السلام علی البصرة، أخذ یتعامل مع بنی تمیم باسلوب العنف والغلظة، لأنّه کان یتذکر عداوتهم للإمام علیه السلام وجیش الإمام علیه السلام فی یوم الجمل، فقد کانوا من أتباع طلحة والزبیر وعائشة فی ذلک الیوم، وقد هجم علیهم ابن عباس وأبعدهم عن البصرة، وکان یطلق علیهم أنّهم أتباع الجمل وأنصار عسکر (عسکر اسم جمل عائشة) وحزب الشیطان، ولکن هذا التعامل السیّء من ابن عباس ثقل علی جماعة من الشیعة من بنی تمیم، ومنهم جاریة بن قدامة الذی کتب إلی الإمام علیه السلام رسالة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۰۴

یشکو فیها ابن عباس، وهذا هو الذی دعا الإمام علیه السلام أن یکتب لابن عباس هذه الرسالة مورد البحث.

وقد أشار الإمام علیه السلام فی هذه الرسالة إلی عدّة أمور:

الأول: أنّ بنی تمیم قبیلة معروفة بالرجال الشجعان الذین کانوا من الشجاعة والجرأة بحیث لم یسبقهم إلیها أحد لا فی زمان الجاهلیة

ولا فی صدر الإسلام.

والآخر: يقول الإمام عليه السلام أنّهم يتّصلون معنا بالرحم والقرابة، وصلة الرحم توجب علينا الإحسان إليهم والتعامل معهم من موقع الإكرام والاحترام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه النقطة، وهی أنّ ما يصدر منک على لسانک ويدک من خير وشرّ وما يترتّب عليها من نتائج حسنة وسيّئة، فإنّه سيمتد إلیَّ أيضاً لأنّنا شريكان فی ذلک، وعلى ضوء ذلک لابدّ من التعامل بآليّات الأخلاق الكريمة مع بنی تميم.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۰۵

وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَنِی تَنَمُّرُکَ لِبَنِی تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُکَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِی تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِی جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا، فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَکَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِکَ وَيَدِکَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِی ذَلِکَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّی بِکَ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِی فِيکَ، وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة بماء المداراة

عندما جاء طلحة والزبير ومعهم عائشة إلى البصرة مع جماعة من الفاسدين والانتهازيين، ورفعوا هناک لواء التمرّد والمخالفة ضدّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، استقبلهم أهل البصرة وانضمّوا إليهم وشكّلوا معهم جيشاً كبيراً لمحاربة أميرالمؤمنين عليه السلام وأشعلوا نار الفتنة، ولكنّهم اندحروا وهُزموا على يد جيش الإمام علیّ عليه السلام فی واقعة الجمل، ولعلّهم كانوا يتوقّعون من الإمام بعد تحقيق النصر أن يأمر بقتل جماعة منهم، ولكنّ الإمام تعامل معهم بمنطق الحبّ والمودّة كما سبق أن تعامل النبیّ الأكرم عليه السلام مع قريش فی فتح مكة، وهذا الأمر هو الذی أدّى إلى عودة الاستقرار والهدوء لمدينة البصرة، وفی بداية هذه الرسالة التی كتبها الإمام لواليه على البصرة ابن عباس يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة. «وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۰۶

إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ ۲۴۹] الْفِتَنِ، فَحَادِثْ ۲۵۰] أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ».

أما قوله: «أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ» فهو إشارة إلى وجود أقوام من مختلف الأنحاء تعيش فی البصرة وتوجد بينهم مشاكل، وكذلک يواجهون مشاكل من القادمين إلى هذه المنطقة، ولعلّه لهذا السبب اختار طلحة والزبير وعائشة البصرة لإشعال نار الفتنة ضدّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وخاصّة أنّ البصرة تعدّ أهم ميناء للعراق، والموانیء عادة تكون مستقرّ أقوام ومجاميع مختلفة ممّن يأتون إلى هذه المدينة من مناطق مختلفة، وهذا بدوره يؤدّی إلى وجود بعض الخلل والاشكاليّات فی أجواء هذه المناطق من الناحية الثقافية والاجتماعية، إلّاأن يخضع أهالی هذه المناطق إلى التعليم الأخلاقیّ والثقافی المستمرّ، وقد ذهب البعض إلى أنّ إبليس عندما هبط إلى الأرض كانت البصرة أوّل محلّ حطّ فيه قدمه، ولكن لا يوجد لدينا دليل لإثبات صحّة هذا المطلب.

المهم أنّ الإمام عليه السلام أمر ابن عباس أن يتّخذ أفضل الطرق لإعادة الهدوء والاستقرار انطلاقاً من مضمون الآية الشريفة: «ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَيْنَکَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِيمٌ* وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»[۲۵۱]. وهذا يعنی أنّ ابن عباس ينبغی له أن يستخدم اسلوب الإحسان معهم فی مقابل موقفهم السیّء يوم الجمل، لكی يغسل درن الأحقاد والكراهية ويجعلهم يعيشون الندم والخجل على ما بدر منهم، وربّما كانت مخالفتهم له بسبب خوفهم من العقوبة والانتقام، فعندما يتعامل معهم ابن عباس بالرأفة والرحمة، فهذا من شأنه أن يعيد إليهم روح الهدوء والطمأنينة ويزيل حالات الخوف والقلق.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۰۷

ویقرّر الإمام علیه السلام هذا المعنی فی کلماته القصار، فی إشارة إلی أصل کلّی حیث یقول: «عاتِبْ أخاکَ بِالْإحْسانِ إلَیْهِ وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعامِ عَلَیْهِ»[۲۵۲].

ثمّ یدخل الإمام علیه السلام بعد ذکر هذه المقدّمة إلی أصل المطلب ویقول: «وَقَدْ بَلَغَنِی تَنَمُّرُکَ ۲۵۳] لِبَنِی تَمِیمٍ، وَغِلْظَتُکَ عَلَیْهِمْ».

ثم یذکر الإمام علیه السلام بعض الصفات والخصال لقبیلة بنی تمیم تدلّ لیاقتهم للعفو والصفح والاحترام.

یقول الإمام فی بیان الصفة الاولی منهم: «وَإنَّ بَنِی تَمِیمٍ لَمْ یَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ».

والتعبیر بالنجم إشارة إلی أنّهم یتمتّعون دوماً بوجود شخصیات کبیرة وجدیرة بالاحترام بحیث إنّه لو مات أحد فسیحلّ نجم آخر محلّه، ولهذا تتوفّر فی القبائل العربیة دوماً رجال مدراء ومفکرون.

وفی الخصلة الثانیة یشیر الإمام علیه السلام إلی شجاعتهم ویقول: «وَإنَّهُمْ لَمْ یُسْبَقُوا بِوَغْمٍ ۲۵۴] فِی جاهِلِیَّةٍ وَلَا إسْلَامٍ».

ومع الالتفات إلی أنّ کلمة «وَغْم» تعنی فی اللغة الحرب، وکذلک تعنی الحقد والحسد، فهذا الاحتمال الأخیر وارد فی تفسیر الجملة المذکورة وأنّهم جماعة تستبطن الحقد، ولو تصدّی لهم مَن یثیر أمامهم الأذی والضرر فإنّهم یواجهونه بالمثل ویثیرون الفتنة حینئذٍ، ولکن بالنظر إلی ما تقدّم من کلام الإمام علیه السلام فی مدحهم فإنّ هذه التفسیر بعید عن سیاقات الکلام.

وفی الخصلة الثالثة والأخیرة لهم یقول الإمام علیه السلام: «وَإنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً[۲۵۵]، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَی صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ ۲۵۶] عَلَی قَطِیعَتِهَا».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۰۸

وقد ذهب شرّاح نهج‌البلاغة إلی أنّ العامل للقرابة النسبیة والرحم بین بنی تمیم وبنی هاشم أنّهما یشترکان فی الجد الأعلی وهو (إلیاس بن مضر)، وطبقاً لهذا الکلام فإنّ هاشم یصل إلی إلیاس بثلاثة عشر واسطة، وکذلک بنی تمیم أیضاً یصلون إلیه بوسائط کثیرة، ولکن بما أنّ الرحم فی الإسلام تحظی بأهمیة بالغة، فالإمام علیه السلام یؤکّد علی أنّ هذا المقدار من الوسائط الکثیرة بیننا وبینهم لا یمنع من اعتبارهم من الأرحام والأقرباء، أضف إلی ذلک أنّ البعض ذهب إلی وجود رابطة سببیة بین هاشم وتمیم من طریق الزواج العائلی، وذهب بعض أیضاً إلی أنّ أحد زوجات الإمام علیّ علیه السلام واسمها لیلی بنت مسعود الحنظلیة من بنی تمیم؛ ولکن مع الالتفات أنّ الارتباط السببی لا یسمّی رحماً بل یقتصر الرحم علی الرابطة النسبیة، فإنّ هذین التفسیرین یبتعدان عن الحقیقة.

ویری ابن أبی‌الحدید وبعض آخر من المؤرّخین فضائل الأخری لبنی تمیم حیث یستفاد من مجموعها أنّ هذه القبیلة تحظی بامتیازات کبیرة فی الواقع الاجتماعی العربی.

ویستفاد من سیاق کلام أمیر المؤمنین علیه السلام أنّ مسألة صلة الرحم تحظی بأهمیة کبیرة فی الإسلام بحیث إنّ هذا الحکم الإسلامی یمتدّ من الأرحام ویتناول حتّی

من کان یرتبط بفاصلة بعیدة من الآباء والأجداد، یقول الإمام علیه السلام: إنّک لو لم تحفظ هذه القرابة والرحم فستکون أمام اللَّه مسؤولًا ومحکوماً وإن وصلتها فستکون مصدر الخیر والبرکة.

وفی ختام هذه الرسالة یأمر الإمام علیه السلام ابن عباس بمداراة المخالفین بشکل عامّ وبنی تمیم بشکل خاصّ ویقول: «فَارْبَعْ ۲۵۷] أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَکَ اللَّهُ، فِیمَا جَرَی عَلَی لِسَانِکَ وَیَدِکَ مِنْ خَیْرٍ وَشَرٍّ! فَإنَّا شَرِیکَانِ فِی ذَلِکَ، وَکُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّی بِکَ، وَلَا یَفِیلَنَّ ۲۵۸] رَأْیِی فِیکَ، وَالسَّلَامُ».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۰۹

ویراد من الخیر والشرّ: النفع والضرر، وهی الأعمال التی یمکن أن یترتب علیها الظلم أو الضرر، فالشرّ هنا لیس بمعنی الظلم والجور لأنّ ابن عباس لم یکن الوالی الظالم الذی یتعامل مع الناس بالظلم وسحق الحقوق.

واللافت للنظر أنّ الإمام علیه السلام فی هذه التوصیة بمداراة المخالفین ورعایتهم یشیر إلی هذه الحقیقة وهی أنّک وکیل عنّی، وأنّ کلّ عمل یصدر منک فسوف یکتب علیَّ فکأنه صدر منّی، وعلی هذا الأساس ینبغی الاحتیاط والتدبر فی الأمر، وهذا الکلام من قبیل أن یقال لعلماء الدین: انتبهوا إلی أعمالکم وتصرّفاتکم لأنّ کلّ عمل یصدر منکم سیکون منسوباً للدین والإسلام أیضاً.

وفی الجملة الأخیرة یحذّر الإمام علیه السلام ابن عباس أیضاً ویقول أنّک لو لم تسلک سبیل المداراة والمراعاة فربّما یتغیّر نظر إمامک عنک، وهذا دلیل آخر علی ضرورة العمل بتوصیات الإمام علیه السلام.

فی العبارة الواردة أعلاه یخاطب الإمام علیه السلام ابن عباس بکلمة «أبوالعباس» واستخدام الکنیة متداول عند العرب وأنّهم إذا أرادوا أن ینادوا شخصاً باحترام فإنّهم لا یذکرون اسمه الأصلیّ بل ینادونه بکنیته أو بلقبه، فهنا راعی الإمام علیه السلام هذا الجانب فی احترام ابن عباس وخاطبه بکنیته.

## تأمّل: خصائص أهل البصرة

ورد فی الخطب المتعدّدة من نهج‌البلاغة ومنها الخطبة ۱۳ و ۱۴، توبیخ وذمّ شدید لأهل البصرة، وکما رأینا فی الرسالة أعلاه أنّ أمیرالمؤمنین علیه السلام یتحدّث عن البصرة بأنّها معقل الشیطان ومحلّ نزول إبلیس ومکان إثارة الفتن، ولکن بقرینة ما ورد فی بعض الروایات التی تمدح أهل البصرة کثیراً أعمّ من الرجال والنساء والأطفال والشیوخ، فکلام الإمام علیه السلام هنا ناظر لمقطع خاصّ من الزمان، وهو الزمان

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۱۰

الذی وقعت فیه معرکة الجمل وسارع أهل البصرة لحمایة الناکثین والمتمرّدین بقیادة طلحة والزبیر، وأسفر ذلک عن مقتل الکثیر من المسلمین.

وعلی ضوء ذلک فإنّ هذا الذمّ المذکور لا یدلّ علی کلّ من دخل تلک المدینة أو کان من أهالی البصرة، فإنّه یملک تلک الصفات الذمیمة علی امتداد التاریخ وأنّه لیس من أهل الفلاح والسعادة، وخاصّة عندما نری وجود الکثیر من العلماء والعرفاء والقرّاء والموالین لأهل البیت علیهم السلام فی هذه المدینة.

وللتوضیح أکثر راجع الجزء الأول، ذیل الخطبة ۱۳.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۱۱

## الرسالة ۱۹

## اشارة

إلی بَعْضِ عُمَّالِهِ ۲۵۹]

## نظرة إلی الرسالة

یستفاد من تاریخ الیعقوبی و تاریخ البلاذری أنّ المخاطب بهذه الرسالة هو عمر بن أبی سلمة (مسلمة) الأرحبی الذی قیل إنّه کان

والياً على فارس والبحرين ٢٦٠]، وأنّه كان يستخدم اسلوب العنف والشدّة مع بعض الفئات التى تحت ولايته من طائفة المجوس، وهؤلاء كتبوا رسالة يشكون فيها هذا الوالى، فاستاء الإمام عليه السلام من ذلك وكتب هذه الرسالة مورد البحث ودعاه لرعاية الاعتدال وترك اسلوب الشدّة معهم.

واللافت أنّ توصية الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة تخصّ غير المسلمين وهم الذين يطلق عليهم «أهل الذمّة» الذين يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة بصورة سلمية، فينبغى أن يتعامل معهم الوالى والمسلمون من موقع الرأفة والمحبّة الإسلاميّة

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢١٢

ويحفظوا لهم نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، فالإمام عليه السلام لا يقبل أىّ شكل من أشكال العنف والشدّة فى التعامل معهم.

ولكن بما أنّ الاقتراب منهم والتواصل معهم أكثر من اللازم ربّما يثير مشاكل أخرى فى الجو الثقافى والاجتماعى فإنّ الإمام عليه السلام أمر هذا الوالى بضرورة التعايش بالاعتدال فى هذا الشأن.

***

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢١٣

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

## الشرح والتفسير: شمول الرأفة الإسلاميّة لجميع الناس

رأينا فيما تقدّم آنفاً أنّ المخاطب بهذه الرسالة والى الإمام عليه السلام على فارس والبحرين وأنّه كان يستخدم اسلوب الشدّة والقسوة مع جماعة من المجوس الذين كانوا يعيشون فى تلك المنطقة، وبما أنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بعدالة الإمام عليه السلام وأخلاقه الحسنة، فلذلك كتبوا إليه هذه الرسالة يشكون من سوء معاملة الوالى، وفى هذه الرسالة العميقة المضمون والتى تعتبر دستوراً لجميع الولاة والامراء، يقول الإمام عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ ٢٦١] أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ».

وقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى أربع نقاط تتّصل بأعمال الوالى السيئة

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢١٤

وسوء معاملته للرعيّة، فى البداية أشار الإمام عليه السلام إلى العنف، والأخرى إلى القساوة وعدم الشفقة، والثالثة تحقير هؤلاء الرعية، والرابعة سوء معاملته لهم، وبالرغم من أنّ هذه المفاهيم تتماثل وتقترب فى المضمون، لكن هناك فروق دقيقة بينها، ولذلك أشار الإمام عليه السلام إلى جميع هذه الأمور وأعلن بعد ذلك عن رأيه المبارك فى القضية، وهو أنّه من جهة ينبغى الالتفات إلى أنّ هؤلاء مشركون، لأنّ المجوس يعتقدون بالثنوية والمصدرين للخلق، وهما يزدان وأهريمن مصدرا الخير والشر، ورغم أنّ الزرادشتين فى هذا العصر يدّعون أنّهم موحّدون وغير مشركين، ولكن المنابع الدينية لهم تقرّر خلاف ذلك، وعلى أيّة حال فالإمام عليه السلام مع ملاحظة التفاوت الاعتقادى بينهم وبين المسلمين، ينهى عن الاقتراب منهم أكثر من الحدّ اللازم، وفى ذات الوقت يذكّر الوالى بهذه النقطة، وهى أنّ هؤلاء من أهل الذمّية يعنى أنّهم يعيشون مع المسلمين من موقع الصلح والسلم ويتعهدون باحترام الإسلام وأحكامه الإلهيّة، والحكومة الإسلاميّة بدورها تتعهد بالدفاع عنهم وعن أعراضهم وأموالهم وتتعامل معهم بلغة العطف والإحسان،

وعلى هذا الأساس فإنّ استخدام القسوة وسوء التعامل معهم يعتبر منافياً للشرع والخلق الإسلامى.

ثم يبيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة ويقول: «فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً[۲۶۲] مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ ۲۶۳] لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ الْإِقْصَاءِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وبديهىّ أنّ مثل هذا الأسلوب فى التعامل مع غير المسلمين الذين يعيشون فى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۱۵

ظلّ الحكومة الإسلاميّة بصلح وسلام يعتبر من أفضل أساليب المعاملة، ومن جهة يثير فى نفوسهم الطمأنينة والأمن ويزيح من أذهانهم أىّ تفكير فى التمرّد والطغيان، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الاسلوب فى التعامل من قِبل الحاكم الإسلامى لا يمكن حمله على الضعف والعجز فى مواجهة المشاكل والتحدّيات والتى ربّما تكون مصدراً لإثارة القلاقل وتفعيل روح المشاكسة، ومن هذا المنطلق يرسم الإمام عليه السلام الأسلوب الأمثل فى التعامل مع الأقليات الدينية فى المجتمع الإسلامى.

ومن المعلوم أنّ ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة لا ـ ينحصر بأشخاص معيّنين ولا ـ يختصّ بزمان ومكان، بل هو منهج مدروس ويمكن ترجمته على أرض الواقع الاجتماعى فى كلّ مورد ومجتمع إسلامى، بل يمكن القول إنّ الحكومة يجب أن تتعامل مع المسلمين أيضاً بمثل هذه المعاملة، فلو أظهرت فى مقابل الرعية الكثير من الليونة والتساهل أكثر من الحدّ، فربّما يحمل ذلك على ضعف هذه الحكومة، وبالتّالى يتجرّأ جماعة على القانون ولا يلتزموا بالمقرّرات الرسمية، ولو كان تنفيذ القوانين وإجراؤها باسلوب الشدّة والعنف، فإنّ ذلك ربّما يثير فى الناس الاعتراض والنفرة من الحكومة، وتنقطع بالتالى طبيعة التواصل بين الناس وبين الحكومة الإسلاميّة، وعلى أيّة حال فإنّ الإعتدال بين الرأفة والقسوة يعتبر أحد الأصول الثابتة للإدارة الناجحة وقيادة المجتمع.

بل نرى مثل هذا الأصل حتى بالنسبة للذات المقدّسة والسياسة الإلهيّة مع العباد، حيث أنّه تعالى قد جعل الناس يعيشون بين الخوف والرجاء، يقول القرآن الكريم:

«نَبِّئْ عِبادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذابِى هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ»[۲۶۴].

ونقرأ فى دعاء الافتتاح المعروف: «وَأَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِى مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ وَأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِى مَوْضِعِ النَّكَالِ وَالنَّقِمَة».

وأثار بعض شرّاح نهج‌البلاغة هنا هذا السؤال، وهو كيف أنّ الإمام عليه السلام أصدر

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۱۶

مثل هذا الأمر بالنسبة لغير المسلمين وأنّه لا ينبغى تقريبهم أكثر من اللازم فى حين أنّ القرآن الكريم يقول بصراحة: «لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِم»[۲۶۵].

والجواب عن هذا الإشكال واضح، وهو أنّ الإمام علىّ عليه السلام لا ينهى عن الإحسان إليهم، بل يأمر برعاية الإعتدال فيهم والتعامل معهم، فلا يقتربوا من الحاكم أكثر من الحدّ ويتجرّأوا على المخالفة، ولايبعدهم عنه إلى حدٍّ يتسبّب فى امتعاضهم وطغيانهم.

## تأمّل: الإسلام وأهل الذمّة

يمكننا تلخيص علاقة الإسلام والمسلمين بغيرالمسلمين فى أربع صور:

۱. أهل الذمّة: وهم أصحاب الكتب السماوية الذين يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة على شكل أقلّيات دينيّة، وهؤلاء إذا لم يتظاهروا بالأمور المخالفة للقوانين الإسلاميّة، وتعاملوا مع المسلمين من موقع الاحترام، فيجب على المسلمين أيضاً أن يعاملوهم باحترام كذلك، الحكومة الإسلاميّة أيضاً مكلّفة بحفظ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، والذمّة تعنى العهد والميثاق، وهو فى الحقيقة عهد منهم أن يعيشوا مع المسلمين بصلح وسلام، وأحد شروط الذمّة دفع ضرائب وجيزة تدعى ب «الجزية» وفى مقابل هذه الضريبة القليلة فإنّ الحكومة الإسلاميّة تقدّم لهم خدمات هامّة وجليلة كما تقدّم فى الرسالة أعلاه، ورأينا أنّ أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السلام يكتب

إلى أحد ولاته رسالة يعترض بها عليه من سوء معاملته لأهل الذمّة ويدعوه لتحسين سلوكه ومعاملته لهم.

وقد وردت أحكام أهل الذمّة فى الكتب الفقهية ذيل كتاب الجهاد بشكل مفصّل.

۲. الكفّار الحربيون: وهؤلاء كما يتبادر من اسمهم، الأشخاص الذين يعيشون

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۷

حالة الحرب ضدّ المسلمين، ولهذا السبب ليس فقط لا يجب احترامهم، بل إنّ المسلمين مأمورون بجهادهم والتصدّى لهم ومقاتلتهم.

وقد وردت أحكام الكفّار الحربيين أيضاً فى الفقه الإسلامى فى كتاب الجهاد بشكل مفصّل أيضاً.

۳. الكفّار المعاهدون: وهم الذين لا يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة، ولكنّهم تربطهم علاقات تجارية وسياسية وغير ذلك مع المسلمين، حيث يحترم كلّ طرف حقوق الطرف الآخر، والمصداق البارز لهؤلاء ما نراه فى الحال الحاضر من وجود علاقات سياسية بين المسلمين وبين جميع البلدان الأخرى فى العالم، حيث يتبادلون السفراء والخبراء وأمثال ذلك، وهؤلاء ينبغى التعامل معهم من موقع الاحترام أيضاً، سواء سافروا إلى داخل البلاد الإسلاميّة أو كانوا فى الخارج.

وقد وردت أحكام هذه الطائفة أيضاً فى كتاب الجهاد وفى كتب التفسير، وخاصّة فى تفسير سورة براءة.

۴. الكفّار المهادنون: وهم الأشخاص الذين يعيشون خارج البلاد الإسلاميّة ولا تربطهم مع المسلمين رابطة سياسية خاصة أو معاهدة معينة، ولكن فى ذات الوقت لا يواجهون المسلمين بالحرب والقتال، وقد أمر الإسلام بالنسبة لهؤلاء أن يتعامل معهم المسلمون بالإحسان وحسن الخلق، ومن ذلك ما ورد فى الآية ۸ من سورة الممتحنة حيث أكّد القرآن الكريم على أنّ اللَّه لا ينهى عن الإحسان لمثل هؤلاء الكفّار الذين لا يقاتلونكم ولا يخرجوكم من دياركم.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۱۹

## الرسالة ۲۰

### اشارة

إلى زِيادِ بْنِ أَبيهِ وَهُوَ خَليفَةُ عامِلِهِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَعَبْدُاللَّهِ عامِلُ أميرِالْمُؤْمِنينَ عليه السلام يَوْمَئِذٍ عَلَيْها وَعَلى كُورِ الْأَهْوازِ وَفارْسٍ وَكِرْمانٍ وَغَيْرِها[۲۶۶]:

### نظرة إلى الرسالة

يستفاد من هذه الرسالة الواردة فى تاريخ اليعقوبى، وخاصة مع الالتفات إلى ما ورد فى مطلعها، أنّ «زياد» كان قد قصد خيانة بيت المال والامتناع من دفع جميع الخراج، فاطّلع الإمام عليه السلام على هذه القضية من خلال بعض جواسيسه وعيونه وكتب له هذه الرسالة الشديدة وأمره بدفع الخراج لبيت المال بشكل كامل وإرساله إلى الإمام عليه السلام وقد هدّده الإمام عليه السلام بأنّه إذا امتنع عن هذا العمل فإنّه سيواجه عقوبة شديدة.

وهذه الرسالة وأمثالها تبيّن أنّ الإمام عليه السلام قد جعل عمّال ومراقبين على جميع

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۰

الولاة والمسؤولين فى الحكومة حيث ينقلون له باستمرار ما يجرى فى الولايات من مسائل مهمّة، فلو أنّ أحد المسؤولين تجاوز حدود صلاحيته فإنّ الإمام سيتولّى تنبيهه.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۱

وَإِنِّى أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِى أَنَّکَ خُنْتَ مِنْ فَیْءِ الْمُسْلِمِینَ شَیْئاً صَغِیراً أَوْ کَبِیراً لَأَشُدَّنَّ عَلَیْکَ شَدَّةً تَدَعُکَ قَلِیلَ الْوَفْرِ، ثَقِیلَ الظَّهْرِ، ضَئِیلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسیر: إنذار شدید للمتخلّفین

یستفاد من تاریخ الیعقوبی أنّ الإمام علیه السلام فی بدایة هذه الرسالة کتب إلی والیه زیاد یقول: «إِنَّ رَسُولِی أَخْبَرَنِی بِعَجَبٍ، زَعَمَ أَنَّکَ قُلْتَ لَهُ فِیما بَیْنَکَ وَبَیْنَهُ: إِنَّ الْأَکْرادَ هاجَتْ بِکَ فَکَسَرَتْ عَلَیْکَ کَسِیراً مِنَ الْخَراجِ وَقُلْتَ لَهُ: لاتُعْلِمْ بِذلِکَ أَمِیرَالْمُؤْمِنِینَ».

ویستفاد جیداً من هذا المقطع من الرسالة أنّ زیاداً تواطأ مع بعض الأکراد علی تقلیل الخراج، وکان یرید- من خلال الادّعاء بأنّ الأکراد قد امتنعوا من دفع الخراج بشکل کامل- أن یختلس بعض الخراج لحسابه الخاصّ ولا یرسله إلی بیت المال، فعلم الإمام علیه السلام بهذه المؤامرة وکتب له هذه الرسالة الشدیدة وقال: «وَإِنِّی أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِی أَنَّکَ خُنْتَ مِنْ فَیْءِ الْمُسْلِمِینَ شَیْئاً صَغِیراً أَوْ کَبِیراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَیْکَ شَدَّةً تَدَعُکَ قَلِیلَ الْوَفْرِ، ثَقِیلَ الظَّهْرِ ضَئِیلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ».

إنّ تعبیر الإمام علیه السلام فی مطلع هذا القسم حیث یقسم باللّه قسماً صادقاً، لا یعنی أنّه ربّما یصدر قسم غیر صادق من الإمام علیه السلام بل هو نوع من التأکید علی جدّیة الإمام علیه السلام فی هذا الأمر.

والملاحظة الأخری أنّ الإمام علیه السلام لم یصرّح له فی هذه الرسالة بأنّک ارتکبت

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۲

الخیانة، بل ذکر کلاماً مشروطاً بهذا المضمون، وهو أنّه إذا بلغنی أنّک ارتکبت مثل هذه الخیانة ...، لأنّه إذا أراد کشف الحجاب فی مثل هذه الموارد عن عمل الشخص المتخلّف، فإنّ ذلک یدعوه للجرأة أکثر، فبلاغة الکلام تستدعی أن یکشف قلیلًا عن الستار ویذکر الموضوع بشکل مشروط لئلّا یتجرّأ أکثر، ویعزم علی الفرار بالأموال من تلک المنطقة.

وهنا نقطة جدیرة بالالتفات فی کلام الإمام علیه السلام حیث یقول: إنّنی ساعاقبک عقوبة شدیدة بحیث یترتّب علیها ثلاث بلایا: الاولی: أنّک ستعیش فی حیاتک قلیل الوفر من المال، والآخر ستکون سیّء السمعة فلا یأتمنک أحد علی عمله وماله.

الثالث: أن تکون ثقیل الظهر، وربّما یکون مقصوده علیه السلام من ذلک ثقل المسؤولیة فی الدنیا، أی أنّه یحمل علی ظهره مسؤولیة الخیانة وما یترتّب علیها من عقوبة، أو أن یعیش بصعوبة بالغة بسبب الفقر فلا یستطیع إدارة أموره الشخصیة والمعاشیة، واحتمل بعض الشرّاح أیضاً أنّ المراد من ثقل الظهر هنا المسؤولیة الاخرویة، کما ورد هذا المضمون فی قوله تعالی: «وَلَیَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَّعَ أَثْقالِهِمْ وَلَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ عَمَّا کانُوا یَفْتَرُونَ»[۲۶۷].

والظاهر أنّ هذا الاحتمال بعید عن المقصود، لأنّ الإمام علیه السلام یقول: إنّنی ساعاقبک بما یترتّب علیه هذه العواقب الثلاث، ونعلم أنّ المسؤولیة یوم القیامة بسبب الخیانة حتمیة ولا تحتاج لتشدید الإمام علیه السلام ولا ترتبط بإنزال العقوبة بحقّه.

وجملة «ضَئِیلَ الْأَمْرِ» مع الالتفات إلی أنّ کلمة «ضَئِیل تأتی بمعنی الحقیر والضعیف والمهین، فإنّ مفهومها هو أنّک إذا ارتکبت الخیانة وعرف الناس منک ذلک، فسوف تعیش بعد ذلک بین الناس حقیراً ومهیناً وذلیلًا.

وأساساً فإنّ الخیانة، لاسیّما الخیانة فی الأموال وخاصّة فی بیت المال، منشأ الفضیحة فی الدنیا والآخرة، وهذه الحقیقة لا تنحصر بزیاد

بن أبيه فى صورة خيانته

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۲۲۳

لبيت المـال وما يترتّب على ذلك من العواقب الثلاث التى ذكرها الإمام عليه السـلام له فى رسالته، بل هى المصـير الـذى ينتظر جميع الخائنين وخاصّـۀ خونۀ بيت المال، فإنّ ظهورهم سـتكون مثقلۀ بوزر الذنب والمسؤوليۀ والعقوبۀ، وأنّ انتفاعهم فى هذا الحياۀ سـيكون ضئيلًا وستكون شخصيتهم حقيرۀ ويعيشون الذلّۀ والمهانۀ بين الناس.

## تأمّل: لماذا اختار الإمام عليه السلام زياداً لهذا المنصب

بالنسبۀ لسيرۀ «زياد بن أبيه» وتاريخ حياته، تطرح عدّۀ أسئلۀ وعلامات استفهام، الاولى: لماذا يقال عنه: زياد بن أبيه، والذى يحكى عن عدم مشروعيۀ ولادته ونسبه، والآخر: لماذا اختاره الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لهذا المنصب فى أيّام خلافته، أو على الأقلّ اختاره عبـداللَّه بن عبـاس لمثل هـذا المقام مع معرفته بشخصـيته معرفـۀ دقيقـۀ، بحيث انتهى به الأمر إلى ما انتهى إليه، وكان له ولُاسـرته دور تخريبىّ فى تاريخ الإسلام؟

والجواب عن هذه الأسئلۀ سيأتى إن شاء فى ذيل الرسالۀ ۴۴ حيث يتناسب هذا الموضوع معه أكثر.

***

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۲۲۵

## الرسالۀ ۲۱

### اشارۀ

إلى زيادٍ أيْضاً[۲۶۸]

### نظرۀ إلى الرسالۀ

يستفاد من صدر هذه الرسالۀ الواردۀ فى كتاب أنساب الأشـراف للبلاذرى، أنّ بعض الأشخاص كتب إلى الإمام عليه السلام أنّ زياداً ارتكب أعمالًا مخالفـۀ، ومن ذلـك أنّه كان يجلس على موائـد تكثر فيها أنواع الأطعمـۀ وأنّه كان يتعامل مع الآخرين من موقع التكبر والغرور، والإمام عليه السلام فى هذه الرسالۀ حذّره من الإسراف والتكبّر وطلب الدنيا وأكّد له أن يهتمّ فى حياته بالآخرۀ.

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۲۲۷

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِکَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِکَ. أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَکَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ- وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ؛ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ- أَنْ يُوجِبَ لَکَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: الإمام عليه السلام يحذِّر «زياد» مرّۀ أخرى

تقدّم آنفاً أنّ لهذه الرسالۀ مقدّمۀ يمكن من خلالها فهم ما أورده المرحوم السيّد الرضـىّ لشرحها وتفسيرها، فقد ورد فى مقدّمۀ هذه

الرسالة، أنّه كان بين سعد وزياد ملاحاة ومنازعة، وعاد سعد فشكاه إلى علىّ عليه السلام وعابه، فكتب علىّ عليه السلام إليه، أما بعد فإنّ سعداً ذكر أنّك شتمته ظلماً وهددته وجبهته تجبّراً وتكبراً، فما دعاك إلى التكبر وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «الكِبْرُ ردِاءُ اللّهِ فَمَنْ نَازَعَ اللّهَ ردِاءَهُ قَصَمَهُ»، وقد أخبرنى أنّك تكثر من الألوان المختلفة فى الطعام فى اليوم الواحد، وتدّهن كلّ يوم، فما عليك لو صمت للّه أيّاماً، وتصدّقت ببعض ما عندك محتسباً، وأكلت طعامك مراراً قفاراً، فإنّ ذلك شعار الصالحين! أفتطمع وأنت متمرّغ فى النعيم، تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم، أن يحسب لك أجر المتصدّقين! وأخبرنى أنّك تتكلّم بكلام الأبرار، وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت، فتب إلى ربّك يصلح لك عملك، واقتصد فى أمرك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۸

وقدّم إلى ربّك الفضل ليوم حاجتك، وادّهن غبّاً، فإنّى سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«ادّهِنُوا غَبّاً وَلا تَدَّهَنُوا رَفهاً»[۲۶۹].

ثمّ يأمره الإمام عليه السلام بالتصدّق فى سبيل اللّه على الفقراء والمحرومين ويقول له أيضاً: إنّ كلامك كلام المحسنين ولكنّ عملك عمل المذنبين والعاصين، فلو كان هذا الأمر حقيقة فإنّك قد ظلمت نفسك وأحبطت عملك ۲۷۰].

ومع الالتفات إلى ما تقدّم أعلاه، نصل إلى شرح الرسالة طبقاً لما ذكره السيّد الرضيّ، فالإمام عليه السلام يأمر زياد بن أبيه بأربعة أمور فى عبارة موجزة وزاخرة بالمعنى، فيقول فى البداية: «فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً».

وهو إشارة إلى ما كان زياد يهتمّ به من جلب ألوان الأطعمة على مائدته ويتّخذ سبيل المترفين، وهذا الأمر يعتبر مذموماً لجميع المسلمين ولا سيما للحكّام والولاة المنصوبين من قِبلهم.

وطبعاً فإنّ الإسراف لا ينحصر بالإكثار فى الأطعمة وأمثالها، بل الإسراف فى كلّ شىء مذموم فى الإسلام حتّى فى العبادات، حيث توجب أحياناً التعب والملل وزوال الرغبة فى العبادة والطاعة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَ إِنَّ الْقَصْدَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ السَّرَفَ أَمْرٌ يُبْغِضُهُ اللّهُ حَتَّى طَرْحَكَ النَّوَاةَ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لِلشَّيْءِ وَحَتَّى صَبَّكَ فَضْلَ شَرَابِكَ»[۲۷۱].

ثمّ يذكر الإمام عليه السلام التوصية الثانية ويقول: «وَاذْكُرْ فِى الْيَوْمِ غَداً».

وهذا هو ما ورد فى القرآن الكريم مراراً كقوله تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا لِانفُسِكُمْ مِنْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۲۹

خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ»[۲۷۲].

ومورد آخر يقول تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبيرٌ بما تَعْمَلُونَ»[۲۷۳].

ومعلوم أنّ الإنسان إذا اعتقد بوجود حياة اخرى بعد هذه الحياة وأنّ احتياجه إلى الأموال والثروات فى ذلك الوقت أشدّ بكثير من حاجته فى الدنيا، من الواضح أنّه سيترك حالات الإسراف والتبذير والتجمّل، وينعطف على أعمال الخير ولا ينفق من هذه الأموال أكثر من الحدّ اللازم فى هذه الدنيا ويقوم بإرسالها أمامه إلى ذلك اليوم.

ثمّ يوصى الإمام عليه السلام بالأمر الثالث والرابع ويقول: «وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ».

والواقع أنّ ما أشار إليه الإمام عليه السلام فى جملة: «وَاذْكُرْ فِى الْيَوْمِ غَداً» بشكل إجمالىّ، قد فصّله فى الجملتين الأخيرتين، وفسّر جملة ذكر الغد فى هذه العبارة بإمساك المال إلّابمقدار الضرورة والحاجة ولزوم إرسال الفضل إلى آخرتك، وهو اليوم الذى تحتاج فيه إلى هذا المال بشدّة، وخاصّة أنّ الثروة ستتعرّض للفناء فى حياته، وإن لم يصبها شىء من النقصان والفناء، فإنّ الإنسان سيتركها عند الموت ولا يمكنه أن ينتفع بها بأدنى شىء ولا يستطيع أن يحملها معه إلى القبر، وحتّى أنّ بعض الأقوام الماضية الذين كانوا

یـدّخرون الکثیر من الأموال النفیسـة للسـلاطین والملوک ویـدفنونها معهم، فإنّهم فی الواقع یـدّخرون کنوزاً من هـذه الثروات للأجیال اللاحقة دون أن تعود بالنفع علی أصحابها الموتی.

ومثل هـذا المضـمون ورد بتعبیرات شـیّقة وعمیقة المعنی فی وصـیّة الإمام علیّ علیه السـلام لابنه الحسن علیه السـلام (الکتاب ۳۱ من نهجالبلاغة) حیث یقول: «فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَی ظَهْرِکَ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۳۰

فَوْقَ طَاقَتِکَ، فَیَکُونَ ثِقْلُ ذَلِکَ وَبَالًا عَلَیْکَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ یَحْمِلُ لَکَ زَادَکَ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَةِ، فَیُوَافِیکَ بِهِ غَداً حَیْثُ تَحْتَاجُ إِلَیْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِیَّاهُ».

إنّ ما ورد من الصفات الأربع أعلاه هو فی الواقع إشارة إلی ما ذکره بعض المطّلعین عن إسراف زیاد بن أبیه وخیانته لبیت المال.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی نقطة أخری من نقاط ضعف زیاد، وهی التکبّر والغرور فی مقابل المحرومین والمستضعفین من الناس ویقول: «أ تَرْجُو أَنْ یُعْطِیَکَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِینَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَکَبِّرِینَ!».

وبـدیهیّ أنّ الشـخص الـذی یتوقّع أن ینـال ثواب المؤمنین، یجب علیه أن یعمل عملهم ولا یعیش التناقض والازدواجیـة فی السـلوک والمیول الباطنیـة، وهـذا بالضـبط کالمزارع الذی یطمع بالحصول علی محاصـیل وفیرة من أرضه الزراعیة فی حین أنّه لم یبذر فیها ولم یسقها الماء.

وهنا یضع الإمام علیه السـلام اصـبعه علی نقطـة حسّاسـة جدّاً، وهذا هو ما ورد فی کلامه علیه السـلام فی کتاب غررالحکم حیث قال: «احْذَرِ الْکِبْرَ فَإِنَّهُ رَأسُ الطُّغْیانِ وَمَعْصِیَةُ الرَّحْمنِ»[۲۷۴].

وفی کلام آخر للإمام علیه السلام یقول: «أَقْبَحُ الْخُلُقِ التَّکَبُّرُ»[۲۷۵].

وقـد ورد فی روایـة أخری عن الإمـام الباقر والإمام الصادق علیهما السـلام قالا: «لَنْ یَـدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ فِی قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ کِبْرٍ»[۲۷۶].

ثمّ یعود الإمام علیه السلام لیتحدّث مرّة أخری عن مسألة الإنفاق فی سبیل اللَّه ویقول:

«وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ ۲۷۷] فِی النَّعِیمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِیفَ وَالْأَرْمَلَةَ[۲۷۸]- أَنْ یُوجِبَ لَکَ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۳۱

ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِینَ؟».

وهـذه الحالة لا تختصّ بزیاد بن أبیه فقط، فالکثیر من الأشـخاص عندما یدعون اللَّه تعالی فإنّهم یسألونه ثواباً جزیلًا، ولکنّهم فی مجال العمل الذی ینتج مثل ذلک الثواب نراهم مقلّین ولا شـیء لدیهم فی مقابل هذا الطلب الکبیر، وفی‌الحقیقة أنّ مثل هذا الطلب والدعاء هو نوع من النّفـاق والازدواجیـة بین الرغبـات والأعمـال، وینبغی قلع هـذه الحالـة من وجود الإنسـان للتوصّل إلی السـکینة والانسـجام الروحیّ التام، فعنـدما تکون رغبات الإنسان متجانسـة ومتناغمـة مع سـلوکیاته وأعماله، یسـتطیع أن یکون الـدعاء حینئذٍ مقبولًا حتی لو طلب من اللَّه أکثر من ذلک.

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام یختم هذه الرسالة ببیان قاعدة کلّیة تستوعب جمیع التوصیات السابقة وتزید علیها، ویقول: «وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِیٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَی مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ».

## تأمّلان

### ۱. العلاقة بین الأعمال والجزاء

يستفاد من التعاليم القرآنية ومفاهيم الوحی أنّ الأصل فی يوم القيامة والحساب هو العلاقة الموجودة بين الأعمال وما يترتب عليها من الثواب والعقاب أو مشاهدة الأعمال ونتائجها: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»[۲۷۹] فی حين أنّ الكثير من الناس يعتقدون بأنّ الأصل فی ذلک اليوم هو العفو الإلهیّ والشفاعة، ولهذا السبب لا يهتمّون بالأعمال كما ينبغی، وهذا النمط من التفكير يقودهم أحياناً إلى ترک الواجبات وارتكاب المحرّمات والتساهل فی

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۲

الالتزام الواعی بمقتضيات الرسالة والمسؤولية، فالشفاعة حقّ وأنّ العفو الإلهیّ حقيقة لا ريب فيها، ولكنّ هذه الأمور لا تمثّل أصلًا وأساساً للنجاة يوم القيامة، فذلک اليوم يسمیّ يوم الدين، أی يوم الجزاء واستلام نتائج الأعمال.

والإمام عليه السلام فی الرسالة مورد البحث يؤكّد على هذه المسألة أيضاً ويقول: إنّ الإنسان يرى جزاء الأعمال التی قدّمها لهذا اليوم فی الماضی، ويرد على أمور كان قد ادّخرها له فی الدنيا.

فلو أنّنا جعلنا هذا المعنى أساساً وأصلًا فی حركة الحياة والفكر الدينی، فمن البديهیّ أنّ أعمالنا ستكون أنقى وأطهر بكثير.

### ۲. زياد ابن أبيه الانتهازی

لقد تحدّث المؤرّخون كثيراً عن زياد وابنه عبيداللّه وعقائدهما المنحرفة وأعمالهما السيئة، وسيأتی بعض التفصيل عن سيرتهما فی ذيل الكتاب ۴۴ إن شاء اللّه، ولكن من المناسب هنا أن نشير إشارة مقتضبة إلى ما أورده ابن أبی‌الحديد فی هذا المورد، يقول:

«قلت: قبّح اللّه زياداً، فإنّه كافأ إنعام علیٍّ عليه السلام وإحسانه إليه واصطناعه له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبّيه والإسراف فی لعنه، وتهجين أفعاله، والمبالغة فی ذلک بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه، ولم يكن يفعل ذلک لطلب رضى معاوية، كلّا، بل يفعله بطبعه، ويعاديه بباطنه وظاهره، وأبی اللّه إلّاأن يرجع إلى امّه ويصحّح نسبه، وكلّ إناء ينضح بما فيه، ثمّ جاء ابنه بعده فختم تلک الأعمال السيئة بما ختم، وإلى اللّه ترجع الأمور»[۲۸۰].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۳

## الرسالة ۲۲

### اشارة

إلى عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْعَبّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالى وَكانَ عَبْدُاللَّهِ يَقُولُ:

«مَا انْتَفَعْتُ بِكَلامٍ بَعْدَ كَلامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَانْتِفاعی بِهذا الْكَلامِ!»[۲۸۱]

### نظرة إلى الرسالة

الغرض الأصلیّ من كتابة هذه الرسالة هو أنّ الإمام عليه السلام يلفت نظر مخاطبه ابن عبّاس، وبعبارة أخرى جميع السائرين فی طريق الحقّ، إلى هذه النقطة المهمّة وهی أنّ الإنسان لا ينبغی أن يفرح بما حصل عليه من مواهب ماديّة وخيرات دنيوية عاجلة، ولا ينبغی أن يحزن على ما فقده منها، بل ينبغی أن يكون فرحه وسروره فی نيل المواهب المعنوية والأخروية، ويكون أسفه وحزنه على ما فقده من هذه

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۴

الأمور المعنوية.

إنّ روح هذه الرسالة هى انعكاس لما ورد فى القرآن الكريم فى سورة الحديد:

«لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»[۲۸۲]، وعلى ضوء ذلك فإذا تحرّك الإنسان فى واقع الحياة على مستوى تجسيد هذه التوصية الغالية والعمل بها، فإنّ ذلك سيمنحه القدرة والثبات والاستقامة، بحيث لا يتزلزل ولا يصيبه الاهتزاز أمام العواصف العاتية والتحدّيات الصعبة التى يفرضها الواقع.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۵

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

## الشرح والتفسير: السرور والحزن الموهومان

فى هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام فى مطلعها إلى نقطتين مهمّتين ومصيريّتين فى حياة الإنسان ويقول: «أَمَّا بَعْدُ- أى بعد الحمد والثناء-، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ ۲۸۳] مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ».

إنّ مواهب الدنيا على نحوين، فبعضها يحصل عليها الإنسان بسعيه وعمله ويفقدها بتكاسله وتماهله، والنحو الآخر، يحصل عليه الإنسان بدون سعى وبذل جهد، وأحياناً يفقد الإنسان مثل هذه المكاسب الدنيوية حتى لو سعى وبذل الجهد فى سبيل تحصيلها والاحتفاظ بها.

والقسم الأول يدخل فى دائرة اختيار الإنسان: والآية الشريفة: «وَأَنْ لَّيسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى [۲۸۴] ناظرة إلى هذا المعنى، ولكن القسم الآخر يدخل فى دائرة القضاء والقدر الحتميين، وهو خارج عن دائرة اختيار الإنسان.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۳۶

والواقع أنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه الحقيقة الحاسمة، وهى أنّ الكثير من الأمور التى توجب السرور والفرح للإنسان هى من القسم الثانى، وعلى أيّة حال، فالإنسان يحصل عليها وفقاً لما قدّر له فى دائرة القضاء والقدر الإلهيين، وعلى هذا الأساس فالفرح والحرص عليها لا مبرّر له، كالشخص الذى يفرح بطلوع الشمس، وفى النقطة المقابلة هناك أمور لا يحصل عليها الإنسان مهما بذل من جهد وسعى فى سبيل ذلك، فلو أنّ الشخص عاش الحزن والغمّ بسبب ذلك فإنّ حزنه سيكون موهوماً ولا مبرّر له، كالشخص الذى يحزن لغروب الشمس واختفائها فى الافق.

والمواهب الماديّة أعمّ من الأموال، والثروات، والمقامات والمناصب، والنجاحات والإخفاقات، فقدان بعض الإمكانات والحصول عليها؛ هى من هذا القبيل غالباً، فلا يكون نيلها والحصول عليها اختيارياً ولا فقدانه وزوالها، ومن هنا لا ينبغى أن يكون الحصول عليها سبباً للفرح والسرور ولا فقدانها سبباً للتأسّف والحزن.

عندما ننظر إلى الحياة الدنيا بهذا المنظار ونرى النجاحات والإخفاقات من هذه الزاوية، فسوف لا تكون تلك النجاحات موجبة للفرح والسرور، ولا تكون الإخفاقات والفشل مصدراً للحزن والهمّ.

ثمّ يستمرّ الإمام عليه السلام فى بيان هذه الحقيقة ويقول: «فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيُكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا». والدليل على ذلك واضح، فالمواهب الماديّة، الاختيارية منها أم غير الاختيارية، تسير بسرعة نحو الزوال والفناء، ولا يمكن الاعتماد عليها فى زمان وجودها، فهى معرّضة دوماً للآفات والنقصان وكذلك الحرمان منها معرّض للانتهاء وسرعة الزوال، فما يبقى للإنسان فى واقع الحياة هو المواهب الأخروية والمعنوية، فلذلك ينبغى أن يتأسّف على فقدانها ويحرص على نيلها واكتسابها.

ويقول الإمام عليه السلام فى ختام هذا الكلام وكنيتجة جليّة لما تقدّم: «وَمَا نِلْتَ مِنْ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۳۷
دُنْيَاکَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَکَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّکَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ».

وفى الختام ينبغى الالتفات إلى هـذه الحقيقة وهى أنّ مواهب الدنيا على قسمين، وأمّا مواهب اللآخرة فنوع واحد لا أكثر، فأمّا مواهب الدنيا فتارة يحصل عليها الإنسان بالسعى وبذل الجهد، وأحياناً بدون سعى وعمل، وعلى حدّ تعبير البعض:

«بما أنّ الإنسان عندما يحصل على نعم ومواهب أو يفقد هـذه النعم فلا يعلم أنّها من أىّ القسمين هى، هل هى من القسم الأول أم الثانى، ولهذا السبب يقول الإمام عليه السلام:

«وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاکَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً»، فربّما تكون هـذه النعم والمواهب من الأمور غير الاختياريـة التى لا يحرم منها الإنسان أبداً، وكذلک «وَمَا فَاتَکَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً» فلا خوف على حرمانک منها فربّما تكون من النوع الذى سيبقى معک إلى الأبد، ولكن ليكن همّک واهتمامک لما تقدّمه لآخرتک من سعى وعمل صالح، ففى ذلک اليوم لا تحصل على شىء إلّامن خلال ما تقدّمه لنفسک، فإن ليس للإنسان إلّاما سعى، وكما يقول الإمام عليه السلام فى موضع آخر من نهج‌البلاغة: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ»[۲۸۵].

## تأمّلان

### ۱. الجواب عن سؤال

ورد فى كلام الإمام عليه السلام فى الرسالة مورد البحث أنّ فرح الإنسان ينبغى أن يكون منصبّاً على ما يحصل عليه فى الآخرة، فى حين أننا نعلم أنّ الآخرة ستقع فى المستقبل لا فى الدنيا، ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّه، أولًا: إنّ الكثير من الأمور المعنوية يحصل عليها الإنسان فى الحياة الدنيا وتمثّل نوعاً من الأمور الأخروية، من قِبل النجاح والتوفيق فى مسيرته المعنوية فى السلوک إلى اللَّه.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۳۸
ثانياً: إنّ هذه العبارة ناظرة إلى الأسباب والعوامل التى تؤدّى إلى الحصول على المواهب الأخروية، فالشخص الذى قدّم أعمالًا صالحة وتحلّى بصفات محمودة فى هذه الدنيا يمكن القول أنه قد حصل على المواهب الاخروية، كأنّه وفّر أسبابها فى هذه الدنيا، وبعبارة أخرى قد حصل على أسباب تلک المواهب الاخروية، وتحصيل الأسباب هو نوع من نيل المسببات.

### ۲. الإنسان فاعل مختار

لقد ثبت فى بحث الجبر والاختيار، وطبقاً للأدلّة العقلية والآيات الكثيرة الواردة فى القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، أنّ الإنسان فاعل مختار فى أعماله، ومن المحال أن يكون الإنسان مجبوراً على المعصية والإثم، وأنّ اللَّه تعالى عادل فى حكمه وسيجزيه الجزاء العادل على ما قدّم من أعمال وسلوكيات، ولا يمكن أن يجبر الإنسان على الأعمال الصالحة، ثمّ يثيبه عليها بوصفه مستحقّاً للثواب، ولكن لا شکّ فى وجود بعض الأمور فى حياة الإنسان خارجة عن اختياره، واللَّه تعالى لا يعاقبه ولا يثيبه عليها بسبب ذلک، من قبيل الخصوصيات البدنية فى الإنسان ومنشأ ولادته ومَن هو أبوه وامّه وفى أىّ زمان ومكان يولد، وأمثال ذلک، فهذه الأمور ربّما تؤثّر فى صياغة عمل الإنسان وشخصيته، ولكنّ هذا التأثير لا يكون حتمياً وغير قابل للاجتناب، وبعبارة أخرى أنّ هذه الأمور ربّما توفّر للإنسان الأرضية المناسبة للأعمال الصالحة والطالحة ولكن الإنسان هو الذى سيفرض إرادته فى النهاية ويقوم بعمل معيّن أو يختار سلوک خاصّ بإرادته واختياره.

وبديهىّ أنّ الأشخاص الذين تتوفّر فيهم الأرضيّة المناسبة للأعمال الصالحة سيكون ثوابهم أقلّ من الأشخاص الذين لم تتوفّر لهم مثل

هـذه الأرضـيهٔ، والعكس صـحيح، فالأشـخاص الـذين تتوفّر فيهم الأرضـيهٔ المساعـدهٔ لارتكـاب الـذنب إلّاأنّهم يجتنبون التورّط بالإثم ويعصمون أنفسهم من الذنب، فإنّهم يستحقّون الثواب أكثر

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۳۹

من الأشـخاص الـذين لم تتوفّر فيهم هـذه الأرضـيهٔ، ولتوضـيح هذا المعنى يمكننا الاسـتعانهٔ بمثالين فى هذا المجال، فالكثير من الناس يتوجّهون إلى المساجد، ولكنّ جار المسجد ليس على حدّ سواء من الثواب مع الشخص الذى يبتعد عن المسجد مسافهٔ بعيدهٔ.

المسلمون يصومون رمضان، ولكن ثواب الشخص الذى يملك مزاجاً قوياً وبنيهٔ مساعدهٔ ليس على حدّ سواء مع الشخص الذى يملك بنيهٔ ضعيفهٔ، وقد وردت تفاصيل هذا الموضوع فى الكتب الدينيهٔ المختصّهٔ.

***

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۴۱

## الرسالهٔ ۲۳

### اشارهٔ

قالَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلى سَبيلِ الْوَصِيَّهِٔ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَم لَعَنَهُاللَّهُ ۲۸۶]

### الوصيهٔ فى نظرهٔ عامهٔ

هذه الوصيّهٔ تتضمّن مع كونها موجزهٔ، على أربعهٔ أقسام:

القسم الأول: يوصـى الإمام عليه السـلام بالتمسّك بركنى الإسلام الأساسيين، وهما التوحيد والنبوّهٔ ويقول: لا تسمحوا للشرك أن ينفذ فى ثنايا حياتكم، ولا تغفلوا العمل بسنّهٔ نبيّكم.

القسم الثانى: يتحدّث الإمام عليه السـلام عن مسيرته فى هـذه الحياهٔ ويقسّـمها إلى ثلاث مراحل، كلّ مرحلـهٔ منها تمثّل عبرهٔ ودرساً للمخاطب، ويقول: فى الماضى كنت

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۴۲

أعيش بينكم سالماً، واليوم أنام فى فراش المرض، وغداً افارقكم، فهذه الأيّام الثلاثهٔ عبرهٔ لكم.

القسم الثالث: يشير الإمام عليه السلام إلى كيفيهٔ التعامل مع قاتله وأنّه ينبغى أن يقترن ذلك بكامل المحبّهٔ والعطف، فلو أنّ الإمام عليه السـلام بقى حيّاً فسـيكون العفو لقاتله قربهٔ له، وإذا نال الشـهادهٔ فإنّ أولياء الدم يمكنهم الاقتصاص من القاتل ومع ذلك يوصى الإمام عليه السلام بالعفو عنه.

وفى القسم الرابع: يبيّن الإمام عليه السلام كيفيهٔ مواجهته للموت ويقول: إننى لم أكره الموت أبداً بل كنت متعطّشاً له وفرحاً باستقباله.

***

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۲۴۳

وَصِيَّتِى لَكُمْ: أَنْ لَاتُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه و آله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ.

أَقِيمُوا هَـذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِـدُوا هَـذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُم ذَمٌّ! أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكَمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكَمْ، وَغداً مُفَارِقُكَمْ. إنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِى، وَإنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِى، وَإنْ أَعفُ فَالْعَفْوُ لِى قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَـنَةٌ، فَاعْفُوا: «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» وَاللَّهِ مَا فَجَأَنِى مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ «وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ».

## الشرح والتفسير: وصايا مهمّة

كما أشرنا فى ما سبق أنّ ما ذكره المرحوم السيد الرضى هنا يمثّل مقطعاً من كلام مفصّل تحدّث به الإمام عليه السلام فى آخر ساعة من عمره الشريف، حيث تمثّل هـذه الوصـية رأسمال معنوىّ وفكرىّ ثمين لجميع أفراد الامّـة الإسـلاميّة، ففى القسم الأول من هـذه الوصـيّة يقول عليه السـلام: «وَصِـيَّتِى لَكُمْ أَنْ لَاتُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه و آله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ!».

ومع الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السـلام يؤكّد فى هذه الوصـية اجتناب الشـرك مطلقاً، فإنّ ذلك يشير إلى نفى جميع مظاهر وحالات الشـرك، سواء الشـرك فى الذات والصـفات والأفعال، أو الشرك فى العبادة وغيرها، فلو أنّ الإنسان عاش التوحيد الخالص من جميع أشكال الشرك، فإنّ ذلك من شأنه إضاءة وتنوير جميع أركان روحه

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٤٤

وشخصيّته، بحيث يكون وجوده ملكوتياً وروحانياً بكلّ ما فى الكلمة من معنى.

وفى الوصـيّة الثانية يؤكّد الإمام عليه السـلام على ضرورة عدم تضييع سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ولزوم العمل بجميع ما ورد فيهـا، خلافـاً للأشـخاص الـذين يتعـاملون مع سـنّة النبىّ من موقع الانتقاص، فيأخـذون ببعض ويتركون بعضاً، فهم فى الواقع يخـدعون أنفسهم، مثلًا لا ـ يلتزمون بحكم الجهاد الواجب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلّاأنّهم يقيمون صـلاة والليل ويلتزمون بالنوافل، ولا يتورّعون عن ارتكاب المحرّمات والمنكرات، ومع ذلك يقيمون العزاء على سيّد الشهداء.

واللافت أنّ الإمام عليه السـلام يشبّه هذين الأصـلين الأساسيين أحياناً بعمود الخيمة، وأخرى بأنّهما سـراجان يضيئان طريق الحقّ أمام الإنسان، فالخيمة الصـغيرة تحتاج عادة إلى عمود واحد، ولكن الخيمة الكبيرة ربّما تحتاج إلى أكثر من عمود وعلى كلّ عمود ينصـب سراج للإنـارة، وكما يقول البعض أنّ النور يخرج من تلك الأعمـدة، وعلى أيـة حال فإنّ خيمـة الـدين لا يمكن إقامتها بـدون هـذين الأصلين والعمودين، ولا يمكن إنارة أجواء الحياة المعنوية للإنسان بدون هذين السراجين.

أمّا عبارة: «خَلَاكُمْ ذَمٌّ وكما ذكرنا فى الخطبة ١٤٩ من الجزء الخامس أنّ العرب كان يضـربون المثل بهذه الجملة ومفهومها، أنّه لا ذمّ ولا لوم عليكم لأنّكم أدّيتم تكليفكم وأنجزتم وظيفتكم، يعنى أنّكم عملتم بما أوصـيتكم به، فلا إشكال يرد عليكم، وأمّا القائل الأول لهذه العبارة ولهذا المثل من هو؟ فقد ذكرنا تفصيل الكلام فى الجزء المذكور.

ثمّ إنّ الإمـام عليه السـلام يتعرّض فى القسم الثـانى من هـذه الخطبـة وفى عبارات موجزة وعميقـة المعنى، لبيان سـيرة حياته وأنّها تعدّ درساً وعبرة لكم ويقول: «أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ».

يعنى أنـا الـذى فتحت خيبر وخضت معركـة بـدر والأحـزاب وكنت فى ذلـك الوقت رجلًا قوياً أذبّ عن الإسـلام والمسـلمين، وادافع عنكم، ولكنّ مرور الزمان قد أثّر

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٤٥

فىَّ وغيّرنى، واليوم أرقـد فى فراش الموت برأس دامٍ من ضـربة ابن ملجم، وهذا الرأس المصاب يعتبر درساً لكم على عدم وفاء الدنيا، وغداً عندما ترون مكانى خالياً بينكم ستشعرون بحقيقة هذه الدنيا وتلمسون عدم اعتبارها، فإنّها أعرضت بكلّ سهولة عن ذلك الرجل الشجاع والبطل المقدام وسلّمته إلى أجله.

التاريخ البشرىّ نرى فيه الكثير من هذه الوقائع، وأنّ شخصيات كبيرة أو مجاميع قوية تغيّرت بمرور الزمان وبمدّة قليلة كلياً، ولم يبق لديهم من إمكانات وقدرات إلّا القليل الذى لا يفى بشىء، ويتحدّث لنا التاريخ أنّ نادر شاه كان فى ذروة العظمة عندما قصد الهجوم على بعض البلدان، فنام فى فراشه فجاءه الطبّاخ الذى كان مستاءً من نادر بشدّة ومعه سكين فقطع به رأسه وذبحه على فراشه وانتهى كلّ شىء فى الصباح الباكر.

والأوضح من الجميع تاريخ الأقوام السالفة الذى تحدّث عنه القرآن الكريم كراراً كالفراعنة ونمرود وقوم عاد وثمود، حيث عاشوا العظمة والقدرة إلّاأنّ ذلك لم يمنع من وقوعهم مورد الغضب الإلهىّ، وفى لحظات أصبحوا أثراً بعد عين ودفنتهم أمواج المشيئة الإلهيّة وسحقتهم الصيحة السماوية أو تحطّمت عروشهم وقصورهم بالزلزلة وأمثال ذلك.

وهذه المسألة لا تنحصر بالأشرار من هذا العالم، بل إنّ الأخيار والأبرار مشمولون لهذه السنّة الإلهيّة على السواء، وأنّ الدنيا لا تمثّل للجميع سوى وهماً زائلا وهباء منثوراً.

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام فى القسم الثالث عن نظرته لقاتله ويوصى أبناءه وأصحابه وصيّة مفعمة بالمحبّة والشهامة ويقول: «إنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِى، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِى، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِى قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا «أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»[۲۸۷]».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۴۶

وما ذكره الإمام عليه السلام فى الجملة الأخيرة مقتبس من الآية الشريفة من سورة النور، الواردة فى ذيل الآيات «الإفك» عندما اتّهمت جماعة من المنافقين زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وتصدّى القرآن الكريم لتبرئة ساحتها من التهمة الشنيعة، فكان أن أقسم بعض أثرياء الصحابة أنّهم لا يمدّون يد العون بعد الحادثة إلى الأشخاص الذين ساهموا فى نشر هذه الشائعة الموهنة، فنزلت الآية الشريفة وأمرتهم بما ذكر آنفاً:

«أ لاـ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»، يعنى أنّكم كما تتوقّعون من اللَّه العفو والصفح فإنّ الآخرين أيضاً يتوقّعون منكم العفو والصفح فى مقابل العمل السيء الذى ارتكبوه فى حقّ زوجة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومعلوم أنّ القصاص فى الإسلام يعدّ أصلًا فى الأحكام والتعاليم السماوية على حدّ تعبير القرآن الكريم وأنّه بمثابة الحياة للمجتمع: «وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[۲۸۸]، ولكن فى ذات الوقت ترك القصاص والعفو عن الجانى الذى يستحقّ العفو، يعتبر فضيلة كبيرة ومرتبة عالية من السموّ الأخلاقى والإنسانى.

وأخيراً يتحدّث الإمام عليه السلام، فى القسم الرابع والأخير من وصيّته، عن موقفه من الموت والشهادة، وهذا هو الموقف الذى انعكس فى موارد عديدة من نهج‌البلاغة أيضاً وهو أننى ليس فقط لا أخشى من الموت بل أننى أعيش العشق للشهادة فى سبيل اللَّه ويقول: «وَاللَّهِ مَا فَجَأَنِى مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ «وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ»».

والعبارة الأخيرة مقتبسة من الآية الشريفة ۱۹۸ من سورة آل عمران، حيث يتحدّث القرآن الكريم فى مطلع الآية عن ثواب المتّقين ويختمها بالجملة المذكورة آنفاً.

وما جاء فى المقطع الأخير من هذه الوصية هو ما تحدّث عنه أميرالمؤمنين

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۴۷

علىّ عليه السلام مرّات عديدة كما فى نهج‌البلاغة وغيره، وهذا ليس شأن الإمام عليه السلام فحسب بل المؤمنين العاديين أيضاً لا يخافون الموت، وخاصّة إذا كان الموت مقترن بالشهادة، والأشخاص الذين يخافون من الموت إمّا أنّهم لا يؤمنين بالحياة بعد الموت ويتصوّرون أنّ الموت يعنى الفناء وزوال كلّ شىء ولذلك يخافون منه، أو يؤمنون بالحياة بعد الموت لكنّ صحيفة أعمالهم إلى درجة من الظلمة والتلوّث بحيث يعلمون أنّ مصيرهم بعد الموت هو بداية العذاب والألم، وأمّا الأشخاص الذين يؤمنون بالآخرة ويملكون صحيفة أعمال بيضاء ونقية، فلا مبرّر لخوفهم من الموت، بل على حدّ تعبير الإمام عليه السلام فى الخطبة ۵ من نهج‌البلاغة

تكون علاقتهم بالموت أشبه بعلاقة الطفل الرضيع بثدى امّه، أو أكثر: «وَاللّهِ لَابْنُ أبىطالب آنَس بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْىِ أمِّهِ».

وطبقاً لما ورد فى الرواية المشهورة أنّ عبدالرحمن بن ملجم المرادى عندما ضرب الإمام عليه السلام فى محراب العبادة على امّ رأسه، قال الإمام عليه السلام: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَة».

ومع الالتفات إلى أنّ كلمة «قارب ، كما ورد فى لسان العرب وبعض الكتب اللغوية تعنى الشخص الذى يبحث عن الماء ليلًا أو الشخص الذى تفصله عن عين الماء مسير ليلة واحدة، فيستفاد من جملة «كَقارِبٍ وَرَدَ وَطالِبٍ وَجَدَ» الإشارة إلى أننى بالنسبة للموت والشهادة كالضمآن الذى يريد الوصول إلى منهل الماء أسرع، وقد نلت بغيتى ووجدت ضالّتى التى كنت أنتظرها سنين متمادية.

وما أشدّ التفاوت بين هذا الكلام وكلام المستكبرين الذين يعيشون بعيداً عن اللّه عزّ وجلّ والآخرة عندما يحين أجلهم ويقعون فى شباك الموت، فنراهم يرتجفون خوفاً ويصرخون هلعاً ويتمنّون العودة إلى الدنيا وهم فى حالة الذلّة والمهانة.

يقول السيد الرضى فى ختام هذه الرسالة: «قالَ السَّيِّدُ الشَّريفُ رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْهِ:

أقولُ: وَقَدْ مَضى بَعْضُ هذا الْكَلامُ فيما تَقَدَّمَ مِنَ الْخُطَبِ، إلّا أنَّ فيهِ هاهُنا زِيادَةٌ أوْجَبَتْ تَكْريرَهُ».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ٢٤٨

## تأمّلان

### ١. القصاص أو العفو؟

رأينا آنفاً أنّ تشريع حكم القصاص فى الإسلام من أجل حفظ المجتمع البشرىّ من شرّ الأشرار، وكما ورد فى القرآن الكريم: «وَلَكُمْ فِى الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِى الْأَلْبابِ»[٢٨٩] والأشخاص الذين يعيشون فى زماننا هذا ويخالفون حكم القصاص فهم فى الواقع يترحّمون على الذئاب العاوية، ويسمحون للأبرياء أن يقعوا فى مصائد هذه الذئاب والوحوش الكاسرة ولا يهتمّون بذلك، فهناك أفراد من الأشرار فى المجتمع إذا شعروا بالأمن من القصاص فلا أحد يستطيع منعهم من ارتكاب أيّة جريمة فى حقّ الأبرياء، وأحد عوامل زيادة نسبة القتل فى بعض المجتمعات البشرية يعود إلى إلغاء حكم القصاص فى تلك المجتمعات.

ولكنّ الإسلام، ومن أجل التصدّى للعنف والعداون بالمقدار الممكن، يمنح الأشخاص الذين ارتكبوا جريمة القتل بدافع من الانفعال العفوىّ أو الغرور فرصة أخرى، حيث ضمّ إلى جانب حكم القصاص حكم العفو، وخيّر أولياء الدم بين القصاص والعفو، ولكن أولياء اللّه يختارون دائماً الخيار الثانى، ولهذا السبب فقد أوصى الإمام عليه السلام أبناءه وأصحابه فى وصيّته مورد البحث العفو عن القاتل، ونعلم أنّ القاتل هو ابن ملجم.

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو أنّ أولاد الإمام عليه السلام بعد توصية الإمام عليه السلام بالعفو عن القاتل لماذا رجّحوا خيار القصاص؟

الجواب عن هذا السؤال يتبيّن من خلال الالتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ مشاعر الناس وعواطفهم الجيّاشة فى مقابل هذه الجريمة كانت إلى درجة من الشدّة بحيث أنّ العفو عن ابن ملجم سيتسبّب فى إثارة الاضطراب فى ذلك المجتمع، وعشّاق الإمام عليه السلام لا يملكون القدرة على تحمّل مثل هذا العفو، أضف إلى ذلك أنّهم

نفحات الولايه، ج۹، ص: ٢٤٩

لو سجنوا ابن ملجم فإنّ الجماهير ستهجم حينئذٍ على السجن، وإذا أطلقوا سراحه فسيقطّعونه إرباً إرباً، إذن فالأفضل إجراء حكمالقصاص عليه ليعود الهدوء إلى المجتمع.

### ٢. معنى «لا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ»

إنّ أساس الإسلام يتمثّل فى ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الوصيّة مورد البحث، حيث أكّد على التوحيد وحفظ سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فالالتزام الواعى بمتطلّبات التوحيد فى جميع أبعاده وخاصة التوحيد فى العبودية والأفعال، من شأنه أن يكون مصدراً لجميع الخيرات والبركات، فاللجوء إلى ساحة كبريائه ورحمته الواسعة من شأنه أن يفعّل شفاعة الشفعاء أيضاً، فاللَّه تعالى هو الذى بيده مصائر العباد وأرزاقهم وموتهم وحياتهم، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، وهو على كلّ شىء قدير.

وأمّا حفظ سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كذلك لا يكون بالكلام فقط، بل لابدّ من تجسيدها على أرض الواقع والممارسة، ولكن للأسف الشديد فإنّ جماعة من المسلمين اكتفوا باسم الإسلام وغفلوا عن سنّة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تماماً.

وجماعة أخرى فرضوا آراءهم وما توحى إليهم أهواؤهم على السنّة الشريفة من خلال القراءات الجديدة وأنماط التفسير بالرأى، ووضعوا أنفسهم وأفكارهم مكان السنّة النبوية، حتّى أنّ الإمام عليه السلام فى وصيّة أخرى له وهو على فراش الشهادة يقول:

«وَاللَّهَ اللَّهَ فِى الْقُرْآنِ، لَايَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»[۲۹۰]، فأنتم قد تربّيتم فى ظلّ القرآن الكريم والتعاليم السماوية، فلا ينبغى الغفلة عنها ويعمل بها غيركم، ويتحلّى الآخرون بالأمان والصدق وتتلوّثون أنتم بالخيانة والكذب، وغيركم متّحدون فيما بينهم على أمر الدنيا، وأنتم مختلفون ومتفرّقون فى أمر دينكم.

ومن هنا فنحن نخشى أن يأتى ذلك اليوم الذى «لا يَبْقى مِنَ الْإِسْلامِ إلّا إسْمُهُ وَلا يَبْقى مِنَ الْقُرآنِ إلّارَسْمُهُ»[۲۹۱].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۵۱

## الرسالة ۲۴

### اشارة

بِما يُعْمَلُ فى أموالِهِ، كَتَبَها بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفّين ۲۹۲]:

### نظرة إلى الرسالة

يتبيّن من هذه الرسالة أن القسم الأكبر منها،- كما يفهم من سياقها،- وقف لا وصيّة، والوصيّة تشكّل قسماً صغيراً منها، وخلاصة ما ورد فيها أنّ متولّى الوقف هم أبناء أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبعده الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وبيان صارف الموقوفة وكيفية تقسيمها وإدارة بساتين النخيل ويستفاد من مجموع هذه الوصيّة أنّ الإمام عليه السلام كان يملك بساتين نخل عديدة فى مناطق مختلفة، وامتلكها إمّا من خلال نصيبه من الغنائم الحربية أو بسعيه وجهده، وقد أوقفها جميعاً فى موارد الوقف العام ليتسنّى للجميع الاستفادة منها.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۵۲

ويشير الأخير منها إلى الجوارى وكيفية فتح الباب أمام تحريرهنّ وعتقهنّ.

ويستفاد أيضاً من كلام السيد الرضىّ فى ذيل هذه الرسالة أنّه كان شديد الاهتمام بهذه الرسالة حيث تتضمّن فصاحة عالية وبلاغة رائعة.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۵۳

هـذَا مَـا أَمَرَ بِهِ عَبْدُاللَّهِ عَلِیُّ بْنُ أَبِی طَـالِبٍ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ فِی مَـالِهِ، ابْتِغَـاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِیُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَیُعْطِیَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ. مِنْهَـا: فَـإِنَّهُ یَقُومُ بِـذَلِکَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِیٍّ یَأْکُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَیُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَـدَثَ بِحَسَنٍ حَـدَثٌ وَحُسَـیْنٌ حَیٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْـدَرَهُ. وَإِنَّ لِابْنَیْ فَاطِمَـةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِیٍّ مِثْلَ الَّذِی لِبَنِی عَلِیٍّ، وَإِنِّی إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِیَامَ بِـذَلِکَ إِلَی ابْنَیْ فَاطِمَـةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَی رَسُولِ اللَّهِ صـلی الله علیه و آله، وَتَکْرِیمـاً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِیفاً لِوُصْـلَتِهِ. وَیَشْـتَرِطُ عَلَی الَّذِی یَجْعَلُهُ إِلَیْهِ أَنْ یَتْرُکَ الْمَـالَ عَلَی أُصُولِهِ، وَیُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَیْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُـدِیَ لَهُ، وَأَلَّا یَبِیعَ مِنْ أَوْلَـادِ نَخِیـلِ هَـذِهِ الْقُرَی وَدِیَّةً حَتَّی تُشْـکِلَ أَرْضُـهَا غِرَاسـاً. وَمَنْ کَـانَ مِنْ إِمَائِی- اللاتِی أَطُوفُ عَلَیْهِنَّ- لَهَا وَلَـدٌ، أَوْ هِیَ حَامِلٌ، فَتُمْسَکُ عَلَی وَلَدِهَا وَهِیَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِیَ حَیَّةٌ فَهِیَ عَتِیقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

## الشرح والتفسیر: توصیات مدروسة لإدارة الموقوفات

سبق وأن أشـرنا آنفاً إلی أنّ هذه الوصـیّة تتّخذ شـکل الوقف فی الأصل، ولذلک ورد فیها أرکان الوقف، الموقوف علیهم، المتولّی و ... واحداً بعد الآخر.

بدایـة یتحدّث الإمام علیه السـلام عن الوقف والغرض من الوقف، ویقول: «هَـذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْـدُاللَّهِ عَلِیُّ بْنُ أَبِیطَـالِبٍ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ فِی مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِیُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَیُعْطِیَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۵۴

ویسـتفاد جیّداً من هذه العبارة أنّ أحد شـروط الوقف قصد القربة حیث ذُکر هذا الشرط فی سند الوقف، وبعد ذلک مباشرة ذکر اسم الواقف.

أمّا الوصف بکلمة أمیرالمؤمنین بعد أن ذکر الإمام علیه السـلام اسمه المبارک، فهذا یشیر إلی أنّ کتابة هذا السند من الوقف کان فی أیّام حکومته وخلافته رغم أنّ الإمام علیّ علیه السـلام کان یعرف بأمیرالمؤمنین من قِبل المطّلعین واولوالألباب بعـد رحلة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله.

ثمّ إنّ الإمـام علیه السـلام یبیّن فی قسم آخر من هـذه الوصـیّة «سـند الوقف» أربع نقـاط، والسـیّد الرضـیّ فصّـلها بعبـارة، «منهـا»: بیان الشـخص المتولّی وحقّ التولیة ومصارف الوقف والأشخاص الذین یتولّون الوقف بعد وفاة أو استشهاد المتولّی الأول وهو القائم مقامه ویقول: «مِنْهَا: فَإِنَّهُ یَقُومُ بِذَلِکَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِیٍّ یَأْکُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَیُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَـیْنٌ حَیٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ».

وجملـة: «یَأْکُـلُ مِنْهُ بِـالْمَعْرُوفِ» یمکن أن یکون إشـارة إلی حقّ التولیـة وربّمـا تکون إشارة إلی اسـتفادة الموقوف علیهم منها، ولکنّ الاحتمال الأوّل أقرب إلی سیاق العبارة مع الالتفات إلی أنّ الأفعال فی الجمل المذکورة للمستقبل.

وجملـة: «وَیُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ» أنّ هذه الموقوفة تتمتّع بجهة الوقف الخاص والوقف العام أیضاً، فبعضـها یتعلّق بأبناء الإمام علیه السلام والقسم الآخر یتعلّق بجمیع المحتاجین والمسلمین.

وجملـة: «وَأَصْـدَرَهُ مَصْـدَرَهُ» إذا کان ضـمیر «مصدره» یعود إلی الموقوفة فإنّ مفهومها أنّ الإمام الحسـین علیه السـلام یعمل فی منتوج ومحصول هـذه الموقوفة عمل الإمام الحسن علیه السـلام، وإذا کان الضـمیر یعود إلی الإمام الحسن علیه السـلام فإنّ مفهومه أنّ الإمام الحسین علیه السـلام یتبع سـیرة الإمـام الحسن علیه السـلام فیهـا، ورغم أنّ نتیجـة کلا هـذین الاحتمالین واحـدة، إلّاأنّهما مختلفان فی المفهوم من السیاق، وعلی أیّة حال فالاحتمال الأوّل

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۲۵۵

یبدو أقوی من الثانی ۲۹۳].

ثم يبيّن الإمام عليه السلام شرحاً أوفى للموقوف عليهم ويقول: «وَإِنَّ لِابْنَیْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِی لِبَنِی عَلِيٍّ».

ولهذه العبارة تفسيران: الأوّل، كما أشرنا إليه آنفاً أنّ انتفاع الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام من حقّ التولية لا يمنع انتفاعهما من محصول تلك الموقوفة على أنهما من الموقوف عليهم، فالحسن والحسين عليهما السلام هما المتولیين للوقف وكذلك من زمرة الموقوف عليهم.

التفسير الثانی: أنّه لا يوجد أیّ امتياز وخصوصية للاستفادة من الموقوفة من أبناء الإمام علیّ عليه السلام، سواء كانوا من أبناء فاطمة عليها السلام أم من نسل الزوجات الاخريات لأميرالمؤمنين عليه السلام.

فالإمام عليه السلام فی هذه الجملة لم يقل: «أبنائی من نسل فاطمة» بل قال: ابنی فاطمة عليها السلام وهذا يشير إلى غاية الاحترام للمقام الشامخ للزهراء عليها السلام.

وبعد ذلك يبيّن الإمام عليه السلام هذه النقطة، وهی أنّه لماذا جعل تولية الموقوفة بيد أبناء فاطمة لا سائر أبنائه الآخرين: «وَإِنِّی إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنَیْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ».

والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بيّن فی هذه العبارة أربعة أدلّة مرتبطة ببعضها على هذا الاختيار: ابتغاء وجه اللّه، التقرّب إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، إكراماً واحتراماً له ولحرمته، والتشرّف بقرابته.

وعلى حدّ قول ابن أبیالحديد أنه عندما يتمّ تسليم الأمور إلى أقرب المقرّبين من الأشخاص الذين يتمتّعون باللياقة والجدارة الكاملة، فإنّ قبول ذلك من قِبل

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۶

سائر الناس سيكون أقرب وأيسر، لأنّ الأقربون أكثر من أیّ شخص آخر على معرفة بسنّة النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله ودينه وسنّته وأنهم أجدر من الآخرين لحفظ هذه الرسالة والقيام بمتطلّباتها والدفاع عنها.

يقول ابن أبیالحديد فی شرح هذا الكلام: «ثم قال: إنّما فعلت ذلك لشرفهما برسول اللّه صلى الله عليه و آله، فتقرّبت إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة، وفی هذا رمز كناية إلى من صرف الأمر عن أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله، مع وجود من يصلح للأمر، أی كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهل قرابة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وتكريماً لحرمته، وطاعة له، وتعظيماً لقدره صلى الله عليه و آله أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب، ومن ليس من شجرته وأصله، ألاترى أنّ هيبة الرسالة والنبوّة فی صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم فی الخلق من بيت النبوّة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال فی نفوس الناس للنبوّة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام»[۲۹۴].

وهنا ربّما يثير البعض هذا السؤال، وهو: لماذا لم يعيّن الإمام عليه السلام المتولين للوقف بعد الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام؟

الجواب: إنّ الإمام عليه السلام بيّن ذلك فی الروايات التی تذكر جميع هذه الوصيّة بشكل مفصل، ولكن السيد الرضی الذی انتهج منهج الانتقاء فی نقل كلمات الإمام عليه السلام حذف هذا القسم من الوصيّة، والخلاصة أنّ الإمام علیّ عليه السلام جعل تولية الوقف بعد الإمام الحسن والإمام الحسين صلى الله عليه و آله بيد سائر أبنائه، ولو لم يوجد بينهم شخص مناسب لهذا الأمر، فإنّه ينبغی أن يتولّى هذه الموقوفة رجال آخرين من آل أبی طالب، وإنّ فُقد من بينهم الشخص المناسب لتولّی هذا الأمر فتنتقل التولية إلى شخص آخر من بنی هاشم ۲۹۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۷

وفی المقطع الأخير من هذا السند والوصيّة بالوقف يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفية حفظ هذه الموقوفات ورعاية أمورها، ويأمر بأمرين فی هذا المجال، فيقول أوّلًا:

«وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِى يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِىَ لَهُ».

ويعتبر ما ذكره الإمام عليه السلام هنا قاعدة كليّة فى جميع الموقوفات، فينبغى أن يبقى أصل المال سالماً ويتمّ الانتفاع فقط من محصوله وثمرته فى الوقف، وهذا التعبير أحياناً يقال عند إجراء صيغة عقد الوقف، فيقال: «أنْ لايُباعَ وَلا يُوهَبَ»، ويقول كذلك فى تعريف الوقف: «الْوَقْفُ حَبْسُ الْعَينِ وَتَسْبيلُ الثَّمَرَةِ»، ولكن الإمام عليه السلام بيّن هنا هذا المطلب للتأكيد ولئلّا يفكر الأشخاص من الموقوف عليهم ببيع أصل النخيل وينتفعوا من أثمارها.

التوصية الثانية يقول الإمام: «وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً».

كلمة: «وَدِيَّة» تعنى الفسائل الصغيرة التى تنمو إلى جانب النخلة وتمدّ جذورها تدريجياً وتشتدّ وتنمو حتّى يتمّ فصلها واقتطاعها من الأصل وغرسها فى مكان مناسب آخر، ولذلك ورد التعبير عنها ب «أَوْلَادِ نَخِيلِ ، وهذا العمل له فائدتان، الاولى: أن يتمّ إشغال الفضاءات الفارغة من بساتين النخيل بهذه الأغراس كما يقول الإمام عليه السلام: «تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً».

ومفهوم هذه العبارة، كما بيّن ذلك المرحوم السيد الرضى فى ختام هذه الوصية، أنّه يستفاد من هذه الأغراس الجديدة للنخيل بحيث يتمّ اشغال جميع أراضى بساتين النخيل بحيث يشكل تشخيصها على الناظر وهل أنّها هى النخيل السابقة، أم نخيل جديد؟

وعلى أيّة حال فإنّ تأكيد الإمام عليه السلام لإعمار هذه الموقوفات واتّساع رقعة الأراضى الزراعية جدير بالالتفات.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۸

والفائدة الأخرى، ما يقال من أنّ فسيل النخيل لو لم تقطع وتفصل من أصلها فى الوقت المناسب ويتمّ بيعها، فإنّها ربّما تسبب ضرراً للنخلة نفسها، ومن هذا المنطلق ينبغى حفظ هذه الأغراس إلى زمن معيّن ثمّ يتمّ اقتطاعها طبقاً لتوصية الإمام عليه السلام ومفاد سند الوقف وغرسها فى الأرض الزراعية ويتمّ الاستفادة منها فى ذلك البستان الموقوف.

وهذه التوصية لا- تختصّ بموقوفات الإمام عليه السلام فقط، بل تشمل جميع الموقوفات من هذا القبيل، رغم أنّ المتولّين النفعيين وللأسف يتصرّفون خلاف ذلك ويعرّضون بساتين النخيل للأضرار والآفات، لأنّ بساتين النخيل لو لم تمتلىء من النخيل فإنّ الحرارة والبرودة فى الفصول المختلفة من شأنها أن تعرّض النخيل للضرر أسرع، ولكن عندما تمتلىء بساتين النخيل من أشجار النخيل فإنّها قلّما تصاب بالآفات وأشكال الضرر الأخرى.

وهذا الكلام لا يعنى غضّ النظر عن إيجاد فواصل لازمة بين أشجار النخيل فربّما يتسبّب عدم رعاية الفاصلة أيضاً إلى إضعاف النخيل والإضرار بهذه البساتين.

وضمناً ينبغى الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أنّ أغراس النخيل يمكن أن تعدّ جزءاً من المنافع، فلا تشملها حرمة بيع الوقف، ولكن مع ذلك فالإمام عليه السلام يقول: إنّ بستان النخيل مادام يحتاج إلى هذه الأغراس فلا ينبغى بيعها إلى خارج البستان.

وفى ختام هذه الوصية، وبعد بيان المسائل المتعلّقة بالموقوفات، تعرّض الإمام عليه السلام للمسائل المتعلّقة بزوجاته من الجوارى، ويتحدّث عن بيان وضعهنّ ومصيرهنّ، بحيث يتمّ تحريرهنّ بعد وفاته، يقول: «وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِى- اللَّاتِى أَطُوفُ عَلَيْهِنَ ٢٩٦]- لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِىَ حَامِلٌ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِىَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۵۹

وَلَدُهَا وَهِىَ حَيَّةٌ فَهِىَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ».

وفى ذلك الزمان كان للإمام عليه السلام عدّة جوارى بحكم الزوجات، وكان له منهنّ أبناء أيضاً، ولعلّ غرض الإمام عليه السلام من زيادة الأبناء وكثرة النسل أن يزداد آل علىّ وبنو هاشم، وبذلك يتمّ الوقوف أمام تهديد الأعداء لهذا النسل المبارك ولا تتسبّب مؤامرات الأعداء فى انقراض هذه الذرّية الطاهرة.

وعلى أيّة حال فالإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية بيّن حكم الجوارى اللاتى لهنّ ولد منه أو حاملات منه، وطبقاً للقاعدة

الفقهيـة المعروفة التى يتّفق عليها جميع الفقهاء أنّ مثل هذه الجوارى والإماء يتمّ عتقهنّ من سـهم الأولاد، أو بتعبير آخر إنهنّ جزء من نصيب الأبناء من الإرث فيتمّ عتقهنّ مباشرة بعد موت المالك، لأنّه لا يحقّ لأحد أن يملك أباه أو امّه.

وأمّا بالنسبة للإماء اللائى ليس لهنّ ولد، فلم يذكر لهنّ حكم فى هذه الوصية، ولكن ورد حكمها أيضاً فى روايات أخرى ذكرت هذه الوصـية بشكل مفصّل كما وردت فى كتاب الكافى، وأنّ الإمام عليه السلام أمر بعتقهنّ جميعاً، ولكنّ السيد الرضىّ وبسبب منهجه فى التلخيص والانتقاء اكتفى بهذا المقطع من الوصية.

وهـذا يشـير إلى أنّ الإمام عليه السـلام كان يهتمّ بتحرير والعبيـد والجوارى، وأنّه كان طيلـة تاريـخ حياته المباركـة، وطبقاً لما ورد فى بعض الروايات اشترى وأعتق من كدّ يده ألف عبد «أَنَّهُ عليه السلام أَعْتَقَ أَلْفَ نَسَمَةٍ مِنْ كَدِّ يَدِهِ»[٢٩٧].

وهـذه المسألـة، أى اهتمام الإسـلام فى تحرير العبيـد تـدريجياً، تعتبر مسألـة كثيرة الأبعاد والتفاصـيل، وتشـير إلى أنّ الإسـلام يرى أنّ الأصل فى الإنسان الحرية حتّى فى المجتمع الذى يعيش ثقافة العبودية والرّق، ولكن من اللازم إيجاد برنامج

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٦٠

مـدروس وطويل الأمـد للوصول إلى هـذا الهـدف وتحقيق هـذه الغايـة الإنسانية، لأنّ الإعلام الفورى عن عتق جميع العبيد والإماء من شأنه إيجاد الخلل وخلق جوّ من الأزمة فى مفاصل المجتمع، وربّما يتسبّب أيضاً فى الإضرار وإهلاك الكثير من العبيد[٢٩٨].

وجملـة: «فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا» إشارة إلى هذه الحقيقة، وهى أن لا يتصوّر أحد أنّ الجارية الحامل أو ذات الولد التى مات ولدها بعد موت المولى، فإنّ تلك الجارية تعود إلى حالتها السابقة من الرّق والعبودية، فالإمام عليه السلام يقول: (فإن مات ولدها وهى حيّة فهى عتيقة قد أفرج عنها وحرّرها العتق) يعنى أنّه لا يمكنها العودة إلى الحالة السابقة.

***

وفى ختـام هـذه الوصـية يقول المرحوم السيّد الرضـىّ: «قالَ الشَـريفُ: قَوْلُهُ عليه السـلام فى هـذِهِ الْوَصِـيَّةِ: «وألا يَبيعَ مِنْ نَخْلِها وَدِيَّةً»، الْوَدِيَّةُ: الْفَسيلَةُ، وَجَمْعُها وَدىّ.

وَقَوْلُهُ عليه السـلام: حتّى تُشْـكِلَ أَرْضُـها غِراساً» هُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلامِ، وَالْمُرادُ بِهِ أَنَّ الْأَرْضَ يَكْثُرُ فيها غِراسُ النَّخْلِ حَتّى يَراها الناظِرُ عَلى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتى عَرَفَها بِها فَيُشْكِلُ عَلَيْهِ أَمْرُها وَيَحْسَـبُها غَيْرُها». وتعبير الإمام عليه السـلام بكلمـة «وَدِّيـة» تعنى غرس النخلة وجمعها «وَدى» (على وزن على).

وأمّا العبارة الأخرى للإمام عليه السـلام وهى قوله: «حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُها غِراساً» فهى من أفصح الكلام، ومفهومها أنّ الأغراض والنخيل ينبغى أن تكون بدرجـة من الكثرة بحيث تغطّى أجواء بستان النخيـل، فكـلّ شـخص قـد شاهـد هـذا البستان فى السـابق يصـعب عليه تشخيص هذه النخيل والبستان ويتصوّر أنّه يشاهد بستاناً آخر ويسير فى حقل آخر.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٦١

## تأمّلان

### ١. الجواب عن سؤالين

قد تثار بعض الأسئلة وعلامات الاستفهام على هذه الوصية ويقال:

١. يسـتفاد من التعبير بالوصـيّة أنّ الإمـام عليه السـلام كـان يملـك أموالًا طائلـة بحيث أنّه وقفها فى حياته، ولكن مع الالتفات إلى زهد الإمام عليه السلام المعروف، فمن أين حصل على مثل هذه الأموال؟

وكما أشـرنا قبل قليل أنّ الإمام عليه السـلام كان يملك ثلاثة مصادر ماليّة، أحدها: حصّـته من الغنائم التى تعود لجميع جنود الإسـلام

وأحياناً تشكّل مبلغاً كبيراً، الآخر: خراج الأراضى الخراجية الذى يتعلّق بعامّة المسلمين ولا يختصّ بالمحاربين، ومقدار هذا الخراج بعد الفتوحات الإسلاميّة ازداد بشكل كبير، وللإمام عليه السلام حصّته من هذا المورد المالى.

نفحات الولاية ؛ ج ۹ ؛ ص ۲۶۱

ثالث: أنّ الإمام عليه السلام كان يعمل سنين متمادية بزراعة الأشجار وغرس النخيل وقد أوجد بساتين عديدة بذلك، ثمّ جعله وقفاً خاصّاً وعامّاً، فبعض هذه البساتين والحقول أوقفها على أبنائه وذريته من آل أبى طالب وبنى هاشم، وبعضها الآخر أنفقه فى سبيل اللَّه، وما تبقّى من مال للإمام عليه السلام بوصفه ميراثاً له يعدّ مبلغاً ضيئلًا.

وقد ورد فى الروايات أيضاً أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان يملك أموالًا وبساتين جعلها الخلفاء من جملة أموال بيت المال بذريعة أنّ الأنبياء لا يورثون.

يقول ابن عبدربه فى الاستيعاب: «قُتِلَ عَلِيٌّ وَلا مالَ احْتَجَبَهُ وَلا دُنْيا أَصابَها»[۲۹۹].

وينقل ابن أبى‌الحديد أيضاً عن بعض المخالفين الذين اعترضوا على الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وقالوا: «إنّ أبا بكر رحل من الدنيا دون أن يترك ديناراً ولا درهماً، ولكن الإمام علىّ عندما غادر الدنيا ترك الكثير من بساتين النخل، ثمّ يجيب ابن أبى‌الحديد عن قولهم هذا ويقول: قد علم كلّ أحد أنّ عليّاً عليه السلام قد أستخرج عيوناً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۲

بكدّ يده فى المدينة وينبع وأحيى بها مواتاً كثيرة، ثمّ أخرجها عن ملكه وتصدّق بها على المسلمين، ولم يمت وشىء منها فى ملكه، ألا ترى إلى ما تتضمّن كتب السير والأخبار من منازعة زيد بن علىّ وعبداللَّه بن الحسن فى صدقات علىّ عليه السلام ولم يورّث علىّ عليه السلام بنيه قليلًا من المال ولا- كثيراً إلّاعبيده وإماءه وسبعمائة درهم من عطائه، تركها ليشترى بها خادماً لأهله قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً»[۳۰۰].

۲. السؤال الآخر: كيف يقول الإمام علىّ عليه السلام: إنّى جعلت الحسن متولّياً على الوقف فإذا مات وكان الحسين عليه السلام لا يزال على قيد الحياة فيقوم مقامه، فهل أنّ الإمام علىّ عليه السلام لم يكن يعلم عن طريق الغيب أنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام تقع بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام بعدّة سنوات؟

والجواب عن هذا السؤال وأسئلة كثيرة أخرى من هذا القبيل يمكن اختصاره بجملة واحدة، وهى أنّ الأئمّة فى أعمالهم العادية كانوا يعتمدون على علمهم الشخصىّ الذى يكتسبونه من الوسائل الطبيعية لا- من علم الغيب، كما كان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يعيش حياته الطبيعية كذلك، وكان أصحابه يعتمدون على العلم الحاصل من القنوات العادية، ولم يكن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أو الإمام يستخدم علم الغيب سوى فى بعض الموارد الاستثنائية.

## ۲. أهمّية الوقف فى الإسلام

إنّ اهتمام الإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام بأمر الوقف، وسبقه الآخرين فى هذا العمل الخيّر، يشير بوضوح إلى الأهميّة البالغة للوقف فى الإسلام.

ورغم أنّ الإسلام لم يبتدع مسألة الوقف، حيث كانت موقوفات كثيرة قبل الإسلام فى المذاهب والأديان الأخرى، ولكنّ الإسلام أولى أهميّة لهذه المسألة وأكّد عليها بوصفها صدقات جارية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۳

ونقرأ فى حديث عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مرّ برجل يغرس غرساً فى حائط له فوقف عليه

فقال: «ألا أدُلّك على غَرس أَثبَتُ أصلًا وأسرَعَ إيناعاً وأطْيَب وأنقى قال: بلى فِدَاك أبى وامّى يارسولَ اللّه، فقال صلى الله عليه و آله: إذا أصبَحْتَ وَأمسَيْتَ فَقُلْ: سُبحانَ اللّهِ والحَمْدُ للّهِ ولا إلهَ إلّااللّهُ واللّهُ أكبَرُ، فإنّ لكَ بذلِك إن قُلْتَهُ بِكُلِّ تَسبيحَةٍ عَشْرَ شَجَراتٍ فى الجنَّةِ مِن أنواعِ الفَاكِهَةِ وَهُنّ مِنَ الباقِيات الصّالِحات».

قال الراوى: فقال الرجل: أشهدك يارسول اللّه أنّ حائطى هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين من أهل الصّفة، فأنزل اللّه تبارك وتعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى»[۳۰۱]. وعلى ضوء ذلك فإنّ الوقف يعتبر سنّة إسلاميّة حسنة لمجمل الأعمال والأحكام الدينية.

وجاء فى بعض الروايات عن جابر بن عبداللّه الأنصارىّ أنّ بعض الصحابة الصحابة كانوا يملكون أموالًا، تركوها وقفاً لهم بعد موتهم.

ونقل الشيخ الطوسى فى الأمالى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «خَيْرُ مَا يُخَلِّفُهُ الرَّجُلُ بَعْدَهُ ثَلاثَةٌ: وَلَدٌ بَارٌّ يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَسُنَّةُ خَيْرٍ يُقْتَدَى بِهِ فِيهَا وَصَدَقَةٌ تَجْرى مِنْ بَعْدِهِ»[۳۰۲].

والأحاديث الشريفة فى هذا المجال كثيرة، وينبغى الالتفات إلى أنّ أحد الطرق للحيلولة دون تراكم الثروات وتكديس الأموال، الاهتمام بإشاعة ثقافة الوقف، لأنّ الوقف من شأنه إخراج الأموال من قبضة أفراد معدودين ووضع منافعها وخيراتها تحت اختيار المحرومين والمحتاجين من الناس.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۵

## الرسالة ۲۵

### اشارة

كانَ يَكْتُبُها لِمَنْ يَسْتَعْمِلُه عَلَى الصَّدَقاتِ

قالَ الشريفُ: وَإنّما ذَكرنا هَنا جُمَلًا لِيُعْلَمَ بِها أنَّهُ عليه السلام كانَ يُقيمُ عِمادَ الْحَقِّ، وَيَشْرَعَ أمْثِلَةَ الْعَدْلِ، فى صَغيرِ الْأُمُورِ وَكَبيرِها وَدَقيقها وَجَليلِها[۳۰۳]

### نظرة إلى الرسالة

هذه الوصيّة التى كان الإمام عليه السلام يقدّمها عادة للعاملين على جمع الزكوات وتشتمل على نكات دقيقة ونقاط مدروسة تشير إلى رعاية الأدب الإسلامى ورعاية العدالة القصوى فى شأن جميع أفراد المجتمع الإسلامى، بل تمتد لتشمل حتى الحيوانات أيضاً.

فى المقطع الأوّل من هذه الوصيّة، يأمر الإمام عليه السلام العاملين على الزكاة أن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۶

يتحرّكوا فى عملهم بنيّة خالصة ومن موقع الالتزام بالتقوى، ولا يستخدموا اسلوب التهديد والإرعاب فى جباية الحقوق الشرعية، ولا يأخذوا من أىّ شخص أكثر من الحقّ الإلهىّ المفروض عليه.

وفى القسم الثانى من الوصيّة يشير الإمام عليه السلام إلى نقاط دقيقة فيما يتّصل بتعاملهم مع الأشخاص الذين وجب عليهم دفع الزكاة من أموالهم، وأن يكون تعاملهم معهم فى غاية اللطف والمحبّة ورعاية الأدب الإسلامى.

وفى القسم الثالث يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفية فرض حقّ اللّه من أموال الناس عن طريق القرعة حتى لا يقع أىّ إجحاف لأحد من الناس فى شأن.

وفى القسم الرابع يذكر الإمام عليه السلام توصيات متعدّدة بشأن حكم المعاملة مع الحيوانات التى أَخذت من المالكين بوصفها زكاةً، وهذه التوصيات كما سنرى، أعلى وأسمى ممّا تدّعيه منظّمات حقوق الحيوان فى حماية الحيوانات.

ويضيف المرحوم الكلينى بعد نقل هذه الرسالة عن الإمام الصادق عليه السلام عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام أنّ الإمام الصادق عليه السلام بكى، ويقول الراوى بريد بن معاوية: سمعت أبا عبداللّه الصادق عليه السلام يقول: بعث أميرالمؤمنين عليه السلام صلوات اللّه عليه صدقة من الكوفة إلى باديتها، فقال له: «انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللّهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِى مَالِهِ ...»، ثمّ بكى أبوعبداللّه عليه السلام وقال: «يابريدُ واللّهِ ما بقيتْ للّهِ حرمةٌ إلّاانتُهِكتْ، ولا عُمِلَ بكتابِ اللّهِ، ولا بسُنَّةِ نَبيِّهِ فى هذا العالَم، ولا اقيمَ فى هذا الخَلقِ حَدٌّ مُنذُ قُبِضَ أميرُالمُؤمِنين صَلوات اللّه وسَلامه عليه، ولا عُمِلَ شَىٌء مِن الحَقِّ إلى يَوم النّاس هذا».

واللافت للنظر أنّ كاتب المصادر بعد أن ذكر هذا المقطع من كلام الإمام الصادق عليه السلام يقول: اقسم باللّه تعالى أنّنى بكيت أكثر من مرّة عندما قرأتها فى نهج‌البلاغة قبل أن أطّلع على ما رواه صاحب الكافى من بكاء الإمام الصادق عليه السلام عند روايتها، والحمد للّه‌ربّ العالمين ۳۰۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۷

## القسم الأول

### اشارة

انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللّهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِى مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللّهِ، أَرْسَلَنِى إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللّهِ فِى أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلّهِ فِى أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

### الشرح والتفسير: الثقة بالجمهور فى جمع الضرائب الإسلاميّة

يقدّم الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الرسالة دستوراً كلياً وشاملًا فى البداية وفى عبارات موجزة للعاملين على جمع الزكوات، ثمّ يتطرّق إلى الجزئيات والتفاصيل، وهذا بذاته أحد أساليب الفصاحة والبلاغة، يقول: «انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ ۳۰۵] مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ ۳۰۶] عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِى مَالِهِ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۸

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذا العبارات، مضافاً إلى الأمر بتقوى اللّه، عن ثلاثة أمور مهمّة، الأول: إنّ العاملين على الزكاة لا ينبغى لهم ترويع الناس واستخدام أساليب العنف والغلظة، لأنّ المأمورين على أخذ الضرائب فى الماضى كانوا عندما يدخلون إلى منطقة معيّنة فإنّ أهالى تلك المنطقة يصيبهم الخوف والوحشة لئلّا يطلب منهم المأمورون مبالغ باهظة يعجزون عن دفعها ولا يطيقونها، ولكن عندما يستخدم المأمور اسلوب الرفق ويتعامل معهم بحسن الخلق، فليس فقط لا يخافون منه بل يستقبلونه بكلّ رحابة صدر.

وفى التوصية الثانية يقول الإمام عليه السلام ليس فقط عدم ترويعهم، بل أن تتصرّف بشكل يفرحون بقدومك، فأنت مأمور من قبل أمير رحيم ورؤوف، جواد وكريم، ومن هذا الموقع يفتحون لك صدورهم وقلوبهم ويكرمون قدومك إليهم.

وفى الجملة الثالثة يتحدّث الإمام عليه السلام، قبل أن يأمره بأخذ حقّ اللَّه منهم بشكل كامل، يقول: لا تأخذ منهم أكثر من حقّ اللَّه من أموالهم، وهذا تأكيد على الالتزام بالتقوى واجتناب أخذ أموال الناس بدون مبرّر شرعيّ.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أنّ بيّن هذا الدستور الكلّى يتطرّق إلى التفاصيل، ويتحدّث عن كيفية تعامل العاملين على الزكاة مع الناس فى جباية الحقوق الإلهيّة وكيفية التعامل معهم فى هذا المجال ويقول: «فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِ ۳۰۷] فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ».

وهذه إشارة إلى أنّه ينبغى لك أن لا ـ تفرض نفسك على الناس وتكلّفهم بما ليس من واجبهم، فربّما لا يكونوا فى سعةٍ من الحال بحيث يتقبّلون استضافتك، فى حين أنّ طبيعتهم استقبال الضيف حتّى لو لم يكن لديهم ما يقدّمونه، أو ربّما لا يريدون أن تطّلع على وضعهم المالى عن قرب، أو أنّك لو دخلت على أحدهم ضيفاً فربّما

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۶۹

يفضى ذلك إلى امتعاض الآخرين ويتصوّرون أنّ مبعوث الإمام عليه السلام تربطه مع صاحب الدار رابطة خاصّة ولذلك ترك القدوم عليهم والدخول إلى بيوتهم، وعلى ضوء ذلك يأمر الإمام عليه السلام عامله أن ينزل إلى جانب عيون الماء أو الآبار ويختار منها ما يقع فى طريقهم ومورد عبورهم، والواقع أنّ هذا المكان يمثّل مركزاً لالتقاء جميع أفراد الحيّ، والظاهر أنّ المأمور على جمع الصدقات لا يتوجّه إلى هذه المناطق منفرداً، بل يصطحب معه بعض الأفراد الذين يعينونه على أموره ويحملون معه الخيمة ولوازمها، والعلف وما إلى ذلك، فينصبونها إلى جانب غدير الماء أو العين ويقيمون فى ذلك المكان.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ».

ومعلوم أنّ التوجّه إلى القوم بسكينة ووقار وإلقاء السلام والتحيّة عليهم يثير فى قلوبهم الطمأنينة ويتسبّب فى شرح صدورهم وزوال كلّ أشكال الخوف والرهبة من قلوبهم.

والغرض من هذه التوصيات تطهير الذهنية فى العرف العامّ من الرسوبات التى اختزنتها الذاكرة عن العشّارين وجباة الضرائب فى عصر الملوك وامراء الظلم والجور، حيث يأمرون جباتهم وأزلامهم بأخذ الضرائب والعشور والخراج من الناس بأساليب خشنة، فكان الناس يتصوّرون أنّ وجود هؤلاء الجباة والعشّارين بمثابة البلاء السماوىّ عليهم.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار جملة «لَا تُخْدِجْ من «الخداج» (على وزن علاج) تعنى فى الأصل الجمل الذى يولد ناقص الخلقة أو قبل موعده، ثمّ اطلقت هذه الكلمة على كلّ أمر ناقص، ويستفاد من هذه العبارة أنّ الإمام عليه السلام يروم التأكيد على هذه الحقيقة، وهى أن لا ـ يقصّر مبعوثه فى التحيّة والسلام وحسن الخلق فى التعامل مع المواطنين ولا ـ يتعامل مع الناس كما يتعامل الكثير من المأمورين والمسؤولين

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۰

الحكوميين مع الجمهور من موقع الفوقية والتعالى وحتى أنّهم لا يردون عليهم جواب سلامهم، وبعبارة أخرى أنّ تعامل المأمورين مع الناس يجب أن ينطلق من موقع الودّية والصداقة وعلى مستوى واحد بينهما.

ثمّ ينطلق الإمام عليه السلام لبيان الجزئيات المتعلّقة بكيفية المطالبة بالزكاة بطريقة شيّقة فيقول فى البداية: «ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ».

واللافت أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد فى هذه العبارة على ثلاثة أمور: أحدها: أنّ الناس هم عباد اللَّه، الثانى: إنّ العاملين على جمع الزكوات هم مبعوثون من قِبل ولىّ اللَّه وخليفة اللَّه، الثالث: أنّ ما يطلبونه من الناس هو حقّ اللَّه الموجود فى أموالهم.

إنّ مثل هذه العبارات من شأنها تحريك عواطف الإنسان وتجعلهم مستعدين لدفع الزكاة، بل يتحرّك المستمع تحت تأثير هذه العبارات لدفع ما عليه من الزكاة والضريبة من موقع العشق والشوق، ويفكّر فى نفسه أنّ مبعوث ولىّ اللَّه قد جاء إلىّ ودعانى بوصفى

عبداللّه ولم يطلب منّى شيئاً سوى حقّ اللّه فى مالى.

وجملة: «فَهَلْ للّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مع العبارات اللاحقة تعتبر بحدّ ذاتها أحد الأساليب الراقية فى أخذ الضرائب، وأحياناً نرى فى بعض المناطق فى العالم المعاصر الإشارة إلى هذا الاسلوب المتحضّر، ويتلخّص فى الثقة بالناس والاعتماد على صدقهم، يعنى أنّ الجمهور يتعامل مع المسؤولين بصدق وأمانة ولذلك يسأل المأمور أفراد الشعب عن وجود زكاة فى أموالهم دون المطالبة بها مع إنكارهم، والتجربة أثبتت أنّ مثل هذا الاعتماد والثقة المتبادلة لها أثر مهمّ فى توطيد العلاقة بين الجمهور والمسؤولين، وعلى العكس من ذلك إذا افترض المسؤول الحكومى أنّ الناس يتعاملون معه بآليات الكذب والتزوير وبالتالى يتعامل معهم كالدائن فى مطالبته من المدين، فإنّ ذلك من شأنه تقويض الثقة والعلاقة بين الطرفين ويتسبّب فى دفع الناس لإخفاء أموالهم والتمويه على المسؤولين فى محاسباتهم لكى يتهرّبوا

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۷۱

من دفع مستحقّاتهم المالية للحكومة، وبعبارة معاصرة: ينبغى أن يفتحوا لهم دفترين:

دفتر لمحاسبة الأموال بمقدارها الحقيقىّ، ودفتر لمحاسبة المبالغ التى يدفعونها للمأمورين والعاملين على الزكاة.

وممّا يجدر ذكره أنّ الأعوام الأخيرة فى بلدنا (ايران) وفى عصرنا الحالى شهدت هذه التجربة الحضارية لأخذ الضرائب من قِبل العاملين، وكانت النتيجة تضاعف حجم الدخل السنوىّ لبيت المال من الضرائب.

وفى الاسلوب التقليدى الذى يتّبع فى مسألة الخمس يتمّ مراعاة هذا المطلب بشكل دقيق، وهو أنّ المؤمنين يتوجّهون لعلماء الدين بدوافع إلهيّة ونوايا صادقة ويقدّمون لهم ورقة حساب أموالهم ليعيّنوا لهم مقدار الخمس الواجب دفعه منها بدون أىّ إكراه وإجبار.

وطبعاً فإنّ ما قيل آنفاً، يعتبر أصلًا عامّاً بالنسبة لجميع من وجب عليه دفع الزكاة فى أموالهم، ولكن ربّما توجد بعض الاستثناءات فى الموارد أيضاً، فبعض الإنتهازيين وأصحاب النفوذ والقوّة ربّما يواجهون الحكومة الإسلاميّة من موقع الرفض ويمتنعون عن دفع زكاتهم، وفى مثل هذه الموارد يجب على الحكومة التصدىّ لهم وأخذ حقّ اللّه منهم بالقوّة لئلّا يتجرّأ الآخرون على الاقتداء بهم ويرفعوا لواء المعارضة، ولكن كما قلنا آنفاً فهذه تعدّ استثناءً من القاعدة.

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى كلامه عن كيفية أخذ الزكاة: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ ۳۰۸] لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ ۳۰۹] أَوْ تُرْهِقَهُ ۳۱۰]».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۷۲

والأمر الجميل هنا أنّ الإمام عليه السلام يتحدّث بغاية اللطف والمحبّة عن الشخص الذى يعترف بوجود زكاة فى أمواله ويبيّن كيفية التعامل معه فى أربع جمل قصيرة تتضمّن توصيات للعامل على جباية المال، الأولى يقول: إنّه لا ينبغى لك أن تخيفه، مثلًا تقول له: إذا لم تدفع زكاتك بشكل كامل فسوف تتعرّض للعقوبة، والاخرى أن لا تأخذ منهم شيئاً باسلوب التهديد، والثالثة: أن لا تتشدّد فى أمر جباية الزكاة، والرابعة: أن لا ـ تثير له مشاكل ولا ترهقه فى المطالبة والحساب، يعنى يجب عليك أن تتعامل معه كالشريك الودود الذى يتعامل مع شريكه بآلية الصفح وغضّ الطرق، فعندما يعترف الطرف المقابل بوجود حقّ اللّه فى أمواله فإنّ هذا الاعتراف منه يستحقّ كلّ احترام ويعتبر بحدّ ذاته قيمة أخلاقية وإنسانية ينبغى الردّ عليها والتعامل معها بالمثل.

### تأمّل: آداب جمع الزكاة وحقوق بيت المال

إنّ ما ورد أعلاه يمثّل جانباً من تعاليم الإسلام فى ما يتّصل بجمع الزكاة وأموال بيت المال وكيفية التعامل مع أصحاب الأموال.

ونقرأ فى الآيات شريفة أنّ القرآن الكريم الذى أسّس لهذا مفهوم، يأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بأن يأخذ من المُتموّلين صدقة وزكاة تطهّرهم وتزكّيهم من لوث حبّ الدنيا والتكالب على الأموال والثروات، ثمّ يأمره بعد دفع الزكاة أن يصلّى عليهم ويدعو

لهم لتكون صلاته ودعاءه لهم سكناً لنفوسهم: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُم»[۳۱۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۳

وفى هذا المجال وردت فى المصادر الحديثية روايات عديدة تبيّن جزئيات وتفاصيل أخرى لآداب أخذ الزكاة، منها ما أورده العلّامة المجلسى فى (الجزء ۹۳ من بحار الأنوار فى الباب ۹ تحت عنوان أدب المصّدّق) وفيها أحاديث كثيرة فى عشر صفحات ۸۰ إلى ۹۰).

ومن ذلك أنّه ينقل: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله نَهَى أَنْ يُحْلَفَ النَّاسُ عَلَى صَدَقَاتِهِمْ وَقَالَ: هُمْ فِيهَا مَأْمُونُونَ يَعْنِى أَنَّهُ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ تَجِبُ فِيهِ زَكَاةٌ وَلَمْ يُوجَدْ ظَاهِراً عِنْدَهُ لَمْ يُسْتَحْلَف»[۳۱۲].

وفى حديث آخر يرويه عن أميرالمؤمنين عليه السلام حيث أمر أحد أصحابه والمسؤول عن جمع الزكاة بتوصيات متعدّدة منها أنّه قال: «أَنْ يَتَلَقَّاهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَلِينِ الْجَانِبِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْزَمَ التَّوَاضُعَ وَيَجْتَنِبَ التَّكَبُّر»[۳۱۳].

وفى حديث آخر عن أميرالمؤمنين عليه السلام أيضاً أنّه قال: «وَإِذَا كَانَ الْجَدْبُ أُخِّرُوا حَتَّى يُخْصِبُوا»[۳۱۴].

ونقل المرحوم الشيخ الحرّ العاملى أيضاً فى كتابه وسائل الشيعة الجزء ۶ فى كتاب الزكاة الباب ۱۴ أحاديث متعدّدة فى هذا المجال، ويستفاد من مجموع هذه الأحاديث أنّ الإسلام ينهى عن استخدام أىّ شكل من أشكال القوّة والإكراه فى عملية جمع الضرائب والزكاة، ويوجب على العاملين استخدام اسلوب الرفق والمداراة لمن تجب عليهم الزكاة فى أموالهم، وبعبارة أخرى أنّ دفع الزكاة فى الإسلام يدخل فى إطار المسألة الإنسانية والأخلاقية، حيث يتسابق فى دفعها وأدائها المؤمنون لينتفعوا من بركاتها الماديّة والمعنوية، لا أنّ الزكاة تمثّل ديناً يتمّ أخذه من المدين بأىّ نحو من الأنحاء.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۴

وطبعاً يتسبّب هذا النمط من التعامل الودود والإنسانى ببعض الأضرار، وقد أساء الإستفادة منه بعض الأشخاص الانتهازيين الذين لا يروق لهم دفع الحقوق المالية، ولكنّ التجربة أثبتت أنّ البركات الماديّة والمعنوية فى هذا الأسلوب الإنسانى فى التعامل أكثر من ضرره ولاسيّما أنّنا نعلم أنّ دفع الزكاة وأمثالها يعتبر فى الإسلام نوعاً من العبادة حيث يعتبر الإسلام قصد القربة وهذا القصد إنّما يتحقّق فى واقع الإنسان إذا اندفع الإنسان فى هذه العبادة من موقع الاختيار والرغبة وأسداها طواعية.

ينقل المرحوم الكلينى فى الجزء الثالث من الكافى فى باب «أدب المصّدّق» ثمان روايات فى هذا المجال تعكس فى مضامينها الرحمة والرأفة الإسلاميّة، ومن ذلك أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عندما نصّب رجلًا من قبيلة بنى ثقيف والياً على منطقة فى ضواحى الكوفة، أمره بمحضر من الناس أن لا يقصّر فى جمع الخراج ولا يترك منه ولو درهماً واحداً، ثمّ قال له: إذا أردت التوجّه إلى تلك المنطقة أن تقدم علىّ. يقول ذلك الرجل: عندما ذهبت إليه قال لى: إنّ ما قلته لك فيما يخصّ الخراج إنّما هو لحفظ الظاهر: «إِيّاكَ انْ تَضْرِبَ مُسْلِماً أَوْ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرانِيّاً فى دِرْهَمِ خَراجٍ أَوْ تَبيعَ دابَّةَ عَمَلٍ فى دِرْهَمٍ، فَإِنَّما أمِرْنا انْ نَأْخُذَ مِنْهُمُ الْعَفْوَ»[۳۱۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۵

## القسم الثانى

### اشارة

فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ. وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِى

مَالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ. فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِى صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِى مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ.

## الشرح والتفسير: غاية الاحترام لمطالب الدافعين للزكاة

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام إذا كانت الزكاة، على الذهب والفضة أى الدرهم والدينار أو قيمة زكاة الغلّات منها، فخذ منها ما أعطاك ولا تناقشه فى زيادة أونقيصة فى المقدار، لأنه قد وثق بك، فينبغى عليك أيضاً أن تثق به.: «فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضّةٍ».

وإن كان يملك ماشية وبقراً وإبلًا فلا تدخل عليها إلّابعد أن تستأذنه فى ماله،

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۷۶

لأنّ أكثر هذه الأنعام ملك له سوى ما تعلّقت به الزكاة وهو قليل: «فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ[۳۱۶] أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ ۳۱۷] بِهِ، وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا[۳۱۸]، وَلَا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا».

والمقصود من هذه العبارة ضرورة احترام ملكية المالكين لهذه الأنعام، فلا تدخل على مكان الشياه أو الإبل بشكل عنيف بحيث تنفر هذه البهائم وتفزع منك، بل يجب عليك مداراتها ورعايتها فلا- تتحرّك بشكل يبعث على خوفها وفزعها، لأنّ هذه الحيوانات وكذلك أصحابها يمكن أن يستاءوا من هذا الاسلوب، وهذا كلام يعبّر عن غاية الأدب والخلق الذى ورد فى توصية الإمام عليه السلام لعمّاله، بحيث إنّه لا- يهمل حتّى حقوق الحيوانات عند جمع الزكاة، فكيف الأمر فيما يتّصل بحقوق الإنسان واحترام مشاعره وعواطفه؟!

ثمّ إنّ الإمام ومن أجل أن يقع التقسيم عادلًا فى اختيار الأغنام أو الإبل للزكاة ولا يثير اعتراض أصحاب الأموال، يوصى عامله بأن يستخدم القرعة فى انتخاب مورد الزكاة حتّى لا يكون هناك إجحاف على المالك ولا على بيت المال وعندما يقترع على الشياه أو الإبل يخيّر صاحب المال فى هذا المال ويقول: «وَاصْدَعِ ۳۱۹] الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِىَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۲۷۷

فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِى مَالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: فإذا طلب صاحب المال أن تقيله حتّى يجرى اقتراع جديد، فاقبل طلبه وأعد القرعة بعد أن تخلط الأنعام وتجرى عليها مرّة أخرى التقسيم والاقتراع حتّى تأخذ منها حقّ اللّه: «فَإِنِ اسْتَقَالَكَ ۳۲۰] فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُم اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِى صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِى مَالِهِ».

وهنا ينبغى الالتفات إلى نقطتين هامتين: الأولى: أنّ مفهوم العبارة أعلاه لا يعنى أنّك فى حال التقسيم تعمل على فصل الأغنام أو الإبل وتجعل الجيّدة منها فى جانب والمتوسطة فى جانب آخر ثم تخيّر المالك بانتخاب أحدهما لأنّ الأغنام أو الإبل من جهة متداخلة ومخلوطة فى الظروف العادية، ومن الطبيعى أنّه عند تقسيمها سيكون قسم منها إلى جانب والقسم الآخر فى جانب آخر، ومن جهة أخرى أنّ هذا العمل نوع من الاقتراع، وتدخل فى مفهوم القرعة هذه الحقيقة، وهى أنّ التقسيم ينبغى أن يكون عادلًا، فلابدّ من إختيار أحدى الجهتين من خلال القرعة.

والنقطة الأخرى، أننا نعلم أنّ عمر الإبل دخيل فى مقدار زكاتها، وليست كزكاة الأغنام، وعلى هذا الأساس يجب مراعاة عمرها فى

عملية التقسيم، أو نقول أنّ هذا التقسيم ناظر إلى الأغنام والبقر.

ضمناً يستفاد من مجموع هذ الكلام أنّ دفع الزكاة يمكن أن يتمّ حسابه على أساس القيمة (بقرينة التعبير بالذهب والفضة فى مطلع هذا الكلام)، لأنّ هذا الكلام لا يتحدّث فقط عن زكاة الدرهم والدينار بل ناظر إلى مطلق الزكاة، ويمكن أن تؤخذ الزكاة من عين المال الذى تعلّقت به الزكاة.

ولابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أنّ الوارد فى الروايات الإسلاميّة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۸

وكلمات الفقهاء أنّ الحيوانات الممتازة كالغنم والإبل الغالية والأنعام الحامل والذكر منها الخاصّ بعملية التلقيح مستثناة من ذلك، يعنى أنّ العاملين على جمع الزكاة لا ينبغى أن يستثنوا هذه الأنعام من الزكاة لكسب رضا أصحاب هذه الحيوانات، بل يفوّضون أمرها لهم ليدفعونها عن طيب خاطر[۳۲۱].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يوصى عامله على الزكاة أن لا يأخذ من الحيوانات من تشكو عيباً ويختار الناقص والزهيد منها ويقول: «وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً[۳۲۲]، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ[۳۲۳]».

ومع الالتفات إلى أنّ كلمة «عَوْد» و «هَرِم» مترادفتان فى المعنى ويقصد بهما الحيوان المسنّ، ولكن «عود» تعنى الحيوان الذى تقدّم فى السن، و «هرم» بمعنى المتقدّم فى السنّ إلى درجة كبيرة بحيث لا يصلح لشىء.

أمّا «مهلوسة» فتارة تأتى بمعنى الحيوان المريض والمسلول وأخرى بمعنى كلّ حيوان مريض، والأنسب المعنى الثانى، أمّا «ذات عوار» فتعنى الحيوان الذى يشكون عيباً ونقصاً، بأن يكون فاقداً للعين أو الاذن وما إلى ذلك.

والجدير بالذكر أنّ الفقهاء ذهبوا إلى أنّ المقصود من هذا الحكم أنّه لو كان النصاب سالماً بأجمعه، فلا يمكن أخذ حيوان غير سليم من مكان آخر للزكاة بدل السليمة، ولكن إذا كان جميع النصاب مريضاً أومعيباً فلا مانع من أخذ الزكاة منها، ولا يشترط أن يأخذ للزكاة حيواناً سالماً، وكذلك إذا كان بعض النصاب معيباً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۷۹

والبعض الآخر سالماً فتؤخذ الزكاة من السالم والمعيب، وهذا يدلّ على رعاية العدالة الإسلاميّة فى المسائل المتعلّقة بأمور الزكاة[۳۲۴].

ومن المناسب أنّ نذكر هنا أن الإسلام من جهة ينهى عن أخذ الحيوانات المعيبة والمسنّة والمريضة للزكاة، لأنّ ذلك يتنافى مع كون الزكاة أمراً عبادياً وبمقتضى قوله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»[۳۲۵]، ينبغى على الإنسان المسلم أن يخرج لزكاته الشىء الطيّب والسليم، ومن جهة أخرى يأمر الإسلام بوضع الأموال النخبة والممتلكات الثمينة بيد أصحابها ولا يؤخذ منها شىء للزكاة، لأنّ الكثير من الناس ربّما يمتعضون ويستاؤون من هذا العمل ويكونون مصداقاً لقوله تعالى: «إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ»[۳۲۶]، وعلى هذا الأساس يراعى الحكم الإسلامى عملية التعادل والتوازن فى مسألة دفع الزكاة بشكل كامل.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۱

## القسم الثالث

### اشارة

وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ. ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ

إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا؛ وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً؛ وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ الظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### الشرح والتفسير: الرأفة الإسلاميّة بالحيوانات

سبق أن رأينا أنّ الإمام عليّ عليه السلام ذكر بعض التوصيات اللازمة فى كيفية أخذ الزكاة من الأشخاص الذين تعلّقت الزكاة فى أموالهم، وفى هذا المقطع من الرسالة يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفية حفظ هذه الأموال وشكل التعامل مع الحيوانات التى اخذت بعنوان الزكاة.

بداية يطرح الإمام عليه السلام صفات الأشخاص المأمورين بنقل الزكاة إلى بيت المال، ويستعرض عدّة خصال لهم، ففى الخصلة الأولى والثانية يقول الإمام عليه السلام «وَلَا تَأْمَنَنَّ

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٨٢

عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ».

وعلى ضوء ذلك فإنّ أهمّ شرط فى مثل هذا الموارد رعاية الأمانة وأن يكون العامل موثوقاً بدينه، والشرط الثانى أن يعيش الرفق والمداراة بهذه الأنعام، فإذا توفّر فى المتصدّى لبيت المال والخزانة هذان الشرطان، فلا مجال لظهور مشكلة فى الأمور المالية، ولا يتوقّع خيانة، ولا حدوث حيف وإفراط وتفريط فى مال المسلمين.

يواصل الإمام عليه السلام استعراضه لصفات المسؤولين والمأمورين لنقل هذه الأمور فيطرح ثمانية أوصاف لهم، ويقول: وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعْنِفٍ [٣٢٧] وَلَا مُجْحِفٍ [٣٢٨]، وَلَا مُلْغِبٍ [٣٢٩] وَلَا مُتْعِبٍ [٣٣٠]».

وبديهى أنّ هذه الصفات الثمانية منسجمة فيما بينها ومقتربة المعنى، فالراعى الناصح والمشفق لا يشدّ على الحيوانات فى المسير ولا يتعبها، لأنّه من جهة ستصيب هذه الأنعام مشقّة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الاسلوب مخالف للعدالة الإسلاميّة وربّما يؤدّى إلى التقليل من وزنها أو مرضها وبالتالى سيلحق الضرر بالمستهلكين أيضاً.

والجدير بالذكر أنّ هذه التوصيات من قِبل الإمام عليه السلام قد صدرت فى وقت لم يكن هناك أىّ كلام عن حقوق الحيوان بين العلماء والمفكّرين فى العالم، ولا كلام عن حقوق الإنسان أيضاً، ولكنّ الإسلام بوصفه ديناً زاخراً بالقيم الأخلاقية والمثل المتعالية فإنّه قرّر لزوم رعاية حرمة الحيوانات وحقوقها فى أحكامه وتعاليمه وأكّد على لزوم الرأفة بها (وسيأتى توضيح أكثر فى هذا المجال فى بحث التنبيهات).

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٨٣

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لبيان توصية أخرى ويقول: «ثُمَّ احْدُرْ [٣٣١] إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ».

وتنطلق هذه التوصية من دليلين: الأوّل: أنّه ربّما يوجد بعض المحتاجين والمحرومين الذين ينتظرون المساعدة من بيت المال، فلو أبطأ إيصال حقّهم إليهم فسيواجهون العسر والضيق ولا يمكنهم حلّ مشاكلهم، والآخر: أنّ تأخير إيصال هذه الأموال سيعرّضها للآفات، ومن أجل وقايتها من تلك الآفات لابدّ من الإسراع فى حملها إلى بيت المال وإيصالها إلى ولىّ أمر المسلمين.

وذهب بعض الشرّاح لنهج البلاغة إلى أنّ المستفاد من هذه العبارة عدّة أحكام فقهية، الأوّل، جواز نقل الزكاة من مدينة إلى أخرى، والآخر: أنّه لا يحقّ للمأمورين والعاملين على جمع الزكوات تقسيمها برأيهم، والثالث: أنّ الزكاة يجب إيصالها إلى ولىّ أمر المسلمين ويتمّ تقسيمها تحت نظره وإشرافه.

وبديهيّ أنّ هذا الحكم يتعلّق بالمناطق القريبة من مركز الحكومة والخلافة، وأمّا المناطق البعيدة التى لا يمكن نقل مال الزكاة إلى المركز إلّابصورة نقود، فلها حكم آخر، يعنى أنّ وكلاء الإمام عليه السلام يستطيعون جمع تلك الأموال وتقسيمها فى مراكزهم ومحلّ ولايتهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام كيفية نقل حيوانات الزكاة ويأمر عامله على الزكاة بعشرة أوامر دقيقة ويقول:

«فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُکَ فَأَوْعِزْ[۳۳۲] إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا[۳۳۳]، وَلَا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۴

يَمْصُرَ[۳۳۴] لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِکَ بِوَلَدِهَا؛ وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِی ذَلِکَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ[۳۳۵] بِالنَّقِبِ[۳۳۶] وَالظَّالِعِ[۳۳۷]».

ما ذكر أعلاه من كلام الإمام عليه السلام يتضمّن ستّة أقسام من توصيات الإمام عليه السلام فيما يتّصل برعاية حال حيوانات الزكاة، وهى توصيات إنسانية وأخلاقية وتدلّ على أنّ الإسلام يرى لزوم مراعاة حال الحيوانات أيضاً، فهذه الحيوانات لا تملك لساناً لبيان حالها، ولا قدرة على الدفاع عن نفسها.

ثمّ بيّن الإمام عليه السلام عدّة توصيات أخرى فى هذا المجال ويقول: «وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ[۳۳۸]، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ[۳۳۹] الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِی السَّاعَاتِ وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ[۳۴۰] وَالْأَعْشَابِ[۳۴۱]، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً[۳۴۲] مُنْقِيَاتٍ[۳۴۳]، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ».

فى هذه التوصيات الأربع الأخيرة يتحدّث الإمام عليه السلام عن مأكل ومشرب هذه الحيوانات، والغرض من ذلك أن لا تشعر هذه الحيوانات بالعطش والجوع فى مسيرها إلى مركز الخلافة وبيت المال، فينبغى أن تشرب فى مسيرها من الماء

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۵

بالمقدار الكافى ويسار بها فى الطرق التى تكثر فيها الأعشاب والنباتات لتأكل منها.

وهذه التوصيات مضافاً إلى الطابع الأخلاقى والإنسانى لها، تعود بالنفع إلى بيت المال والمحتاجين والمستحقّين لهذه الحقوق المالية، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى نهاية هذا الكلام: «حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ»، أى تأتى هذهالحيوانات سالمة ونشطة وغير مجهدة من تعب الطريق.

وفى ختام هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى الغرض النهائى من هذه التوصيات، ويقول: «لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله»، بين المحرومين والمستضعفين دون تدخل المنافع الشخصية فى هذه العملية.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «فَإِنَّ ذَلِکَ أَعْظَمُ لِأَجْرِکَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِکَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

## تأمّلان

### ۱. التأكيد على إيصال أموال الزكاة إلى المحرومين

يؤكّد الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة النورانية ثلاث مرات على هذا الأمر، وهو أنّ أموال الزكاة بعد جمعها يجب تقسيمها بين المحرومين والمستضعفين، ففى مورد يقول الإمام عليه السلام: «مالُ الْمُسْلِمِينَ ، وفى مورد آخر يقول: «فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ وفى مورد ثالث يقول: «نُصَيِّرُهُ حَيْثُ امَرَ اللَّهُ ، فى ختام هذه الرسالة يقول: «نَقْسِمَها عَلى كِتابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ . وهذا التكرار، وإن كان على حدّ قول ابن أبى‌الحديد: مخالف إبتداءً لمقتضيات البلاغة والفصاحة، ولكن نظراً إلى أنّ الناس كانوا يعيشون فى ذلك الوقت ذكريات زمان عثمان الذى كان يوزّع بيت المال على فئة معينة من الأشخاص ويحرم منه المحتاجين والمعوزين، وأدّى ذلك إلى إشتعال نار الفتنة

والثورة عليه، فالإمام عليه السلام في هذا المورد يكرّس حالة الطمأنينة والثقة في قلوب الناس بتكرار هذه العبارة ثلاث مرات في هذه الرسالة وأنّ غرضنا من ذلك و تقسيم مال المسلمين بينهم وإيصال حقوق المستحقّين إليهم.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۶

## ۲. حماية الحيوانات في الإسلام

إنّ المجتمعات البشرية كانت منذ قديم الأيّام تتعامل مع الحيوانات التي تنتفع منها من موقع الاحترام ومراعاة بعض الأصول والآداب في ذلك، وفي بعض الموارد ربّما تصل هذه العلاقة والتعامل إلى حدّ الإفراط وتتّخذ شكلًا من أشكال العبادة كما يلاحظ ذلك في هذا الزمان بين جماعة من الهندوس، حتّى تشكّلت في هذا العصر جمعيات الدفاع عن حقوق الحيوانات وقرّروا لذلك قوانين ومقرّرات لضمان عدم تجاوز هذه الحقوق ضدّ الحيوانات، والأشخاص الذين لا يراعون هذه المقرّرات يتمّ الاعتراض عليهم، وبالرغم من أنّ هذا الموضوع حاله حال سائر المواضيع التي تتعلّق بحقوق الإنسان أو الدفاع عن المعتقلين أو الأطفال وأمثال ذلك، اتّخذت في الكثير من الموارد صبغة سياسية وتبدّلت إلى عصا غليظة لتخويف المعارضيين السياسيين، وأحياناً نراهم يغصبون حقوق آلاف الأبرياء من الناس وينفقون مليارات من الدولارات على صناعة وتطوير أسلحة الدمار الشامل، ولا يرتفع أيّ صوت بالاعتراض عليهم، ولكنّهم عندما يتعرّض حيوان للأذى مثلًا فإنّهم يرفعون عقيرتهم بالصراخ والعويل.

ولكنّ الإسلام راعى في هذه المسائل حدّ الاعتدال منذ البداية وأكّد على توصيات دقيقة بالنسبة للحيوانات، بحيث أنّ كلّ إنسان منصف يرى في هذه التوصيات والمقرّرات جمالية وتعامل أخلاقي في غاية اللطف.

وقد ورد في كتبنا الروائية، أحاديث كثيرة في هذا الباب، منها ما ورد في الأبواب المتعلّقة بالحجّ فيما يتّصل بكيفية الاستفادة من الحيوانات للركوب في مسير الحجّ تحت عنوان «ابْوابُ احْكامِ الدَّوابِّ فِي السَّفَرِ وَغَيْرِهِ».

وقد أورد المرحوم الشيخ الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة في الجزء الثامن تحت هذا العنوان روايات كثيرة في أكثر من خمسين باباً، وفيما يلي نستعرض بعض هذه الروايات التي أوردها في الباب الأول:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۸۷

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لِلدَّابَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا خِصَالٌ: يَبْدَأُ بِعَلَفِهَا إِذَا نَزَلَ وَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ إِذَا مَرَّ بِهِ وَلَا يَضْرِبُ وَجْهَهَا فَإِنَّهَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى ظَهْرِهَا إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يُحَمِّلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا يُكَلِّفُهَا مِنَ الْمَشْيِ إِلَّا مَا تُطِيقُ»[۳۴۴].

وهذا إشارة إلى أنّ بعض الأشخاص الذين يركبون هذه الدوابّ عندما يتقابلون فيما بينهم أو يمرّون على أحد المشاة يتوقّفون للسلام والتحية والحديث مع بعضهم، فينبغي للراكب أن ينزل عن ظهر الدابة إلى أن ينتهي من كلامه مع صاحبه ثمّ يركب دابته ويكمل مسيرته، لأنّ مثل هذا التكليف إتعاب للدابة في حال توقّف الراكب بدون مبرر، ولكن مثل هذا التوقّف وعدم نزول الفارس إذا كان في ميدان القتال، له ما يبرّره لوجود الخطر في نزول الفارس من مركبه.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال بما يشبه هذا المضمون: «لِلدَّابَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا سِتَّةُ حُقوق»[۳۴۵] وفي رواية أخرى ذكر سبعة حقوق.

إنّ العبارات الدقيقة الواردة في هذه الرواية تعكس هذا الحقيقة الحاسمة، وهي أنّ الإسلام لم يغفل عن أدقّ التفاصيل وجزئيات المسائل في هذا الموضوع، وأنّه قدّم أفضل التوصيات والتعاليم الإنسانية في هذا المجال، والكثير من الأشخاص عندما يواجهون بعض القصور من دوابّهم فإنّهم يسارعون في ضربها بالسوط، ولكنّ الإسلام أكّد على لزوم التعامل مع الدواب باسلوب حسن وعدم إلحاق الضرر والأذى بها، فنقرأ في حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه توجّه أربعين مرّة من المدينة إلى مكة لزيارة بيت اللَّه الحرام وكان يركب الناقة، وفي طيلة هذه المدّة لم يضرب ناقته ولا سوطاً واحداً[۳۴۶].

وفى حديث معروف ومذكور فى مصادر الشيعة وأهل السنّة: «إنّ امرأةً عُذِّبتْ

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٨٨

فى هِرَّةٍ قَد رَبَطتها حتّى ماتَتْ عَطشاً»[٣٤٧].

بل يستفاد من بعض الروايات أنّه لا ينبغى سبّ الحيوانات وشتمها[٣٤٨] وهذا يدلّ على أنّ الحيوانات تملك شعوراً وفهماً بحيث تتألم من السبّ والشتم، مضافاً إلى أنّ هذا الكلام البذىء من شأنه تلويث لسان الإنسان وفمه وربّما يصير تدريجياً عادة له ويتعامل مع الناس أيضاً بمثل هذا التعامل السيء.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٨٩

## الرسالة ٢۶

### اشارة

إلى بَعْضِ عُمَّالِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ[٣٤٩]

### نظرة إلى الرسالة

يحذّر الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة «مخنف بن سليم» من النفاق والإزدواجية فى الشخصية، وينهاه عن سوء التعامل مع الناس وعدم الاهتمام والعناية بهم، وفى مقطع آخر من الرسالة يؤكّد الإمام عليه السلام على أنّك عامل لجمع الزكاة ولك سهم منها سندفعه إليك، ولكن الباقى يتعلق بالمحتاجين والمستحقّين من هذه الامّة، فينبغى إيصاله لهم.

وفى ختام الرسالة يحذّر الإمام عليه السلام من أىّ شكل من الأشكال الخيانة فى الأمانة وأنّ خيانة الامّة وإمام الامّة تعدّ من أشنع الخيانات.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٢٩١

### القسم الأول

#### اشارة

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِى سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَاشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ. وَأَمَرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَىْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَأَمَرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَلَا يَعْضَهَهُمْ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِى الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

#### الشرح والتفسير: التعامل الحسن مع دافعى الضرائب الإسلاميّة

يأمر الإمام عليه السلام فى المقطع الأول من هذه الرسالة بثلاثة أوامر لعامله على جمع الزكاة، وتبدأ كلّ واحدة من هذه التوصيات بجملة «امَرَهُ».

بداية يأمره الإمام عليه السلام بلزوم تقوى اللَّه تعالى فى الظاهر والباطن، العلانية والسرّ ويقول: «أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِى سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَاشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ».

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الجملة يشير إلى أحد أهمّ مصاديق التقوى، يعنى التقوى فى الأمور الخفية، أعمّ من النيّة الباطنية والأعمال الظاهريّة التى لا يراها سوى اللّه تعالى، وهذا الأمر يعدّ من أهم الأمور التى لا يمكن تحقيقها وتحصيلها إلّامن خلال الإيمان باللّه والاعتقاد بحضوره فى كلّ مكان وزمان، إنّ المشكلات التى تعيشها المجتمعات البشرية، والأزمات التى تصيب الناس، تتعلّق غالباً بهذه المسألة، فتؤخذ القرارات بمعزل عن أهل الخبرة وتنجز الأعمال بعيداً



عن أنظار الناس ويتمّ التضحية بالمنفعة العامة لصالح المنافع الشخصية غير المشروعة.

وعبارة: «حَيْثُ لَاشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ» ناظرة قطعاً للأشخاص العاديين غير الحاضرين فى خلوة الإنسان، ولكنّ الملائكة المأمورين بكتابة أعمال الإنسان يعيشون معه فى كلّ مكان وزمان ويراقبون أعماله وسلوكياته فى جميع الأوقات، والأعلى من الجميع الذات المقدّسة الحاضرة فى جميع أرجاء عالم الوجود ولا يخفى عليها شيء من صغائر الأمور وكبائرها.

ثمّ يأمره الإمام عليه السلام بالأمر الثانى ويقول: «وَأَمَرَهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان يجب أن يكون موحّداً فى شخصيته حيث يتطابق ظاهره مع باطنه، لأنّ اختلاف الظاهر والباطن، والخلوة والجلوة، تعتبر مصداقاً بارزاً للنفاق، والمسلم ينبغى أن يكون بريئاً ونقيّاً من النفاق.

ثمّ يذكر الإمام عليه السلام كلاماً هو بمثابة الدليل على تلك التوصية ويقول: «وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ».

ومفهوم هذا الكلام أنّ الأشخاص الذين يختلف ظاهرهم عن سريرتهم، ولا تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، هؤلاء خونة وغير مخلصين فى طاعة اللّه، وهذه هى الحقيقة، فهل توجد خيانة أفضع من أن يقوم الإنسان بمزاولة أعمال حسنة بقصد الرياء أمام الناس، ولكنّه عندما يخلو بربّه يسلك سلوكاً آخر، أو يقول بلسانه كلاماً مهذّباً ويعد الآخرين بوعود جميلة ويتحدّث عن الطهر والتقوى للناس ولكنّه على مستوى العمل والممارسة يتحرّك فى خطّ الهوى والانحراف ويتسبّب بالتالى بعدم ثقة الناس بالدّين وإضعاف الإيمان فى قلوبهم؟!

إنّ مثل هذه الأعمال السيئة مرفوضة ومذمومة من أىّ شخص، ولكنّها إذا صدرت من المسؤولين والمتولّين لُامور الناس فستكون أقبح وأشنع.



ويشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية فى مسألة الإخلاص والأمانة إلى أمرين:

أحدهما: التجانس والإنسجام فى السرّ والعلن، والآخر: الإنسجام فى القول والفعل، والحقيقة أنّ الإخلاص يقوم على أساس هذين الركنين وأنّ المرائين من الناس يفقدون الإلتزام بأحد هذين الركنين أو بكليهما.

وطبعاً فإنّ رعاية هذا الأصل بالنسبة للمسؤولين على بيت المال أهمّ وأشدّ من الآخرين حيث يجب أن يتحلّى المسؤولون بهاتين الصفتين، وهما الحفظ والأمانة.

ونقرأ فى حديث شريف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «مَنْ خالَفَتْ سَرِيرَتُهُ عَلانِيَتَهُ فَهُوَ مُنافِقٌ كائِناً مَنْ كانَ وَحَيْثُ كانَ وَفى أَىِّ أرْضٍ كانَ وَعَلى اىِّ رُتْبَةٍ كانَ»[۳۵۰].

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام عن لقمان الحكيم أنّه قال:

«لِلْمُنَافِقِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يُخَالِفُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ وَقَلْبُهُ فِعْلَهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَرِيرَتَه»[۳۵۱].

ثمّ يطرح الإمام عليه السلام فى توصيته الثالثة ثلاثة أوامر لعامله ويقول: «وَأَمَرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ وَلَا يَعْضَهَهُمْ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِى الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ».

وهذه ملاحظات نفسية مهمّة جدّاً فى مسألة جمع الضرائب وحقوق بيت المال وترتبط بشكل خاصّ بجميع أمور الإدارة والحكومة،

فالتعامل الجيّد مع الناس من شأنه تعميق أواصر المودّة والثقة المتبادلة بين الحكّام والمحكومين، وبالتالى تشجّع الناس على أداء الحقوق الماليـة والوظائف الشرعيـة عليهم وتجعل من المكلفّين أن يتقدّموا طواعيـة لدفع ما عليهم من تكاليف فى مقابل الحكومة أو المدراء، من دون حاجة لجهاز مخابرات ومأمورين غلاظ شداد ومحاكم تفتيش وما إلى ذلك، بعد أن يتحرّك الناس فى خطّ الإستقامة والمسؤولية والرسالة من موقع الوعى الكامل

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۲۹۴

بالوظيفة الشرعية، والتجارب الحديثة فى العصر الحاضر تؤيّد صدق هذا الكلام وصحّة هذا البيان.

صحيح أنّ البعض ربّما يسىء الاستفادة من هذه المسألة ولا يؤدّى ما عليه من حقوق لبيت المال، ولكنّ الخسارة المترتّبة على مثل هذا السلوك الحسن أقلّ بكثير ممّا لو كان التعامل معهم بآليّات الشدّة والعنف.

***

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۲۹۵

## القسم الثانى

### اشارة

وَإِنَّ لَکَ فِی هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِیباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَکَاءَ أَهْلَ مَسْکَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِی فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوکَ حَقَّکَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّکَ مِنْ أَکْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً یَوْمَ الْقِیَامَةِ، وَبُؤْسَی لِمَنْ- خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ- الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاکِینُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُونِ وَابْنُ السَّبِیلِ! وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ وَرَتَعَ فِی الْخِیَانَةِ وَلَمْ یُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِینَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْیَ فِی الدُّنْیَا، وَهُوَ فِی الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَی! وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِیَانَةِ خِیَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: اعمل بحيث لا يشكوك المحرومون يوم القيامة

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى نقطة مهمّة فى هذا الشأن بإمكانها أن تكون بمثابة الدليل على الكلام السابق، وهى أنّ عامل جباية الزكاة لا ينبغى له الغفلة عن هذه الحقيقة، وهى أنّه بوصفه عاملًا على جمع الزكوات له حقّ معيّن وسهم خاصّ من هذا المال، وأنّ الطوائف الأخرى من المستحقّين للزكاة هم شركاء معه فى هذا المال، فإنّ لم يراع حقّهم فى هذا المال فإنّ مصيره يوم القيامة سيكون وخيماً، يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنَّ لَکَ فِی هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِیباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَکَاءَ أَهْلَ مَسْکَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِی فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوکَ حَقَّکَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ».

و هذا الكلام إشارة إلى عدم معاملة أموال الزكاة كالمعاملات الخصوصية أوالشخصية، فطبقاً لصريح القرآن الكريم، أنّ هذه الأموال مشتركة بين ثمان طوائف من الناس.

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۲۹۶

ويبيّن الإمام عليه السلام الآثار السيّئة والمضرّة للتخلّف عن هذه التوصيات ويقول:

«وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّکَ مِنْ أَکْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً یَوْمَ الْقِیَامَةِ».

وهو إشارة إلى أنّ الإنسان عندما يقف فى محكمة العدل الإلهىّ فربّما يواجه بعض الشاكين والمخالفين، ويستطيع أحياناً كسب رضاهم بشكل من الأشكال وأحياناً أخرى يواجه آلافاً مؤلّفة من الشاكين والساخطين عليه بحيث لا يستطيع كسب رضا الجميع،

والأشخاص الذين يخونون بيت المال ويسرقون من الزكاة هم من هذه الفئة من الناس.

ويستمرّ الإمام فى بيان توصياته فى هذا الشأن ويقول: «وَبُؤْسَى ۳۵۲] لِمَنْ – خَصْمُهُ عِنْدَ اللّهِ– الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ ۳۵۳]، وَالْغَارِمُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ».

ومفردة «الفُقَراء»، «المَساكين»، «السائِلون» و «المَدْفُوعُون» كلّها تشير إلى جماعة المحتاجين والمحرومين مع هذا الفارق، وهو أنّ الكثير من المفسّرين للقرآن يعتقدون بأنّ المسكين هو أسوء حالًا من الفقير، وكأنّه من شدّة فقره بلغ حدّاً أن جلس على الأرض، (لأنّ المسكين من السكون) فيجب على المسؤولين أن يهتمّوا بشكل خاصّ برعاية هذه الشريحة من الناس، لأنّهم ربّما لا يظهرون حاجتهم ويمدّون أيديهم إلى الناس وحتّى إلى بيت المال حياءً وخجلًا، فى حين أنّ السائلين أزاحوا ستار الخجل والحياء واضطرّوا لسؤال الناس ومدّوا أيديهم لطلب المعونة والمساعدة، و (المدفوعون) هم الأشخاص الذين يعيشون الغنى وعدم الحاجة بالقوّة لا بالفعل، يعنى يملكون أموالًا كافية، ولكنّ الغاصبين قد أخذوا منهم أموالهم وحرموهم من حقّهم وجعلوا منهم فقراء ومحتاجين.

وأمّا «الغارِمُون» فتعنى المدينين الذين عجزوا عن تسديد ديونهم إلى أصحابها،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۷

أو الذين أعلنوا إفلاسهم، من الكسبة والتجّار، بدون تقصير منهم.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة، إلى أنّ «مَدْفُوعون» تعادل كلمة «فى سَبيلِ اللّه» الواردة فى مصارف الزكاة باعتبار أنّ هؤلاء مدفوعون لأعمال معينة بمنطلقات دينية إلهيّة، و «السائلون» تقع فى مقابل «فى الرقاب» الواردة فى الآية الشريفة باعتبار طلبهم التحرّر من الرّق والعبودية، وعلى ضوء ذلك مصارف الزكاة الثمانية الواردة فى الآية الشريفة ذكرت ستّة منها فى هذه الرسالة، وأحد مصارف الزكاة هو «العاملون عليها»، أى العاملين على جمع الزكاة، فالإمام أشار إلى ذلك سابقاً، وبقى المورد الثامن من المستحقّين للزكاة وهو المؤلفة قلوبهم حيث لم يرد فيه كلام الإمام عليه السلام بسبب أنّ هذا المورد لم يكن محلّ ابتلاء فى ذلك الوقت، مضافاً إلى أنّ العلّامة المجلسى ذكر بأنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام لم يكن بصدد ذكر جميع الموارد الثمانية لمصارف الزكاة حتّى يتكلّف البعض تأويل كلمات الإمام عليه السلام بما يتّفق مع ما ورد فى الآية الشريفة.

ويطرح الإمام عليه السلام فى سياق كلامه استدلالًا متيناً فى ما يؤول إليه خونة بيت المال ومصيرهم السيّء فى الدنيا والآخرة ويقول: «وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ ۳۵۴] فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَ ۳۵۵] بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْىَ فِي الدُّنْيا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى .

أمّا الذلّة والفضيحة فى الدنيا فتعود إلى أنّ الخيانات المتكرّرة لا تكاد تخفى على الآخرين فعاجلًا أم آجلًا سيفتضح الخائن وينظر إليه الناس بنظر الإزدراء والاحتقار ويلبس ثوب المذلّة والمهانة فى واقع الحياة والمجتمع، وأمّا فى الآخرة وعندما تقدّم للناس صحائف أعمالهم فذلك «يوم البروز» حيث تبرز الأعمال

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۲۹۸

الخفية وتنشر الملفّات وتذاع الأسرار على أهل المحشر، وهنا ستكون الفضيحة العظمى والخزى الأنكى.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لم يكتفِ هنا بالتعبير بالخيانة فى الأمانة فقط، بل إنّه اعتبر أنّ الاستخفاف و «اسْتَهانَ بِالْامانَةِ» يعدّ منقصة كبيرة وعيباً أخلاقياً، وهذا يعكس الأهمية الفائقة للأمانة.

يشير الإمام عليه السلام فى ختام هذه الرسالة إلى نقطة أخرى، وهى أنّ الخيانة تارةً تكون بالنسبة لشخص معيّن، وأحياناً أخرى ترتكب فى حقّ الامّة، ومعلوم أنّ الخيانة فى حقّ الامّة أقبح وأخطر من الاولى، يقول: «وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ ۳۵۶] الْغِش ۳۵۷] غِشُّ الْأَئِمَّةِ، وَالسَّلَامُ».

والعلّة فى ذلك واضحة، لأنّ الإنسان إذا ارتكب خيانة فى حقّ شخص أو عدّة أشخاص فربّما يندم يوماً ويتحرّك على مستوى البحث

عن هؤلاء الأشخاص والاعتذار منهم وكسب رضاهم، ولكن إذا كانت الخيانة متوجّهة إلى الامّة فإنّ جبرانها سيكون عسيراً جدّاً وقد يكون محالًا، أضف إلى ذلك أنّ خيانة الامّة تفضى إلى الخيانة لإمام الامّة، وكسب رضا الإمام لا يعدّ أمر يسيراً.

وقد استفادالإمام عليه السلام فى هذه العبارة من مفردتين، احداهما: الخيانة، والآخرى:

الغشّ، وذلك من جهة أنّ الكثير من الخونة يستخدمون اسلوب الغشّ لإخفاء خيانتهم، وفى الحقيقة أنّهم يرتكبون مخالفتين، إحداهما الغشّ والأخرى الخيانة، ومن هذه الجهة أشار الإمام عليه السلام إلى كلا الأمرين، والسبّب فى أنّ الإمام عليه السلام ذكر الغشّ فيما يتّصل بالأئمّة، هو أنّ الخونة يخشون من الإمام وقادة الامّة، ولهذا السبب يخفون أعمالهم الشائنة وخيانتهم بطريقة الغشّ والخداع.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٢٩٩

## تأمّلان

### ١. الأصناف الثمانية لمستحقّى الزكاة

ورد فى القرآ الكريم فى الآية ٦٠ من سورة التوبة بيان للموارد الثمانية لمصرف الزكاة، تقول الآية الشريفة: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَساكِينِ وَالْعامِلِينَ عَلَيْها وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقابِ وَالْغارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، ويمكن اختزال هذه المصارف والموارد الثمانية فى ثلاثة أصول كلّيّة:

الأول: المحتاجون ويشمل الفقراء المساكين والعبيد الذين يعيشون التعب والإرهاق من شدّة العمل، والغارمين ومن واجه الضيق والإفلاس فى تجارته وعمله بدون تقصير منه، وكذلك من بقى فى طريق السفر بدون مؤنة أو مال، وهذه الطوائف الخمسة تعتبر من المحتاجين، فبعضهم يحتاج لمعاشه اليومىّ من الطعام والملبس والمسكن، وبعضهم يحتاج للمال لتسديد دينه، وثالث يحتاج للمال بسبب عجزه عن مواصلة سفره لعدم المال وفقدان المتاع (وإن كان فى وطنه غنياً وغير محتاج)، وبعضهم يحتاج لإنقاذ نفسه من قيود الرقّ والعبودية.

الطائفة الثانية: الأشخاص الذين يعملون فى شأن الضرائب وجمع الزكوات وحفظها وإيصالها إلى بيت المال فيجب أن يدفع لهم اجرة المثل لعملهم.

الطائفة الثالثة: المنافع العامة للمسلمين، نفقات الجهاد فى سبيل اللّه، بناء المساجد، تأسيس المدارس، نشر وتبليغ الرسالة الإلهيّة، ولتأليف قلوب غير المسلمين وجذبهم نحو الإسلام، فهذه المصارف تتمّ تغطيتها من مال الزكاة، وهذه الطوائف الثلاث وردت فى القرآن الكريم على شكل ثمانية موارد، وفى الحقيقة أنّ هذا الحصر فى استحقاقات الزكاة يستوعب جميع حاجات المجتمع الإسلامى، ولو تمّ دفع الزكاة (وكذلك الخمس) بشكل دقيق ومدروس، فإنّ قسماً مهمّاً من المشاكل المالية سيتمّ حلّها وسدّ أشكال الخلل الاقتصادى بهذه الطريقة، كما ورد هذا المعنى

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٣٠٠

فى الروايات الشريفة، يقول الإمام الصادق عليه السلام «لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَدَّوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَا بَقِىَ مُسْلِمٌ فَقِيراً مُحْتَاجاً ... وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا وَلَا احْتَاجُوا وَلَا جَاعُوا وَلَا عَرُوا إِلَّا بِذُنُوبِ الْأَغْنِيَاءِ»[٣٥٨].

### ٢. الأمانة، أصل القيم الأخلاقية فى الإسلام

تعتبر الأمانة وإلى جانبها الصدق، أصلان مهمّان فى التعاليم الدينية والمفاهيم القرآنية، ولا ينعكس هذان الأصلان الأخلاقيّان بشكل

كبير فى القرآن الكريم والروايات الإسلاميّة فحسب، بل يعدّان من جملة تعاليم ومبادىء جميع الأنبياء عليهم السلام، فنقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ»[۳۵۹].

وهذان الأصلان إلى درجة من الأهمية بحيث أنّهما يعدّان من علائم الإيمان والتقوى الرئيسية، كما ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»[۳۶۰].

وفى حديث مماثل يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لَا تَغْتَرُّوا بِصَلَاتِهِمْ وَلَا بِصِيَامِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهِجَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ وَلَكِنِ اخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»[۳۶۱].

وقد وردت مثل هذه المضامين المثيرة فى روايات أخرى كذلك.

والعلّة فى كلّ هذه التأكيدات لا تحتاج إلى كثير بيان، لأنّ أهمّ رأسمال المجتمع الإسلامى هو الاعتماد المتقابل والثقة المتبادلة بين أفراده، فلو انعدم هذا الاعتماد

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۱

وزالت الثقة بين الأفراد، فإنّ ذلك من شأنه إضعاف حالة التعاون وتوهين عنصر التكاتف بين الناس، والعامل الأساس فى تقوية الاعتماد والتكاتف بين الناس يتمثّل فى مبدأ الأمانة والصدق فى التعامل والتواصل فى فضاء المجتمع، لأنّ الخيانة والكذب يؤدّيان إلى انهدام صرح الاعتماد والثقة المتبادلة فيتحوّل المجتمع البشرىّ فى النهاية إلى صحراء مقفرة من المعنويات وتسود حينئذٍ شريعة الغاب فلا يجد الإنسان مفرّاً من الجفاف المعنوىّ، وتتعمّق حالات الكراهية المتولّدة من حالات الصراع.

ومن أشنع أشكال الخيانة، كما أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك فى هذه الرسالة، خيانة الامّة وخيانة بيت المال والحكومة الإسلاميّة، والتى تترتّب عليها آثار مدمّرة وعواقب وخيمة أشدّ بكثير من الخيانات الفردية.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۳

## الرسالة ۲۷

### اشارة

إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِى‌بَكْرٍ- رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ- حِينَ قَلَّدَهُ مِصْرَ[۳۶۲]

### نظرة إلى الرسالة

ورد فى كتاب الغارات أنّ علياً عليه السلام لما أجاب محمّد بن أبى بكر رحمه الله بهذا الكتاب كان محمّد ينظر فيه ويتعلّمه ويقضى به، فلّما ظهر عليه عمرو بن العاص أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية بن أبى سفيان، وكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب ويعجبه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية لمّا رأى إعجاب معاوية به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال له معاوية: مه، يابن أبى معيط أنّه لا رأى لك، فقال له الوليد: إنّه لا رأى لك، أتريد أن يعلم الناس أنّ أحاديث أبى تراب عندك؟! تتعلّم منها وتقضى بقضائه؟! فعلام تقاتله؟! فقال معاوية: ويحك أتأمرنى أن أحرق علماً مثل هذا؟! واللّه ما سمعت بعلم أجمع منه ولا أحكم ولا أوضح، فقال الوليد: إن

كنت

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۰۴

تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟ فقال معاوية: لولا أنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا لأخذنا عنه، ثم سكت هنيئة ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنّا لا نقول: إنّ هذه من كتب عليّ بن أبي طالب، ولكن نقول: إنّ هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمّد بن أبي بكر.

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني امية حتى ولّي عمر بن عبدالعزيز فهو الذي أظهر أنّها من أحاديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويضيف صاحب الغارات: فلما بلغ- يعني استشهاد محمّد بن أبي‌بكر- عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وأنّ ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتدّ ذلك عليه (يعني لماذا مثل هذا الكتاب الرائع الزاخر باللؤلؤ والمرجان يقع بيد من ليسوا أهلًا لذلك)[۳۶۳].

وكيف كان، فإنّ هذه الرسالة طبقاً لما ذكره المرحوم السيد الرضي، تتضمّن عدّة مقاطع: الأول: أنّ الإمام عليه السلام يأمر بلزوم رعاية التواضع وإقامة العدل في معاملة الناس والتواصل معهم من موقع الرأفة والمحبّة، وفي ذات الوقت الإهتمام بإبراز القوّة والقدرة في مقابل قوى الجور والثروة.

وفي المقطع الثاني: يتحدّث الإمام عليه السلام بشكل كلّي وشامل عن إحدى صفات المتّقين في تعاملهم مع الدنيا والنعم المادية في عبارات بليغة وزاخرة بالمعاني العميقة، ويبيّن كيف أنّ هؤلاء المتّقين يستخدمون هذه النعم الإلهيّة في الدنيا دون أن يتورّطوا في مهاوي الخطيئة ويقعوا في شباك حبّ الدنيا.

ويشير الإمام عليه السلام في المقطع الثالث، إلى نهاية الحياة وحلول الأجل ويتحدّث بكلمات بليغة بحيث أنّ التدقيق في مضامينها والتمعّن في معانيها من شأنه إيقاظ كلّ إنسان من سبات الغفلة.

ويلفت الإمام عليه السلام في المقطع الرابع نظر محمّد بن أبي بكر إلى أهميّة وخطورة

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۰۵

هذه المهمّة التي كلّفها به (أي حكومة مصر)، ويشير عليه ببعض التوصيات اللازمة في هذ المجال.

وفي المقطع الخامس والأخير، يعود الإمام لبيان تحليل كلّي وشامل في الحديث عن الفرق بين قادة الهدى والحقّ وقادة الضلال والباطل ويشير إلى خطر المنافقين في المجتمع الإسلامي.

وبعد الالتفات إلى أنّ وثيقة العهد هذه مطوّلة بدرجة كبيرة لم يتمكّن السيد الرضيّ من ذكرها كلّها في كتابه، ولذلك اختار بعض الفقرات والمقاطع منها، وقد وردت هذه الرسالة كلّها في كتاب الغارات ونهج‌البلاغة الكامل وغيرهما.

***

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۰۷

## القسم الأول

### اشارة

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لَايَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

## الشرح والتفسير: حسن الخلق مع جميع الأفراد

كما تقدّمت الإشارة إليه آنفاً فإنّ القسم الأول من هـذا الرسالـة ناظر إلى سلسلـة من التوصـيات الأخلاقيـة التى أمر الإمام عليه السلام واليه محمّـد بن أبى بكر بالالـتزام بهـا فى تواصلـه وتعـامله مع الناس، والواقع أنّ المسـلمين جميعاً يجب أن يكونوا كـذلك فى توثيق وشائج المودّة والعلاقة بينهم، وهذه التوصيات تتمثّل فى أربعة أمور:

الأوّل: لزوم رعاية المودّة والمحبّة لجميع الأفراد فى المجتمع، يقول الإمام عليه السلام:

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَکَ».

وهـذا التعبير مقتبس من القرآن الكريم فى رسم كيفية تعامل النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله مع المؤمنين حيث تقول الآية الشريفة: «وَاخْفِضْ جَنَاحَـکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[۳۶۴]، وهذا تعبير كنائىّ مسـتوحىً من سـلوك الطير مع فراخه، فعندما تأتى الفراخ إلى امّها فإنّ هذه الامّ ستفتح جناحها لهم وتجمع هؤلاء الفراخ تحت جناحيها إظهاراً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۸

للمحبّة لها وحماية لهذه الفراخ من الأذى.

والأمر الثانى يقول الإمام عليه السلام: «وَأَلِنْ ۳۶۵] لَهُمْ جَانِبَکَ».

وهذا التعبير أيضاً من القرآن الكريم حيث يقول: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ»[۳۶۶].

وفى الأمر الثالث يقول الإمام عليه السلام: «وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَکَ».

فلا ينبغى التعامـل مع أىّ فرد من أفراد المجتمع بوجه عبوس وظاهر متجّهم، والحـديث معهم بمنطق الاسـتعلاء والغرور، فإنّ هـذا من شأنه إبعاد الناس عنك وتشتّتهم عن مركز القيادة، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم حيث يأمر نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله ويقول: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ»[۳۶۷].

والأـمر الرابع نـاظر إلى إقامـة العـدل فى جميع مناحى الحياة حتى فى جزئيات الأمور، يقول الإمام عليه السـلام: «وَآسِ ۳۶۸] بَيْنَهُمْ فِى اللَّحْظَةِ[۳۶۹] وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لَايَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِى حَيْفِکَ ۳۷۰] وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِکَ عَلَيْهِمْ ۳۷۱] لَهُمْ ۳۷۲]».

وهذا إشارة إلى أنّه لو حضـر عندك رجل ثرىّ وذو نفوذ مع رجل ضعيف ومعدم لتقضى بينهم، أو لغرض آخر، فينبغى عليك مراعاة العدالة بينهما إلى حدّ أنّك إذا نظرت لحظات معدودة لأحدهما فيجب أن تنظر إلى الآخر بهذا المقدار أيضاً ولا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۰۹

تهتمّ وتصـغى للغنىّ أكثر من اهتمامك وإصـغائك للفقير والضـعيف، فلو أنّك راعيت مقتضـيات العدالـة فى هذه الجزئيات الصـغيرة فسوف تستطيع بطريق أولى رعاية العدالة فى الأمور الأهمّ ولا يتوقّع منك الظلم والجور والانحياز لفئة خاصّة على حساب فئة أخرى.

وهذا هو الحكم الشرعى فى باب القضاء الإسلامى وفى مورد رعاية القاضى للعدالة بين المتخاصمين حيث يجب عليه مراعاة المساواة والعدالة بين المتخاصـمين فيما لو حضرا عنده، فلو أرادا الجلوس فعليهما أن يجلسا معاً، وإذا عزما على الوقوف، عليهما الوقوف سويّة، فلو أنّ القاضـى سلّم على أحدهما فيجب عليه أن يسلّم على الآخر، وإذا نظر إلى أحدهما لحظات فعليه أن ينظر للآخر بذلك المقدار، وإصـرار الإسـلام على رعاية مثل هذه التوصيات والمقرّرات إنّما هو لمنع أىّ شكل من أشكال الظلم والجور، ولا نتصوّر أنّ مثل هذا القانون فى رعاية أصل العدالة موجود فى أىّ من القوانين القضائية فى عالمنا المعاصر وبمثل هذه الدقّة.

وقـد ورد فى حـديث نقله الكلينى فى الكـافى عن أميرالمؤمنين عليه السـلام أنّه قـال: «مَنِ ابْتُلِىَ بِالْقَضَاءِ فَلْيُوَاسِ بَيْنَهُمْ فِى الْإِشَارَةِ وَفِى النَّظَرِ وَفِى الْمَجْلِسِ»[۳۷۳].

ومثل هذا المعنى ورد أيضاً فى الرسالة ۴۶ من نهج‌البلاغة والتى كتبها الإمام عليه السلام لأحد عمّاله.

ويواصـل الإمـام عليه السـلام كلامه وتوصـياته ويـذكر علّة هـذا الحكم ويقول: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ

أَعْمالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظّاهِرَةِ وَالْمسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۱

## القسم الثانى

### اشارة

وَاعْلَمُوا عِبادَ اللّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيا فِى دُنْياهُمْ، وَلَمْ يُشارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيا فِى آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيا بِما حَظِىَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا ما أَخَذَهُ الْجَبابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزّادِ الْمُبَلِّغِ؛ وَالْمَتْجَرِ الرّابِحِ أَصابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيا فِى دُنْياهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرانُ اللّهِ غَداً فِى آخِرَتِهِمْ. لَاتُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

### الشرح والتفسير: الدنيا والآخرة لمن يعيش البساطة والزهد

فى هذا المقطع من الرسالة تحدّث الإمام عليه السلام عن موضوع شامل فى بيان صفات المتقّين وامتيازاتهم وخصالهم ليكون ذلك درساً لمحمّد بن أبى بكر ولسائر أهالى مصر، يقول الإمام عليه السلام بداية:

«وَاعْلَمُوا عِبادَ اللّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيا فِى دُنْياهُمْ، وَلَمْ يُشارِكُوا[۳۷۴] أَهْلَ الدُّنْيا فِى آخِرَتِهِمْ».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام تعرّض لشرح وتوضيح هذا العبارة فقال: «سَكَنُوا الدُّنْيا بِأَفْضَلِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۲

مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوها بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيا بِما حَظِىَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ ۳۷۵]، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ»، (أى بعيداً عن التكلّف والتكالب على زخارف الدنيا فى تنميق المساكن وتزيين القصور). وأكلوها بأفضل ما اكلت (الطعام الحلال والبسيط والبعيد عن التلوّث والإسراف).

ومفهوم هذا الكلام لا يعنى أنّ المتقّين الزاهدين يهتمّون بالجلوس على الموائد الملوّنة والسكن فى القصور المجللة وارتداء الملابس الأنيقة، بل المراد من ذلك أنّ هؤلاء فى حياتهم البسيطة يتنعّمون منها كما يتنعّم أهل الدنيا، لأنّهم من جهة يسعون لتوفير ما يحتاجون إليه من المأكل والملبس والمسكن، وبالتالى فإنّهم يتنعّمون بها أيضاً، لأنّ الإنسان المحتاج عندما يحصل على مقصوده ويحقق مراده فإنّه يشعر باللذّة والراحة، كالإنسان الجائع عندما يأكل طعاماً بسيطاً، ومن جهة أخرى أنّهم يعلمون أنّ ما يملكونه قد حصلوا عليه من طريق حلال وأنّ اللّه رزقهم هذه النعم بطريق مشروع، فلا تترتّب عليه العقوبة الاخروية، وبالتالى ينتفعون من هذه النعم والمواهب بروح هادئة وقلب مطمئن ومشاعر منفتحة.

والكثير من الأشخاص الذين يعيشون فى بيوت صغيرة ويملكون وسائل بسيطة من الأثاث ويأكلون ويلبسون ما توفّر لهم من الطعام الزهيد الثمن واللباس المناسب، يعيشون فى ذات الوقت معنويات عالية ولا يجدون فى أنفسهم امتعاضاً أو شكاية من حالهم، وبذلك يحسّون بالطمأنينة والهدوء النفسىّ فى واقع الحياة ويشعرون بالسعادة وطيب الخاطر، فى حين أنّ غالبية الأثرياء الذين يسكنون القصور المجللة ويملكون أفضل وسائل العيش ويجلسون على موائد ملوّنة وتجلب لهم أنواع الأطعمة؛ يعيشون الاضطراب والقلق فى حياتهم، وأحياناً تصيبهم الكآبة المزمنة والأمراض النفسية، والتجارب فى هذا الموضوع تؤكّد صحة ما ذكره الإمام علىّ عليه السلام فى العبارة أعلاه.

نفحات الولايه، ج ٩، ص: ٣١٣

أضف إلى ذلك أنّ المتقين وبسبب حياتهم البسيطة والبعيدة عن الترف والتجمّل، عندما يحين أجلهم ويتركون الدنيا فإنّهم لا يشعرون بالحسرة فى قلوبهم عليها، ولكن المستهترين المتكبرين والمترفين الذين عاشوا حياة الترف والتكالب على ملذّات الدنيا وزخارفها عندما يحين أجلهم فسوف يعيشون أشدّ الحسرات على ما سيتركونه من نعيم ولذّة، وبخاصّة إذا كانوا يعتقدون باليوم الآخر ويعلمون أنّهم سيحملون وزر هذه الثروات والخطايا على أعناقهم يوم القيامة.

غِنى النَّفسِ يُغنيها إذا كُنتَ قانِعاًوَلَيسَ بِمُغنيكَ الكَثيرُ مِنَ الحِرصِ

وَإنَّ اعتِقادَ الهَمّ للخَيرِ جامِعٌوقِلَّةُ هَمِّ المَرءِ تَدعُو إلى النَّقصِ

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى كلامه عن خصال المتقّين ويقول: «ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ ٣٧٦]، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِى دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ ٣٧٧] غداً فِى آخِرَتِهِمْ، لَاتُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ».

جملة: «لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ» إشارة إلى ما ورد فى الآية الشريفة: «لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ»[٣٧٨].

وجملة: «وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ» إشارة إلى قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ»[٣٧٩].

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ عبارة: «لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ» ناظرة لحال المتقين فى هذا الدنيا، فإنّهم وبسبب إيمانهم وحسن يقينهم وصلاح عملهم مستجابو الدعوة، فلا ينقص لهم شىء من لذّات الدنيا، ولكن هذا التفسير بعيد عن الصواب، لأنّ الجملة بعد هذه العبارة تتحدّث عن الآخرة، وأمّا

نفحات الولايه، ج ٩، ص: ٣١٤

حال المتقّين فى الدنيا فقد ورد فى العبارات والجمل السابقة، وكما أسلفنا فإنّ هاتين الجملتين إشارة إلى ما ورد فى الآيات القرآنية بهذا المضمون.

***

نفحات الولايه، ج ٩، ص: ٣١٥

## القسم الثالث

### اشارة

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِى بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، خَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَايَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً أَوْ شَرٍّ لَايَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ؛ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ. فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ. دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ.

### الشرح والتفسير: تحذيرات متوالية

يتحدّث الإمام عليه السلام فى المقطع من هذه الرسالة مرّة أخرى عن موضوع كلّى وعامّ يشمل مخاطبه محمّد بن أبى بكر وكذلك جميع الناس، وجاء فى مطلع هذه الرسالة التى ينقلها السيد الرضى، أنّ الإمام عليه السلام يأمر محمّد بن أبى بكر أن يقرأها على جميع

الناس، يقول: «فَاحْـذَرُوا عِبَادَ اللّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِى بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ ۳۸۰] جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَايَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لَايَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً».

وقد قلنا مراراً أنّ الإنسان حتى لو شكّ فى أىّ أمر من الأمور فإنّه لا يشكّ فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۶

الموت ونهاية الحياة، حيث يشمل جميع أفراد البشر بدون استثناء، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الموت يمثّل بداية الحركة باتّجاه الآخرة، فينبغى للإنسان أن يأخذ العدّة ويتهيّأ لهذا السفر الطويل ويعمل على توفير ما يحتاجه لضمان سلامة مسيرته الأبدية.

ومن هذا المنطلق يعتبر الإمام علىّ عليه السلام الموت مرحلة مصيرية ومنعطف خطير فى حياة الإنسان حيث يقوده إلى إحدى جهتين، فإمّا الحياة الطيّبة الزاخرة بالسعادة والحبور والسلامة وهى الجنّة الخالدة التى جعلها اللّه تعالى للصالحين من عباده، أو جهة العذاب الأليم والمصيرالسيّء الذى لا يمكن الخلاص منه والنجاة من آلامه أبداً، وكما أنّ الإنسان لا يعلم من أىّ الطائفتين سيكون مصيره فلذلك ينبغى له التزام الحذر والاحتياط فى هذا السفر الخطير.

وبالنسبة للفرق بين «أمرٍ عظيم» و «خَطْبٍ جَليل» ففى حين أنّ هاتين العبارتين متقاربتان فى المعنى فإنّ شرّاح نهج‌البلاغة على حدّ علمنا واطّلاعنا لم يتحدّثوا فى هذا المجال، ولكن ربّما تكون عبارة «أمر عظيم» إشارة إلى الانتقال من هذه الدنيا والسفر إلى العالم الآخر بدون إمكانية العودة، أمّا بالنسبة «خطب جليل» إشارة إلى حساب الأعمال وما يترتّب عليها من جزاء ومثوبة، ويحتمل أيضاً أنّ «أمر عظيم» إشارة إلى جملة «خَيْرٌ لايَكُونُ مَعَهُ شَرّ أبداً» و «خطب جليل» الذى يوحى فى مفهومه بالمصيبة الكبيرة، هو إشارة إلى جملة «شَرّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أبداً».

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارة قسّم الناس إلى طائفتين فقط، فطائفة ينعمون بالسعادة الأبدية ويعيشون حالات الخير والبركة التى لا يمتزج معها شرّ أبداً، وطائفة على العكس من ذلك، وهم الغارقون بالشرور المصائب، ولا يتاح لهم الحصول على خير أبداً، فى حين أننا نعلم بوجود طائفة ثالثة أيضاً وفقاً لما ذكره القرآن الكريم حيث يقول: «خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»[۳۸۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۱۷

وقد أجاب شرّاح نهج‌البلاغة عن هذا السؤال بإجابات مختلفة، وأحياناً تكون مقترنة بالكثير من التعسّف والتكلّف، ولكن أوضح جواب هو أنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام ناظر إلى أفراد متميّزين يسيرون فى خطّ الطاعة أو العصيان، وليس ناظراً إلى جميع الأفراد، وبعبارة أخرى أنّ مثل هذا الحصر هو حصر إضافىّ ناظر إلى المؤمنين الكاملين فى الإيمان الذين بلغوا الذروة فى مراتب الإيمان والإخلاص، وكذلك رموز الكفر والظلم، لا أنّه حصر حقيقىّ يشمل جميع الأفراد.

وقد ورد فى القرآن الكريم عبارات من هذا القبيل أيضاً، مثلًا نقرأ فى سورة هود: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا ...* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا»[۳۸۲].

وجاء فى حديث عن الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام: قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت فقال: «هُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ يَرِدُ عَلَيْهِ إِمَّا بِشَارَةٌ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ وَإِمَّا بِشَارَةٌ بِعَذَابِ الْأَبَدِ وَإِمَّا تَحْزِينٌ وَتَهْوِيلٌ وَأَمْرُهُ مُبْهَمٌ، لَاتَدْرِى مِنْ أَىِّ الْفِرَقِ هُوَ فَأَمَّا وَلِيُّنَا الْمُطِيعُ لِأَمْرِنَا فَهُوَ الْمُبَشَّرُ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ»[۳۸۳].

وفى آخر هذه الرواية ورد أيضاً أنّ بعض أفراد الطائفة الثالثة سيمكثون مدّة معينة فى النار ثمّ تشملهم شفاعة أهل البيت عليهم السلام، وطائفة منهم سينالون الشفاعة بعد مدّة طويلة.

ومن هنا يتبيّن ما ذهب إليه ابن أبى‌الحديد فى تفسير هذه العبارة بما يؤيّد مذهبه، حيث قال: «قوله: فإنّه يأتى بأمر عظيم ... نصّ صريح فى مذهب أصحابنا فى الوعيد، وأمّا من دخل النار من جميع المكلّفين فليس بخارج، لأنّه لو خرج منها لكان الموت قد جاء بشرّ معه

خير، وقد نفى نفياً عاماً أن يكون مع الشرّ المعقب للموت خير البتة»[۳۸۴]، وهذا الكلام غير سديد ولا يتوافق مع سائر كلمات الإمام عليه السلام

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۱۸

والآيات القرآنية الشريفة، والمراد هنا بيان حال طائفتين من المؤمنين الخالصين والكافرين كذلك، أمّا الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى الآية الشريفة من سورة التوبة: «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً»، فإنّهم قطعاً لم يكونوا مورد نظر الإمام عليه السلام فى هذه العبارة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بيّن شرط دخول الجنّة وسبب دخول النار فى جملتين قصيرتين: «فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا».

وهذا يشير إلى أنّ الأصل فى تعيين مصير الإنسان هو العمل والسعى، لا الآمال والتمنّيات، فالأعمال هى التى تقود الإنسان إلى الجنّة أو إلى النار، فحتّى شفاعة الشفعاء تقع فى الهامش ولا تشكلّ أصلًا أساسياً فى النجاة.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام يقول هنا أنّ العاملين للجنّة هم أقرب الناس إليها، والعاملين للنار، أى السائرين فى خطّ المعصية والضلالة، هم أقرب الناس إلى النار، ولم يقل إنّ العاملين للأعمال الصالحة والأعمال السيئة، وهذا يعدّ كناية لطيفة عن أنّ العمل الصالح كأنّه هو الجنّة، والمعصية والذنب والعمل الطالح كأنه هو النار.

ثمّ يشيرالإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمّة، وهى أنّ الموت لا يترك أحداً ينجو منه ويتخلّص من الوقوع فى مصيدته، وبما أنّ الأمر، كذلك فينبغى التزام الجدّية والاهتمام بهذا الأمر، يقول: وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ[۳۸۵] الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ۳۸۶]، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۱۹

وأحد معانى عبارة «طُرَدَاءُ الْمَوْتِ هو أنّ الناس بمثابة الصيد الذى يتبعه الصياد، ومفهومها أنّ الصياد بدرجة من الخبرة والقدرة بحيث يصيد البشر سواءً هربوا منه أو لم يهربوا، فلا أحد يستطيع الخلاص من شراكه ومصائده، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم: «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ»[۳۸۷].

وجملة «هُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ» إشارة إلى أنّ عوامل الموت تصحب الإنسان دوماً كالظلّ الذى يتحرّك مع الإنسان أينما ولّى، لأنّ للموت عوامل كثيرة فى عمق وجود الإنسان، أحدها السكتة القلبية أو انقطاع أحد الأوردة الدقيقة فى المخّ، أو دخول مقدار من الغذاء إلى جهاز التنفّس، وكلّ من هذه العوامل يمكن أن يؤدىّ بالإنسان إلى الموت، وفى خارج الإنسان هناك عوامل كثيرة للموت أيضاً منها الحوادث الأليمة كالزلازل والصواعق، السيول، الحشرات المضرّة، الحيوانات المفترسة، وما إلى ذلك من الأمور التى تهدّد حياة الإنسان بالخطر فلا يستطيع أن يهرب إلى مكان لا يوجد فيه شىء من هذا العوامل الخارجية والداخلية للموت.

وعبارة «ألزم» ربّما تكون بسبب أنّ الظلّ لا يصاحب الإنسان فى ظلمات الليل، ولكن عوامل الموت متوفّرة ليل نهار.

وجملة: «الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ» كناية عن أنّكم لا تملكون أيّة مقاومة فى مقابل سلطة الموت القاهرة كما هو حال الشخص الذى اخذ من شعر مقدّم رأسه بحيث يسلبه ذلك أىّ نوع من الحركة.

ويقرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة فيما يتّصل بمصير المجرمين فى يوم القيامة ويقول: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِى وَالْأَقْدامِ»[۳۸۸].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۲۰

وجملة: «الدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ» إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الإنسان يتجاوز كلّ مرحلة من مراحل الحياة وكأنّها كالفراش الذى يطوى خلف الإنسان، بحيث يمكن إعادته لحالته السابقة، فالشيوخ لا يعودون إلى مرحلة الشباب، والشباب لا يعودون لمرحلة الطفولة، وعلى ضوء ذلك فإنّ كل لحظة تمثّل للإنسان موتاً وحياةً جديدة، الموت الذى لا يمكن معه العودة إلى الحالة

السابقة.

وبعد أن بيّن الإمام عليه السلام ما سيواجهه الإنسان فى نهاية الحياة وبعد الموت من حوادث مهولة ومشاكل جسيمة، تحدّث عن عذاب النار والعاقبة الوخيمة لأهل الضلالة فى ذلك اليوم، وقال: «فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ».

وبالنسبة لعمق وادى جنّهم يكفى أن ننقل هذا الحديث الشريف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله عندما كان مع أصحابه فى المسجد، فجأة سمعوا صوتاً مدويّاً، استولى عليهم الخوف، وقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «أتَعْرِفُونَ ما هذِهِ الهِدَّة»؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، فقال: «حَجَر أُلْقِي مِنْ أعلى جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةٍ، الآنَ وَصَلَ إلى قَعْرِها»[٣٨٩].

وبالنسبة لشدّة حرارة جهنّم يكفى أن ننقل ما ورد فى حديث شريف يقول عليه السلام:

«إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَقَدْ أُطْفِئَتْ سَبْعِينَ مَرَّةً بِالْمَاءِ ثُمَّ الْتَهَبَتْ وَلَوْ لَاذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ آدَمِيٌّ أَنْ يُطِيقَهَا»[٣٩٠].

وعن أنواع العذاب وشدّته يوم القيامة يتحدّث القرآن الكريم ويقول: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذاب»[٣٩١].

ثم يضيف الإمام عليه السلام فى بيان عذاب النار: «دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ».

نفحات الولايه، ج٩، ص: ٣٢١

ونقرأ هذا المضمون فى القرآن الكريم: «وَقالَ الَّذينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذابِ ... قالُوا فَادْعُوا وَما دُعاءُ الْكافِرينَ إِلَّا فِي ضَلال»[٣٩٢].

وفى مورد آخر يقول القرآن الكريم: « «وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ»[٣٩٣].

وكذلك فى آية أخرى يتحدّث القرآن الكريم عن امنيات أصحاب النار: «وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فيها رَبَّنا أَخْرِجنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أ وَلَمْ نُعَمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذيرُ فَذُوقُوا فما لِلظَّالِمينَ مِنْ نَصير»[٣٩٤].

ويستفاد من رسالة الإمام عليه السلام هذه، والتى ذكرها بتمامها صاحب نهج‌البلاغة الكامل أنّ الإمام عليه السلام بعد أن ذكر الظروف الصعبة والعذاب الأليم لأهل النار، تعرّض لذكر بعض النعم الإلهيّة والرحمة الواسعة لأهل الجنّة ولم يذكرها السيد الرضى فى نهج‌البلاغة تبعاً لنهجه فى التلخيص والانتقاء.

وفى هذا السياق يتحدّث الإمام عليه السلام بعد أن يذكر العذاب الأليم لأهل النار، عن المواهب والنعم الإلهيّة والنعيم الخالد فى الجنّة، وبذلك يقرّر الأصل الإسلامىّ المهمّ فى التعاليم الإلهيّة، وهى أن يعيش الإنسان بين حالات الخوف والرجاء، ويقول:

«وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّه».

فهنا يشير الإمام عليه السلام إلى مسألة مهمّة فى التعاليم الدينية، وهى مسألة الخوف والرجاء وضرورة أن يعيش الإنسان حالة التعادل والتوازن فى ذلك، وكما سنرى فى بحث التذييل أنّ هذا المفهوم من شأنه أن يخلق فى الإنسان حالة من التوازن

نفحات الولايه، ج٩، ص: ٣٢٢

فلاييأس من رحمة اللّه عندما يسمع كلام الإمام فى وصف جهنّم وما فيها من العذاب الأليم، ولا يعيش حالة الأمن من العذاب عندما يسمع كلام الإمام عليه السلام فى وصف النعم والمواهب الإلهيّة لأهل الجنّة.

### تأمّل: التعادل بين الخوف والرجاء

يعتبر الرجاء عاملًا أساسياً لتفعيل حركة الإنسان فى خطّ الصلاح والسعادة ويعدّ بمثابة المحرّك الذى يدفع الإنسان بهذا الاتّجاه،

ويمثّل الخوف عاملًا كابحاً لعناصر الطغيان والانحراف فى مسيرة الإنسان ونوازعه النفسية، فكما أنّ وسائل النقل من العجلات والسيارات إذا كانت فاقدة للمحرّك فسوف تمتنع عليها الحركة، وإذا كانت فاقدة للكوابح فسوف يقودها ذلك إلى مهاوى خطيرة وعدم القدرة على تجنّب المطبّات والعوائق، فكلا هذين الأمرين يعدّان أصلان رئيسيان فى حركة الإنسان فى خطّ الصلاح والفلاح، ولابدّ أن يتوفّر فيهما عنصرى التعادل والتوازن بحيث يتحرّك الإنسان فى خط الطاعة والإيمان من جهة ويتجنّب المعاصى والذنوب من جهة أخرى.

إنّ أهمية هذين العاملين فى وجود الإنسان وفى حياته تتجلّى بوضوح عندما نقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يتحدّث فيه عن وصايا لقمان عليه السلام ويذكر منها أموراً عجيبة ونصائح قيمة، يقول الحارث بن المغيرة، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان فى وصيّة لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان وأعجب ما كان فيها أن قال لابنه: «خَفِ اللَّهَ عزَّ وجَلّ خِيفَةً لو جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَين لَعَذَّبَکَ، وَارْجُ اللَّهَ رَجاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنوبِ الثَّقَلَين لَرَحِمَکَ»، ثم قال أبوعبداللَّه عليه السلام: كان أبى (يعنى الإمام الباقر عليه السلام) يقول: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا [وَ] فِى قَلْبِهِ نُورَانِ:

نُورُ خِيفَةٍ وَنُورُ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا»[۳۹۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۳

يقول ابن أبى‌الحديد بعد شرحه لكلام الإمام عليه السلام المذكور آنفاً: إنّ علياً عليه السلام أمر محمّد بن أبى بكر أن يجمع بين حسن الظنّ باللَّه والخوف منه، وأنّ هذا المقام السامى هو مقام لا يناله إلّاالصالحون والأبرار، وينقل حديثاً عن الإمام علىّ بن الحسين عليهما السلام يقول: «لَوْ أنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ كِتاباً أنّه مُعَذِّبٌ رَجُلًا واحِداً لَرَجَوْتُ انْ اكُونَهُ او انَّهُ راحِمٌ رَجُلًا واحِداً لَرَجَوْتُ انْ أَكُونَهُ»[۳۹۶].

وهذه الكلمات تشير بوضوح إلى أنّ عدم التواصل وعدم التعادل بين حالات الخوف والرجاء فى واقع الإنسان يتسبّب فى تكريس حالات الغرور فى الإنسان والاغترار بسعة رحمة اللَّه أو يقوده إلى اليأس من رحمة اللَّه، وهذا بدوره يعدّ مانعاً يعيق الإنسان عن الحركة فى خطّ الطاعة والعبودية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۵

## القسم الرابع

### اشارة

وَاعْلَمْ- يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِى بَكْرٍ- أَنِّى قَدْ وَلَّيْتُکَ أَعْظَمَ أَجْنَادِى فِى نَفْسِى أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِکَ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِکَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَکَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِى اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِى غَيْرِهِ. صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِکَ تَبَعٌ لِصَلَاتِکَ.

### الشرح والتفسير: المهمّة الثقيلة

يتحدّث الإمام عليه السلام، فى هذا المقطع من الرسالة مخاطباً محمّد بن أبى بكر، عن أربع توصيات مهمّة، فى البداية يستعرض الإمام عليه السلام مقدّمة ويقول: «وَاعْلَمْ- يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِى بَكْرٍ- أَنِّى قَدْ وَلَّيْتُکَ أَعْظَمَ أَجْنَادِى فِى نَفْسِى أَهْلَ مِصْرَ».

«أجناد» جمع «جُند» وفى الأصل تعنى الجيش، ولكن أحياناً تطلق على المناطق فى البلد الإسلامى، أو على أهالى تلك المناطق، وعلى

أيّة حال فإنّ هذه العبارة تشير بوضوح إلى أنّ الإمام عليه السلام كان ينظر إلى أهل مصر بعين الإحترام ويرى أنّهم من أكبر شعوب الامّة الإسلاميّة، لأنّ مصر أرض كبيرة وتاريخية وتملك حضارة قديمة ويعيش فيها اناس واعون وأذكياء وكادحين.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام أوّل وأهمّ توصية له، ويقول: «فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ [۳۹۷] أَنْ تُخَالِفَ عَلَى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۶

نَفْسِكَ»، أى أنّ المفروض بك أن تجاهد نفسك وتخالف هواك.

وجهاد النفس فرض على الجميع، ولكنّه أكثر وأشدّ لزوماً على الولاة والقادة ومن بيدهم القرار، لأنّ هؤلاء يعيشون دوماً الوساوس النفسانية والشيطانية، فلو أنّهم غلبوا فى هذا المجال وسيطرت عليهم الأهواء والشهوات فإنّ ذلك من شأنه إشاعة الظلم والفساد فى المناطق التى تحت إمرتهم وولايتهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام التوصية الثانية ويقول: «وَأَنْ تُنَافِحَ [۳۹۸] عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ».

وبديهىّ أنّ الإنسان المؤمن ينبغى أن يتحرّك بعد الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، فى طريق الجهاد الأصغر والتصدىّ لقوى الكفر وأعداء الامّة لحفظ الدين وصيانة المقدّسات والمنافحة عن التعاليم السماوية، وفى هذا الأمر يؤكّد الإمام عليه السلام على أنّه لو لم تكن لدى الإنسان سوى ساعة من عمره أو من تواجده فى سدّة الحكم، فينبغى أن لا يكفّ عن الدفاع عن الدّين، ولا يبخل فى بذل الغالى والنفيس فى هذا السبيل.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام التوصية الثالثة ويقول: «وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَى أَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِى اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِى غَيْرِهِ».

فأحياناً يجد الإنسان نفسه بين طريقين، فطريق يتوجّه به إلى اللّه تعالى وكسب رضاه، وطريق آخر يقوده لتحقيق رضا الناس، وفى هذا الطريق يطلب منه الناس أموراً أكثر من حقّهم، وهنا يتميّز المؤمنون الخلّص من غير المؤمنين، فالمؤمنون يتحرّكون دوماً فى خطّ الطاعة وطلب رضا اللّه تعالى، لأنّهم يعلمون أنّ نيل رضا اللّه ورعايته من شأنه أن يمنحهم القوّة والحيوية ويمنع عنهم أىّ ضرر ولا يستطيع أىّ شخص أن يلحق بهم الإساءة، فى حين أنّ السعى لكسب رضا بعض المتزلفين

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۲۷

والمتملّقين، والإعراض عن رضا اللّه تعالى، سيجعلهم مكشوفين أمام البلايا وغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم.

إنّ ما ذكره الإمام عليه السلام فى توصيته الثالثة لمحمّد بن أبى بكر، ورد أيضاً فى رواية أخرى بوصفه أحد علامات الإيمان الخالص، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «مِنْ صِحَّةِ يَقِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ لَايُرْضِىَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ»[۳۹۹].

والتجربة أثبتت أنّ من يسلك هذا الطريق ويرجّح رضا المخلوق على حساب رضا الخالق سيُحرم رضا الخالق ورضا المخلوق أيضاً، وأمّا من يتحرّك فى طريق نيل رضا اللّه تعالى، فربّما يتسبّب أحياناً فى غضب البعض وسخطهم عليه، ولكنّه فى النهاية سيحصل على رضا اللّه ورضا المخلوق أيضاً.

والأهمّ من ذلك ما ورد فى حديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «مَنْ طَلَبَ رِضَا مَخْلُوقٍ بِسَخَطِ الْخَالِقِ سَلَّطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ»[۴۰۰].

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام للتوصية الرابعة لمحمّد بن أبى بكر فى مسألة الصلاة والتى تعتبر أهمّ ركن من أركان الإسلام، يقول: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ».

وذكر الكثير من شرّاح نهج‌البلاغة أنّ الإمام عليه السلام فى هذه التوصية بالصلاة، ناظر إلى عدم التعجيل بالصلاة قبل وقتها، مثلًا يصلّى صلاة الظهر قبل الزوال ويصلّى صلاة الصبح قبل طلوع الفجر، بسبب ما يجده من فراغ فى الوقت، ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ من النادر أن نرى أو نسمع شخصاً يصلّى صلاة الظهر قبل وقتها أو يصلّى صلاة الصبح قبل الفجر، لأنّ هذا المعنى مرفوض وغير

مقبول من قِبل جميع الأفراد، فلا معنى لأن يصلّى المكلّف الصلاة قبل وقتها وهو يعلم ببطلانها، ولذلك

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۳۲۸

يوجد هناك احتمال آخر فى تفسير هذه العبارة، وهو أنّ كلام الإمام عليه السلام ناظر إلى أوّل الوقت وآخر الوقت، فيقول: إنّك لا تكن كالشخص الذى يصلىّ أوّل الوقت بسبب الفراغ، وإن كان مشغولًا فى عمل معيّن يؤجّل صلاته لوقت آخر، بل عليك بأن تقيم الصلاة لوقتها على كلّ حال وتترك عملك من أجل الصلاة.

وهذا فى الواقع إشارة إلى ما هو متداول من الشعار المعروف، وهو أنّ الإنسان لا ينبغى أن يقول لصلاته أننى مشغول بعمل، بل يقول لعمله إننى مشغول بالصلاة.

وبديهىّ أنّ الإلتزام بالصلاة فى أوّل وقتها من شأنه أن يمنح الروح طراوة ونورانية وأنّ نجاحه فى أعماله الأخرى يعود إلى إتيانه بالصلاة فى وقتها حيث تضفى هذه الصلاة بركاتها على حياة المرء وفكره وروحه.

جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه يقول: «إنَّ الصَّلَاةَ إذَا ارْتَفَعَتْ فِى أَوَّلِ وَقْتِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِىَ بَيْضَاءُ مُشْرِقَةٌ تَقُولُ حَفِظْتَنِى حَفِظَكَ اللَّهُ وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِى غَيْرِ وَقْتِهَا بِغَيْرِ حُدُودِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِىَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعْتَنِى ضَيَّعَكَ اللَّهُ»[۴۰۱].

وجملة: «وَاعْلَمْ ...»، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً يحتمل فيها معنيان، أحدهما: أنّ جميع أعمال الإنسان فى الدنيا تبع لصلاته، فإن أدى الصلاة بشرائطها، فإنّ بركة هذه الصلاة ستمتدّ لتشمل سائر أعماله وحياته، والآخر: أنّ آثار هذه الصلاة ستتجلّى فى الآخرة، كما ورد فى الروايات: «إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ فَإِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَا سِوَاهَا»[۴۰۲].

نفحات الولايۀ، ج۹، ص: ۳۲۹

## القسم الخامس

### اشارة

وَمِنْهُ: فَإِنَّهُ لَسَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى وَوَلِىُّ النبىّ، وَعَدُوُّ النبىّ.

لَقَدْ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله إِنِّى لَاأَخَافُ عَلَى أُمَّتِى مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ. لَكِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

### الشرح والتفسير: الخوف على الامّة من فئة معينة

وفى آخر مقطع من هذه الرسالة، طبقاً لما أورده السيّد الرضىّ وما يستفاد من كلمة «منه»، أنّ ما ورد من كلام الإمام عليه السلام نهج‌البلاغة فى لا يمثّل جميع كلامه وتمام رسالته، بل يمثّل مقطعاً منها، والإمام يلفت النظر فى هذا المقطع إلى هذه الحقيقة الحاسمة والرئيسية ويقول: «وَمِنْهُ: فَإِنَّهُ لَسَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى ۴۰۳] وَوَلِىُ النبىّ، وَعَدُوُّ النبىّ».

ومن المعلوم أنّ التعبير ب «إِمَامُ الْهُدَى فى هذه العبارة إشارة إلى نفسه الشريفة، وكلمة ب «إِمَامُ الرَّدَى إشارة إلى معاوية الذى رفع لواء المخالفة والتمرّد خلافاً لأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وإرادة جميع المسلمين، وخاض غمار حروب دامية أدّت إلى سفك دماء المسلمين.

ومفردة «إمام» يراد بها فى الغالب إمام الحقّ، ولكن أحياناً تستعمل فى قادة الضلالة والباطل، كما ورد فى القرآن الكريم: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۳۳۰

النَّارِ»[۴۰۴]، أي الفراعنهٔ.

والشاهد على أنّ المراد من كلمهٔ «إِمَامُ الرَّدَى معاويهٔ، فمضافاً إلى القرائن الحاليهٔ، هناك شواهد مذكورهٔ في موارد أخرى من هذه الرسالهٔ لم ينقلها السيّد الرضيّ، وطبقاً لما ورد في هذ الرسالهٔ المذكورهٔ في كتاب نهج‌البلاغهٔ الكامل، يقول الإمام عليه السلام: «إِيّاكُمْ وَدَعْوَةُ الْكَذّابِ ابْنِ هِنْد».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستند في كلامه هذا إلى حديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله يقول:

«وَلَقَدْ قالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله: إِنِّي لَاأَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ ۴۰۵] اللَّهُ بِشِرْكِهِ. وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَ مُنَافِقِ‌الْجَنَانِ ۴۰۶]، عَالِمِ‌اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

وهذه هي الحقيقهٔ، فالمؤمنون الحقيقيون يمثّلون درعاً واقيهٔ للإسلام والامّهٔ الإسلاميّهٔ، والمشركون يمثّلون خطّ الباطل والضلالهٔ، الذين عرفهم الناس بالانحراف وابتعدوا عنهم، فلو أنّ هؤلاء المشركين أرادوا التآمر على الإسلام، فالمؤمنون سيتصدّون لهم بإذن اللَّه ويقمعونهم، ولكنّ المشكلهٔ الكبيرهٔ التي يبتلي بها المجتمع الإسلاميّ وكل مجتمع بشريّ تتمثّل في الأعداء الذين يرتدون لباس الصداقهٔ والمحبّهٔ ويتظاهرون بتقديم الخدمهٔ للآخرين، هؤلاء هم الانتهازيون والمنافقون الذين أظهروا للناس وجهاً جميلًا وأخفوا الوجه القبيح في باطنهم وتستّروا بقناع الخير والصلاح، وبذلك تسنّى لهم النفود في صفوف المسلمين والاطّلاع على أسرارهم، وأتاح لهم ذلك أن يسدّدوا ضربتهم متى وجدوا الفرصهٔ سانحهٔ بالتمسّك بالآيات الإلهيّهٔ وسنّهٔ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله في الظاهر والكلام، ولكنّهم

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۳۳۱

على مستوى العمل يتحرّكون خلاف هذه التعاليم السماويهٔ.

والمصداق البارز لهذا الكلام في ذلك الزمان هو معاويهٔ وأعوانه الذين رفعوا لواء المطالبهٔ بدم عثمان الذي يعدّ خليفهٔ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وفي حال الاضطرار رفعوا المصاحف فوق الرماح، هؤلاء كانوا يقيمون الصلاهٔ ويتحدّثون في خطب صلاهٔ الجمعهٔ بكلام معسول وموافق نصوص الكتاب والسنّهٔ، ولكنّهم في ذات الوقت يعملون على إضعاف عقيدهٔ الناس بإمام الهدى المنصوب من قبل اللَّه تعالى، ومن قبل المسلمين، ولا يتركون أيّ وسيلهٔ إلّاواستخدموها في تحقيق مآربهم وأغراضهم الذاتيهٔ من قتل الأبرياء ونهب أموال المسلمين والإغارهٔ على المناطق الحدوديهٔ للعراق، وباستخدامهم لهذا الاسلوب استطاعوا أخيراً أن يصلوا إلى سدّهٔ الحكم ويجلسوا مجلس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويتحدّثوا بخلاف ما أنزل اللَّه تعالى من تعاليم وأحكام.

## تأمّلان

### ۱. خطر المنافقين

يتحدّث الإمام عليه السلام في هذه الرسالهٔ عن وجود خطر مهمّ يهدّد محمّد بن أبي بكر وأهالي مصر، بل جميع شعوب وأقوام المجتمع الإسلامي، أي خطر المنافقين، ويقسّم الناس إلى ثلاث طوائف: المؤمنين، المشركين والمنافقين، ثمّ يقول: إنّ المؤمنين لا يشكّلون أيّ خطر للمجتمع الإسلامي لأنّ إيمانهم يمنعهم من أي عمل يثير الخلل ويورث الضرر بالإسلام والمسلمين، أمّا المشركون المعاندون الذين يتحرّكون في خطّ التآمر والحرب ضدّ المجتمع الإسلامي، فخطر هؤلاء ليس بالمقدار المهم، ويمكن التصدّي لهم لإنّهم معروفون، والمؤمنون يأخذون حذرهم من حركات هؤلاء ويتصدّون لتآمرهم ويدفعون الخطر بذلك عن الامّهٔ، ولكنّ المشكلهٔ العسيرهٔ تتمثّل في المنافقين الذين يعيشون في الوسط الديني ويخالفون

المؤمنين ويتظاهرون بالتديّن إلّاأنّهم يخفون سيوفهم تحت ثيابهم كما فى المثل، فيتحدّثون بحديث يجذب قلوب المؤمنين وأفكارهم وعواطفهم فيظنّون أنّ هؤلاء المنافقين منهم وعلى ملّتهم، ولكنّهم فى اللحظات الحساسهٔ وعندما تسنح الفرصهٔ يقومون بإلقاء سمومهم وتسديد ضربهٔ للإسلام والمسلمين.

وعلى رغم أنّهم يكتمون نفاقهم ويتحرّكون فى خطّ التخريب والتآمر بشكل خفيّ، فإنّ معرفتهم وتشخيصهم ليست بالأمر العسير، فالقرآن الكريم ذكر علامات عديدهٔ لمعرفهٔ أهل النفاق فى سورهٔ البقرهٔ وسورهٔ المنافقون وبإمكان المؤمنين التعرّف عليهم واجتناب خطرهم ودسائسهم.

وقد تقدّمت بحوث مفصّلهٔ عن جذور النفاق وطريقهٔ عمل المنافقين على امتداد التاريخ، والأخطار التى تشكّلها هذه الفئهٔ على الامّهٔ الإسلاميّهٔ، فى الخطبهٔ ۱۹۴ (الجزء السابع من ص ۶۰۶ إلى ۶۱۹) وكذلك فى ذيل الخطبهٔ ۲۱۰.

## ۲. رسالهٔ غريبهٔ من المعتضد العباسى

من غرائب العصر العبّاسىّ أنّ المعتضد العباسىّ أرسل رسالهٔ إلى جميع الأقضيهٔ والنواحى، وقد ذكرها المؤرّخ المعروف الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنهٔ ۲۸۴ وأشار إليها ابن الأثير فى تاريخه الكامل (مع بعض الاختلاف فى التعبير) وبدورنا ننقلها من شرح نهج‌البلاغهٔ لابن أبى‌الحديد الذى استعرضها بشكل مختصر.

يقول ابن أبى‌الحديد فى الجزء ۱۵ من شرح نهج‌البلاغهٔ فى ذيل هذه الرسالهٔ أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالهٔ لمحمّد بن أبى بكر، ويقول الطبرى: وفى (سنهٔ ۲۸۴) عزم المعتضد على لعن معاويهٔ بن أبى سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، فخوّفه عبيد اللّه بن سليمان (وزيره) اضطراب العامّهٔ، وأنّه لا يأمن أن تكون فتنهٔ، فلم يلتفت إليه، فكان أوّل شىء بدأ به المعتضد من ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامّهٔ بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والعصبيهٔ، والشهادات عند السلطان إلّاأن



يسألوا، ومنع القُصّاص عن القعود على الطرقات، وأنشىء هذا الكتاب وعملت به نسخ قرئت فى الجانبين من مدينهٔ السلام فى الأرباع والمحالّ والأسواق، يوم الأربعاء لستٍ بقين من جمادى الاولى من هذه السنهٔ، ثمّ منع يوم الجمعهٔ لأربع بقين منه، ومنع القصّاص من القعود فى الجانبين، ومنع أهل الحلق من القعود فى المسجدين، ونودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره، وبمنع القصّاص وأهل الحلق والقعود، ونودى:

إنّ الذمّهٔ قد برئت ممّن اجتمع من الناس فى مناظرهٔ أو جدال، وتقدّم إلى الشراب الذين يسقون الماء فى الجامعين ألّا يترحّموا على معاويهٔ، ولا يذكروه، وكانت عادتهم جاريهٔ بالتّرحم عليه.

وتحدّث الناس أنّ الكتاب الذى قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاويهٔ يقرأ بعد صلاهٔ الجمعهٔ على المنبر، فلمّا صلّى الناس بادروا إلى المقصورهٔ ليسمعوا قراءهٔ الكتاب، فلم يقرأ.

قيل: إنّ عبيداللّه بن سليمان صرفه عن قراءته، وإنّه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى، وأمره أن يعمل الحيلهٔ فى إبطال ما عزم المعتضد عليه، فمضى يوسف فكلّم المعتضد فى ذلك، وقال له: إنّى أخاف أن تضطرب العامّهٔ، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركهٔ، فقال المعتضد: إن تحركّت العامّهٔ أو نطقت، وضعت السيف فيهم، فقال: ياأميرالمؤمنين، فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون فى كلّ ناحيهٔ، ويميل إليهم خلق كبير، لقربهم من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ومافى هذا الكتاب من إطرائهم- أو كما قال- وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا هم أبسط ألسنهٔ، وأثبت حجّهٔ منهم اليوم، فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جواباً، ولم يأمر بعد ذلك فى الكتاب بشىء، وكان من جملهٔ الكتاب بعد أن قدّم حمد اللّه والثناء عليه والصلاهٔ على رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

أما بعد، فقد انتهى إلى أميرالمؤمنين ما عليه جماعة العامّة من شبهة قد دخلتهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۴

فى أديانهم، وفساد قد لحقهم فى معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم، ونطقت بها ألسنتهم، على غير معرفة ولا رويّة، قد قلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنة ولا بصيرة، وخالفوا السنن المتّبعة، إلى الأهواء المبتدعة، قال اللَّه تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»[۴۰۷]، خروجاً على الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة، وإيثاراً للفرقة، وتشتيتاً للكلمة، وإظهاراً لموالاة من قطع اللَّه عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملّة، وأُوجبت عليه اللعنة، وتعظيماً لم صغّر اللَّه حقّه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بنى اميّة، الشجرة الملعونة، ومخالفة لمن استنقذهم اللَّه من الهلكة، وأسبغ عليهم النعمة من أهل بيت البركة والرحمة «وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»[۴۰۸].

فأعظم أميرالمؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى ترك إنكاره حرجاً عليه فى الدين، وفساداً لمن قلّده اللَّه أمره من المسلمين، وإهمالًا لما أوجبه اللَّه عليه من تقويم المخالفين، وتبصير الجاهلين، وإقامة الحجّة على الشاكّين، وبسط اليد على المعاندين، وأميرالمؤمنين يخبركم معاشر المسلمين، أنّ اللَّه جلّ ثناؤه لمّا ابتعث محمّداً صلى الله عليه و آله بدينه، وأمره أن يصدع بأمره، بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربّه، وأنذرهم وبشّرهم، ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له، وصدّق قوله، واتّبع أمره نفر يسير من بنى أبيه، من بين مؤمن بما أتى به من ربّه، وناصر لكلمته وإن لم يتبع دينه إعزازاً له، وإشفاقاً عليه، فمؤمنهم مجاهد ببصيرته، وكافرهم مجاهد بنصرته وحميّته، يدفعون من نابذه، ويقهرون من عازّه وعانده، ويتوثّقون له ممّن كانفه وعاضده، ويبايعون من سمح بنصرته، ويتجسّسون أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين، حتّى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا فى دين اللَّه وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة، وأحسن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۵

هدى ورغبة، فجعلهم اللَّه أهل بيت الرحمة، وأهل بيت الدين، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، معدن الحكمة، وورثة النبوّة، وموضع الخلافة، أوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة، وكان ممّن عانده وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم، يتلقّونه بالضرر والتثريب، ويقصدونه بالأذى والتخويف، وينابذونه بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدّون من قصده، وينالون بالتعذيب من اتّبعه، وكان أشدّهم فى ذلك عداوة، وأعظمهم له مخالفة، أوّلهم فى كلّ حرب ومناصبة، ورأسهم فى كلّ إجلاب وفتنة، ولا يرفع على الإسلام راية إلّاكان صاحبها وقائدها ورئيسها أباسفيان بن حرب صاحب أحد والخندق وغيرهما، وأشياعه من بنى اميّة الملعونين فى كتاب اللَّه، ثمّ الملعونين على لسان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى مواطن عدّة، لسابق علم اللَّه فيهم، وماضى حُكمه فى أمرهم، وكفرهم ونفاقهم، فلم يزل لعنه اللَّه يحارب مجاهداً، ويدافع مكايداً، ويجلب منابذاً، حتى قهر السيف، وعلا أمر اللَّه وهم كارهون، فتعوّذ بالإسلام غير منطوٍ عليه، وأسرّ الكفر غير مقلع عنه، فقبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم، ثمّ أنزل اللَّه تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم، وهو قوله تعالى: «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ»[۴۰۹]، ولا خلاف بين أحد فى أنّه تبارك وتعالى أراد بها بنى اميه.

وممّا ورد من ذلك فى السنّة، ورواه ثقات الامّة، قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيه وقد رآه مقبلًا على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه، فقال صلى الله عليه و آله: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ».

ومنه ما روته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان: «تَلَقَّفُوهَا يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقُّفَ الْكُرَةِ فَوَ اللَّهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ» وهذا كفر صُراح يلحقه اللعنة من اللَّه كما لحقت الذين كفروا من بنىاسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۶

ومنه ما يُروى من وقوفه على ثنيّة احد من بعد ذهاب بصره وقوله لقائده، هاهنا رمينا محمداً وقتلنا أصحابه.

ومنها الکلمة التی قالها للعبّاس قبل الفتح وقد عرضت علیه الجنود: «أصبح ملک ابن أخیک عظیماً» فقال العباس: ویحک، إنّه لیس بملک، إنّها النبوّة.

ومنها قوله یوم الفتح (فتح مکة) وقد رأی بلالًا علی ظهر الکعبة یؤذّن ویقول:

«أشْهَد أنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّه»؛ فقال أبو سفیان: لقد أسعد اللَّه عتبة بن ربیعة إذ لم یشهد هذا المشهد.

ومنه الرؤیا التی رآها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فوجم لها: قالوا: ما رئی بعدها ضاحکاً، رأی نفراً من بنی امیّة ینزون علی منبره نزوة القردة.

ومنها طرد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الحکم بن أبی العاص لمحاکاته إیّاه فی مشیته، وألحقه اللَّه بدعوة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله آفة باقیة حین التفت إلیه فرآه یتخلج یحکیه، فقال: «کُن کَما أنتَ»، فبقی علی ذلک سائر عمره.

وهذا إلی ما کان من مروان ابنه فی افتتاحه أوّل فتنة کانت فی الإسلام، واحتقابه کلّ دم حرام سُفک فیما قبلها أو اریق بعدها.

ومنها ما أنزله اللَّه تعالی علی نبیّه صلی الله علیه و آله: «لَیْلَةُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»[۴۱۰]، قالوا: ملک بنی امیّة.

ومنها أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «یَطلَعُ مِنْ هذا الفَجّ رَجلٌ مِن امّتی یُحشرُ علی غیرِ مِلّتی»، فطلع معاویة.

ومنها أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «إذا رَأَیْتُمْ مُعَاوِیَةَ یَخْطُبُ عَلَی مِنْبَری فَاقْتُلُوه» وذکر فی هذا الکتاب روایات قاصمة علی معاویة الواردة فی الکتب التاریخیة المشهورة.

ومنها افتراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمین فی الإسلام مکاناً، وأقدمهم إلیه سبقاً،

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۳۷

وأحسنهم فیه أثراً وذکراً، علیّ بن أبی طالب، ینازعه حقّه بباطله، ویجاهد أنصاره بضلالة أعوانه، ویحاول ما لم یزل هو وأبوه یحاولانه من إطفاء نور اللَّه، وجحود دینه «وَیَأْبَی اللَّهُ إلَّا أنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ کَرِهَ الْکَافِرُونَ»[۴۱۱]، ویستهوی أهل الجهالة، ویموّه لأهل الغباوة بمکره وبغیه اللذین قدّم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الخبر عنهما، فقال لعمار بن یاسر: «تَقتُلُکَ الفِئةُ الباغِیةُ، تَدعُوهُم إلی الجَنَّةِ وَیَدْعُونَکَ إلی النّارِ»، مؤثراً للعاجلة، وکافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام، مستحلّاً للدم الحرام، حتّی سفک فی فتنته، وعلی سبیل غوایته وضلالته ما لا یحصی عدده من أخیار المسلمین، الذّابین عن دین اللَّه، والناصرین لحقّه، مجاهداً فی عداوة اللَّه، مجتهداً فی أن یعصی اللَّه فلا یُطاع، وتُبطل أحکامه فلا تقام، ویخالف دینه، فلابدّ أن تعلو کلمة الضلال وترتفع دعوة الباطل، وکلمة اللَّه هی العلیا، ودینه المنصور، وحکمه النافذ، وأمره الغالب وکید من عاداه وحادّه المغلوب الداحض، حتّی احتمل أوزار تلک الحروب وما تبعها، وتطوّق تلک الدماء وما سفک بعدها، وسنّ سنن الفساد التی علیه إثمها وإثم من عمل بها، وأباح المحارم لمن ارتکبها، ومنع الحقوق أهلها، وغرّته الآمال، واستدرجه الإمهال.

وکان ممّا أوجب اللَّه علیه به اللعنة قتله من قتل صبراً، من خیار الصحابة والتابعین، وأهل الفضل والدین، مثل عمرو بن الحمق الخزاعیّ، وحجر بن عدیّ الکندیّ، وفیمن قتل من أمثالهم، علی أن تکون له العزّة والملک والغلبة، ثمّ ادّعاؤه زیاد بن سمیّة أخاً، ونسبته إیّاه واللَّه تعالی یقول: «ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ ...»[۴۱۲]، ورسول االلَّه صلی الله علیه و آله یقول: «مَلْعُونٌ مَن ادَّعی إلی غیرِ أبیهُ أو انْتمی إلی غَیرِ مَوالیه»، وقال صلی الله علیه و آله: «الْوَلَدُ لِلفرَاشِ وللعَاهِرِ الحَجَر»، فخالف حکم اللَّه تعالی ورسوله جهاراً، وجعل الولد لغیر الفراش و الحجر لغیر العاهر، فأحلّ بهذه الدعوة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۳۸

من محارم اللَّه ورسوله ....

ومن ذلک إیثاره لخلافة اللَّه علی عباده ابنه یزید السکّیر والخمیر صاحب الدیکة والفهود والقردة، وأخذ البیعة له من خیار المسلمین

بالقهر والسطوة والتوعّد والإخافة، والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطّلع على رهقه وخبثه، ويعاين سكراته وفعلاته، وفجوره وكفره، فلما تمكّن – قاتله اللَّه– فيما تمكّن منه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل المدينة فى وقعة الحرّة، الوقعة التى لم يكن فى الإسلام أشنع منها ولا أفحش، فشفى عند نفسه غليله، وظنّ أنّه قد انتقم من أولياء اللَّه، وبلغ الثأر لأعداء اللَّه، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

لَيتَ أَشْيَاخِى بِبَدْرٍ شَهِدُواجَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَل [۴۱۳]

ثمّ أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اجترم، سفكه دم الحسين بن علىّ عليه السلام، مع موقعه من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومكانته ومنزلته من الدين والفضل والشهادة له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة، اجتراءً على اللَّه، وكفر بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهرة لعترته، واستهانة لحرمته، كأنّما يقتل منه ومن أهل بيته قوماً من كفرة الترك والديلم، ولا يخاف من اللَّه نقمة، ولا يراقب منه سطوة، فبتر اللَّه عمره، وأخبث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من اللَّه بمعصيته ....

ثمّ أضاف: أيّها الناس، إنّما أمر ليطاع، ومثل ليتمثّل، وحكم ليفعل، قال اللَّه سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً»[۴۱۴] وقال: «أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۳۹

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»[۴۱۵]، فالعنوا أيّها الناس من لعنه اللَّه ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربة من اللَّه إلّابمفارقته اللَّهُمَّ الْعَنْ أباسُفْيانَ بْنَ حَرْبِ بْنَ امَيَّهَ، وَمُعاوِيَةَ بْنَ أبى سُفْيانَ، وَيَزِيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ، وَمَرْوانَ بْنَ الحَكَمِ وَوِلْدَهُ وَوِلْدَ وُلدِهِ! اللَّهُمَّ الْعَنْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ وَقَادَةَ الضَّلَالِ وَأَعْدَاءَ الدِّين مُجَاهِدِى الرَّسُولِ وَمُعَطِّلِى الْأَحْكَامِ وَمُبَدِّلِى الْكِتَابِ وَمُنْتَهِكِى الدَّمِ الْحَرَامِ .

إلى قوله: ولا قوّة الا باللَّه العلىّ العظيم»[۴۱۶].

ما ورد أعلاه يمثّل جانباً من الكتاب المطوّل الذى كتبه «المعتضد العبّاسىّ»، وجاء هذا الكتاب فى المصادر الإسلاميّة والتاريخية المعروفة.

وبديهى أنّ نقل رسالة المعتضد باللَّه العباسىّ لا تعنى تأييد جميع أعماله فى أيّام خلافته.

ونرى من اللازم الإشارة إلى هذه النقطة، وهى أنّ مخالفة وزير المعتضد «عبيداللَّه بن سليمان» لنشر هذه الرسالة كان بسبب انحرافه عن علىّ وآله عليه السلام فإنّ المؤرّخين ذكروا عنه فى ترجمة حياته: «كانَ مُنْحَرِفاً عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام» فكان خوفه من ثورة الناس ليس سوى ذريعة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۱

## الرسالة ۲۸

### اشارة

إلى مُعاوِيَةَ جَواباً[۴۱۷] قالَ الشَّرِيفُ: وَهُوَ مِنْ مَحاسِنِ الْكُتُبِ

### نظرة إلى الرسالة

رأينا أنّ هذه الرسالة، كما ورد فى مطلعها فى نهج‌البلاغة، تمثّل جواباً على أحد كتب معاوية إلى الإمام علىّ عليه السلام، وفيه

يتحدّث معاوية بشكل غير مؤدّب مع الإمام عليه السلام ولم يترك أىّ حرمة إلّاوانتهكها، وفى القسم الأول من رسالته يتحدّث عن عظمة نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله والرسالة الإلهيّة، ويجعل ذلك مقدّمة لبيان فضائل أصحاب النبىّ وأنصاره، ثمّ يتطرّق إلى فضائل الخليفة الأوّل والثانى والثالث ويتحدّث عن مقام الأول والثانى وعن مظلوميّة الثالث ويتّهم الإمام عليه السلام بالمساهمة فى قتل عثمان،

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۴۲

وكذلك يتّهمه بالحسد لأبى بكر وكراهيته لخلافة عمر، وفى جميع هذه الرسالة يستخدم معاوية تعبيرات نابية وكلمات موهنة، وفى ختامها يتّهم الإمام عليه السلام بوقاحة بأنّه معاند ولجوج ويقول: ادفع لنا قتلة عثمان واعمل على تشكيل شورى لانتخاب خليفة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فنحن لا نقبل ببيعتك ولا نطيعك، وسيكون جوابك هو السيف ونحن ماضون على ذلك إلى النهاية.

ويتبيّن من عبارات هذه الرسالة أنّ معاوية كان يهدف إلى أمرين: الأوّل: أن يثير غضب الإمام عليه السلام وإحساساته ليجيبه بكلام مماثل ويتّخذ ذلك ذريعة أخرى إلى جانب قميص عثمان لقتال الإمام، وكذلك إغراقه فى بيان فضائل الخلفاء الثلاثة واتّهام الإمام عليه السلام بالحسد لهم ليجيبه الإمام عليه السلام على الضدّ من ذلك، وبالتالى يكون بيده حجّة ضدّ الإمام عليه السلام إلى جانب قميص عثمان.

وهذا الكلام ليس استنباطاً ممّا ورد فى رسالة معاوية، بل هو أمر ورد بصراحة فى التاريخ الإسلامى على لسان عمرو بن العاص، يقول ابن أبى‌الحديد: إنّ عمرو ابن العاص قد أشار إلى معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزّا فيه الإمام علىّ عليه السلام ويستخفّاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به فى تقبيح حاله وتهجين مذهبه، وقال له عمرو بن العاص: إنّ عليّاً رجل نزق تيّاه، فاستطعم منه الكلام بمثل الثناء على أبى بكر وعمر، فكتب معاوية الرسالة التى ذكرنا شيئاً منها آنفاً.

أمّا مضمون رسالة الإمام عليه السلام بنظرة عامة:

إنّ هذه الرسالة تشتمل على عدّة محطّات، فالإمام فى المحطّة الاولى يتعرّض لفضح ادّعاءات معاوية الواهية، ويقول فى جوابه: إنّ اللّه تعالى بعث محمداً لرسالته ونشر دينه وأيّده بأنصاره، والإمام فى هذه المقطع يبرز تعجّبه الشديد ويقول: وما أنت وهذه الأمور، فقصّتك مثل قصّة الشخص الذى يحمل التمر إلى هجر، وهذا المثل معروف لدى العرب، كما يدعو التلميذ استاذه إلى مسابقة علميّة مثلًا، فيقول له

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۳۴۳

الإمام عليه السلام إنّه يحسن بك أن تكفّ عن هذه الأقاويل ولا تحدّث بها أهلنا وقبيلتنا، فنحن أعلم منك بذلك.

وفى المحطّة الثانية، وبقصد التذكير بنعم اللّه تعالى، لا من أجل اطّلاع معاوية الذى يعلم بهذه الأمور، يتعرّض الإمام عليه السلام لبيان فضائل بنى هاشم وذكر حمزة سيّد الشهداء وجعفر الطيار، وفى الختام يقول: لو لم ينهَ اللّه تعالى عن مدح النفس، لذكرت لك فضائل كثيرة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السامعين.

وفى المحطّة الثالثة من هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة أساسية فى ادّعاءات معاوية، ويتعرّض للمقارنة بين بنى هاشم وبنى اميّة، ويقول: نحن تربطنا رابطة رحم مع النبىّ ونحن أهل بيته، وقد اعتنقنا رسالته ودينه قبل جميع الناس ونحن على معرفة بها أكثر من الآخرين، وبالتالى نحن أحقّ بالخلافة، فالمهاجرون يوم السقيفة استندوا إلى قرابتهم من رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليدعموا موقفهم ضدّ الأنصار الذين كانوا يطمحون إلى الخلافة، فلو كان هذا الأمر دليلًا على الأولوية فنحن أحقّ منهم.

وفى المحطّة الرابعة من هذه الرسالة يتعرّض الإمام عليه السلام لنقد بعض عبارات معاوية غير المؤدّبة فى رسالته ويقول: لقد ذكرت فى رسالتك أنّنى كنت اقاد كالجمل المغشوش للبيعة، ولكنّك بهذا الكلام قد فضحت نفسك، لأنّ المسلم لا يجد فى نفسه غضاضة أن يقع مظلوماً مادام يجد نفسه مستقيماً فى حركته فى خطّ الرسالة والإيمان والمسؤولية، وأنّك تحدّثت عن عثمان وكيف كان

سلوكى معه، فمَن هو الأكثر عداوة لعثمان؟ هل هو الشخص الذى انطلق للدفاع عنه ولمدّ يد العون له ونصيحته بتلبية حاجات الناس لإطفاء نار الفتنة وتهدئة الأُمور (إشارة إلى توصيات الإمام عليه السلام لعثمان) أو الشخص الذى طلب منه عثمان المعونة وامتنع منها وقبع ينتظر موته (إشارة إلى حال معاوية وموقفه من قتل عثمان).

نفحات الولاية ؛ ج‏٩ ؛ ص٣٤٣

ى المحطّة الخامسة والأخيرة من هذه الرسالة يقول الإمام عليه السلام فى مقام

نفحات الولايه، ج‏٩، ص: ٣٤٤

الجواب عن تهديد معاوية بالهجوم والحرب: لقد أثرت فى نفسى الضحك، فأنت تهدّد أبناء عبدالمطّلب بالموت والحرب، فمتى رأيت أبناء عبدالمطّلب يهربون من القتال أو يخافون من السيف؟

***

نفحات الولايه، ج‏٩، ص: ٣٤٥

## القسم الأول

### اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِى كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِى نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِى ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِى مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِى الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ. وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، وَالتَّمْييزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا! أَ لَاتَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ!

### الشرح والتفسير: كيف يجلس المحكوم للحكم والقضاء؟

كما تقدّمت الإشارة إليه، فإنّ هذه الرسالة التى يقول عنها الشريف الرضى من أبلغ وأجمل الرسائل، يتحدّث فيها أميرالمؤمنين عليه السلام عن مسائل مهمّة بعبارات بليغة وحاسمة لمعاوية.

فى البداية يشير الإمام عليه السلام إلى حديث معاوية عن عظمة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ورسالته السماوية ويقول: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِى كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ

نفحات الولايه، ج‏٩، ص: ٣٤٦

طَفِقْتَ ٤١٨] تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ[٤١٩] اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِى نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِى ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِى مُسَدِّدِهِ ٤٢٠] إِلَى النِّضَالِ ٤٢١]».

والإمام عليه السلام هنا لغرض بيان فساد وقبح كلام معاوية فيما يتّصل بوصف الإسلام وعظمة النبىّ الكريم صلى الله عليه و آله،

وللإمام علىّ عليه السلام الذى يعتبر أوّل مسلم وأنّه نفس النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والنقطة المحورية للإسلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، يذكر مثلين كلّ واحد منهما أبلغ وأقوى من الآخر، فى البداية يذكر المثل العربى المعروف: «فُلَانٌ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَر» وهذا المثل يعود إلى تاجر كان قادماً من منطقة هجر (وهى إحدى مناطق البحرين) وفيها تكثر زراعة النخيل ويأتى إلى البصرة يشترى له بضاعة وينقلها إلى هجر، وكلّما بحث عن شىء يشتريه لم يجد أزهد سعراً من التمر، فاشترى برأسماله كلّه تمراً من البصرة وجاء به إلى هجر وادّخره فى مخزنه انتظاراً لغلاء سعر التمر، ولكن لسوء حظّه كان سعر التمر يهبط يوماً بعد آخر حتى فسد جميع التمر فى مخزنه، وتلف بذلك رأس ماله، فضرب به المثل ويقال لكلّ من يحمل شيئاً أو يتحدّث بأمر من الأمور عند من هو أعلم منه وأخبر به، وحال معاوية أيضاً يشبه ذلك التاجر الأحمق حيث أراد أن يبيّن للإمام على عليه السلام عظمة الإسلام والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فصدق عليه هذا المثل المعروف.

والمثال الثانى يشبّه الإمام عليه السلام معاوية بالرامى الناشىء الذى تعلّم الرماية عند استاذه ثمّ وقف أمام استاذه وأخذ يدعوه للبراز والمسابقة فى الرماية ليخبر استاذه ويمتحنه فى تسديد الرمية، وهذا هو ما يثير الضحك والسخرية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۷

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى أنّ الإمام عليه السلام تحدّث من موقع التواضع بهذا التشبيه حيث شبّه معاوية بالتلميذ رغم سوء أدب معاوية وجرأته على الإمام عليه السلام.

وعلى أيّة حال، فمَن يريد الاطّلاع على سيرة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وحقيقة الإسلام ورسالته الإلهيّة، فينبغى أن يستوحى ذلك من كلمات الإمام عليه السلام وسلوكياته، وما أقبح أن يطلب معرفة الإسلام من الطلقاء والبعيدين عن أجواء الرسالة والإيمان كمعاوية.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لقسم آخر من رسالة معاوية وحديثه عن صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويشير إلى الخليفة الأول والثانى والثالث، ويقول: «وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِى الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ۴۲۲]. وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ!».

وكما تقدّمت الإشارة إليه أنّ هدف معاوية من ذكر اسم الخليفة الأول والثانى والثالث وفضائلهم أن يثير حفيظة الإمام عليه السلام بحيث يجيبه بجواب من موقع الغضب فيتّخذه ذريعة ويتمسّك بها ضدّ الإمام عليه السلام، ولكنّ الإمام عليه السلام أجابه بكلام متين ومدروس جدّاً، بحيث أخرجه كلياً من دائرة القرار وأبعده عن هذا الشأن، والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول له: أنت ابن أبى سفيان جرثومة الكفر ومحور الشرك والوثنية، والعدوّ الأوّل للإسلام والأصل لإشعال نيران الحروب والفتنة ضد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين، وأنت قد رُبِّيتَ فى حضن هند آكلة الأكباد وأنّ اسرتك غريبة عن الإسلام والرسالة، والآن تريد أن تتحدّث عن صحابة النبىّ وتعيّن الفاضل والمفضول، وتجعل نفسك واحداً ممّن يرتبط بهذا الشأن!

ويضيف الإمام عليه السلام فى إدامة كلامه بشكل أبين وأقوى ويقول: «وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ!».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۸

وكأنّك قد نسيت أنّك يوم فتح مكة وانتصار المسلمين واستيلائهم على آخر معقل للكفر والشرك، كنت تحت رحمة سيوف المجاهدين ولم يكن لديك طريق للفرار، ولذلك أسلمت أنت وأبوك أبوسفيان من موقع التسليم والرضوخ، وقد منّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليكم وجعلكم من الطلقاء، والآن نصّبت نفسك على كرسى التحكيم بين صحابة النبىّ وجعلت من نفسك عارفاً بدرجاتهم ومكانتهم بين المهاجرين الأوّلين، والحقيقة أنّ من المخجل جدّاً أن يقوم شخص يملك هو واسرته مثل هذه السابقة السيّئة، بالتدخل بمثل هذه الأمور ويجعل نفسه حكماً فى هذا الشؤون.

والواقع ينبغى توجيه حربة النقد إلى الأشخاص الذين جعلوا من معاوية يحتلّ هذه المكانة بعد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ونسوا سوابقه وجعلوه والياً على مقاطعة كبيرة من البلاد الإسلاميّة، أجل، فمعاوية نُصّب والياً على الشام فى زمان الخليفة الثانى ويتوجّه اللوم أيضاً إلى المسلمين الذين نسوا سوابق اسرة بنى أمية بهذه السرعة والفاصلة الزمنية القليلة، ورضخوا لحكومتهم ولم ينتفضوا ضدّهم، كلّ ذلك مع وجود روايات كثيرة عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مذكورة فى المصادر الإسلاميّة المختلفة فى ذمّ بنى امية وبالتحديد معاوية، وبيان الخطر الذى يهدّد الإسلام والامّة الإسلاميّة من حكومتهم.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستمرّ فى كلامه ويقول من موقع التأكيد: «هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَ ۴۲۳] قِدْحٌ ۴۲۴] لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا».

وجملة: «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا» مثل معروف بين العرب يعود أصله إلى أنّ طائفة من بنى الحنان أرادوا أن يلعبوا القمار فيما بينهم، وهيّأوا لذلك النصال، وكان نصيب جدّهم منها نصل غير صالح للرمى، فرمى بنصله من بين تلك النصال، وكان المقسم للنصال رجل أعمى، وعندما أصابت الرمية سهم من هذه السهام انتبه من الصوت أنّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۴۹

تلك النصال زائفة أيضاً، فقال: «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا» أى أنّ هذا النصل ليس من جنس النصال الأصلية، من خلال صوته، وانكشف بذلك زيف هذه النصال، ثمّ ضرب به المثل لكلّ شخص أدخل نفسه فى جماعة لم يكن جديراً بهم، وجعل نفسه فى عرض فئة ليس من مستواهم، والإمام عليه السلام استخدم هذا المثل المعروف فى مورد معاوية، وأنّك تخلط نفسك مع جماعة لست منهم، فأنت من الكفّار الطلقاء الذين أطلق سراحهم النبىّ يوم فتح مكة، فما أنت والمجاهدين والمهاجرين الأولين؟[۴۲۵].

واللافت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى العبارة المذكورة أعلاه يقول بصراحة: أنت بهذه السوابق السيّئة تعتبر من زمرة المحكومين ومن الرعيّة، فكيف تجلس على كرسىّ الحكّام وتدّعى التحكيم فيما بينهم؟

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام للتأكيد ويقول: «أَلَا تَرْبَعُ ۴۲۶] أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ ۴۲۷] وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ۴۲۸] وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ!».

وفى الجُمَل الثلاث يحذّر الإمام عليه السلام معاوية فى البداية أن يعرف قدره ولا يمدّ رِجلَه أكثر من لحافه كما يقول المثل.

وفى الجملة الثانية يأمره الإمام عليه السلام بمعرفة نفسه: وعليك أن تعرف أنّك لست من أهل هذا الميدان وأنّك أعجز من أن تطلب زمام الحكومة والولاية على منطقة من البلاد الإسلاميّة أو تروم التمييز بين مراتب المهاجرين والأنصار وتقضى فى هذا الشأن، إذن الأفضل أن تجلس فى سلك المرتبة التى تليق بشأنك وإمكاناتك ولا تتجاوز عن حدودك (أى تجلس فى صفّ النعال ومكان الأحذية لا فى صدرالمجلس).

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۰

وفى الجملة الثالثة يقول: صحيح أنّ المهاجرين والأنصار استطاعوا تحقيق النصر والغلبة فى مواجهاتهم الحاسمة لقوى الكفر والشرك والوثنية، وأنّ أعداء الإسلام والمشركين انهزموا من الميدان، ولكن ذلك يتعلّق بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والصحابة، وما أنت وهؤلاء حتّى تتحدّث عن انتصار المسلمين وهزيمة الكفّار بوصفها أحد افتخاراتك!

وجملة: «فَمَا عَلَيْكَ ...» التى تبتدىء بفاء التفريع، إشارة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّك امرؤ تعيش التخلّف والتأخّر فى مراتب الإسلام حيث أسلمت ظاهراً أنت وأبوك أبوسفيان فى آخر لحظات الدعوة الإسلاميّة وانتصار الرسالة على قوى الشرك، فمن هذا المنطلق فأنت تقع كلياً خارج هذا البحث ولا يمكن أن تجلس للتحكيم بين المهاجرين الأولين وتعيين مراتبهم ودرجاتهم.

وفى الجملة الرابعة والأخيرة يضيف الإمام عليه السلام: «وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ».

«التيه» فى الأصل بمعنى الحيرة، ثمّ اطلق على الصحراء التى لا يوجد فيها طريق للخروج منها، بحيث يبقى الإنسان حائراً فيها لا يهتدى

سبیلًا، کما هو الحال فی صحراء سیناء فی سنوات «تیه» بنی اسرائیل حیث بقوا فی هذا التیه أربعین سنة.

والإمام علیه السلام فی هذه الجملة الأخیرة یری أنّ مسار معاویة فی هذه القضیة علی خطأ من جهتین: الاولی: أنّه قد أوصل نفسه إلی وادٍ لا ـ یمکن الخروج والنجاة منه وأنّ طریقه ومقصده غیر معلوم، والأخری: أنّه علی فرض وضوح الطریق والمقصد، فإنّ معاویة لم یختر لنفسه الطریق القویم، بل انحرف عن هذا المسیر وتوغّل فی دروب الضلالة والانحراف والتیه.

«روّاغ» صیغة مبالغة من مادة روغ (علی وزن ذوق) وتعنی الحرکات الانحرافیة التی تقود صاحبها تارة إلی هذه الجهة وأخری إلی تلک، فیقال: إنّ الثعلب یتحرّک بمثل هذه الحرکة حتی لا یقع فی المصیدة، والإمام یقول لمخاطبه هنا: أنت تتحرّک دوماً من هذه الجهة إلی تلک الجهة من موقع المکر والحیلة ولا تتحرّک أبداً فی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۵۱

المسار الصحیح والطریق المعتدل، فأحیاناً تدافع عن صحابة النبیّ، وأخری تقف أمامهم وترفع لواء التمرّد ضدّهم وتدعو الناس للحرب وسفک الدماء.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۵۳

## القسم الثانی

### اشارة

أَلَا تَرَی غَیْرَ مُخْبِرٍ لَکَ، وَلکِنْ بِنِعْمَةِ اللّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ تَعَالَی مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِکُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّی إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِیدُنَا قِیلَ: سَیِّدُالشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله بِسَبْعِینَ تَکْبِیرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَیْهِ! أ وَلَا تَرَی أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَیْدِیهِمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ- لِکُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّی إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِیلَ: «الطَّیَّارُ فِی الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَیْنِ!» وَلَوْ لَامَا نَهَی اللّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْکِیَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَکَرَ ذَاکِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِینَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِینَ. فَدَعْ عَنْکَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِیَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا.

### الشرح والتفسیر: الامتیازات النادرة

تبیّن فی المقطع السابق أنّ الإمام علیه السلام خیّب معاویة فی بلوغ هدفه من الرسالة، لأنّ معاویة أراد من خلال استعراض سیرة الخلفاء الثلاثة أن یثیر الإمام علیه السلام لیتحدّث بکلام ضدّهم ویجعل من هذا الکلام حجّة وذریعة کقمیص عثمان، ولکنّ الإمام علیه السلام ذکر له بأنّک أجنبیّ وغریب عن الدخول فی مثل هذه المسائل فلا ـ یحقّ لک أن تنصب نفسک حکماً بین المهاجرین والأنصار.

ثمّ إنّ الإمام فی هذا المقطع من هذه الرسالة یستعرض فضائل أهل البیت علیهم السلام بأفضل تعبیرات وأبلغ الکلمات فیبطل ادّعاءات معاویة بشکل غیر مباشر، یقول الإمام علیه السلام: «أ لَاتَرَی- غَیْرَ مُخْبِرٍ لَکَ، وَلکِنْ بِنِعْمَةِ اللّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۵۴

فِی سَبِیلِ اللّهِ تَعَالَی مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِکُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّی إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِیدُنَا قِیلَ: سَیِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله بِسَبْعِینَ تَکْبِیرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَیْهِ».

وقد ورد فى الروايات الإسلاميّة أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان كلّما كبر تكبيرة فى صلاته على جثمان حمزة كبّرت جماعة من الملائكة معه، وعلى ضوء ذلك جاءت أربعة عشر طائفة من الملائكة بصورة متتالية وصلّوا خلف رسول اللّه صلى الله عليه و آله على جنازة حمزة[۴۲۹].

على أية حال فإنّ غرض الإمام عليه السلام من هذا الكلام أنّنا لو شرعنا بذكر الفضائل وبدأنا من الشهادة، فإنّ هذه الفضيلة تعدّ من أبرز امتيازات قبيلتنا، لأنّ حمزة سيّد الشهداء منّا، فصحيح أنّ جميع الشهداء يملكون مقاماً شامخاً عند اللّه وعند المؤمنين، ولكن مقام هذا الشهيد من بنى هاشم أعلى وأسمى من الجميع.

وطبعاً فإنّ هذا اللقب لحمزة وهو سيّد الشهداء كان بالنسبة لشهداء عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وإلّا فإنّ مقام أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى شهادته وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء أعلى من ذلك، اللافت أنّ ابن أبى‌الحديد يتحدّث بمثل هذه الكلام عن شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام ۴۳۰].

ثمّ إنّ الإمام يستمرّ فى بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وبنى هاشم ويذكر فضيلة أخرى لشهداء بنى هاشم وهى شهادة جعفر الطيار ويقول لمعاوية: «أ وَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ- وَلِكُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِى الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ».

وقد جاء فى شرح نهج‌البلاغة للمرحوم التسترى نقلًا عن المغازى للواقدى أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله دخل على أسماء- زوجة جعفر بن أبى طالب بعد استشهاده- فنعاه

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۵۵

إيّاها- إلى أن قال- ياأسماء ألا ابشّركِ؟ قالت: بلى، بأبى أنت وامّى، قال صلى الله عليه و آله: فإنّ اللّه عزّ وجلّ جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنّة، قالت: بأبى أنت وامّى يارسول اللّه، فأعلم الناس ذلك، فقام رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأخذ بيدى يمسح بيده على رأسى حتى رقى على المنبر، وأجلسنى أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلّم وقال: «إنّ المَرْءَ كَثِيرٌ بأخِيهِ وابنِ عَمِّه، ألا إنَّ جَعْفراً قَدِ اسْتُشْهِدَ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ جَناحَيْنِ يَطيرُ بِهما فِى الْجَنَّةِ»[۴۳۱].

وبعد أنّ يستعرض الإمام علىّ عليه السلام هذين الموردين المتميّزين من فضائل بنى هاشم، يتحدّث ببيان كلّى، ويقول: «وَلَوْ لَامَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا[۴۳۲] آذَانُ السَّامِعِينَ».

وهذا إشارة إلى أنّ فضائلنا أهل البيت عليهم السلام قد ملأت الخافقين وليست فضيلة واحدة أو عدد قليل من الفضائل، بل هى من الشهرة والشياع إلى درجة أنّه لا يعرفها المؤمنون فحسب، بل حتّى المنافقين والغرباء عن الإسلام على معرفة بها وقد سمعها الكثير من النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وإن كنت (معاوية) لا تعرفها، ولكن نظراً لحمل البعض بذكر هذه الفضائل، على مدح الذات وتزكية النفس، فأنا أكتفى بهذا المقدار وأغضّ النظر عن سائر الفضائل الكثيرة، وأترك الحكم إلى المؤمنين وأصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله الخاصين حيث يتواجد الكثير منهم لحدّ الآن بين المسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى نهاية هذا المقطع من الرسالة يهيب بمعاوية ويقول: «فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ[۴۳۳] فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۵۶

ويعترف شرّاح نهج‌البلاغة أنّ هذه الجملة بليغة جدّاً وعميقة المحتوى وتمثّل جواباً حاسماً ورداً قاطعاً لكلام معاوية المتهاوى والهزيل. لأنّه مع الالتفات إلى أنّ كلمة «صَنائع جمع صنيعة وتعنى الشيء المختار والمصطفى، ومن حاز بتربية واهتمام بالغ، يقول الإمام عليه السلام: لا شك، أنّ شمس النبوّة طلعت من دورنا، فإنّ اللّه تعالى قد اختار نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله من اسرتنا واصطفاه للرسالة واصطنعه وربّاه وتحمّل هذه المسؤولية الثقيلة فى ظلّ الوحى، وعندما بلغ ذروة الكمال والعلم والهداية، بعث لهداية الناس

وتعليمهم، ونحن بدورنا ممّن اصطفاهم اللّه لسلوك هذا الطريق، وعلى ضوء ذلك فنحن ممن اصطفاهم اللّه وربّاهم واصطنعهم لتربية الناس وتعليمهم وإصلاح نفوسهم، ولذلك لا مجال لمقارنتنا بالآخرين، وأنت حينما تذكر بعض الأشخاص الذين ساروا فى خطّ الهداية والإيمان فإنّهم قد اهتدوا بهدايتنا وبنورنا.

وفى معنى جملة «صَنَائِعُ لَنَا» سلك البعض مسلك الإفراط فى ذلك وذهب إلى أنّ الناس مخلوقون ومصنوعون من قِبل أئمّة الهدى عليهم السلام أو أنّهم عبيد لهم، فى حين أنّ هذا الكلام لا يتناغم ولا يتجانس مع آيات القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يتحدّث عن موسى عليه السلام ويقول: «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسى»[۴۳۴]، وفى مورد آخرى يقول:

«وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِى»[۴۳۵].

وللأسف فإنّ التفسير المذكور آنفاً قد أضحى ذريعة بين المخالفين للتشنيع على أتباع أهل البيت عليهم السلام واللافت أننا نقرأ فى حديث معتبر ورد فى كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ أبا الصلت دخل على الإمام الرضا عليه السلام وقال: ياابن رسول اللّه ما هذا الذى ينقل الناس عنكم؟ فقال له الإمام الرضا عليه السلام: ماذا يقولون؟ فقال: «إِنَّكُمْ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۵۷

تَدَّعُونَ أَنَّ النَّاسَ لَكُمْ عَبِيدٌ» فتعجّب الإمام عليه السلام من ذلك وقال: «اللّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ شَاهِدٌ بِأَنّى لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ أَحَداً مِنْ آبَائِى عليهم السلام قَالَ قَطُّ وَأَنْتَ الْعَالِمُ بِمَا لَنَا مِنَ الْمَظَالِمِ عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَانَّ هَذِهِ مِنْهَا»[۴۳۶].

## تأمّلان: فضائل حمزه سيّد الشهداء

بالنسبة لشخصية حمزة عليه السلام وخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين وشهادته الأليمة، فقد أورد المؤرّخون فى المصادر الإسلاميّة بحوثاً كثيرة فى هذا المجال ونشير هنا إلى جملة منها:

۱. جاء فى تفسير فرات الكوفى: «يُدْفَعُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلى عَلِيٍّ لِواءُ الْحَمْدِ وَإلى حَمْزَةَ لِواءُ التَّكْبيرِ وَإلى جَعْفَرَ لِواءُ التَّسْبيحِ»[۴۳۷].

۲. جاء فى تفسير الإمام الحسن العسكرى عليه السلام: «يَأتى بِالرُّمحِ الَّذى كانَ يُقاتِلُ حَمْزَةُ أَعْداءَ اللّهِ فِى الدُّنْيا فَيُناوِلَهُ إيّاهُ وَيَقُولُ: يا عَمَّ رَسُولِ اللّهِ ذِدِ الْجَحيمَ عَنْ أَوْلِيائِكَ بِرُمْحِكَ»[۴۳۸].

۳. وأورد ابن حجر العسقلانى فى كتابه الاصابة فى تمييز الصحابة: «حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشىّ الهاشمىّ، أبوعمارة، عمّ النبىّ صلى الله عليه و آله وأخوه فى الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب كما ثبت، وقريب من امّه أيضاً لأنّ امّ حمزة هالة بنت أهيب بن عبدمناف بن زهرة، بنت عمّ آمنة بنت وهب بن عبدمناف امّ النبىّ صلى الله عليه و آله.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۵۸

ولد قبل النبىّ صلى الله عليه و آله بسنتين، وقيل: أربع، وأسلم السنة الثانية من البعثة، ولازم نصر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهاجر معه ... ولقبّه النبىّ صلى الله عليه و آله أسد اللّه، وسمّاه سيّد الشهداء، وقف على حمزة حين استشهد وقد مُثّل به، فجعل ينظر إليه منظراً كان أوجع قلبه فقال:

«رَحِمَكَ اللّهُ اىْ عَمِّ لَكُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ فَعُولًا لِلْخَيْراتِ»[۴۳۹].

۴. وجاء فى كتاب اسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير: «ولمّا عاد النبىّ صلى الله عليه و آله إلى المدينة سمع النّوحَ على قتلى الأنصار، (والحال كانت دار حمزة قفرة لأنّه كان من المهاجرين) فقال صلى الله عليه و آله: «لكِنَّ حَمْزَةَ لا بَواكِىَ لَهُ». فسمع الأنصار، فأمروا نساءهم أن يندبن حمزة قبل قتلاهم، ففعلن ذلك، قال الواقدى (المؤرّخ المشهور): فلم يزلن يبدأن بالندب لحمزة حتّى الآن»[۴۴۰].

۵. وجاء فى كتاب مكارم الأخلاق أن فاطمة الزهراء عليها السلام صنعت من تراب قبر حمزة مسبحة وكانت تذكر اللّه بها[۴۴۱].

والروايات فى فضائل سيّد الشهداء حمزة عليه السلام وتضحياته ودفاعه عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإسلام فى أيّام الغربة والمحنة، وشجاعته فى ميدان القتال كثيرة، ونختم هذا المختصر بحديث آخر نقله المرحوم الكلينى فى الكافى عن سدير قال:

كنّا عند أبى جعفر (الباقر عليه السلام) فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيّهم صلى الله عليه و آله واستذلالهم أميرالمؤمنين عليه السلام فقال رجل من القوم: أصلحك اللّه فأين كان عزّ بنى هاشم وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبوجعفر (الباقر) عليه السلام: «وَمَن بَقِيَ مِنْ بَنى هاشِمٍ إنّما كانَ جَعفَرُ وَحمزَةُ فَمَضَيا وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلان ضَعِيفان ذَليلان حَديثا عَهدٍ بالإسلام، عَباسٌ وعَقيلُ، وَكَانا من الطُّلقاء، أَمَا وَاللّهِ لَوْ أَنَّ حَمْزَةَ وَجَعْفَراً كَانَا بِحَضْرَتِهِما مَا وَصَلَا إِلَى مَا وَصَلَا إِلَيْهِ، وَلَو كَانا شَاهِدَيْهِما لأَتْلَفا نَفسيْهِما»[۴۴۲].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۵۹

## المرتبة السامية لجعفر بن أبى طالب

وقد أشار الإمام عليه السلام فى رسالته مورد البحث إلى مقام جعفر بن أبى طالب عليه السلام بين شهداء الإسلام بكلمات دقيقة وعميقة المعنى، وقد ورد فى الروايات الإسلاميّة أيضاً عبارات مهمّة فى هذا الصدد، منها:

۱. ما ورد فى كتاب الكافى عن يوسف بن أبى سعيد قال: كنت عند أبى عبداللّه الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لى: «إذا كَانَ يَومُ القِيامة وَجمعَ اللّهُ تبارك وَتعالى الخَلائِقَ كَانَ نُوحٌ صلّى اللّه عليهِ أوّلَ مَن يُدْعى بِهِ فَيُقالُ لَهُ: هَل بَلّغتَ؟ فيقول: نعم.

فَيُقال لَهُ: مَنْ يَشهَد لَك؟ فَيقول: مُحَمَّدُ بنُ عبدِاللّه صلى الله عليه و آله. قال: فَيَخرُج نُوحٌ عليه السلام فَيتخطّى النّاسَ حتّى يَجيءَ إلى مُحمَّدٍ صلى الله عليه و آله وهُو عَلى كَثِيبِ المِسْكِ وَمَعَهُ عليٌّ عليه السلام وَهو قَولُ اللّهِ عزّ وَجلّ: «فَلَمّا رَأوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...»[۴۴۳]، فَيقول نُوحٌ لِمُحمّدٍ صلى الله عليه و آله:

يامُحَمّدُ إنّ اللّهَ تبارك وَتعالى سَألَنِي: هَلْ بَلّغتَ؟ فَقلت: نعم. فَقال: مَن يَشْهَدُ لَك؟

فَقلتُ: مُحمَّدٌ صلى الله عليه و آله، فَيقولُ: يا جَعفَرُ يا حَمزَةُ اذهَبا وأشْهَدا لَهُ أَنَّهُ قَد بَلّغَ. فقال أبوعبداللّه (الصادق) عليه السلام: فَجَعفَرُ وَحمزَةُ الشّاهِدانِ للأنبياء عليهم السلام بما بَلّغوا»، فقلتُ:

جعلت فداكَ فعلىّ أين هو؟ فقال عليه السلام: «هُوَ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْ ذَلِكَ»[۴۴۴].

۲. وينقل ابن أبى‌الحديد عن أبى الفرج الإصفهانى فى كتاب مقاتل الطالبيين أنّ لجعفر فضائل كثيرة، وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا المجال، منها: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمّا فتح خيبر قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشة، فالتزمه رسوله اللّه صلى الله عليه و آله وجعل يقبل بين عينيه ويقول: «ما أدْرى بِأيِّهما اشَدُّ فَرَحاً بِقُدُوم جَعْفَرٍ أمْ بِفَتْحِ خَيْبَرٍ؟»[۴۴۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۶۰

۳. ويروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق أنّ الإمام علىّ عليه السلام كان أوّل رجل اعتنق الإسلام وبعده زيد بن حارثة ثمّ جعفر بن أبى طالب[۴۴۶].

۴. وفى كتاب الاصابة فى تمييز الصحابه ورد أنّ جعفر كان يهتمّ كثيراً بالفقراء والمحتاجين ويقدّم يد المعونة لهم ويتحدّث معهم، بحيث أنّ رسول اللّه سمّاه «أبوالمساكين» وقال النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله: «أَشْبَهْتَ خَلْقِى وَخُلُقِى» ثمّ أضاف ابن عساكر: إنّ هذا الحديث رواه البخارى ومسلم فى كتابيهما[۴۴۷].

۵. وينقل ابن عساكر فى تاريخ دمشق أيضاً عن أنس بن مالك عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «نَحْنُ بَنُو عَبْدِالْمُطَّلِبِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: رَسُولُ اللّهِ وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَجَعْفَرٌ ذُو الْجَنَاحَيْنِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ»[۴۴۸].

وهناك روايات كثيرة فى فضائل جعفر بن أبى طالب عليه السلام، نختم هذا البحث برواية عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال:

«أوحى اللّهُ عزَّ وجَلّ إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله إنّى شَكَرْتُ لِجَعْفَرَ بن أبى طالبٍ أرْبَعَ خِصالٍ، فَدعاهُ النَّبىُّ صلى الله عليه و آله فأخْبَرَهُ، فقال له: لَولا أنَّ اللّهَ تَبارَك وتعالى أخْبَرَك ما أخْبَرْتُك، ما شَرِبْتُ خَمْراً قَطُّ، لأنّى عَلِمْتُ أنّى إنْ شَرِبْتُها زالَ عَقْلِى، ومَا كَذَبْتُ قطُّ لأنَّ الكَذِبَ يُنْقِصُ المُروَّة، ومَا زَنَيْتُ قطّ لأنّى خِفْتُ أنّى إذا عَمِلتُ عُمِلَ بى، ومَا عَبَدْتُ صَنَماً قطّ لأنّى عَلِمْتُ أنَّهُ لا يَضُرُّولا يَنْفَعُ، قال:

فَضَرَب النَّبىُّ صلى الله عليه و آله يَدَهُ عَلى عاتِقِه و قال: حَقٌّ على اللّهِ عزَّ وَجَلَّ أن يَجْعَلَ لكَ جَناحَيْنِ تَطِيرُ بِهِما مع المَلائِكَةِ فى الجَنَّةِ»[۴۴۹].

مضافاً إلى كلّ ذلك من افتخارات جعفر وامتيازاته فإنّه كان رئيسَ المهاجرين إلى الحبشة، وعليه فإنّ جعفر كان قد هاجر الهجرتين (الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة) وصلّى إلى القبلتين (بيت المقدس فى بداية الإسلام والكعبة بعد مجيئه

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۱

إلى المدينة) وبايع البيعتين مع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله (البيعة فى بداية الإسلام والبيعة فى فتح مكة) كما ورد ذلك فى الأحاديث الشريفة[۴۵۰].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۳

## القسم الثالث

### اشارة

لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِىُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ! هُنَاكَ وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النبىّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِى كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ! فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَاتُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النبىّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

### الشرح والتفسير: نقاط مهمّة أخرى فى فضائل أهل البيت عليهم السلام

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى نقاط مهمّة أخرى، ففى البداية يحذّر معاوية أن مِن تَصوُّر أن مجرّد الارتباط النسبى والسببى بين بنى‌هاشم وبنى امية دليل على التساوى فى المرتبة والمكانة، بل هو نوع من التفضلّ والإيثار من بنى‌هاشم يقول:

«لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِىُّ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۴

طَوْلِنَا[۴۵۱] عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ[۴۵۲]، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ!».

إنّما يتحدّث الإمام عليه السلام بهذا الكلام من جهة أنّ لهجة معاوية فى رسالته يستوحى منها أنّ بنى امية فى عرض واحد مع بنى هاشم، فى حين أنّ بنى هاشم يمثّلون مركز النبوّة ومحور الولاية، وأنّ بنى امية هم أئمّة الكفر وقادة الشرّ، ولكن عندما اعتنقوا الإسلام ظاهراً، فإنّ الإسلام فرض على المسلمين أن يتعاملوا فيما بينهم معاملة الأكفاء والأنداد، ومن هذا المنطلق تزوّج النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله امّ حبيبة بنت أبى سفيان، وزوّج النبىّ ابنته لعثمان بن عفان.

وينطلق الإمام عليه السلام فى كلامه لبيان الدليل الواضح والبرهان القاطع على التفاوت الفرق بين بنى هاشم وبنى امية ويقول: «وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النبيّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ (مثل أبى جهل)، وَمِنَّا أَسَدُ اللّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ۴۵۳] (أبوسفيان)، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (الحسين والحسين) وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ (مروان أو عقبة بن أبى معيط)، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (فاطمة الزهراء)، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ (ام جميل زوجة أبى لهب واخت أبى سفيان)، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!».

وعلى هذا الأساس يبيّن الإمام عليه السلام مكانة بنى هاشم السامية وفضائح بنى‌امية وأتباعهم بالشواهد والقرائن التاريخية، بحيث لا يدع لأىّ‌أحد مجالًا لإنكار هذه الحقائق، وهذا هو معنى الفصاحة والبلاغة فى الكلام.

أمّا مقصود الإمام عليه السلام من «المُكذّب ، فهناك خلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۵

فذكروا تارة أشخاصاً مجهولين بوصفهم مكذّبين بحيث يتعجّب القارىء من ذلك، فى حين أنّ المُكذّب البارز فى تاريخ الإسلام هو أبو جهل، سواء قلنا إنّه من بنى امية أم لا، لأنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام يستعرض فضائح بنى امية ومن حالفهم من العرب، وكان شريكاً معهم فى المواقف السلبية تجاه الدعوة والنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وأمّا بالنسبة ل «أسد اللّه فلا يوجد أىّ خلاف بين شرّاح نهج‌البلاغة أنّ المقصود منه حمزة سيد الشهداء عليه السلام والذى لقّبه النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بهذا اللقب، أمّا «اسد الأحلاف فقد ذكروا احتمالات عديدة، فى حين أنّ أوضح مصداق له هو (أبو سفيان) الذى قاد قوى الكفر وجيوش الشرك ضدّ الإسلام فى حروب كثيرة وتحالف مع المشركين من العرب ضدّ الإسلام وكان آخرها معركة الأحزاب.

وهكذا بالنسبة للمراد من «صِبْيَةُ النَّارِ» فقد طرح شرّاح نهج‌البلاغة آراء مختلفة، ولكنّ الأنسب من الجميع أنّ المقصود منهم أبناء عقبة بن أبى معيط، وهو الذى تلقّى ضربات كثيرة فى معركة بدر وسقط على الأرض فلمّا وقعت عينه على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال بصوت ضعيف: «مَنْ لِلصِبْيَةِ يا مُحَمّد؟» فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«النّارُ»[۴۵۴].

وهو إشارة أنّكم تقتلون المسلمين ولا تفكّرون بأبنائهم وصبيتهم، لكنّك الآن تفكّر بأبنائك وصبيتك وأطفالك وهم الصبية الذين سيتحرّكون فى مسير الشرك والكفر تبعاً لأبيهم، ويقفون فى صفّ أعداء الإسلام ضدّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ودعوته السماوية، والتاريخ الإسلامى يحدّثنا أيضاً أنّ أبناء عقبة بن أبى معيط كانوا مصدر الشرّ والفتنة فى الامّة ومنهم الوليد بن عقبة.

والمقصود من «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فشرّاح نهج‌البلاغة وسائر علماء الإسلام يتّفقون بالإجماع على أنّها فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّه كما ورد فى صحيح مسلم أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما حانت وفاته قال لفاطمة عليها السلام يواسيها ويطيّب خاطرها: «يَا

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۶

فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟»[۴۵۵].

ومثل هذا الحديث ورد أيضاً فى صحيح البخارى الجزء ۷، ص ۱۴۲ وجاء فى مسند أحمد و مستدرک الحاکم عبارة «سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِين بدل العبارة السابقة[۴۵۶].

أمّا «حمّالة الْحَطَب فقد وردت الإشارة إليها فى القرآن الكريم ويتّفق شرّاح نهج‌البلاغة ومفسّرو القرآن أنّ المراد بها امّ جميل زوجة أبى‌لهب، واخت أبى سفيان وعمّة معاوية.

ومن مجموع ما تقدّم آنفاً يتبيّن بوضوح المكانة المرموقة لأهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله وبنى هاشم، وكذلک مكانة بنى‌امية وأتباعهم، ومن خلال كلام الإمام عليه السلام تستفاد مسائل كثيرة أخرى أيضاً ويتّضح من خلال الملاحظات التى ذكرها الإمام عليه السلام فى كلامه هذا الجواب الحاسم لمعاوية وادّعاءاته الواهية.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام من أجل التأكيد على ما سبق يضيف: «فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَاتُدْفَعُ»، الأعمال التى سبق أن قمنا بها فى الجاهلية والإسلام لا تخفى على أحد.

وهذا إشارة إلى أنّ الإسلام قد بدأ بنا وأننا كنّا أوّل المسلمين والمدافعين الحقيقيين عن الإسلام، وفى زمان الجاهلية أيضاً كنّا معروفين بحسن السمعة والأعمال الصالحة والأمانة بين جميع العرب قاطبة، ونقرأ فى رواية عن أحوال جعفر أنّ اللّه تعالى قد مدحه للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لأربع فضائل متميّزة له فى زمان الجاهلية، خلافاً لبنى امية والقبائل المتحالفة معهم الذين كانوا معروفين بالمكر والشيطنة والفساد وسفك الدماء.

وينقل المرحوم الشيخ مغنية فى شرحه لنهج البلاغة نقلًا عن كتاب عبقرية محمد للكتاب المصرى المعروف «العقاد» أنّ بنى هاشم كانوا دوماً معروفين

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۷

بالفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية والعقيدة السليمة، بعكس بنى امية المعروفين بالمكر وسوء الخلق، ونحن نرى هذا الإختلاف والتفاوت بين بنى هاشم وبنى امية فى كافّة الصفات الأخلاقية والمثل الإنسانية[۴۵۷].

واللافت أنّ ابن أبى‌الحديد يذكر بحثاً مطوّلًا من مائة صفحة تقريباً فى بيان هذه الفروقات، وفى الفصل الأول يتحدّث عن فضائل بنى هاشم بالمقارنة مع بنى امية، أبناء عبدشمس، وفى الفصل الثانى يتحدّث عن الأمور التى يفتخر بها بنوامية، وفى الفصل الثالث يجيب عن هذه الافتخارات المزعومة[۴۵۸].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن طرح هذه الأدلّة التاريخية القوية يتوجّه نحو القرآن الكريم ويستعرض آيتين شريفتين لإثبات حقّانية بنى‌هاشم ويقول: «وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ»[۴۵۹] وَقَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِىّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»[۴۶۰]».

والإمام عليه السلام فى تفسير وتطبيق هذه الآية يضيف: «فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ».

وفى الواقع أنّ الإمام عليه السلام فى ذكره هاتين الآيتين أوصد جميع الطرق على معاوية، فإن كان المعيار فى خلافة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله القرابة له، فنحن أولى من الجميع بذلك لأنّنا أقرب للنبىّ صلى الله عليه و آله من سائر المسلمين، وإن كان المعيار هو المعرفة بتعاليم الرسالة والطاعة للأحكام والأوامر الشرعية وأوامر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فنحن أعرف من الجميع بذلك وأطوع له ولدينه من الآخرين، فى حين أنّ بنى امية والأشخاص الآخرين الذين تربّعوا على كرسىّ خلافة النبىّ صلى الله عليه و آله لا يملكون مثل

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۸

هاتين الميزتين لإحراز الأولوية.

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو: هل أنّ القرابة لوحدها تصلح أن تكون دليلًا على الأحقّيّة والصلاحية لخلافة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله؟

الجواب: إنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام ناظر إلى الاستدلال الذى طرحه أتباع الخليفة الأوّل فى سقيفة بنى ساعدة، حيث استدلّوا بقرابته للنبىّ لإثبات أولويته للخلافة، فالإمام يقول: إذا كان هذا هو المعيار المقبول فنحن أقرب من الجميع لرسول اللّه عليه السلام، وبديهىّ أنّ المعيار الأصلىّ هو ما ذكره الإمام عليه السلام فى العبارة الثانية وهو الطاعة والسير فى خطّ الامتثال للأوامر الإلهيّة والتعاليم الرسالية، الطاعة المتولّدة من العلم والإيمان، فالشخص الذى يكون أعرف من الجميع بدين النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويملك إيماناً أقوى من الآخرين، فإنّه جدير بالخلافة وتولّى هذا المقام، ولهذا نحن نرى أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أجدر وأليق من الجميع لإحراز هذا المنصب، وأعلى من ذلك أنّ اللّه تعالى بسبب هذه الامتيازات الفردية واللياقات العالية قد نصبه لهذا المقام

واختاره إماماً للمسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لتوضيح أكثر عن هذه المسألة المذكورة آنفاً ويقول «وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله (لما احتجّ الأنصار على المهاجرين لإثبات أحقّيتهم لتولّى الخلافة يوم السقيفة برسول اللَّه صلى الله عليه و آله) فَلَجُوا[۴۶۱] عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ».

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام يجيب عن ادّعاءات معاوية فيما يتّصل بالخليفة الأوّل والثانى ويقول: ليس فقط أنّ بنى امية لا يليقون بخلافة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لأنّهم

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۶۹

ليسوا من المهاجرين وليسوا من الأنصار، بل من الطلقاء، أى المشركين الذين أطلقهم النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة، فإنّ الخلفاء الأوائل أيضاً واستناداً إلى كلامهم، غير جديرين لتولّى هذا المنصب، لوجود من هو أجدر منهم، فإن كان معيار اللياقة والجدارة، (وفقاً لاستدلالهم) القرابة للنبىّ فإنّ الإمام علىّ عليه السلام هو أقرب منهم للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو ابن عم النبىّ وصهره، وإذا كان الآخرون يمثّلون أغصان شجرة النبوّة فالإمام علىّ عليه السلام هو ثمرة هذه الشجرة وكذلك الأئمّة من أهل‌البيت عليهم السلام.

ومرّة أخرى نكرّر أنّ هذا الاستدلال فى الواقع هو بمسلّمات الخصم، والذى يعبّر عنه فى المنطق بالاستدلال الجدلىّ، يعنى أنّ المتكلّم يستند إلى مسلّمات الخصم ويخلع سلاحه منه.

### تأمّلان

#### ۱. قصّة السقيفة المثيرة!

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى قضيّة سقيفة بنى ساعدة المثيرة التى تمّ تشكيلها لتعيين الخليفة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ونحن ذكرناها مع استعراض المقاطع التاريخية الحسّاسة استناداً للمصادر المعتبرة فى ذيل الخطبة ۶۷ تحت عنوان «مسألة الخلافة وقصّة سقيفة بنى ساعدة» بشكل مفصّل وكشفنا اللثام عن هذه المؤامرة العجيبة، وهنا نضيف عدّة نقاط:

الأولى: أنّ الطبرى فى تاريخه وابن الأثير فى الكامل صرّحا بأنّ جماعة الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة، فقالت جماعة منهم فى مقابل اقتراح عمر بالنسبة لبيعة أبى بكر: «لَا نُبَايعُ إِلَّا عَلِيّاً» (فى حين أنّ الإمام علىّ عليه السلام وبنو هاشم ومنهم الزبير وكذلك جماعة أخرى من المهاجرين لم يكونوا حاضرين فى السقيفة، ويقول الطبرى بعد ذكر هذا الكلام: بعد ذلك توجّه عمر لدار علىّ وكان فيه طلحة والزبير

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۷۰

وجماعة من المهاجرين وقال: «وَاللَّهِ لَنُحرِقَنَّ عَلَيْكُم أَوْ لَتَخْرُجُنَّ اِلَى الْبَيْعَةِ»[۴۶۲].

ومن الأشخاص الذين اشتركوا مع عمر فى هذا الهجوم على دار أميرالمؤمنين عليه السلام أُسيد بن خضير وسلمة بن أسلم ۴۶۳].

وجماعة اخرى من الأنصار سارعوا بيعة أبى بكر عندما توصّلوا إلى بعض المقامات، منهم بشير بن سعد الذى كان من المشاورين للخليفة، والآخر أسيد بن حضير الذى تزعّم الحرس فى المدينة، والثالث سلمة بن أسلم الذى حصل على مقام المعاون لأسيد[۴۶۴].

#### ۲. فضائل بنى هاشم فى عصر الجاهليّة والإسلام

تقدّم أنّ ابن أبى‌الحديد فى ذيل هذه الرسالة ذكر بحثاً مفصّلًا (من مائة صفحة تقريباً) فى بيان فضائل بنى هاشم بالمقارنة مع نقاط

الضعف والقصور لبنى عبدشمس (عبدشمس هو والد اميّة).

منها: إنّ بنى هاشم قدّموا للإسلام شهداء عظام كالإمام علىّ وحمزة وجعفر عليهم السلام، فى حين أنّ فى بنى‌امية أفراداً كالحكم بن العاص المعروف، بأنّه كان يسير خلف النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ويقلّد مشيته، فالتفت النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ورآه ولعنه، وبعد ذلك لم يتمكّن من المشى بشكل سليم ومعتدل.

والآخر أنّ أحد المعاهدات الرائعة فى عصر الجاهلية (حلف الفضول) وهى المعاهدة التى عقدت من أجل الدفاع عن المظلومين وحماية المستضعفين، وفى هذا المعاهدة اشترك بنو هاشم وقبائل أخرى من العرب، ولكن لم يشترك أىّ فرد من عبدشمس فيها.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷۱

والثالث، أنّ بنى امية قد ارتكبوا فى زمان الجاهلية أعمالًا شائنة لم يرتكبها أحد من العرب، منها أنّ امية زوّج إحدى زوجاته لابنه أبى عمرو، فى حين أنّ اسرة بنى هاشم لم تتلوّث بمثل هذه الأعمال السيئة.

وأيضاً كان لعبدالمطّلب- وهو من رموز وأكابر بنى هاشم- فضائل فريدة، فقد حفر بئر زمزم وأدام منهج إسماعيل وهاجر، وأولى أهميّة فائقة لدم الإنسان حيث جعل لديته مائة من الإبل، فلمّا جاء الإسلام أمضى هذا الحكم، وعندما هجم جيش أبرهة على مكة، فرّت عامّة قريش من مكة، ولكنّ عبدالمطلب الذى كان فى ذلك الوقت شاباً، قال: «وَاللَّهِ لَاأَخْرُجُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ»، وهناك فضائل كثيرة أخرى.

وللمزيد من الاطّلاع، راجع شرح نهج‌البلاغة ابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۹۸ إلى ۲۹۵. وقد أشار ابن أبى‌الحديد فى هذه الصفحات إلى بعض ما يزعم من مفاخر بنى امية ويجيب عنها.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷۳

## القسم الرابع

### اشارة

وَزَعَمْتَ أَنّى لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وَقُلْتَ: إِنِّى كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِى أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِى دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهَذِهِ حُجَّتِى إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّى أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

### الشرح والتفسير: هذه الأمور لا تخصّك!

يتعرّض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة إلى مقطع من كلام معاوية الخاوى والمهزوز، حيث ذكر فى رسالته للإمام عليه السلام: «أنّك حسدت أبابكر وامتنعت من بيعته وكذلك حسدت عمر وحسدت عثمان أكثر من الجميع وفضحت أعماله على الملأ وكنت شاكاً فى دينه وعقله وفهمه للأمور ...».

والإمام عليه السلام يردّ عليه هذه الإدّعاءات الواهية ويقول: «وَزَعَمْتَ أَنّى لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ

كَذلِکَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْکَ، فَيَکُونَ الْعُذْرُ إِلَيْکَ وَتِلْکَ شَکَاةٌ[۴۶۵] ظَاهِرٌ[۴۶۶] عَنْکَ عَارُهَا».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷۴

من هذا المنطلق يسحب الإمام عليه السلام البساط من تحت معاوية ويخرجه عن هذا الميدان، ويحسب ذلک نوعاً من الفضول والتدخّل فى أمور الآخرين، ويقول: إننى إذا كانت لدىّ مشكلة مع الخلفاء فيجب عليهم أو أبنائهم أن يدّعو مثل هذا الإدّعاء، وأمّا أنت، فمن الطلقاء وقد قبلت بالإسلام مضطراً فى آخر مرحلة، فى فتح مكة، فلا حقّ لک فى التدخّل فى مثل هذه المواضيع.

ويستند الإمام عليه السلام فى كلامه هذا إلى عجز بيت لشاعر عربى هو (أبو ذؤيب الهذلى) الذى كان أدرک عصر الجاهلية والإسلام، وعندما هاجر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى المدينة جاء إليه وأسلم على يده وصار من المسلمين الصالحين، وصدر البيت هو:

وَعَيَّرَها الْواشُونَ أَنّى أُحِبُّها

فيقول إنّ سعاية الواشين بحبّه لها لا يعدّ عيباً، ولو كان هناک عيب وعار فهو بعيد عنک.

وهذا الشعر أضحى مثلًا يضرب به لمن يحسب أمراً سيّئاً فى حين أنّه لا يرتبط به.

وجملة: «زَعَمْتَ تعنى أوّلًا: أنّ هذه النسبة التى تدّعى أننى حسدت الخلفاء نسبة كاذبة وفرية واضحة، ولا سيما أنّک زعمت فى كلامک أننى شريک فى قتل عثمان، والحال أننى كنت أذبّ عنه وأنهى الناس عن قتله، وثانياً: على فرض أنّ هذه النسبة صحيحة فهى لا تتعلّق بک.

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى كلامه ويجيب عن قسم آخر ممّا كتبه معاوية فى رسالته:

«وَقُلْتَ: إِنِّى كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ ۴۶۷] حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ!».

وهو إشارة إلى أنّک أولًا: تعترف بأننى وقعت مظلوماً وأنّ الآخرين ظلموا حقّى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۷۵

فى هذا المجال، فهذا يمثّل مدحاً لى وذمّاً للظالمين، وثانياً: أنّک أثبتّ أنّ خلافتهم لم تكن بإجماع الصحابة، فى حين أنّک تدافع عن مثل هذه الخلافة وقلت: أنّ الخليفة الأول أقرب إلى اللّه من الجميع وأعلى مكاناً، فكيف يمكن ذلک فى حين أنّه ارتكب ظلماً بحقّ أوّل مسلم وأقرب الناس للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأعلمهم بدينه وأشدّهم دفاعاً عن رسالته؟ وهذا التناقض فى كلامک دليل على خواء ادّعائک وضحالة فكرک.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام فى شرح هذا الكلام: «وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ[۴۶۸] فِى أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِى دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ!».

أجل، فالمصلحون والسائرون فى طريق الحقّ على إمتداد التاريخ وقعوا بسبب دفاعهم عن الحقّ وعدم استسلامهم وإذعانهم للظالمين، مورد الظلم والجور، وهذا يعدّ افتخاراً لهم.

وهذا يعنى أنّ هذا مثل هذه المظلومية لو كانت عيباً فيجب أن تقول إنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما جرح فى معركة أحد وكسرت رباعيته على يد أنصار أبيک وشقّت بطن حمزة من قِبل امّک وأخرجت كبده ومضغته فى فمها، أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وحمزة عليه السلام يستحقّان الذمّ والتقريع وأنّ أباک ومشركى مكة وامّک هند جديرون بالمدح والتقدير!

ولكن هل يقبل أىّ عاقل مثل هذا الكلام؟ ولو تطلّعنا إلى ماضى التاريخ فإنّ الأنبياء الكبار إبراهيم ويحيى وزكريا والمسيح عليهم السلام وغيرهم وقعوا مورد الظلم والجور فى طريق الاستقامة والدفاع عن الحق والرسالة الإلهيّة.

وفى ختام هذا المقطع من الرسالة يقول الإمام عليه السلام: «وَهَذِهِ حُجَّتِى إِلَى غَيْرِکَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّى أَطْلَقْتُ لَکَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ ۴۶۹] مِنْ ذِكْرِهَا».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۶

وهو إشارة إلی أنّ المخاطب الحقیقی لکلامی هذا، الخلفاء الذین أجبرونی علی بیعتهم، ولکن بما أنّک قد طرحت هذه المسألة فرأیت من اللازم أن اجیب عنها بالمقدار اللازم.

***

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۷

## القسم الخامس

### اشارة

ثُمَّ ذَکَرْتَ مَا کَانَ مِنْ أَمْرِی وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَکَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هـذِهِ لِرَحِمِکَ مِنْهُ، فَأَیُّنَا کَانَ أَعْـدَی لَهُ، وَأَهْـدَی إِلَی مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ اسْتَکَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَی عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَیْهِ، حَتَّی أَتَی قَدَرُهُ عَلَیْهِ. کَلَّا واللَّهِ لَ «قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِینَ مِنْکُمْ وَالْقَائِلِینَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَیْنا وَلَا یَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلّا قَلِیلًا». وَمَا کُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّی کُنْتُ أَنْقِمُ عَلَیْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ کَانَ الذَّنْبُ إِلَیْهِ إِرْشَادِی وَهِدَایَتِی لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَاذَنْبَ لَهُ.

وَقَدْ یَسْتَفِیدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ «إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِیقِی إِلّا بِاللَّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَإِلَیْهِ أُنِیبُ».

### الشرح والتفسیر: المقصّر الأصلیّ فی قتل عثمان

ینطلق الإمام علیه السلام فی هذاالمقطع من رسالته من موقع الإجابة عن أحد أوصاف معاویة ویقول: «ثُمَّ ذَکَرْتَ مَا کَانَ مِنْ أَمْرِی وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَکَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هـذِهِ لِرَحِمِکَ مِنْهُ، فَأَیُّنَا کَانَ أَعْدَی ۴۷۰] لَهُ، وَأَهْدَی إِلَی مَقَاتِلِهِ ۴۷۱]! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ [۴۷۲

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۷۸

وَاسْتَکَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَی عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ ۴۷۳] إِلَیْهِ، حَتَّی أَتَی قَدَرُهُ عَلَیْهِ».

إنّ تاریخ الإسلام یشهد بأنّ هذه التهمة التی نسبها معاویة للإمام علیّ علیه السلام بأنّه شارک فی دم عثمان أو لم یدافع عنه بالمقدار اللازم، هی تهمة واهیة وکذب وافتراء محض، افتراها معاویة لخداع الناس والتعمیة علی أفکارهم، ومن هذه الجهة استخدم قمیص عثمان الدامی لإثارة أحاسیس الجهلة والغوغاء ضدّ الإمام علی علیه السلام، والحال أنّ الإمام علیّ علیه السلام نصح عثمان مراراً ودعاه لإصلاح أخطائه وتعدیل سلوکیاته وعدم تقسیم بیت المال بین بنی‌امیة ومَن لفّ لّفهم وعدم تقلیدهم المراکز الحساسة فی الحکومة الإسلامیّة، وأن یصغی لنداءات المحرومین، ولکن للأسف لم یقبل عثمان بکلّ هذه النصائح، بل أنّ الإمام علیّ علیه السلام عندما هجمت الجماهیر الغاضبة علی بیت عثمان أرسل أبناءه للدفاع عنه.

فی حین أنّ معاویة لم یتقدّم خطوة للدفاع عن عثمان مع أنّ عثمان کان قد کتب إلیه رسالة یطلب منه إرسال قوّة خاصة من الشام إلی المدینة للدفاع عنه.

واللافت أنّ معاویة عندما تربّع علی کرسیّ الخلافة، ذکروا أنّه لم یکن أحد أحبّ إلی معاویة أن یلقاه من أبی الطفیل الکنانی: وهو عامر بن واثلة، کان فارس أهل صفّین، وشاعرهم، وکان من أخصّ الناس بعلیّ کرم اللَّه وجهه، فقدم أبو الطفیل الشام یزور ابن أخ له

من رجال معاويـة، فـأخبر معاويـة بقـدومه، فأرسل إليه، فأتاه وهو شـيخ كبير، فلّما دخل عليه، قال له معاويـة: أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة؟ قال نعم، قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان أميرالمؤمنين، قال: لا، ولم أكن ممّن شهده

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۷۹

فلم ينصره، قال: ولِمَ؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار، فقال معاوية: أما واللّه! إنّ نصرته كانت عليهم حقّاً واجباً، وفرضاً لازماً، فإذا ضيّعتموه فقد فعل اللّه بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم.

فقـال أبو الطفيـل: فمـا منعك ياأميرالمؤمنين (يعنى معاويـة) إذ تربّصت به ريب المنون أن تنصره ومعك أهل الشام؟ قال معاويـة: أو ماترى طلبى بدمه، فضحكت أبو الطفيل وقال: بلى ولكنّى وإيّاك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِىوَفِى حَيَاتِى مَا زَوَّدْتَنِى زَادِى [۴۷۴]

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام للتأكيد ولتوضيح ما تقدّم من كلامه السابق من عدم استجابة معاوية لدعوة عثمان لنصرته، والآن يلقى باللائمة على الآخرين فى عدم الدفاع عنه ويقول: «كَلَّا وَاللّهِ لَ «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ ۴۷۵] مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا»[۴۷۶]».

ونعلم أنّ هذه الآية نزلت فى شأن طائفتين من المنافقين، إحداهما اجتنبت الجهاد والقتال فى معركة الأحزاب ودعوا الآخرين لاجتناب الـدخول فى الحرب، والأخرى الـذين قالوا لإخوانهم من المسـلمين هلّمّ إلينا ولا تقحموا أنفسكم فى هذا الخطر، هؤلاء لم يكونوا من أهل الجهاد والقتال الأعداء ولا يشتركون فى مواجهة قوى الكفر والشرك إلّانادراً ومن موقع الإكراه وعدم الرغبة.

ويحتمل أيضاً أنّ هذه الآية الشريفة لا تشير إلى وجود طائفتين من المنافقين، بل تتحدّث عن حالة طائفة معينة تعيش حالتين، أى تشير إلى تلك الطائفـة من المنـافقين الـذين عنـدما يكونون فى صفّ المجاهـدين فى ميـدان القتال يمتنعون من الحرب والجهاد، وعنـدما يتخلّفون عن الميدان يدعون الآخرين للتخلّف معهم وعدم

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۸۰

الاشتراك فى الحرب.

على أيّـة حال فإنّ استشـهاد الإمام عليه السـلام بهذه الآية الشـريفة إشارة إلى أنّك (معاوية) إذ تسـتخدم أساليب الدجل والتمويه أمام النـاس فيمـا يتّصـل بحادثـة قتل عثمان، فإنّ اللّه تعالى لا يخفى عليه شـىء، وأنّه يعلم أنّ عثمان طلب منك النصـرة ولكنّك لم تتقـدّم خطوة فى هذا السبيل (بل كنت مسروراً لمقتله) لعلّ الخلافة تصل إليك.

ومعلوم أنّ معاوية السياسىّ المحترف كان يعلم أنّ المهاجرين والأنصار إذا التزموا الصمت مقابل ثورة الناس ضدّ عثمان ولم يتحرّكوا على مستوى الـدفاع عنه، فإن تـدخل فى هـذا الشأن وجاء مع جيشه للدفاع عن عثمان، فسـيكون وجهاً لوجه مع المهاجرين والأنصار، وهذا المعنى يكلّفه غالياً فى المستقبل، ولهذا السبب لم يهتمّ بدعوة عثمان لنصرته، رغم أنّه بحسب الظاهر كان واليه ومتكاتفاً معه.

وهنا ربّما يثار هـذا السؤال، وهو أنّ الآيـة الشـريفة المذكورة أعلاه (الآية ۱۸ من سورة الأحـزاب) التى تتحـدّث عن موقف المنافقين فى مقابل النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله ربّما تحسب مـدحاً ضـمنيّاً لعثمان، لأنّ الإمام عليه السـلام فى هذا الكلام شـبّهه بنبى الإسـلام صلى الله عليه و آله.

ولكنّ العبارات اللاحقـة تشير إلى أنّ هـذا التشبيه ناظر فقط لتشبيه معاويـة بالمنافقين، وببيان آخر أنّ التشبيه هنا من طرف واحـد، لأنّ الإمام عليه السـلام فى سياق كلامه يقول: «وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّى كُنْتُ أَنْقِمُ ۴۷۷] عَلَيْهِ أَحْدَاثاً[۴۷۸]؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِى وَهِدَايَتِى لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَاذَنْبَ لَهُ. وَقَدْ يَسْـتَفِيدُ الظِّنَّةَ[۴۷۹] الْمُتَنَصِّحُ ۴۸۰]»، والأحداث تعنى البدع التى ارتكبها عثمان فى تقسيم بيت المال ووضع مقاليد

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۸۱

الأمور فی الحکومة الإسلامیّة بید الانتهازیین وغیر الجدیرین، فیقول الإمام علیه السلام أنّه لا لوم علیَّ من إرشادی وهدایتی له ولو لامنی أحد فإنّی أفتخر به.

ویقول الإمام علیه السلام فی ختام کلامه: «وَمَا أَرَدْتُ «إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَما تَوْفِیقِی إِلَّا بِاللَّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ إِلَیْهِ أُنِیبُ»[۴۸۱]».

ولا شکّ فی أنّ الإمام علیه السلام کان من الأشخاص المعدودین الذین رفضوا قتل عثمان ونهوا الناس عن ذلک، وقد أرسل ولدیه (الإمام الحسن والإمام الحسین علیهما السلام) للدفاع عنه ۴۸۲].

وجاء فی تاریخ ابن عساکر: عن داود بن حصین عن عکرمة عن ابن عبّاس قالوا: بعث عثمان بن عفّان المسور بن مخرمة إلی معاویة یعلمه أنّه محصور ویأمره أن یبعث إلیه جیشاً سریعاً یمنع عنه، فلمّا قدم علی معاویة وأبلغه ذلک رکب معاویة نجائبه ومعه معاویة بن خدیج ومسلم بن عقبة، فسار من دمشق إلی عثمان عشراً فدخل المدینة نصف اللیل فدقّ باب عثمان فدخل فأکبّ علیه فقبّل رأسه فقال عثمان: فأین الجیش؟ فقال معاویة: لا واللَّه ما جئتک إلّافی ثلاثة رهط، فقال عثمان: لا وصل اللَّه رحمک ولا أعزّ نصرک ولا جزاک عنّی خیراً، فواللَّه ما اقتل إلّا فیک ولا ینقم علیَّ إلّامن أجلک.

فقال معاویة: بأبی أنت وامّی لو بعثت إلیک جیشاً فسمعوا به، عاجلوک فقتلوک قبل أن یبلغ الجیش إلیک، ولکن معی نجائب لا تسایر ولم یشعر بی أحد فاخرج معی، فواللَّه ما هی إلّاثلاث حتّی تری معالم الشام، فإنّها أکثر دار الإسلام رجلًا وأحسنه فیک رأیاً، فقال عثمان: بئس ما أشرت، وأبی أن یجیبه إلی ذلک.

فخرج معاویة إلی الشام وقدم المسور یرید المدینة فلقی معاویة بذی المروة راجعاً إلی الشام، فقدم المسور علی عثمان وهو ذامّ لمعاویة غیر عاذر له، فلمّا کان

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۸۲

فی حصره الآخیر بعث المسور أیضاً إلی معاویة فأغذّ السیر حتّی قدم علیه فقال: إنّ عثمان بعثنی إلیک لتبعث إلی الرجال والخیول وتنصره بالحقّ وتمنع عنه الظلم، فقال معاویة: إنّ عثمان أحسن فأحسن اللَّه به، ثم غیّر فغیّر اللَّه به، فشددت علیه، وقال:

یامسور ترکتم عثمان حتی إذا کانت نفسه فی حنجرته قلتم: إذهب فادفع عنه الموت، لیس ذلک بیدی، ثمّ أنزلنی فی مشربة علی رأسه فما دخل علیَّ حتّی قتل عثمان»[۴۸۳].

وجاء فی تاریخ الطبری فی حوادث سنة ۳۵ الهجریة أنّ الثوّار حاصروا دار عثمان محاصرة شدیدة وقطعوا عنه کلّ مدد حتّی الماء، «وَقَدْ کانَ یَدْخُلُ بِالشَّیْءِ مِمَّا یُرِیدُ»[۴۸۴] أی کان علیّ علیه السلام یأتیه بما یرید من الأمور.

ویذکر الطبری أیضاً فی هذا الکتاب: أنّ الناس عندما منعوا الماء والغذاء عن عثمان سخط علیّ علیه السلام بشدّة وقال لهم: یاأیّها الناس إنّ الذی تعملون لا یشبه أمر المؤمنین ولا أمرالکافرین، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة، فإنّ الروم وفارس عندما تؤسر تطعَم وتُسقی، وما تعرّض لکم هذا الرجل بماتستحلّون حصره وقتله؟[۴۸۵].

ویضیف الطبری بعد نقله لهذا الکلام: عندما عزم المسلمون علی مهاجمة عثمان منعهم من ذلک الحسن بن علیّ ... ومن کان معه من أبناء الصحابة[۴۸۶].

ولکن بما أنّ الإمام علیه السلام کان قد انتقد عثمان مراراً عدیدة قبل هذه الحادثة بسبب سوء أعماله، ونصحه مراراً أن یکفّ عن تلک التصرّفات الشائنة ویحضر أمام الناس ویستمع ویستجیب لمطالبهم الحقّة، فهذه الأمور أضحت فیما بعد ذریعة بید معاویة وأمثاله بأنّ الإمام علیه السلام کان یثیر الناس ضدّ عثمان، فیقول الإمام: إذا کان الإرشاد والنصیحة ذنباً (والحال أنّ مثل هذا الإرشاد یعدّ مصداقاً بارزاً للأمر بالمعروف

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۸۳

والنهى عن المنكر) فإنّى أعترف بهذا الذنب، ولكن لا أحد من المؤمنين يعتبر ذلك ذنباً، بل هو فريضة من فرائض الإسلام.

والجدير بالذكر أنّ جملة «رُبَّ مَلُوم لا ذَنْبَ لَهُ هو مثل عربى معروف ويقال إنّ أوّل من نطق بهذه الكلمة «أكثم بن صيفى».

وجملة: «وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ تعنى أنّ الشخص أحياناً يصرّ كثيراً على تقديم النصحية إلى أن يكون متّهماً، وهذه العبارة عجز بيت شعر وصدره: «وَكَمْ سُقْتُ فى آثارِكُمْ مِنْ نَصيحَةٍ» وقيل إنّ هذا الشعر قاله شاعر يدعى الرياشى ۴۸۷].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۸۵

## القسم السادس

### اشارة

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيسَ لِى وَلِأَصْحابِى عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتى أَلْفَيْتَ بَنِى عَبْدِالْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْداءِ نَاكِلِينَ وَبالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ

فَلَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِى جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ؛ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِى أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ «وَما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ».

### الشرح والتفسير: تهدّدنى بالحرب!

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من رسالته، وهو المقطع الأخير، إلى إحدى عبارات معاوية فى رسالته له عليه السلام حيث يهدّده فيها بالحرب، ويقول الإمام عليه السلام:

«وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيسَ لِى وَلِأَصْحابِى عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَار[۴۸۸]! مَتَى أَلْفَيْتَ [۴۸۹] بَنِى عَبْدِالْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ ۴۹۰]، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ، فَ لَبِّثْ قَلِيلًا

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۳۸۶

يَلْحَقِ الْهَيْجَا[۴۹۱] حَمَلْ».

وجملة: «لَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ» تعتبر مثلًا للشخص الذى يتحدّث بكلام متين وبعبارات قوية إلّاأنّه فجأة يقول كلاماً واهياً وسخيفاً، لأنّ تهديد الإمام علىّ عليه السلام وبنى هاشم وعبدالمطلّب بالحرب ممّا يضحك الثكلى، فهؤلاء رجال الميدان وأبناء السيف وأصحاب إقدام وصولة فى ميدان القتال، وأنت من جملة المهزومين فى معركة بدر والأحزاب وفتح مكة، ويشهد تاريخ الإسلام أنّك من الأشخاص الضعفاء والجبناء، ألا يكون تهديدك لى بالحرب مضحكاً؟ والجدير بالذكر أنّ جملة: «لَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ» تؤكّد على هذه النقطة، وهى أنّ الشخص إذا كان يضحك لبعض الأمور العادية فهذا ليس بالأمر المهم والمثير، ولكن الشخص الذى يعيش البكاء ويذرف الدموع، لو ضحك فى هذه الأثناء من كلمة أو عبارة، فيتبيّن أنّ هذه الكلمة مضحكة جدّاً.

وجملة: «لَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجاء حَمَلْ عجز بيت صدره «ما أحْسَنَ الْمَوْتِ إذَا الْمَوْتُ نَزَلَ .

ويعتبر هذا البيت مثلًا معروفاً لدى العرب، وأصله أنّ رجلًا من قبيلة «قشير» ويدعى «حمل بن بدر» كانت له إبل نهبت فى إحدى الحروب فى عصر الجاهلية، وكان هذا الرجل شجاعاً، فجاء ليلًا إلى هؤلاء الأعداء وأغار عليهم واستعاد إبله وقال هذا الشعر، ويعنى أنّك اصبر قليلًا فسيأتى حمل إلى الميدان، وهو لا يبالى بالموت، لأنّ الموت جميل دفاعاً عن الشرف.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يواصل كلامه ويهدّد معاوية بعبارات حاسمة وكلمات فى غاية الفصاحة والبلاغة ويقول: «فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ».

وهو إشارة إلى أننى سأقدم عليك فى طائفة من المقاتلين الذين أدّوا امتحانهم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸۷

فى الغزوات الإسلاميّة، وهم ثلاثة طوائف: المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، ولكنّ الأشخاص الذين يتبعونك ويأتون معك للميدان هم المهزومون فى غزوات الإسلام وأبناؤهم ممّن يعيشون لحدّ الآن رواسب الجاهلية ويسيرون فى خطّ الوثنية والضلالة وحبّ الدنيا.

وجملة: «مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مقتبسة من الآية الشريفة: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[۴۹۲].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يصف أنصاره وأصحابه بأوصاف دقيقة وكلمات بليغة ويقول:

أولًا: «شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ».

ثمّ يقول عليه السلام: «سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ۴۹۳]»، أى أنّ غبارهم أثناء الحركة يغطّى الأجواء ويمنع رؤية الافق.

وفى الوصف الثالث يقول: «مُتَسَرْبِلِينَ ۴۹۴] سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ».

وفى الوصف الرابع يقول: «وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا[۴۹۵] فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ «وَما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»».

فى هذه الأوصاف الأربعة ذكر الإمام عليه السلام ما ينبغى ذكره فى المقام، فهو من جهة ذكر إيمانهم باللَّه وعشقهم للشهادة ولقاء ربّهم، حيث تعدّ هذه الحالة من أهمّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۸۸

المحفّزات للجهاد فى سبيل اللَّه تعالى، والآخر سابقتهم المنيرة فى الإسلام من قبيل مساهمتهم فى معركة بدر والتصدّى لأعداء الإسلام بسيوف هاشمية، أضف إلى ذلك ما التحق بهم من أعداد غفيرة من المؤمنين، والحقيقة أنّ تعبيرات الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة تعدّ من أفصح وأبلغ العبارات وأشدّها قوّة وحسماً.

وجملة: «مُرْقِلٌ تدلّ على سرعة الزحف و «جَحْفَل تطلق على الجيش العظيم الذى يشارك فيه الكثير من الفرسان، وكلمة «سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ» تشير إلى أنّغبارهم قد ملأالخافقين، وكلّ ذلك إشارة إلى أنّ هذا الجيش سيأتيك مسرعاً إلى الميدان ولا يوجد أىّ تردّد فى نيّاتهم ولا شكّ فى غاياتهم، بل يتحرّكون باتّجاه ميادين الجهاد بعزم راسخ وعشق للشهادة فى سبيل اللَّه تعالى.

وكلمة: «ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ» تعنى أنّ هؤلاء أبناء البدريين، وهم الذين اشتركوا فى معركة بدر وكأنّ هؤلاء قد تربّوا فى ذلك الميدان، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ جيش الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يضمّ الكثير من مجاهدى معركة بدر، فهذه العبارة مطابقة للواقع تماماً، وذهب بعض أنّ مفاد هذا العبارة أنّ جيش الإمام عليه السلام يضمّ جماعة من أبناء المحاربين فى معركة بدر، فى حين أنّ هذا التفسير لا ينسجم مع سياقات كلام الإمام عليه السلام.

والمراد من «أخيك ؛ هو أخ معاوية: حنظلة بن أبى سفيان، ومقصوده من «خالَكَ ؛ الوليد بن عتبة خال معاوية، والمقصود من «جَدَّكَ ؛ جدّ معاوية لُامّه وهو عتبة بن ربيعة، ومراده من «أهْلَكَ ؛ اسرة معاوية وهم جماعة من أبناء عمومته الذين اشتركوا مع قوى الكفر والشرك فى معركة بدر ضدّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإسلام.

وجملة: «وَما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» مقطع من آية ۸۳ من سورةهود، وتشير إلى العذاب الأليم الذى ينتظر قوم لوط، وهم القوم الذين كانوا أشدّ من جميع الأقوام المشركة عذاباً، لأنّ اللَّه تعالى قلب مدنهم وقراهم عاليها سافلها ثمّ أمطر عليهم حجارة من سجّيل، تقول

الآیة الشریفة: «فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِیَها سافِلَها

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۸۹

وَأَمْطَرْنا عَلَیْها حِجارَةً مِّن سِجِّیلٍ مَّنْضُودٍ* مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَمَا هِیَ مِنَ الظَّالِمینَ بِبَعِیدٍ»[۴۹۶].

والجدیر بالذکر أنّ نصر بن مزاحم ینقل فی کتابه صفّین أنّ سعید بن قیس الصحابیّ المعروف قام یوماً بین أصحابه وخطب فیهم وقال: «إنّ أصحاب محمّد المصطفین الأخیار معنا، وفی حیزنا، فواللَّه الذی هو بالعباد بصیر أن لو کان قائدنا حبشیّاً مجدّعاً- إلّاأنّ معنا من البدریین سبعین رجلًا لکان ینبغی لنا أن تحسن بصائرنا وتطیب أنفسنا، فکیف وإنّما رئیسنا ابن عم نبیّنا، بدریّ صدق، صلّی صغیراً وجاهد مع نبیّکم کبیراً، ومعاویة طلیق من وثاق الاسار، وابن طلیق، إلّاأنّه أغوی جفاةً فأوردهم النار، وأورثهم العار، واللَّه مُحِلّ بهم الذلّ والصغار ..»[۴۹۷].

## تأمّل: مدین فی لباس دائن!

هناک مثل معروف منذ القدیم یقول: «إذا أردت أن لا تقع مدیناً فکن دائناً» ومعاویة من الأشخاص الذین استخدموا هذا المثل بکثرة، وتعتبر رسالته للإمام علیه السلام هذه «وتقدّم آنفاً رسالة الإمام علیه السلام له جواباً علیها» مصداقاً بارزاً لهذا المثل، لأنّ معاویة فی حین ارتکابه للکثیر من السلوکیات الخاطئة، ومع سوء سابقته فی الإسلام، أخذ یتبجّح بالحقّانیة ویکتب للإمام علیه السلام رسالة فیها الکثیر من المطالبة بالحقّ.

ولو استطلعنا قائمة سوابقه الاجتماعیة والأخلاقیة وتصرّفاته السیئة فی مسیرته فی خط الضلالة، لرأینا:

۱. من حیث الاسرة، فإنّ معاویة یتمتّع بوضع غریب، فوالده أبوسفیان العدوّ الأول للإسلام، وهو العامل الأساس لإشعال نار الحروب ضدّ المسلمین، وامّه هند

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۳۹۰

المعروفة بآکلة الأکباد، المرأة التی جاءت إلی میدان القتال فی معرکة أحد وشقّت بطن حمزة بن عبدالمطّلب علیه السلام وأخرجت کبده ولاکته.

۲. من حیث الإیمان بالإسلام فإنّ معاویة أسلم فی آخر مرحلة من الدعوة، یعنی فی سنة فتح مکة، وتحت عوامل الإکراه، حیث أعلن هو وأبوه الإسلام ظاهراً.

۳. امتنع من البیعة لإمام المسلمین علیّ بن أبی طالب علیه السلام الذی بایعه المهاجرون والأنصار وجمهور عظیم من المسلمین.

۴. رفع لواء المخالفة ضدّ الحکومة الإسلامیّة بذریعة الطلب بدم عثمان وجمع حوله مجامیع کثیرة من المنافقین والمطرودین فی زمان النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله.

۵. جعل من بیت مال المسلمین وسیلة لتحقیق مآربه ومطامعه، فبنی قصراً عظیماً کقصر القیاصرة والملوک، ووزّع أموال بیت المال علی وضّاع الأحادیث ورؤساء القبائل والأشخاص المتملّقین والمتزلّفین.

۶. لم یمتنع من سفک دماء الأبریاء، فکان أن قتل محمّد بن أبی بکر الرجل الصالح ومالک الأشتر القائد الإسلامیّ الفذّ، وعمّار بن یاسر الصحابی المعروف والمقرّب للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وکان یأمر جیشه بالإغارة علی حدود العراق والقری والقصبات العراقیة ویقتل الکثیر من الأبریاء.

۷. بالرغم من تقصیره فی الدفاع عن عثمان، ومع طلب عثمان النصرة منه، إلّاأنّه نصب نفسه ومطالباً بدمه وأخذ یطالب بالثأر له.

وهکذا نری أنّ معاویة علی الرغم من هذه الأعمال، یتحدّث فی رسالته للإمام علیه السلام بوصفه دائناً لا مدیناً، فمن جهة ینبری للدفاع عن أصحاب النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله والمهاجرین والأنصار ویتحدّث عن أنّ ظهور النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله

وبعثته هبة إلهيّة عظيمة للناس، وأنّ الإمام عليه السلام كان مقصّراً فى نصرة الصحابة، ومن جهة أخرى يتّهم الإمام عليه السلام بالمشاركة فى دم عثمان، ومن جهة ثالثة يقول إنّ بيعة الإمام عليه السلام للخليفة الأوّل من موقع الإكراه تعدّ منقصة ومذمّة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۱

ولكنّ الإمام عليه السلام فى جوابه على هذه الأقاويل أجاب عنها بعبارات حاسمة وبليغة جدّاً وأجهض سعى معاوية فى التشويش على الذهنية العامة، وألفت نظره إلى ما كان عليه هو واسرته فى زمان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ومشاركته هو وأقرباؤه من بنى امية ضدّ الإسلام والنبىّ فى معركة بدر، ومقتل الكثير من أرحامه بيد جنود الإسلام، وقال له بصراحة: إنّ ثناءك على النبىّ صلى الله عليه و آله وبيان أهمية بعثته لشخص مثل علىّ بن أبى طالب إنّما هو من قبيل «حمل التمر إلى هَجَر»، ثمّ بيّن الإمام عليه السلام تقصير معاوية فى نصرة عثمان، ورسم بعبارات جلّية وبليغة حدود ومعالم اسرة بنى هاشم وبنى امية فى الجاهلية والإسلام، وجدارته لمقام الخلافة بعد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بالأدلّة والبراهين الجليّة والقاطعة، ويقول بالنسبة لبيعته لأبى بكر، أنّك أردت الذمّ ولكنّك مدحت من حيث لا تشعر، وأخيراً أجابه عن تهديده بالحرب وقال له: إنّ تهديدك مضحك ولا معنى له بالنسبة لشخص هو وليد الحرب وقد تربّى وترعرع فى ميادين القتال والجهاد.

ومن مجموع ما تقدّم من شرح هذه الرسالة، وكما أشرنا إلى ذلك سابقاً، أنّ هذه الرسالة للإمام عليه السلام، كما يؤكّد شرّاح نهج‌البلاغة أيضاً، تعتبر من أروع الرسائل والكتب التى تبيّن أهداف الإمام عليه السلام وترسم آفاق رؤاه ومواقفه بأفضل وجه.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۲

## الرسالة ۲۹

### اشارة

إلى أهْلِ الْبَصْرَةِ[۴۹۸]

### نظرة إلى الرسالة

كما أوردنا فى بيان سند هذه الرسالة فى الهامش، أنّ هذه الرسالة ترتبط بالفتنة التى أثارها معاوية فى البصرة، والقصّة بشكل مختصر كالتالى: إنّ بعض أتباع معاوية بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر ومقتل محمّد بن أبى بكر قالوا له:

إبعث رجلًا إلى البصرة لإخراجها من ولاية علىّ بن أبى طالب، فقبل معاوية بهذا الاقتراح ووافق على ذلك. ونقل صاحب كتاب الغارات هذه الواقعة بهذا الشكل:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۳

«بعد مقتل محمّد بن بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر، سيّر معاوية عبداللَّه بن الحضرمى إلى البصرة وقاله له: إنّ جلّ أهلها يرون رأينا فى عثمان، وقد قتلوا فى الطلب بدمه، فهم لذلك حانقون، يودّون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم فى الطلب بثأرهم ودم إمامهم، فانزل فى مضر وتودّد الأزد، فإنّهم كلّهم معك، ودع ربيعة فلن يتحرّف عنك أحد سواهم، لأنّهم كلّهم ترابية فاحذرهم، فسار ابن الحضرمى حتّى قدم البصرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى الكوفة (ليعزّى أميرالمؤمنين عليه السلام باستشهاد محمّد بن أبى

بكر) واستخلف زياد بن أبيه على البصرة، فلمّا وصل ابن الحضرمى إلى البصرة نزل فى بنى تميم.

فرفع ذلك ابن عباس إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فشاع فى الناس بالكوفة ما كان من ذلك، .. ثمّ إنّه عليه السلام دعا أعين بن ضبيعة المجاشعى وقال له: يا أعين ما بلغك أنّ قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمى بالبصرة يدعون إلى فراقى وشقاقى ويساعدون الضلّال الفاسقين عليَّ؟.

فقال أعين: لا تستأ ياأميرالمؤمنين ولا يكن ما تكره، ابعثنى إليهم فأنا لك زعيم، فنجح أعين تقريباً فى مهامّه ولكنّه لما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظنّ أنّهم خوارج، فضربوه بأسيافهم فقتلوه، ولمّا وصل خبر استشهاده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، دعا عليه السلام جارية بن قدامة (صاحب الكلمة النافذة) وكتب معه كتاباً فقال له: ياابن قدامة إقرأه على أصحابك، وما جاء فى نهج‌البلاغة سوى قسم من رسالة الإمام عليه السلام إلى الناس.

انهزم المخالفون والتجأ ابن الحضرمى إلى دار، فأحرقها ابن قدامة عليه وعلى أنصاره، فهلكوا جميعاً وخمدت نار الفتنة[۴۹۹].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۴

وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ. فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ الآرَاءِ الْجَائِرَةِ، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي. وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَايَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ؛ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ.

## الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة فى البصرة

ينطلق الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة القصيرة والزاخرة بالمضمون العميق والدقيق، من موقع العمل على إطفاء نار الفتنة التى أثارها معاوية فى البصرة، وذلك استناداً إلى أصلين: الأول: التهديد الجدىّ والأكيد لمَن يتحرّك على مستوى نقض البيعة والعهد، ويذكّرهم أنّهم إذا لم يتركوا تآمرهم ويتخلّوا عن الفتنة فإنّه سيأتى إليهم بجيش كبير وسيقمعهم كما قمعهم فى معركة الجمل، ثمّ يتحدّث عن أصل الرحمة والرأفة بالنسبة للأشخاص الذين التزموا بالوفاء للإمام عليه السلام أو أظهروا الندم على أفعالهم السابقة، ويبشّرهم بأنّ أموالهم ونفوسهم وأعراضهم ستكون فى أمن وأمان من التعرّض للخطر.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۵

وبداية يقول الإمام عليه السلام: «وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ ۵۰۰] وَشِقَاقِكُمْ ۵۰۱] مَا لَمْ تَغْبَوْا[۵۰۲] عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ».

والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بهذا الكلام يعمل على إبطال حيلة معاوية وإجهاض تآمره هو وأتباعه، فقد كان معاوية عازماً على إثارة أهالى البصرة ضدّ الإمام عليه السلام بتذكيرهم بمعركة الجمل، ولكنّ الإمام عليه السلام بتذكيرهم بنتائج هذه المعركة عَمِل على إطفاء نار الفتنة والفساد، وقال لهم: أنّكم كنتم أهل الشقاق وقد تحرّكتم فى خطّ التمرّد والثورة ضدّ الخلافة الإسلاميّة، ولكن بعد أن حلّت بكم الهزيمة لم أصدر الأمر بقتلكم، ولم أسمح بتعقّب الهاربين منكم، وأصدرت العفو العام عنكم وصفحت عن المجرمين منكم، وقبلت الأشخاص الذين جاءوا إليَّ نادمين وطويت صفحة الماضى، وتناسيت ما ارتكبوه من أعمال، وعلى هذا الأساس فينبغى أن تكونوا ممّن يلتزم بالقيم الأخلاقية، ولا يردّ الجميل بالإساءة ولا يقيم العلاقة مع أعدائه.

وجاء فى بعض الروايات أنّ الإمام علىّ عليه السلام بعد انتصاره فى معركة الجمل أمر منادياً ينادى بصوت عالٍ: «لَا تُتْبِعُوا مُوَلِّياً وَلَا تُجهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ»[۵۰۳].

ثم أمر منادياً ينادى: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِن»[۵۰۴]، وهذا الأمر يشبه ما أصدره رسول اللّه صلى الله عليه و

آله من العفو العام عند فتح مكة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام ولغرض إطفاء نار الفتنة هذه، تحدّث عن الشدّة والحسم فى مقابل الأشخاص المعاندين والانتهازيين وقال:

فَإِنْ خَطَتْ ۵۰۵] بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۶

وَسَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَةِ، إِلَى مُنَابَذَتِى ۵۰۶] وخِلَافِى، فَهَا أَنَا ذَا[۵۰۷] قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِى ۵۰۸]، وَرَحَلْتُ ۵۰۹] رِكَابِى».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِى إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً[۵۱۰] لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ».

وهذا يعنى أننى فى معركة الجمل لم أكن مستعدّاً لها من حيث العدّة والعدد وكانت إمكاناتى قليلة فى تلك الواقعة، ولكننى اليوم أملك جيشاً منسجماً وكثير العدّة والعدد، ويملك أفراد الجيش كلّ وسيلة قتالية وآلة حربية، وعلى ضوء ذلك فلو وقعت حرب فلا تقبل المقارنة مع تلك المعركة السابقة، وسوف لا يكون محلّ لما بدرَ منّى من محبّة ورأفة بكم فى حرب الجمل، لأنّكم تناسيتم تلك الرأفة وتجرّأتم على إمامكم، وكأنّ تلك المودّة وذلك الإحسان زاد من جرأتكم ووقاحتكم.

وجملة: «لَعْقَة لاعِق مع الالتفات إلى أنّ كلمة «لعقة» (على وزن قهوة) بمعنى اللحس، و «لعقة» (على وزن بقعة)، المقدار من الشىء الذى يحمل بالملعقة، فهذا كناية على أنّ هذا المقدار قليل جدّاً، وفى المثل المتعارف كالقطرة فى البحر.

ولكن لئلّا يستغلّ العدوّ هذا الكلام ويسىء فهمه ويتصوّر أنّ الإمام عليه السلام يهدّد جميع أهالى البصرة ويقول إننى سوف أحرق الأخضر واليابس واعاقب المحسن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۷

والمسىء يضيف الإمام عليه السلام: «مَعَ أَنِّى عَارِفٌ لِذِى الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِى النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِىٍّ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِىٍّ».

وجاء فى بعض الروايات أنّ زياد بن أبيه- الذى كان أحد المعاونين والمستشارين لابن عباس والى البصرة، وعندما سافر ابن عباس إلى الكوفة لرؤية الإمام عليه السلام وتقديم التعازى بمناسبة استشهاد محمّد بن أبى بكر، واستلم زمام أمور البصرة- خطب خطبة حماسيّة وهدّد فيها أهالى البصرة بأننى لا اميّز بين المذنب والبرىء وسوف أخذ الأب بذنب ابنه، والجار بذنب جاره، وسأنزل العقاب الشديد بكم جميعاً إلّاأن تسلكوا فى الطريق الصحيح ۵۱۱].

ويحتمل أنّ هذا الكلام وصل إلى مسامع الإمام عليه السلام، فأراد الإمام عليه السلام بكلامه المذكور آنفاً بيان سعة دائرة العدل الإسلامى وإصلاح ما صدر من زياد بن أبيه من الكلام المتقدّم.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۳۹۹

## الرسالة ۳۰

### اشارة

إلى مُعاوِيَة[۵۱۲]

### نظرة إلى الرسالة

لم ينقل المرحوم السيّد الرضىّ مطلع هذه الرسالة، وقد ابتدأت الرسالة وفقاً لما ذكره ابن أبى‌الحديد بعبارة: «أمّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغنى

كِتابُكَ تَذْكُرُ فيهِ مُشاغَبَتى».

وهذا التعبير يبيّن بوضوح أنّ الرسالة لم تكن سوى رسالة جوابية للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على رسالة معاوية له، والتى يتّهم فيها الإمام عليه السلام بخلق الفتنة، والظلم والجور، والإمام عليه السلام يجيبه جواباً قاطعاً أننى أعمل بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتصدّى للظالمين والملحدين والمنافقين على أساس تعاليم القرآن الكريم وأوامر اللّه تعالى.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۰۰

وبعد أنّ يبرّىء الإمام عليه السلام ساحته من هذه التهم الموهنة يبدأ بتقديم النصح لمعاوية، وهو ما نقله السيد الرضىّ فى هذه الرسالة. يقول الإمام عليه السلام لمعاوية: ينبغى عليك أن تتعرّف على طريق الحقّ الذى وضحت معالمه وتبيّنت سُبله، فلا عذر لك فى جهلك به، ولا ينبغى لك أن تنحرف عن مسير الحقّ وتتحرّك فى متاهات الحياة وتسلك دروب الضلالة فيسلب اللّه تعالى نعمه منك وينزل عليك عقابه وعذابه، فحذار من المسير فى خطّ الأهواء النفسانية التى تقودك إلى وادى المهالك وتقحمك فى مهاوى الكفر وترك الإيمان.

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۰۱

فَاتَّقِ اللّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِى حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخالِفُهَا الْأَنْكاسُ؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ فِى التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ. فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ اللّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

## الشرح والتفسير: ينبغى أن تفكّر بعاقبة أمرك!

من المناسب أن نورد هنا رسالة معاوية للإمام لغرض توضيح أهداف الإمام عليه السلام من رسالته الجوابية لمعاوية، وأنّ جواب الرسالة ناظر إلى النص الوارد فى الرسالة الاولى، ولكن للأسف لم تنقل هذه الرسالة، بحدود اطلاعنا، فى أىّ كتاب ومصدر، رغم أنّ رسالة الإمام عليه السلام تبتدىء بمقطع لم ينقله المرحوم السيّد الرضىّ، ومع الالتفات إلى هذا المقطع من الرسالة يتبيّن بشكل إجمالىّ مضمون رسالة معاوية أيضاً، لأنّ الإمام عليه السلام فى مطلع هذه الرسالة وطبقاً لما ورد فى كتاب «نهج‌البلاغة الكامل» يقول:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ مِنْ عَبْدِاللّهِ عَلِىٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ إِلى مُعاوِيَةَ بْنِ أَبى سُفْيانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنى كِتابُكَ تَذْكُرُ مُشَاغَبَتى، وَتَسْتَقْبِحُ مُوازَرَتى، وَتَزْعَمُنى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۰۲

مُتَجَبِّراً، وَعَنْ حَقِّ اللّهِ مُقَصِّراً. فَسُبْحانَ اللّهِ، كَيْفَ تَسْتَجيزُ الْغيبَةَ، وَتَسْتَحْسِنُ الْعَضيهَةَ. فَإِنّى لَمْ أُشَاغِبْ إِلّا فى أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ. وَلَمْ أَتَجَبَّرْ إِلّا عَلى بَاغٍ مارِقٍ، أَوْ مُلْحِدٍ كافِرٍ، وَلَمْ آخُذْ فِى ذَلِكَ إِلّا بِقَوْلِ اللّهِ- سُبْحانَهُ-: «لَاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ»[۵۱۳] وَأَمَّا التَّقْصيرُ فى حَقِّ اللّهِ- تَعالى- فَمَعاذَ اللّهِ وَإِنَّما الْمُقَصِّرُ فى حَقِّ اللّهِ- جَلَّ ثَناؤُهُ- مَنْ عَطَّلَ الْحُقُوقَ الْمُؤَكَّدَةَ، وَرَكَنَ إِلَى الْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَأَخْلَدَ إِلَى الضَّلَالَةِ الْمُحَيِّرَةِ. وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَصِفَ، يَا مُعَاوِيَةُ، الِاحْسَانَ، وَتُخالِفَ الْبُرْهَانَ، وَتَنْكُثَ الْوَثَائِقَ الَّتى هِىَ لِلّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- طَلِبَةٌ، وَعَلى عِبادِهِ حُجَّةٌ، مَعَ نَبْذِ الْإِسْلَامِ، وَتَضْييعِ الْأَحْكَامِ، وَطَمْسِ الْأَعْلَامِ، وَالْجَرْىِ فِى الْهَوى، وَالتَّهَوُّسِ فِى الرَّدى».

أمّا ما أورد السيّد الرضىّ فى نهج‌البلاغة فهو:

إنّ الإمام عليه السلام بعد هذه المقدّمة أخذ ينصح معاوية ويعظه بطرق مختلفة ويتمّ الحجّة عليه، بداية يقول في ثلاث جمل قصيرة وعميقة المعنى: «فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ».

الجملة الاولى: «فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ربّما تشير إلى مقام معاوية في ولاية الشام، أو إلى أموال المسلمين في يده، أو جميع نعم اللَّه عليه، فالإمام عليه السلام هنا يحذّره من التمسّك بما ليس لك من المقام ويجب عليك إعادته إلى أصحابه وأن تستخدم نعم اللَّه عليك في طريق طاعته والسعي لنيل رضاه وإمتثال أمره.

والجملة الثانية: «وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ إشارة إلى أنّ اللَّه تعالى له حقّ على عباده في مقابل كلّ هذه النعم والمواهب التي أنعم بها عليهم، وهذا الحقّ الإلهيّ يستلزم أن يسير العبد في خط الطّاعة والعبودية والامتناع عمّا نهى اللَّه عنه، فلو أنّه لم يؤدّ هذا الحقّ فسوف يواجه العذاب الأليم في الآخرة.

والجملة الثالثة: «وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ ذهب جمع من شرّاح

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۳

نهج‌البلاغة إلى أنّها إشارة لمعرفة الإمام عليه السلام الواجب الإطاعة، فقد ورد في الحديث المشهور: «مَنْ ماتَ وَلَمْ يَعْرِفْ امامَ زَمانِهِ فَقَدْ ماتَ مَيْتَةً جاهِلِيَّةً»[۵۱۴].

ويحتمل أيضاً في تفسير هذه العبارة أنّها إشارة إلى جميع المعارف الإلهيّة والدينية التي لا يعذر الإنسان في جهله بها، وعلى ضوء ذلك فالإمام عليه السلام يوصي معاوية بأن يتعرّف على أصول دينه وفروعه والتكاليف الشرعية التي يتوجّب عليه القيام بها أمام اللَّه تعالى والناس.

ويتحرّك الإمام عليه السلام بعد ذلك من موقع الاستدلال على ما تقدّم من كلامه (فإنّك غير معذور في حالة الجهل) ويضيف: «فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً[۵۱۵] نَهْجَةً[۵۱۶]، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ ۵۱۷]، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ ۵۱۸]».

والإمام عليه السلام في هذا الكلام يتمّ الحجّة على معاوية بأنّك يوم القيامة لا يمكنك أبداً أن تدّعي أنّ الطريق كان مظلماً وأنّ معالمه غير واضحة، ولذلك لم أعرف الحقّ والحقيقة، فيقول الإمام عليه السلام: إنّ أعلام هذا الطريق واضحة وآياته بيّنة من خلال ما ورد في الآيات القرآنية من جهة، والأحاديث النبوية المعتبرة من جهة أخرى، والبراهين العقلية الساطعة من جهة ثالثة، وكلّها تمثّل علامات هذا الطريق المتوفّرة في كلّ مكان منه، أضف إلى ذلك أنّ الجادة غير مظلمة «سُبُلًا نَيِّرَةً» فالطريق واضح ورحب ليس فيه مآزق ومنزلقات: «مَحَجَّةً نَهْجَةً» والغاية النهائية لهذا المسير نيل

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۰۴

السعادة الأبدية، وهذا المعنى لا يخفى على كلّ إنسان.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام ذكر في كلامه كلمة: «سُبُل جمع سبيل، وكذلك «مَحَجَّة» وتعني الطريق الواسع والجادّة الواضحة، لأنّ الإنسان عادة يتحرّك من الطرق الفرعية ليوصل نفسه إلى الجادة الأصلية، ثم يتوجّه إلى مقصده وغايته، وإذا وردت «سُبل» بصيغة الجمع و «محجّة» بصورة مفرد فهي ناظرة إلى هذا المعنى وهو أنّ الطرق الفرعية التي يشرع الإنسان فيها حركته، متعدّدة، ولكنّ الجادّة الأصلية واحدة عادة.

أمّا عبارة «غَايَةً مُطَّلَبَةً» فتارة تقرأ بتشديد الطاء وأخرى بتشديد اللام، وجاء في بعض النسخ «مطلوبة» وهي كلّها تعني المطلوبة، فالإمام يقول: إنّ طاعة اللَّه تعالى تمثّل هدفاً مطلوباً للإنسان، والمقصود منها نيل القرب من اللَّه تعالى والوصول إلى السعادة الأبدية والنجاة في الآخرة وتحصيل رضا اللَّه تعالى وشمول لطفه ورحمته في الدنيا، فالعقلاء وأولو الألباب يتحرّكون في واقع الحياة لتحقيق هذا الهدف، لأنّهم غير مستعدّين للتضحية بالسعادة الأبدية ورضا اللَّه تعالى لحساب تحصيل الأموال والمقامات والشهوات الدنيوية، كما ورد هذا المعنى في الحديث الشريف عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «الْكَيِّسُ مَنْ أَحْيَا فَضَائِلَهُ وَأَمَاتَ رَذائِلَهُ»[۵۱۹]، ونقرأ

فی حدیث شریف عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «إِنَّمَا الْکَیِّسُ کَیِّسُ الْآخِرَةِ»[۵۲۰].

وفی مقابل ذلک فإنّ الأراذل من الناس لا یتحرّکون باتجاه هذا الهدف، وإنّما یقنعون بتحصل الملذّات الدنیویة الرخیصة ویطلبون الزخارف المادیة المهزوزة والعناوین الاعتباریة، ویبیعون أغلی ما لدیهم من متاع بأزهد الأثمان، وهذا بذاته دلیل علی سفاهتهم وحماقتهم.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۰۵

ویستمرّ الإمام علیه السلام فی کلامه محذّراً معاویة من مغبّة الانحراف عن الصراط المستقیم والإعراض عن طاعة اللّه تعالی، لأنّه: «مَنْ نَکَبَ ۵۲۱] عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، خَبَطَ فِی التِّیهِ، وَغَیَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ».

فالإمام علیه السلام فی هذه الجمل الأربع، یشیر فی البدایة إلی نتیجة الانحراف عن مسیر الطاعة، وهو البعد عن الحقّ والتوغّل فی دروب المتاهة والحیرة، وبالتالی یعیش الإنسان الحرمان من النعم الإلهیّة ویستحقّ حینئذٍ العقوبة والعذاب.

والجملتان الأولیان فی الواقع بمثابة المقدّمة، والجملتین الثالثة والرابعة بمثابة النتیجة وذی المقدمة، وکأنّ کلام الإمام علیه السلام هذا إشارة إلی الآیة الشریفة: «ذلِکَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ یَکُ مُغَیِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَها عَلی قَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ»[۵۲۲].

ثمّ یضیف الإمام علیه السلام: «فَنَفْسَکَ نَفْسَکَ! فَقَدْ بَیَّنَ اللَّهُ لَکَ سَبِیلَکَ، وَحَیْثُ تَنَاهَتْ بِکَ أُمُورُکَ، فَقَدْ أَجْرَیْتَ إِلَی غَایَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ کُفْرٍ».

وهذا التعبیر فی الحقیقة مقتبس من القرآن الکریم: «عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ»[۵۲۳]، وتعبیر الإمام علیه السلام إشارة إلی أنّ هذا الطریق الذی سلکته لا ـ یقودک إلّاإلی الشقاء والخسران والکفر، فینبغی علیک الانتباه من نوم الغفلة والعودة إلی أحضان الحقّ وتعالیم الرسالة الإلهیّة.

وجملة: «قَدْ بَیَّنَ اللَّهُ لَکَ سَبِیلَکَ ، ذهب الکثیر من شرّاح نهج‌البلاغة بأنّ اللّه تعالی قد بین لک سبیل النجاة، فی حین أنّ هذا المعنی قد ورد فی العبارات السابقة ولا حاجة للتکرار، فالمقصود من هذه العبارة شیء آخر، وهو أنّ الإمام علیه السلام یرید القول بأنّ اللّه تعالی قد بیّن لک خطأ هذا المسیر الذی تسیر علیه وبیّن لک عواقبه السیئة، والعبارات اللاحقة أیضاً تؤیّد هذا المعنی.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۰۶

وفی المقطع الأخیر من الرسالة، طبقاً لما ذکره السید الرضی بیّن الإمام علیه السلام فی أربع جمل أخری العواقب التی تنتظر معاویة والمترتبة علی أعماله السیئة، ویقول:

«فَإِنَّ نَفْسَکَ قَدْ أَوْلَجَتْکَ ۵۲۴] شَرّاً، وَأَقْحَمَتْکَ ۵۲۵] غَیّاً[۵۲۶]، وَأَوْرَدَتْکَ الْمَهَالِکَ، وَأَوْعَرَتْ ۵۲۷] عَلَیْکَ الْمَسَالِکَ».

وکلّ جملة من هذه الجمل الأربع تبیّن أحد أبعاد العاقبة السیئة لأعمال معاویة وکلّ من سار علی هذا الخطّ، فی البدایة التورّط فی عناصر الشرّ، وأیّ شرّ أشنع من أن تتلوّث ید الإنسان بدم الأبریاء من الناس والتلاعب ببیت المال وإعطاء مال المسلمین إلی غیر المستحقّین، وما أشدّ ضلالة الإنسان الذی یتجاوز حدوده ولا یعرف قدره ویدّعی منصب الخلافة وإمامة الامّة ویجلس مجلس النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله مع أنّه لا ـ یملک اللیاقة الکافیة والجدارة لإحراز هذا المقام، وأیّ مهلکة أخطر من حرکة الإنسان فی الطریق الذی یؤدّی به إلی جهنّم، وأیّ مشکلة أشدّ من أنّ الإنسان یرتکب الذنوب والآثام بحیث یوصد طریق العودة خلفه ویهدم جسور التوبة والإنابة إلی اللّه ولا یتمکّن بعد ذلک من إصلاح الخلل.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۰۷

## الرسالة ۳۱

### اشارة

لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِي علیهما السلام، کَتَبَهَا إِلَیْهِ «بِحاضِرَیْنِ»[۵۲۸]
عِنْدَ انْصِرافِهِ مِنْ صِفّینٍ ۵۲۹]

## نظرة إلى الرسالة

تعتبر هذه الوصیة بعد عهد مالک الأشتر من أطول الرسائل والکتب للإمام ۵۳۰]

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۰۸

علیّ علیه السلام فی نهج‌البلاغة، وهی عبارة عن دورة کاملة من دروس الأخلاق وتهذیب النفس وتزکیتها وبیان معالم السیر والسلوک إلی اللّه، وفی الحقیقة أنّها تتألّف من ثلاثین قسماً ومقطعاً.

والإمام علیه السلام فی المقطع الأول یخاطب نفسه وأبناءه بوصفه کاتب هذه الوصیة ویعرّف نفسه للمخاطب بعبارات عمیقة المضمون ومنسجمة مع روح هذه الوصیة.

وفی المقطع الثانی یعرّف هذه الوصیة بأنّها وصیة والد متحرّق ومحبّ لأبنه الذی یملک له محبّة شدیدة.

وفی المقطع الثالث إلی المقطع العاشر یوصی ولده بالتقوی ومطالعة سیرة الأسلاف وتاریخ القدماء والتوصیة بالاحتیاط فی جمیع الأمور والتفقّه فی الدین والصبر والاستقامة فی مقابل المشکلات والتحدیّات والتوکل علی اللّه وتفویض الأمور إلیه، والتوجّه إلی هذه الحقیقة وهی أنّ قلب الشابّ مستعدّ لاستلهام جمیع التعالیم والتوصیات، والتأکید علی أنّ أباک قد اختتم تجارب العمر ووضعها تحت اختیارک بدون أن تتعب نفسک فی ذلک، ثمّ التوصیة بالتمعّن أکثر فی کتاب اللّه ومعرفة الحلال والحرام الإلهیین، وأخیراً الاقتداء بسنّة الصالحین وضرورة اجتناب الشبهات.

والمقطع الحادی عشر إلی المقطع العشرین یتحدّث الإمام علیه السلام عن کثرة مجهولات الإنسان فی مقابل معلوماته، ویحذّره من أیّ انحراف عن الحقّ ویؤکّد علیه لزوم اتّباع نبیّ الإسلام صلی الله علیه و آله وأنّ أیّ إنسان لا یصل إلی نتیجة صحیحة بدون التأسّی به، ثمّ یؤکّد له علی مسألة التوحید وشرح بعض الصفات الإلهیّة، وأخیراً یرسم له معالم القصور فی الدنیا وعدم ثباتها بذکر مثال جمیل فی هذا الشأن.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۰۹

ثمّ یبیّن لولده العزیز هذه الحقیقة، وهی أنّه لابدّ أن تجعل نفسک میزاناً للحکم علی الآخرین، فما کنت تحبّه لنفسک ینبغی أن تحبّه للآخرین وما تکره لها تکره لهم، ثمّ یتحدّث عن الآفات الأخلاقیة المهمّة من قبیل الأنانیة والعجب ویؤکّد له أنّ خدمة الخلق تمثّل زاداً ومتاعاً للآخرة، ویحذّره من الطریق الملیء بالمطّبات والمآزق فی سبیل النجاة لنیل السعادة الأخرویة ویتحدّث أیضاً عن أهمیة الدعاء وأنّه مفتاح جمیع الخیرات والبرکات، وأنّ الهدف والغایة من خلق الإنسان نیل الحیاة الأبدیة والسعادة الدائمة فی الآخرة، إلّاأن یعیش الإنسان أیّام معدودة فی هذه الدنیا ویجعلها هدفاً نهائیاً له فی حرکة الحیاة.

وفی المقطع الحادی والعشرین إلی الثلاثین یذکر الإمام مسألة الموت وکیفیة الانتباه من الغفلة ویحذره من السیر فی خطّ أهل الدنیا، ویتحدّث کذلک عن سرعة انقضاء العمر وطرق تهذیب النفس ولزوم التوقّی من الآمال البعیدة والطموحات الزائفة، وضمناً یبیّن له سلسلة من المسائل الأخلاقیة المهمّة، ثمّ یتحدّث عن کیفیة معاشرة المؤمنین ویتحدّث عن نقاط مهمّة فی هذا المجال، ثمّ یتقدّم له بنصائح مهمّة فی مجال اجتناب الحرص والطمع فی تحصیل الرزق، وبعد ذلک یتحدّث الإمام عن بعض المسائل المهمّة المتعلّقة بحفظ حرمة النساء والتعامل الصحیح معهنّ، ثمّ یتحدّث عن المسائل المتعلّقة بإدارة الحیاة والمعیشة وتقسیم العمل بین الأفراد، وأخیراً ینهی الإمام علیه السلام هذه الوصیة بتفویض أموره إلی اللّه عزّ وجلّ ویسأله خیر الدنیا والآخرة.

وبالالتفات إلى ما تقدّم آنفاً، فإنّ القرّاء الأعزّاء لهذه الوصيّة سيطّلعون على مضامين عالية وتوصيات سامية فيما يتّصل بتربية النفوس وتهذيب القلوب.

والنقطة الأخرى التى ينبغى الالتفات إليها فى هذا المورد، هو أنّ أغلب نسخ نهج‌البلاغة تقرّر أنّ المخاطب لهذه الوصية هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهذا ما ورد فى غالبية طرق السند فى هذه الوصية (كما يقول العلّامة التسترى فى شرح

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۱۰

هذه الوصية المهمّة، وطرق السند بلغت خمس طرق)، ولكن هنا طريق واحد لرواية هذه الوصية يقرّر فيها أنّ المخاطب لها هو محمّد بن الحنفية، وبعض شرّاح نهج‌البلاغة يؤكّدون على المعنى الثانى، وأنّ المخاطب للوصية ليس هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويستدلّون لذلك بأنّ بعض عبارات هذه الوصية لا يتناسب مع كون المخاطب هو الإمام المعصوم، فى حين أننا نعلم أنّ مثل هذه العبارات فى مقام الموعظة والنصيحة من الوالد لابنه هو اسلوب متداول وشائع، والمهمّ أنّ المخاطب لهذه الوصية وإن كان شخصاً واحداً، إلّاأنّ المقصود هو جميع الشيعة والمسلمين فى العالم، بل جميع أبناء آدم، وكأنّ الإمام عليه السلام يتحدّث مع جميع أبناء البشر بوصفه أباً لهم وأنّ المخاطب له، وإن كان الإمام الحسن عليه السلام مباشرة، إلّاأنّ المخاطب الحقيقى جميع أفراد البشر.

وأمّا ما ذكره البعض من أنّ الإمام المعصوم عليه السلام مع توفّر مقام العصمة والإمامة لا يحتاج إلى نصيحة وموعظة، فهو اشتباه كبير لأنّ مقام الإمامة والعصمة الشامخ لا يتنافى إطلاقاً مع التأكيد على المسائل الأخلاقية المهمّة، ولهذا نرى أنّ الإمام علىّ عليه السلام وهو فى فراش الوفاة يعظ أبناءه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ويقدّم لهما توصيات وتعاليم لم يكونا غافلين عنها.

وكذلك ما ذكره البعض من أنّ الإمام الحسن عليه السلام فى زمان صدور هذه الوصية كان قد بلغ من العمر أكثر من ثلاثين سنة وهو لا يتناسب مع ما ورد فى هذه الوصية من عبارة: «وأمّا قلب الشابّ يتقبّل جميع التعاليم والإرشادات» وهذا خطأ أيضاً لأنّ الإنسان فى سنّ الثلاثين عاماً لايزال شاباً، أضف إلى ذلك أنّ المخاطب لهذه الوصية جميع أفراد البشر بوصفهم أبناء الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وقد ورد فى كتاب الإمامة والسياسة فى قصّة السقيفة أنّ أباعبيدة الجراح عندما أراد إبعاد الإمام علىّ عليه السلام عن تولّى لخلافة قال: «يَابْنَ عَمّ إنّكَ حَديثُ السِّنِّ وَهؤُلاءِ مَشيخَةُ قَوْمِكَ»[۵۳۱]، ونعلم أنّ الإمام عليه السلام كان عمره فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۱۱

## القسم الأوّل

### اشارة

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً؛ إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

### الشرح والتفسير: هذه الوصيّة ممّن وإلى من؟

هذا المقطع من الوصية يبيّن فى الحقيقة عنوان الوصية والمرسل لها، لأنّ المتداول فى كتابة الرسائل أن يكتب فى مستهلّ الرسالة عنوان الشخص المرسل والمرسل إليه، ويقال مِنْ فُلانٍ الى فُلانٍ؛ فالإمام عليه السلام بدلًا من ذكر اسمه واسم ولده الإمام الحسن

المجتبى عليه السلام اكتفى بذكر صفات المرسل والمرسل إليه، ممّا يوفّر الأرضية المساعدة لتقبّل هذه المواعظ والنصائح.

بداية يطرح الإمام عليه السلام ستّ صفات لنفسه، ثمّ يذكر أربعة عشر صفة لولده لغرض تهيئة الأجواء بهذه الصفات، وأن يكون المخاطب على استعداد تامّ لطرح الموضوع.

فى البداية يقول: «مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ ۵۳۲]، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۲

لِلدُّنْيا[۵۳۳]، السَّاكِنِ مَساكِنَ الْمَوْتَى وَالظَّاعِنِ ۵۳۴] عَنْهَا غَداً».

فالإمام عليه السلام عندما ينطلق بذكر هذه الصفات لنفسه يهدف منها تحقيق عدّة أمور:

الأوّل: أن يُفهم ولده بأنّنى عندما أكتب هذه الوصية لك فإنّنى أحمل معى تجارب كثيرة حصلت عليها بمرور الزمان، والآخر: أنّ القائل لهذه النصائح تحدّث بلغة التواضع ولم يتكلّم من موقع الفوقية والاستعلاء، وهذا من شأنه أن يؤثّر إيجاباً فى نفس المخاطب، الثالث: أن يعلم ولده بأنّه عمّا قريب سيكون أباً ولابدّ أن يشعر بمسؤولية الوالد ويدرك هذه الحقيقة، ودرك هذه الحقيقة يجعله مستعدّاً لقبول هذه المواعظ.

والتعبير ب «فانِ (وهى فى الأصل «فانى» ولكن حذفت الياء لمزيد التجانس مع الجمل اللاحقة) إشارة إلى أنّنى قضيت الشطر الأكبر من عمرى، وأنا الآن فى مرحلة الرحيل من هذه الدنيا، لأنّ الإمام عليه السلام تحدّث بهذا الكلام فى وقت كان قد بلغ من العمر حسب الظاهر ستّين سنة.

وجملة: «الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ إشارة إلى الحوادث والأزمات الصعبة والحوادث المرّة والحلوة التى يواجهها الإنسان فى حركة الحياة والواقع.

وجملة: «الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ» تأكيد على أنّنى أسير فى منزلق نهاية العمر، وجملة:

«الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيا» إشارة إلى غلبة الحوادث والوقائع على إرادة الإنسان.

وجملة «السَّاكِنِ مَساكِنَ الْمَوْتَى إشارة إلى أنّ المساكن التى نسكنها هى فى الغالب من بناء وتشييد السابقين، فأولئك بنوا هذا الدور ونحن سكنّا فيها وأحياناً نبنى ويسكنها اللاحقون.

وأخيراً جملة: «وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً» إشارة إلى قرب لحظة الرحيل من هذه الدنيا، يعنى أننى عندما أكتب لك هذه الوصية أعلم بجميع هذه الخصوصيات والمفارقات.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۳

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يصف مخاطبه بدون ذكر اسمه فى أربعة عشر صفة ويقول:

«إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ ۵۳۵] الْأَسْقامِ، وَرَهِينَةِ[۵۳۶] الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ[۵۳۷] الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ ۵۳۸] الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ».

وأوّل وصف يصف الإمام عليه السلام ولده، وببيان آخر يصف جميع أفراد البشر هو أنّك فى هذا العالم تتحرّك لتحصيل ما لا يمكن تحصيله، لأنّ الإنسان يريد أن يعيش حياة خالية من جميع المشاكل وحالات القصور والألم، فى حين أنّ طبيعة الدنيا مقترنة بالمشاكل والآلام والمصائب «الْمُؤَمِّلِ مَا لَايُدْرِكُ .

وجملة: «السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ تعنى أنّ جميع أفراد البشر يسيرون فى طريق ينتهى إلى الموت والهلكة، كما يقول القرآن الكريم: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»[۵۳۹] ولا يوجد أىّ استثناء من هذه القاعدة.

وجملة «غَرَضِ الْأَسْقَامِ هى فى الحقيقة توضيح لما سبق، لأنّ الإنسان شاء أم أبى يواجه فى هذا الحياة حالات المرض وأنواع الأسقام فى طفولته وفى شبابه وفى شيخوخته بشكل من الأشكال.

والتعبير ب «وَرَهِينَةِ الْأَيَّام مع الأخذ بالحسبان أنّ «رهينة» تعنى الأسر والاختطاف، فهى إشارة إلى أنّ الإنسان يعيش دوماً فى أسر الأزمات وأنّ مرّ الزمان يأخذ بيده إلى المجهول ويتركه شاء أم أبى فى نهاية العمر ويسلّمه إلى القبر.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۱۴

وعبارة: «وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ مع الأخذ بالحسبان أنّ كلمة «رميّة» تعنى الشىء الذى يوضع غرضاً وهدفاً لرمى السهام، فهذه العبارة تشير إلى المصائب والبلايا التى تصيب الإنسان فى ماله ونفسه وأقربائه وأعزّته حيث تهجم عليه من كلّ جهة وتجعله غرضاً لها، فلا نكاد نرى أحداً لم يواجه طيلة عمره المصائب المختلفة، كما قال الإمام عليه السلام فى مورد آخر: «دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ»[۵۴۰].

ومن عجائب الدنيا أنّ الإنسان غالباً لا يرى سهام المصائب وهى تتّجه نحوه ولا يرى مصدرها وكيف ابتلى بها، ولكنّه فجأة يفتح عينه ليرى حلول المصيبة به، وكما قال الشاعر:

وَلَوْ انّنى أُرمى بِنَبْلٍ، رَأَيْتُهاوَلكِنَّنى أُرْمى بِغَيْرِ سِهامٍ [۵۴۱

وجملة: «وَعَبْدِ الدُّنْيا وَتَاجِرِ الْغُرُورِ» إشارة إلى أنّ الإنسان حاله حال العبد يعيش فى أسر الأهواء والشهوات ويرفل فى قيود الآمال والمطامع الدنيوية، وهذه الأمور تأخذ به من كلّ جانب، أمّا كونه تاجر الغرور، من جهة أنّه يتصوّر أنّ أمواله ورأس ماله الذى أتعب نفسه فى جمعه فى هذه الدنيا حقيقة موضوعية إلّاأنّه ليس سوى سراب بقيعة وتشكيلة من الخداع الغرور، فسوف يفقد هذه الأموال والثروات وقد يقبع الآخرون فى انتظارها.

وعبارة: «غَرِيمِ الْمَنَايَا» تشبيه للإنسان بالشخص المدين الذى يطلبه الموت، فالموت يسلب منه روحه ويضع جسمه فى لحد القبر، وكلمة: «أَسِيرِ الْمَوْتِ تبيّن هذا المضمون بشكل آخر، فأحياناً يقول: غريم الموت، وأخرى يقول: أسير الموت.

وعبارة «حَلِيفِ الْهُمُومِ» و «قَرِينِ الْأَحْزَانِ إشارة إلى أنّ الإنسان يعيش طيلة حياته مع أنواع الهموم والأحزان، همّ المعيشة والرزق، همّ المرض، همّ فقدان الفرص، همّ خيانة بعض الأقربين والرفقاء، همّ مؤامرات الأعداء، فهل يمكن العثور

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۱۵

على شخص لم يقع طيلة عمره أسيراً لمثل هذه الهموم والغموم؟

ومن المناسب هنا الإشارة إلى قصّة الإسكندر المعروفة، فعندما حان أجله وكانت امه لا زالت على قيد الحياة، ويعلم أنّها سوف تحزن عليه بشدّة، فكّر بأمر لتخفيف حزنها وألمها، فقال لها: يا امّاه إبكى علىَّ وأقيمى المأتم ولكن لاتبكى لوحدك، بل ادعى معكِ جماعة يشاركونك فى هذا الأمر وليبكوا علىَّ لا على مصائبهمومشاكلهم.

فعملت هذه الام بوصيته بعد موته وتوجّهت للجيران والأقرباء والأصدقاء وكلّما سألت أحداً منهم: هل أنّك خالٍ من الغمّ والحزن؟ فإنّه يذكر لها بعض همومه وأحزانه، فيقول أحدهم: ماتت زوجتى، والآخر يقول: مات ولدى، والثالث يقول:

إنّى خسرت فى تجارتى، الرابع يقول: إننى أعيش الأسقام والآلام، ففهمت الامّ أنه لا يوجد شخص لا يعيش الحزن ولا تواجه الهموم، وحسب المثل المعروف: «الْبَلِيَّةُ إذا عَمَّتْ طابَتْ» فخفّت عليها حينئذٍ مصيبة فقد ولدها.

وعبارة: «نُصُبِ الْآفَاتِ وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ مع الأخذ بالحسبان أنّ كلمة «نُصُب تعنى الأغراض التى ينصبها الرماة لتسديد الرمية باتجاها، وكلمة «صَرِيع تعنى الشخص المغلوب على أمره والذى سقط على الأرض، فالعبارة تشير إلى الآفات والبلايا المختلفة التى تصيب الإنسان من كلّ جهة وتجعله هدفاً لها، والشهوات التى تصرعه فى حياته ولا يستطيع التصدّى لها ومقاومتها.

وجملة: «خَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ إشارة إلى أنّك أيّها الإنسان لا ـ تغفل عن أنّك خليفة الأموات وسوف تلتحق بهم فى المستقبل القريب وسيحلّ آخرون محلّك، وهكذا تستمرّ هذه المعادلة فى حياة البشرية.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام قد وصف نفسه بستّ صفات، ولكنّه وصف ولده بأربعة عشر صفة ممّا يواجهه كلّ إنسان فی حياته الدنيا من مشاكل وصعوبات، يعنی فی مقابل كلّ صفة وصف فيها نفسه، فقد وصف ولده بصفتين، وفی مقابل كلّ مشكلة واجهها فی حياته، فإنّ مخاطبه سيواجه مشكلتين.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۷

## القسم الثانی

### اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّی، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِی عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَایَ، وَالْاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِی، غَيْرَ أَنِّی حَيْثُ تَفَرَّدَ بِی دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِی، فَصَدَفَنِی رَأْيِی، وَصَرَفَنِی عَنْ هَوَایَ، وَصَرَّحَ لِی مَحْضُ أَمْرِی، فَأَفْضَى بِی إِلَى جِدٍّ لَايَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَايَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِی، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّی، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِی، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِی، فَعَنَانِی مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِی مِنْ أَمْرِ نَفْسِی، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِی مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

### الشرح والتفسير: علّة كتابة هذه الوصية

فی هذه الفقرة من الوصية يتحدّث الإمام عليه السلام فيها بادئاً من نفسه ويذكر الباعث له لكتابة مثل هذه الوصية الأخلاقية والإنسانية، ويقول ما خلاصته: إنّی نظرت إلى نفسی فرأيت كوكب عمری متّجهاً نحو الافول، وينبغی أن أهتمّ بنفسی وأستعدّ لسفر آخرتی، ولكن بما أنّك تمثّل جزءاً من وجودی بل جميع وجودی، فرأيت من الضروری أن اقدّم لك هذه التحذيرات والنصائح، ويقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّی، وَجُمُوحِ [۵۴۲] الدَّهْرِ عَلَيَّ وَإِقْبَالِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۸

الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِی [۵۴۳] عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَایَ، وَالاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِی [۵۴۴]».

وفی هذا السياق يستنتج الإمام عليه السلام هذه النتيجة، أنّ هذا الاهتمام دعانی للتفكير فی نفسی والانصراف عن سلوك طريق الأهواء النفسية وبيّن لی حقيقة مصيری وأوصلنی هذا الأمر إلى مرحلة لا يشوبها اللعب والهزل، بل كلّها صدق وحقّ: «غَيْرَ أَنِّی حَيْثُ تَفَرَّدَ بِی دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِی، فَصَدَفَنِی [۵۴۵] رَأْيِی وَصَرَفَنِی عَنْ هَوَایَ، وَصَرَّحَ لِی مَحْضُ أَمْرِی، فَأَفْضَى [۵۴۶] بِی إِلَى جِدٍّ لَايَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ».

وهذا إشارة إلى أنّ الإعراض عن الدنيا يوجب للإنسان اليقظة ويبعث فيه الانتباه لأنّه يرى نفسه فی مرحلة الانتقال من هذه الدنيا، وهذا الأمر يقوده لاجتناب السقوط فی فخ الأهواء النفسانية، وأن يفكّر بشكل جادّ بمصيره وعاقبته، ويجتنب أشكال اللهو واللعب ويحمل نفسه على الصدق وطلب الحقيقة بعيداً عن كلّ أشكال التعصّب والتساهل، ويهتمّ بمستقبله وحياته بعد الموت فيما يجمع له من زاد لسفر الآخرة.

وبهذه المقدّمة يهدف الإمام عليه السلام ظاهراً لتحقيق أمرين: الأوّل: أن يؤمن مخاطبه بشكل تامّ أنّ ما قاله آنفاً ليس بالهزل، بل هو جادّ تماماً فی هذا الكلام، ويمثّل نتيجة مطالعات عميقة وتأمّلات فی وضعه الحالی والمستقبلی، والآخر أنّه يحذّر ولده من أنّه سيواجه مثل هذه الأمور فی المستقبل، ولا يبقى فی مرحلة الشباب

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۱۹

دائماً (رغم أنّ الشباب ليس عنصراً يثير الاطمئنان والاعتماد فى الحياة) وسوف لا- تمضى مدّة إلّاوتقترب قافلة عمرك وحياتك للوصول إلى المنزل الآخير، لئلّا يعيش ولده حالات الغرور بالشباب وتقوده عناصر الحيوية نحو الطغيان وينسى مستقبله ويغفل عن عاقبة أمره.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يلفت النظر إلى هذه النقطة، وأنّه لماذا فكّر بتقديم النصح الكثير لولده فى حين أنّ الإمام عليه السلام يعيش حالة الاهتمام بنفسه، ويقول: «وَوَجَدْتُكَ بَعْضِى، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّى، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِى، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِى، فَعَنَانِى مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِى مِنْ أَمْرِ نَفْسِى، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِى مُسْتَظْهِراً[۵۴۷] بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ».

وعندما يعبّر الإمام عليه السلام بأنّك بعض من وجودى فالمعنى واضح، لأنّ الإبن يولد من الأب والامّ، وتتشكّل أجزاء بدنه من بدن والديه، ولكن عندما يقول: ووجدتك جميع وجودى، يمكن أن يكون إشارة إلى أنّك الإمام بعدى وخليفتى فى هذا المقام، وعلى هذا الأساس فإنّ جميع وجودى يتجلّى فيك، وتكون مرآة يتجلّى فيها كلّ وجودى.

ويحتمل أيضاً أنّ هذه الجملة إشارة إلى مجموعة الصفات الجسمانية والروحانية التى تنتقل من الآباء للأبناء بحكم قانون الوراثة، وأنّ الأبناء سيتحلّون بالصفات الجسمانية والروحانية للآباء.

وهنا مثل عربى معروف يمثّل بيت شعر يقول فيه الشاعر:

إنّما أوْلادُنا بَيْننا أكْبادُنا تَمْشى عَلَى الْأَرْضِ ۵۴۸]

وجاء فى شرح نهج‌البلاغة للمرحوم التسترى أنّ رجلًا أعرابياً مات ابنه فكفّنه ودفنه، ثمّ قال:

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۲۰

دَفَنْتُ بِنَفْسى بَعْضَ نَفْسى فَأصْحَبَتْوَلِلنَّفْسِ مِنْها دافِنٌ وَدَفينٌ ۵۴۹]

وجملة: «حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً ...» وهى توضيح وبمثابة الدليل على كيفية أن يكون ابنه العزيز بعض وجوده أو كلّ وجوده فيقول: ومن هنا أجد أنّ كلّ مصيبة وكلّ ألم يصيبك فكأنّما يصيبنى حتّى لو أنّ الموت جاءك فكأنّه جاءنى، لأنّنى أرى كلّ شىء فى نفسى فيك، فأنت جميع كيانى ووجودى، وعلى أيّة حال فهذا الاهتمام من الإمام علىّ بأمر ولده يشكّل الباعث الأصلى لكتابة هذه الوصية المطوّلة التى تعتبر تشكيلة من أفضل المواعظ والإرشادات فى مجال التوحيد والمعاد، آداب الحياة، آداب تهذيب النفس، ورسم الطريق القويم والسلوك الصحيح فى الحياة مع المجتمع، وبما أنّ الإمام عليه السلام يمثّل أباً لجميع أفراد الامّة كما هو مقتضى الحديث النبوىّ المعروف: «أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوا هَذِهِ الْأُمَّة»[۵۵۰] فإنّ المخاطب بهذه الوصية فى الحقيقة جميع أفراد الامّة.

وجملة: «إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ إشارة خلود مضمون هذه الرسالة ودوامها، والواقع هو كذلك، فبالرغم من مضىّ أكثر من ألف عام عليها، فإنّها لا زالت طريّة ويانعة وزاخرة بالحيوية والحركة، وهى المصداق البارز لقول تعالى: «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ* تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»[۵۵۱].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۲۱

## القسم الثالث

### اشارة

فَإِنِّی أوصِیکَ بِتَقْوَی اللَّهِ- أیْ بُنَیَّ- وَلُزُومِ أمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِکَ بِذِکْرِهِ، وَالْاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَأیُّ سَبَبٍ أوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَیْنَکَ وَبَیْنَ اللَّهِ إنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ.

## الشرح والتفسير: أوثق وسيلة للنجاة

يستهلّ الإمام عليه السلام هذا المقطع من الرسالة بنصائح بنّاءة ومفعمة بالإيمان، ويقدّم في أربع جمل قصيرة أربع توصيات لولده، وتمثّل هذه التوصيات عصارة جميع الفضائل ويقول: «فَإِنِّی أُوصِیکَ بِتَقْوَی اللَّهِ- أیْ بُنَیَّ- وَلُزُومِ أمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِکَ بِذِکْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ».

إنّ التوصية بالتقوى هي التوصية التي جعلها جميع الأنبياء والأوصياء في سلّم أولويات برامجهم في حركة الحياة بعد الإيمان باللَّه، التقوى التي تمثّل الزاد والمتاع في طريق الآخرة، ومعيار الفضيلة والامتياز لشخص على سائر الناس، ومفتاح الجنّة، والتقوى تعني الخشية الباطنية والقلبية من اللَّه تعالى واجتناب كلّ أشكال الذنوب وارتكاب الآثام، والشعور والإحساس بالمسؤولية أمام اللَّه، ومن شأنها أنّ تخلق في نفس الإنسان مانعاً وسدّاً يحول بينه وبين الذنوب، والمرتبة الأدنى منها هي العدالة، والمرتبة القصوى هي العصمة.

نفحات الولاية ؛ ج ٩ ؛ ص ٤٢١

ى التوصية الثانية يشير الإمام عليه السلام إلى الالتزام الواعي بالأوامر الإلهيّة، وهذا هو الأمر الذي أكّد عليه القرآن الكريم مراراً بعنوان «أَطِيعُوا اللَّهَ» والذي يعتبر من ثمار شجرة التقوى.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٤٢٢

وعبارة: «عِمَارَةِ قَلْبِکَ بِذِکْرِهِ» إشارة إلى أهميّة ذكر اللَّه، لأنّ الغفلة عن ذكر اللَّه تعني خراب القلب وخواء الروح وجفاء العواطف ويصير الإنسان بالتالي ميداناً وملاذاً لجيش الشيطان، يقول القرآن الكريم: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»[٥٥٢] وهذا الإحياء للقلوب لا يتسنّى بالذكر اللفظي فقط، رغم أنّ الذكر اللفظي مهمّ جدّاً، بل الذكر العملي كما ورد ذلك في الروايات الشريفة يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ثَلَاثٌ مِنْ أشَدِّ ما عَمِلَ العِبادُ: إنصافُ المَرءِ مِن نَفسِهِ، وَمُواساةُ المَرءِ مِن أخِيه، وذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثمّ ذكر المقصود من ذلك وقال: «وَهُوَ أن يَذْكُرَ اللَّهَ عَزَجَلَّ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ يَهُمُّ بِها فَيَحُولُ ذِكْرُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَجَلَ: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ»[٥٥٣].

وعبارة: «الاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ إشارة إلى التمسّك بتعاليم القرآن الكريم والذي يتضمّن مناهج لتحقيق السعادة في واقع الحياة، ويشير القرآن إلى ذلك أيضاً بقوله:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا»[٥٥٤].

ونعلم أنّ المفسّرين ذكروا لكلمة حبل اللَّه في هذه الآية الشريفة معانٍ كثيرة، فذهب بعض المفسرين إلى أنّ المراد منها القرآن الكريم، وذهب آخرون إلى أنّها تعني الإسلام، ويعتقد بعض أنّ المقصود منها أهل بيت النبوّة، ولكن لا يوجد اختلاف وتباين بين هذه التفاسير، لأنّ «حبل اللَّه» تعني الارتباط الوثيق باللَّه تعالى وتشمل جميع هذه المعاني المذكورة.

ولهذا يقول الإمام عليه السلام في مواصلا كلامه: «وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ».

والتعبير بالحبل إشارة إلى أنّ الإنسان بدون التربية الإلهيّة يهبط إلى الحضيض

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٤٢٣

ويسقط في بئر الطبيعة، ولذلك لابدّ له من حبل متين يتمسّك به ويرقى بواسطته ليخرج من هذه البئر، وهذا الحبل هو القرآن والإسلام والعترة.

وبالنسبة للتقوى وأهميتها وآثارها فى حياة الإنسان وردت بحوث فى ذيل الخطبة ۱۵۷، الجزء ۶ ص ۱۷۲ فصاعداً، والخطبة ۱۶۱، ص ۲۷۴ فما بعد.

***

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۴۲۵

## القسم الرابع

### اشارة

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

### الشرح والتفسير: أحى قلبک بالموعظة

ينطلق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية ليستعرض اثنتى عشرة موعظة مهمّة تتسبّب فى تكامل روح الإنسان وأخلاقه، وتجعله يعيش الحياة المعنوية والمثل الإنسانية.

بداية يقول: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ ۵۵۵] بِالْفَنَاءِ».

ويبتدىء الإمام عليه السلام فى هذه التوصيات الستّ بإحياء القلب، والقلب فى هذا الموارد الروح والعقل والإدراك، فما لم يعش القلب هذه الحياة المعنوية فلن يستطيع

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۴۲۶

الإنسان أن يتقدّم خطوة واحدة باتجاه التكامل والسمو والتعالى، ويتوقف عن المسير عند هذا الحدّ، فما يوجب الحياة للقلب وينفخ فيه الروح، هو المواعظ والنصائح التى وردت فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وروايات الأئمّة المعصومين عليهم السلام وما يستوحيه الإنسان من حوادث الدهر وتاريخ الأقوام البشرية.

وحقيقة الموعظة تتمثّل فى التوصية بالخيرات والمكرمات والتوقى من السيئات والقبائح، فإذا انطلقت هذه المواعظ من القلب مقترنة بالأدلة والشواهد، وبنيّة إسداء الخير للآخرين والشفقة عليهم، فإنّها تسكن فى القلب وتؤثّر فى إحياء الروح والعواطف.

وجملة: «أَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ» المراد القلب الذى يعيش أسير الأهواء والشهوات، فمثل هذا القلب يجب أن يموت بآلية الزهد ويكسب له حياة جديدة بالموعظة، وهذا التعبير بليغ وجذّاب جدّاً حيث يأمر الإمام عليه السلام أوّلًا بإحياء القلب ثمّ يأمر بإماتته، فالأمر الأوّل ناظر للأبعاد الإيجابية فى العقل والروح، والأمر الثانى ناظر للأبعاد السلبية وأن يكون العقل أسيراً فى براثن الشهوات، وفى الواقع أنّ الإمام عليه السلام يشبّه قلب الإنسان وروحه بالبستان الذى يحتوى على أشجار مثمرة وأغصان زاهرة وأزهار مختلفة الألوان، وفى ذات الوقت هناك أعشاب وأشواك ضارّة كثيرة بين هذه الأشجار، فإحياء هذا البستان يعتمد على تنمية تلك الأشجار والأزهار وقلع هذه الأشواك والأعشاب الضارّة.

وبعد أن يحيى القلب بالموعظة وتتمّ إزالة العوائق والموانع بالزهد، تصل النوبة لتقوية القلب، فيقول الإمام عليه السلام: «وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ ،

اليقين الـذى يحصل عليه الإنسان من خلال النظر فى آفاق الخلق وأسرار الطبيعة، أو من خلال العبادة والعبودية للّه تعالى، وبعد تقوية القلب باليقين يشتغل المؤمن بتنويره، وهو قول الإمام عليه السلام:

«وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ» فالحكمة والمعرفة والعلم من شأنها أن تنير طريق السالك إلى اللّه وتمنحه المعرفة بالمطبّات والعوائق التى تواجه المؤمن فى طريق المعنوية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۲۷

وبما أنّ نفس الإنسان ربّما تتمرّد عليه وتسلك سبيل الطغيان والعصيان، فالإمام عليه السلام يرشدنا لكيفية كبح جماح هذه النفس، ويقول فى الجملة الخامسة والسادسة: «وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ»، لأنّ الموت والإقرار بالفناء يعملان على تذليل هذا الجموح ويتعامل الإنسان مع الواقع والحياة من موقع الإذعان والتسليم، وقد رأينا الكثير من الناس عندما يفقدون عزيزاً لهم فى حادثة فجائية ويرون مشاركة الناس من الأقرباء والمعارف فى التشييع ويحضرون فى مجالس العزاء والمأتم، فإنّ آثار التذلّل والتسليم بادية على وجوه الجميع، وربّما يكون لهذه الحالة تأثير مؤقّت، ولكن على أيّة حال تشير إلى أنّ ذكر الموت والإقرار بالفناء إذا استمر لمدّة طويلة فذلك من شأنه كبح جماح النفس المتمرّدة والسيطرة على نوازعها وشهواتها.

وبعد أن طرح الإمام عليه السلام هذه التوصيات فى الجمل والعبارات السابقة، يوصى ولده بأن يتمعّن ويتدبّر فى حوادث الدهر والزمان، ويرى المتغيّرات والتقلّبات التى تطرأ بالليل والنهار: «وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ [۵۵۶] تَقَلُّبِ اللَّيَالِى وَالْأَيَّام».

أحياناً تسدل الغفلة ستائرها على قلب الإنسان فيغرق فى دوّامة الأهواء والشهوات بحيث لا يدرك الحقائق المتعلّقة بالحياة والسعادة، ولا يتحرّك فى طريق العقل والسلامة، فمن أجل إزاحة هذه الستائر والحجب وإضاءة زوايا القلب وتنوير العقل، فلا شىء أفضل من التدبّر فى الحوادث المرّة والبلايا المؤلمة للدنيا وكثرة التقلبات الفجائية فى الحياة وبالأخصّ ما يراه الإنسان فى حياة أصحاب القدرة والسلطة فى العالم، كلّ ذلك من شأنه أن يفتح نوافذ القلب ويعيد إليه بصيرته.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۲۸

وعبارة: «فَجَائِعَ الدُّنْيَا» إشارة إلى فجائع الناس فى الدنيا، والتى تستتبع متغيّرات وتقلّبات كثيرة، أو الإشارة إلى الحوادث المرّة والأليمة التى يفرضها الواقع الصعب على الإنسان فى حركة الحياة.

وعبارة: «صَوْلَةَ الدَّهْرِ» مع الالتفات إلى أنّ «صَوْلَة» بمعنى الهجوم الكاسح والحملة الحاسمة، سواء كانت هذه الحملة من قِبل حيوان مفترس أو إنسان قوىّ وغاشم، فالعبارة تشير إلى الآفات والبلايا والأمراض وأشكال الإخفاق التى يواجهها الإنسان فى واقع الحياة والتى تهجم عليه كالحيوان المفترس فى حين أنّه لا يملك وسيلة للدفاع عن نفسه وغير قادر على التصدّى لها ومقاومتها.

وجملة: «فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِى وَالْأَيَّامِ ، مع الإلتفات إلى أنّ «فحش» تعنى كلّ عمل قبيح وغير مقبول، فهى تشير إلى أنّ مرور الزمان وتقلّب الليل والنهار من شأنه أن يثير تقلّبات مزعجة وتغيّرات مؤسفة فى حياة الفرد والمجتمع البشرىّ وتجعل من حياة الإنسان مظلمة ومشوّشة، فلو تمعّن الإنسان فى هذه الأمور وتدبّر فى هذه الحوادث والتقلّبات، فذلك من شأنه أن يمنحه مزيداً من البصيرة بحقائق هذا العالم، ويدفعه للحركة فى الطريق الصحيح.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لشرح هذه الحقيقة ويقول: «وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِى دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا[۵۵۷] وَنَزَلُوا».

وهذا المضمون هو ما ورد فى القرآن الكريم فى أكثر من آية، حيث قال تعالى:

«قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ»[۵۵۸].

ويقول أيضاً: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۲۹
يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»[۵۵۹].
المهمّ، أنّ المرء يشاهد فی زوايا هذا العالم وفی الكثير من المناطق والمدن والأرياف، آثار القدماء من سكنة هذه المعمورة، الآثار القديمة والأطلال البالية التی عفی عليها الزمن، ولكنّها فی ذات كونها صامدة تنطق بألف لسان وتتحدّث معنا من موقع الاعتبار وتبيّن لنا حقيقة هذه الحياة الدنيا، والكثير من الناس عندما يشاهدون هذه الآثار والأطلال يفتخرون بها على اعتبار أنّها آثار تاريخية تدلّ على وجود تمدّن وحضارة لدی أسلافنا وأجدادنا، فی حين أنّ المرء ينبغی أن يستوحی منها دروس العبرة ويسترشد بتقلّبات الزمان بما ينفعه فی حياته ويكشف له الطريق.
ويتحدّث الإمام عليه السلام بعد ذلك ويبيّن توضيحاً أكثر لهذه الحقيقة: «فَإِنَّکَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّکَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ».
أجل، فلو شككنا فی كل شیء فإنّنا لا نشكّ فی هذه الحقيقة الحاسمة، وهی أنّنا بدون استثناء سائرون على خطى القدماء وسنلاقی نفس المصير، فی ذلك اليوم الذی نودّع فيه الزوجة والأبناء الأصدقاء والمقامات وجميع وسائل الحياة ونتركها لغيرنا ونرحل.

## تأمّلان

### ۱. الحياة وإعمار القلب

يشير الإمام عليه السلام فی مستهلّ هذه الفقرة من الوصية إلى إحياء القلب بواسطة الموعظة، وفی الفقرة السابقة أشار إلى عمران القلب، ومعلوم أنّ المقصود من القلب فی هذه العبارات وأمثالها ليس ذلك العضو الخاص من البدن والذی يقع فی الصدر، ووظيفته ضخّ الدم إلى جميع أعضاء البدن؛ بل المراد منه روح الإنسان وعقله كما ورد ذلك أيضاً فی المصادر اللغوية.
نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۳۰
والروح الإنسانية هی التی يجب إعمارها وإصلاح الخلل فيها من خلال سلوك سبيل التقوى والإصغاء إلى المواعظ، لأننا نعلم أنّ الإنسان يملك ثلاث نفوس، وأحياناً أربع نفوس، النفس النباتية والتی تظهر آثارها فی نموّ الجسم والتغذية وتوليد النسل، النفس الحيوانية، التی تتولى، مضافاً لما سبق، الإحساس والحركة، فالأظافر وشعر الإنسان تملك روحاً نباتية فقط، ولهذا السبب لا يشعر بها الإنسان عندما تقطع فی عملية تقليم الأظافر وقصّ الشعر، ولكن اللحم والعضلات- مضافاً إلى أنّها تملك روحاً نباتية، فلها روح حيوانية أيضاً، فأدنى ضرر أو أذى يلحق بالإنسان تحسّ به هذه العضلات وتتألم، أمّا النفس الإنسانية، فإنّ أثرها البارز هو الإدراك والشعور والخلاقيّة والتفسير والتحليل للمسائل المختلفة، وهی حقيقة يملكها الإنسان مضافاً للنفس النباتية والحيوانية، وطبعاً هناك بعض الأشخاص الذين يملكون نفساً رابعة أيضاً وهی التی يطلق عليها بالنفس القدسية، وهذه تدرك الحقائق المجرّدة التی يعجز عن إدراكها الأفراد العاديون (أحياناً تطلق روح القدس على جبرئيل، وأحياناً أخرى على ملك أعظم منه) وقد ورد التعبير عنها فی بعض الروايات (روح الإيمان) ولعلّ ذلك إشارة إلى هذه المرتبة العالية للنفس الإنسانية.
وجاء فی حديث شريف عن النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إذا زَنَى الرَّجُلُ فارَقَهُ رُوحُ الإيمانِ»[۵۶۰]، إلّاأن يتوب ويتحرّك على مستوى جبران الخلل.
وجاء فی بعض الروايات أنّ روح القدس أعلى مرتبة من روح الإيمان وقد جاءت الأرواح الخمسة فيها[۵۶۱].
الروح الإنسانية أحياناً تكون بدرجة من القوّة والنفوذ بحيث تنير كافّة زوايا الإنسان وأبعاد شخصيته، وأحياناً أخرى تكون إلى درجة من الضعف بحيث يقال عنها أنّها ميّتة.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۱

یقول الإمام الحسن المجتبی علیه السلام: «التَّفَکُّرُ حَیاةُ قَلْبِ الْبَصِیرِ»[۵۶۲]. وفی حدیث آخر عنه علیه السلام یقول: «عَلَیْکُمْ بِالْفِکْرِ فَإِنَّهُ حَیاةُ قَلْبِ الْبَصِیرِ وَمَفاتِیحُ أَبْوابِ الحِکْمَةِ»[۵۶۳].

وفی مقابل ذلک ورد عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «أَرْبَعٌ یُمِتْنَ الْقَلْبَ: الذَّنْبُ عَلَی الذَّنْبِ وَکَثْرَةُ مُنَاقَشَةِ النِّساءِ- یَعْنِی مُحادَثَتَهُنَّ- وَمُمَارَاةُ الْأَحْمَق ... وَمُجَالَسَةُ الْمَوْتی، فَقِیلَ لَهُ: یا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمَوْتی؟ قَالَ کُلُّ غَنِیٍّ مُتْرَفٍ»[۵۶۴].

وکذلک ورد فی الروایات عن الإمام أمیرالمؤمنین علیّ علیه السلام أنّه قال: «لِقاءُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِمارَةُ الْقُلُوبِ وَمُسْتَفادُ الْحِکْمَةِ»[۵۶۵].

وفی روایة أخری یقول علیه السلام: «عِمارَةُ الْقُلُوبِ فی مُعاشَرَةِ ذَوِی الْعُقُولِ»[۵۶۶].

ومن المعلوم، کما ورد فی الروایات أعلاه، أنّ قلب الإنسان أحیاناً یکون بشکل خربة أو یکون سقیماً، وأحیاناً أخری یفقد جمیع ملامح الإنسانیة وقد یکون أقرب إلی الموت منه إلی الحیاة، والإمام علیه السلام فی وصیته مورد البحث یوصی الإنسان بإحیاء قلبه وعمرانه والعمل علی تعمیره وتقویة معنویته، وذکر اللَّه عامل أساس لإحیاء القلب والموعظة بدورها وسیلة وأداة لهذا الإحیاء المعنویّ.

## ۲. الوعّاظ الکثیرون

عندما یدور الحدیث عن الواعظ فسوف یتبادر إلی الذهن من هذه الکلمة الإنسان المجرّب والحکیم والمتّقی والسالک سبیل الخیر والإیمان، الذی استفاده من آیات القرآن الکریم وروایات المعصومین علیهم السلام وتجارب الآخرین ومطالعاته فی زیادة الوعی بحقائق العالم وکیفیة السیر فی طریق معنویات والقیم، فی حین أنّ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۲

الروایات الشریفة تذکر وعّاظاً آخرین إلی جانب ذلک، ومنهم الحوادث المُرّة والمصائب الألیمة التی تصیب الإنسان فی الدنیا، وهو ما یشیر إلیه الإمام علیه السلام فی قوله: «أَحْیِ قَلْبَکَ بِالْمَوْعِظَةِ».

والواعظ الآخر للإنسان یتمثّل فی تاریخ القدماء وسیرة الأقوام الماضیة وأطلال القصور والقبور المندرسة والدیار المتروکة، والتی تتحدّث مع الإنسان بألف لسان وهی صامتة، والإمام علیه السلام بهذه العبارات یشیر إلی هذا الواعظ أیضاً.

الواعظ الآخر الذی یتحدّث عنه الإمام علیه السلام فی نهج‌البلاغة فی (الخطبة ۱۸۸) أجساد الموتی ویقول: «فَکَفَی وَاعِظاً بِمَوْتَی عَایَنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَی قُبُورِهِمْ غَیْرَ رَاکِبِینَ»[۵۶۷].

وقد نستوحی من کلمات أمیرالمؤمنین علیه السلام وعّاظاً آخرین یعبّر عنهم بالواعظ الباطنی، یعنی الوجدان الیقظ والضمیر الحیّ فی واقع الإنسان وقلبه، یقول: «وَمَنْ کَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ کَانَ عَلَیْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ»[۵۶۸]، وهذا الواعظ النفسانی هو ما ورد فی القرآن الکریم فی سورة الشمس، قال تعالی «وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها»[۵۶۹].

الواعظ الآخر هو ما بیّنه الإمام موسی الکاظم علیه السلام لهارون الرشید عندما طلب هذا الأخیر من الإمام علیه السلام موعظة، فقال له الإمام علیه السلام کلاماً وجیزاً وعمیق الغور: «ما مِنْ شَیْءٍ تَراهُ عَیْنَیْکِ إلّاوَفیهِ مَوْعِظَةٌ»[۵۷۰].

یعنی أنّ النجوم المتلألئة فی السماء، والشمس والمضیئة، والقمر المنیر، والظهر المحدودب للمسنین، الشعر الأبیض للشیوخ، أوراق الشجر الیابسة فی فصل الخریف، والقبور المندرسة للموتی، والقصور المتهاویة للملوک، کلّها تتضمّن دروساً

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۳

وعبراً، وتنطق بالمواعظ فی سکوتها المطبق.

فلو أنّ هارون نظر إلی الحوادث المثیرة والتقلّبات المذهلة فی تاریخ بنی‌امیة وبنی العباس، فسوف یستوحی منها أفضل الدروس وأعظم العبر.

ومن هذا المنطلق یکون کلام الإمام علیه السلام فی هذه الوصیّة: «أَحْیِ قَلْبَکَ بِالْمَوْعِظَةِ» یتضمّن مفهوماً واسعاً بحیث یستوعب جمیع عناصر الوعظ وکافّة الوعّاظ.

یقول أبوالفرج الاصفهانی فی کتاب الأغانی: کانت الخرقاء بنت النعمان إذا خرجت إلی بِیعَتِها (محلّ العبادة) یفرش لها الطریق بالحریر والدیباج المغشّی بالخزّ والوشی، ثمّ تقبل فی جواریها حتّی تصل إلی بِیعَتِها، وترجع إلی منزلها، فلمّا هلک النعمان نکبها الزمان، فأنزلها من الرفعة إلی الذلّة، فلمّا وفد سعد القادسیة أمیراً علیها وانهزم الفرس وقتل رستم، أتته فی حفدةٍ من قومها وجواریها علیهنّ المسوح والمقطّعات السود تطلب صِلته، فقال لهنّ: أیتکنّ الخرقاء؟ قال: ها أنا ذی إنّ الدنیا دار زوال ولا تدوم علی حال، کنّا ملوک هذا المصر یُجبی لنا خراجه ویطیعنا أهله مدی المدّة والزمان، کذلک الدهر لیس یأتی قوماً بمسرّة إلّاویعقبهم بحسرة ثمّ قالت:

فبینا نَسوس الناس والأمر أمرُناإذا نحنُ فیهم سوقةً لیس تعرف

فافٍّ لدنیا لا یدوم نعیمهاتقلّب تارات بنا وتصرّف [۵۷۱]

وکذلک ینقل عن محمد بن عبدالرحمن الهاشمی قال: دخلت علی امّی یوم أضحیً وعندها امرأة فی أثواب دنسة، فقالت: أتعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هی عنابة ام جعفر البرمکی، فسلّمت علیها وقلت لها: حدثینی ببعض أمرکم، فقالت:

أذکر لک جملة فیها عبرة لمن اعتبر، لقد هجم علیَّ مثل هذا الیوم وعلی رأسی أربعمائة وصیفة وأنا أزعم أنّ ابنی جعفر عاقّ فیَّ، وقد أتیتکم الیوم أسألکم جلدَی شاتین، شِعار ودثار[۵۷۲].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۴

أَینَ کِسری المُلوکُ أنُوشِروان، أم أینَ قَبلَهُ شَابُورُ؟

وَأخُو الحِضرِ إذ بَناهُ وَإذدجلةُ تُجبی إلیهِ والخابُورُ

شَادَهُ مَرمَراً وَجَلّلهُ کَاساً وَللطّیرِ فِی ذراهُ وکُورُ

وَتفکّر ربّ الخَورنقِ إذأَشرَفَ یَوماً وَللهدی تَفکِیرُ

سَرّهُ مُلکُهُ وکثرة ما یَملِکُهُ وَالبَحرُ معرضاً والسَّدیرُ

فارعوی قَلبهُ وقال: وَمَاغِبطة حیّ إلی المَماتِ یَصِیرُ؟

وَبَنُوا الأصفرِ الکرام مُلوک الأرضِ لَم یبقَ مِنهُم مَذکُورُ

ثُمَّ أضحَوا کأنّهُم ورق جفّفألوت بِهِ الصّبا والدّبورُ[۵۷۳]

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۳۵

## القسم الخامس

### اشارة

فَأَصْلِحْ مَثْوَاکَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَکَ بِدُنْیَاکَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِیمَا لَاتَعْرِفُ، الْخِطَابَ فِیمَا لَمْ تُکَلَّفْ. وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِیقٍ إذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْکَفَّ عِنْدَ حَیْرَةِ الضَّلَالِ خَیْرٌ مِنْ رُکُوبِ الْأَهْوَالِ. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَکُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْکِرِ الْمُنْکَرَ بِیَدِکَ وَلِسَانِکَ، وَبَایِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِکَ، وَجَاهِدْ فِی اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْکَ فِی اللّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَیْثُ کَانَ، وَتَفَقَّهْ فِی الدِّینِ، وَعَوِّدْ نَفْسَکَ

التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ.

## الشرح والتفسير: الاستقامة سبب تحقيق النصر والنجاح

يتحرّک الإمام عليه السلام فی مستهلّ هذا المقطع من الوصية ليستنتج ممّا تقدّم فی المقطع السابق من التوصية بمطالعة أحوال القدماء والسير فی آفاق التاريخ، خمس نتائج ومواعظ مهمّة، ويقول: «فَأَصْلِحْ مَثْوَاکَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَکَ بِدُنْيَاکَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُکَلَّفْ وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْکَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُکُوبِ الْأَهْوَالِ».

جملة «أَصْلِحْ مَثْوَاکَ مع الالتفات إلى أنّ «مَثْوى تعنی المکان والمنزل والأخير، أی آخرتک، فهی تشير إلى أنّک يجب عليک أن تتحرّک فی هذه الدنيا من موقع النظر إلى الآخرة والاهتمام بإعمارها.

ونقرأ فی دعاء يوم الثلاثاء من أدعية أيّام الاسبوع للإمام علیّ بن الحسين عليهما السلام:

«وَأَصْلِحْ لِی آخِرَتی فَإِنَّهَا دَارُ مَقَرِّی .

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۳۶

وجملة: «لَا تَبِعْ آخِرَتَکَ بِدُنْيَاکَ إشارة إلى أنّ المتاع الثمين الذی يوصل الإنسان إلى دار السعادة الأبدية لا ينبغی أن تبيعه مقابل ملذّات رخيصة وسريعة الزوال فی الدنيا، وهذا هو ما ذمّ عليه القرآن الکريم جماعة من اليهود وشجب أعمالهم حيث قال: «أُولئِکَ الَّذينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ»[۵۷۴].

وجملة: «دَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَاتَعْرِفُ إشارة إلى أنّ الإنسان قد يتحدّث عن أمور لا يحيط بها علماً، وقد نهى القرآن الکريم عن هذا العمل مراراً، منه قوله تعالى: «وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ»[۵۷۵] وفی مورد اتباع وساوس الشيطان يقول: «إِنَّما يَأْمُرُکُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»[۵۷۶].

وعبارة: «وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُکَلَّفْ إشارة إلى أنّ لا ينبغی لک أن تتدخل فيما لا يخصّک ولا يعنيک، وبالتعبير المتداول (لا تکن فضولياً فی شؤون الآخرين) فما أکثر الأشخاص الذين واجهوا بسبب تدخّلهم فی شؤون الآخرين وفيما لا يعنيهم، مشاکل کثيرة وتورّطوا فی صراعات وخسروا الکثير ممّا يهمهم، وهذا هو ما أکّد عليه القرآن الکريم: «عَلَيْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا يَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم»[۵۷۷].

وآخر جملة: «وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِيقٍ ...» إشارة لضرورة رعاية الاحتياط فی الشبهات، وهذا المعنى يعتبر أصلًا عقلائياً مسلّماً، فعندما يجد الإنسان نفسه فی مفترق طريقين، طريق يتميز بوضوح، خالی من العثرات والمطبّات، وطريق مظلم ومجهول، فالعقل يقول: لا ينبغی أن تسلک فی مثل هذا الطريق، لأنّک سوف تبتلی بعواقب سيئة، وحتّى لو وصلت لمقصدک من هذا الطريق، فإنّ مصيرک محفوف بالخوف والاضطراب، فينبغی للإنسان أن يسير بخطوات مطمئنة فی الطريق الواضح

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۳۷

وبحالة من الطمأنينة ليصل إلى مقصده وينال بغيته.

وهذا الأصل العقلائی ورد فی روايات کثيرة، منها ما وردت الإشارة إليه فی حديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «دَعْ مَا يُرِيبُکَ إِلَى مَا لَايُرِيبُکَ»[۵۷۸] وحديث طويل عن عمر بن حنظلة قال: سألت أباعبداللَّه الصادق عليه السلام: عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة

...

إلى أن قال عليه السلام: «إِنَّما الأُمورُ ثَلاثَةٌ: أمْرٌ بَيِّنٌ رُشْدُهُ فَيُتَّبَعُ، وأمْرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَيُجْتَنَبُ، وأمْرٌ مُشْکِلٌ يُرَدُّ عِلْمُه إلى اللَّهِ وإلى رَسولِه، قال رسولُ اللَّه صلى الله عليه و آله: حَلالٌ بَيِّنٌ وحَرامٌ بَيِّنٌ وشُبهاتٌ بَينَ ذلِک، فَمَنْ تَرَکَ الشُّبُهاتِ نَجا مِنَ المُحَرِّماتِ وَمَنْ أَخَذَ الشُّبُهاتِ ارْتَکَبَ المُحَرَّماتِ وهَلَکَ مِن حَيثُ لا يَعْلَم»[۵۷۹].

وبديهىّ أنّ كلّ هذه التوصيات والأوامر لا تتنافى مع مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإرشاد الجاهل، بل ترتبط بالموارد التى لا يملك الإنسان مسؤولية تجاهها، ولذلك يقول الإمام عليه السلام بعد هذه التوصيات: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ».

الجملةالاولى: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ إشارة إلى أنّ الإنسان عندما يأمر الآخرين بالمعروف ولا يكون من أهله فسوف يعيش تأنيب الضمير ويشعر بالخجل أمام وجدانه، أضف إلى ذلك أنّه يخجل من الناس عندما يقولون إنّه يأمر بالمعروف فى حين أنّه يرتكب المنكر، ومجموع هذه الأمور يقود الإنسان من خلال الأمر بالمعروف إلى مرتبة أخلاقية بحيث يجد نفسه تدريجيّاً يسير فى خطّ العاملين بالمعروف الذين يعيشون أجواء الفضيلة.

وجملة: «وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ ...» إشارة إلى مراتب النهى عن المنكر، وقد ذكر الإمام عليه السلام هنا مرتبتين لهذه المهمّة، جاء فى مورد آخر من كلمات الإمام عليه السلام القصار الإشارة إلى ثلاث مراحل ومراتب لها: الاولى: الإنكار بالقلب، والامتعاض الباطنى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۳۸

من المنكر، وذلك عندما يجد المؤمن نفسه فى مناخ غير مناسب ويعيش القهر والظلم من قِبل الظالمين وقوى الشرّ، فيجد يديه مقيّدة وفمه مكتوم.

المرحلة الثانية: الإنكار باللسان.

والمرحلة الثالثة: التصدّى العملىّ لمواجهة المنكرات والعمل على تطهير الإنسان والمجتمع منها، والكثير من الفقهاء يرون أنّ هذه المرحلة من وظائف الحكومة الإسلاميّة والحاكم الشرعىّ، بينما المرحلةالاولى والثانية تقع على عهدة عامّة المكلّفين.

وجملة: «وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ» ممكن أن تكون إشارة إلى المورد لا يؤثّر فيه النهى عن المنكر، ففى مثل هذا المورد يجب على الإنسان أن يترك مجالس المنكر ويبتعد عن المرتكبين للمعاصى والمنكرات.

ويحتمل أيضاً أنّ المراد النهى القلبىّ الذى يترك آثاره على ملامح الوجه، وهو أحد المراحل الثلاث للنهى عن المنكر، وقد ورد فى حديث عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِى بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ»[۵۸۰]، ليعلموا من ملامح الغضب المرتسمة على وجوهنا أنّنا ننكر أعمالهم ولا نوافقهم فى سلوكياتهم.

ثمّ يستمرّ الإمام عليه السلام فى بيان هذه التوصيات والمواعظ ويقول: «وَجَاهِدْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِى اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَخُضِ ۵۸۱] الْغَمَرَاتِ ۵۸۲] لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ».

ونعلم أنّ للجهاد مراحل ومراتب متعدّدة، سواءً كان المقصود الجهاد المسلّح ضدّ الأعداء، أو بمعنى السعى وبذل الجهد فى مسير الحقّ والعدالة، وبعض هذه المراحل لا تليق بالمجاهدين الحقيقيين، اللائق هم أن يحقّقوا فى واقعهم وذواتهم آخر

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۳۹

مرحلة وأعلى مرتبة من هذا السلوك المعنوى، ويبذلوا كلّ جهدهم وطاقتهم فى سبيل الثبات والاستقامة فى خطّ الإيمان والعبودية، وجملة: «جَاهِدْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» إشارة إلى هذا المعنى.

أمّا جملة: «وَلَا تَأْخُذْكَ فِى اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ» فهى إشارة إلى أنّه أحياناً يلتّف بعض الأراذل حول الإنسان المجاهد ويلومونه على مسلكه ويعيقون حركته فى طريق الحق، والإيمان، فالإمام عليه السلام يقول: لا ينبغى أن يكون هذا الذمّ والتوبيخ مانعاً لك من الاستقامة فى هذا الطريق، فعندما يتبيّن لك طريق الحقّ فسر فيه بعزم راسخ وتوكّل على اللَّه، ولا تهتمّ لأقاويل المبطلين، ولا تلتفت للوم اللائمين.

وبما أنّ طريق الحقّ يزخر بالمشكلات الكثيرة والمآزق الخطيرة، وأنّ السالكين فى طريق الحقّ لا يصلون إلى مقصدهم بدون مواجهة هذه الأزمات والمآزق، فالإمام عليه السلام يشبّه هذه المشاكل والمآزق بأمواج البحر العاتية «وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ» ويأمر بخوض هذه الغمرات وعدم التراجع عن هذه الأمواج للوصول إلى المطلوب ونيل الجواهر الحقيقية.

وهـذا الكلام للإمام علىّ عليه السلام مقتبس من الآيات القرآنيـة الشريفة، فنقرأ فى الآية ۷۸ من سورة الحج: «وَجاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ» وفى الآية ۵۴ من سورة المائدة:

«یُجاهِدُونَ فِی سَبیلِ اللَّهِ وَلا یَخافُونَ لَوْمَةَ لائِم».

وذهب الكثير من المفسّرين أنّ «حقّ الجهاد» تعنى إخلاص النيّة، ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ هذا المفهوم لا ينحصر بإخلاص النيّة، بل مراده أنّ أصعب مراحل الجهاد وهو جهاد النفس يتطلّب إخلاص النيّة.

وفى ختام هذه الفقرة يطرح الإمام عليه السلام نصيحتين مهمّتين أيضاً لولده، فيقول: «وَتَفَقَّهْ فِی‌الدِّینِ، وَعَوِّدْ نَفْسَکَ التَّصَبُّرَ[۵۸۳] عَلَی الْمَکْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۴۰

ومع الالتفات إلى أنّ «تفقّه من مادة «فقه يعنى الفهم والإدراک، فمقصود الإمام عليه السلام من هذه الجملة «وَتَفَقَّهْ فِی الدِّینِ أنّه لابدّ من الوعى الكامل لحقائق الدين ومعرفة أصوله وفروعه من موقع العمق والتمعّن ولا تقنع بالفهم السطحى لقضايا الدين، بل عليك التعمّق فى هذه الأمور.

وجملة: «عَوِّدْ نَفْسَکَ ...» إشارة إلى أنّ الصبر والاستقامة فى مقابل المشكلات والتحدّيات لا تتوفّر للإنسان إلّامن خلال التمرّن وتعويد النفس على الثبات فى مواجهة الشدائد، فينبغى عليك أن تمرّن نفسك على الثبات والصبر حتّى يضحى لديك عادة وملكة راسخة.

وعبارة: «نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ» إشارة إلى أنّ كلّ عمل جيّد ومطلوب يواجه عادة موانع ومشاكل مختلفة، فلو لم يتمسّك الإنسان بآليّة الصبر والاستقامة على الحقّ، فلا يستطيع أن يصل إلى نتيجة مرضية من أىّ عمل إيجابىّ، فقطف الورد لا يتيسّر بدون تحمّل ألم الشوك، والحصول على العسل من خلية النحل يقترن غالباً بلسعات الزنابير، فلو لم يستقم الإنسان فى خطّ الحقّ والإيمان مقابل المشاكل والتحدّيات الصعبة التى يفرضها الواقع، فسوف لا يصل إلى أىّ هدف مقدّس فى حركة الحياة.

ومن المناسب هنا أن نستعرض بعض أشعار أبى الأسود الدؤلى فى هذا الصدد، يقول:

تَعَوَّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حَتّی أَلِفْتُهُوَأَسْلَمَنی طُولُ الْبَلاءِ إِلَی الصَّبْرِ

وَ وَسَّعَ صَدْری لِلْأَذی کَثْرَةُ الْأَذیوَکانَ قَدیماً قَدْ یَضیقُ بِهِ صَدْری

إذا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ کُلَّ ماأُلاقیهِ مِنْهُ طالَ عَتْبی عَلَی الدَّهْرِ[۵۸۴]

## تأمّلان

### ۱. رعاية الاحتياط عند الإحساس بالخطر

يعدّ الاحتياط فى موارد الشك، أحد الأُصول المسلّمة فى مذهبنا، وأحياناً يكون الاحتياط واجباً فى بعض الموارد، وأخرى مستحبّاً.

وأصل الاحتياط يمتدّ بجذوره إلى حكم العقل، ويقرّر العلماء فى علم الأصول هذا الاحتياط بأنّه دفع الضرر والمحتمل، وهنا بحث فى وجوبه بشكل مطلق أو بتوفّر بعض القيود والشروط، فالعقل يحكم بضرورة اجتناب الأضرار المحتملة والابتعاد عنها، والملفت أنّ نفس هـذه المسألة وردت فى علم الكلام (العقائد) بوصـفها ركيزة أساسـية للتحقيق فى المسائل الدينية والمسائل العقائدية كالمبدأ والمعاد، وعلى هـذا الأساس يتمّ البحث عن مسألـة وجود اللّه ومعرفـة اللّه وأنّ ترك التحقيق فى هـذه المسائل ربّما تترتّب عليه أضـرار عظيمة، ولهذا السبب يحكم العقل بضرورة أن يتحرّك الإنسان من موقع البحث والتحقيق فيها.

ولا يكتفى الإمام عليه السلام بمجرّد تقديم النصيحة بالاحتياط فى هذه الفقرة «وَأَمْسِکْ عَنْ طَرِیقٍ إِذا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ ..»، بل يتحرّك

على مستوى الاستدلال وبيان هذه النصيحة لولده بآليات الإقناع والبرهان ويقول: إنّ المسير فى طريق يخشى فيه من الوقوع فى مهاوى الضلاله، وربّما يقود الإنسان نحو الحوادث المهولة والمخوفة؛ فينبغى اجتناب سلوك هذا الطريق، لأنّ التوقّى والكفّ فى مثل هذه الموارد أفضل من الوقوع فى دوّامة الحوادث الصعبة وركوب الأهوال الخطيرة.

وأساساً فإنّ الاحتياط، مع رعاية الاعتدال فيه وعدم الإفراط، يعتبر فى جميع الموارد المعنوية والمادية، عمل منطقىّ ومعقول.

## ٢. الطريق لنيل الفضائل الأخلاقية

جملة: «وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ إشارة إلى أصل أخلاقىّ مهمّ، وهو أنّ الأشخاص الذين لم يتلقّوا تربية أخلاقية مناسبة فى بداية أمرهم سيكون من

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٤٢

الصعب عليهم تقبّل الأصول والقيم الأخلاقية، وينبغى لهم أن يمارسوا فرض هذه القيم على النفس بآلية التكرار والتمرّن على ذلك، وهذا الفعل المتكرّر، من شأنه أن يتسبّب فى صيرورة ذلك الأمر الأخلاقىّ عادة مستديمة، والاستمرار على هذه العادة يجعل منها ملكة نفسانية راسخة فى واقع الإنسان، يعنى أنّ هذا الخلق سينفذ تدريجياً إلى أعماق روح الإنسان بحيث تشهد تحوّلًا فى السلوك الأخلاقىّ.

وقد ورد فى كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام فى كتاب غررالحكم: «الخَيْرُ عَادَةٌ» وأيضاً «العَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ ، وهذه الكلمات إشارة إلى هذا المعنى مورد البحث.

أمّا الفرق بين التصبّر والصبر، فهو أنّ الشخص الصابر هو واقعاً من أهل الصبر والاستقامة، أى يعيش هذه الملكة الراسخة، وأمّا التصبّر فيقال للشخص الذى لا يجد فى نفسه ملكة الصبر وليس من الصابرين، بل يدفع نفسه بهذا الاتّجاه.

وأساساً فالكثير من الفضائل الأخلاقية لا يحصل عليها الإنسان إلّابرياضة النفس والتعوّد والتمرّن، وبما أنّ الصبر والاستقامة ومواجهة التحدّيات الصعبة يعتبر رأس مال جميع النجاحات فى الحياة، وطبقاً لما ورد فى بعض الروايات أنّ الصبر بالنسبة للإيمان كالرأس من الجسد، فلابدّ للإنسان من السعى الجادّ لتحصيل هذه الملكة والفضيلة السامية، وكما يقول الشاعر:

صَبراً لِما تُحدِثُ الأيّام مِن حَدثٍفَالدَّهرُ فِى جَورِهِ جارٍ عَلَى سُنَنِ

الصَّبرُ أَجمَلُ ثَوبٍ أنتَ لابِسهُلنازلٍ والتَّعزِّى أَحسنُ السُنَنِ

وَهَوِّنِ الوَجدَ إنّى لا أرى أحَداًبِفرقَةِ الإلفِ يَوماً غَير مُمتَحنِ [٥٨٥

وممّا ينسب لإميرالمؤمنين عليه السلام:

ألا فاصبِر عَلَى الحَدثِ الجَليلِوَداوِ جَواكَ بالصّبرِ الجَميلِ

وَلا تَيأس فإنّ اليأسَ كُفرٌلَعلَّ اللَّهَ يُغنى مِن قليلِ

وإنّ العُسرَ يَتبعُهُ يَسارٌوَقَولُ اللَّهِ أصدقُ كُلّ قيلِ [٥٨٦

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٤٣

## القسم السادس

### اشارة

وَأَلْجِئْ نَفْسَکَ فِی أُمُورِکَ کُلِّهَا إِلَی إِلهِکَ، فَإِنَّکَ تُلْجِئُهَا إِلَی کَهْفٍ حَرِیزٍ، ومَانِعٍ عَزِیزٍ. وَأَخْلِصْ فِی الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّکَ، فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، أَکْثِرِ الاسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِیَّتِی، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْکَ صَفْحاً، فَإِنَّ خَیْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَاخَیْرَ فِی عِلْمٍ لَایَنْفَعُ، وَلَا یُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَایَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

### الشرح والتفسیر: لا تساهل فی هذه الوصیّة

وینطلق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیة (القسم السادس) لبیان خمس توصیات مهمّة لولده وثمرة فؤاده.

بدایة یطرح مسألة التوکّل علی اللّه ویقول: «وَأَلْجِئْ [۵۸۷] نَفْسَکَ فِی أُمُورِکَ کُلِّهَا إِلَی إِلهِکَ، فَإِنَّکَ تُلْجِئُهَا إِلَی کَهْفٍ [۵۸۸] حَرِیزٍ[۵۸۹]، وَمَانِعٍ عَزِیزٍ».

إنّ التوکّل ولید الإیمان بالتوحید الأفعالی، فعندما یعتقد الإنسان أنّ جمیع الأمور فی العالم بید اللّه تعالی، ویؤمن بأنّ اللّه مسبّب الأسباب، فمن الطبیعی أن یلتجیء إلیه فی جمیع مشاکله وحاجاته، وتسکن إلیه نفسه ویری فیه ملاذاً آمناً لما یواجهه فی واقع الحیاة من أزمات وتحدّیات.

والتوکّل لا یعنی التکاسل وأن یترک الإنسان السعی والعمل ویجلس بأمل لطف



اللّه ورزقه، بل بمعنی أن یستخدم الإنسان جمیع طاقاته وقدراته فی سبیل الوصول إلی أغراضه، ویتحرّک علی مستوی إزاحة الموانع وحلّ المشکلات، ولکن بما أنّ بعض هذه المشاکل والأزمات ربّما یکون حلّها خارج طاقة الإنسان وفوق قدرته وإمکاناته، فإنّه یلتجیء إلی لطف اللّه تعالی ورحمته الواسعة ویلوذ بقدرته المطلقة لیتسنّی له السیطرة علی تلک المشاکل.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی مسألة الإخلاص ویقول: «وَأَخْلِصْ فِی الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّکَ، فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ».

الإخلاص بدوره یعدّ من ثمرات الإیمان بالتوحید الأفعالی أیضاً، لأنّ الإنسان عندما یعلم یقیناً بأنّه: «لا مُؤَثِّرَ فی الْوُجُودِ إِلَّا اللّهُ فیکون حینئذٍ الرزق والحرمان بید اللّه تعالی، وعندما یؤمن بهذا الأمر من موقع الاطمئنان القلبی فسوف لا یطلب شیئاً من غیره، ویتوجّه إلیه بإخلاص وصفاء نیّة ویسأله حاجاته، ومن هنا فقد ورد فی الروایات الشریفة أنّ المرائین مشرکون، یقول الإمام الصادق علیه السلام: «کُلُّ رِیَاءٍ شِرْکٌ إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِلنَّاسِ کَانَ ثَوَابُهُ عَلَی النَّاسِ وَمَنْ عَمِلَ لِلّهِ کَانَ ثَوَابُهُ عَلَی اللّهِ»[۵۹۰].

وتشیر هذه الجملة ضمناً إلی هذه الحقیقة، وهی أنّ الإنسان لا ینبغی له أن یطلب حاجاته إلّامن الباری تعالی، وإن توجّه لغیر اللّه فی بعض الحاجات طبقاً لما یفرضه عالم الطبیعة من أسباب وعلل مادیة وطبیعیة، فیجب أن یعلم أیضاً بأنّ المؤثر الحقیقی هو اللّه تعالی، وأنّ إرادته غالبة علی کلّ شیء، وأنّ مشیئته مهیمنة علی مشیئة عباده، فجملة «فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ»، تقرّر هذه الحقیقة الغیبیة.

وفی التوصیة الثالثة یقول الإمام علیه السلام: «وَأَکْثِرِ الاسْتِخَارَةَ»، أی اطلب من اللّه الخیر والصلاح فی الحیاة.

وللاستخارة معنیان: أحدهما الاستخارة المتداولة بین الناس فی هذه الأیّام، فکلّ مشکلة یواجهها الإنسان ولا یستطیع حلّها بقوّة عقله أو بواسطة التشاور مع



أهله ورفاقه، فإنّه یتوجّه إلی اللّه تعالی ویستشیره فی هذا الأمر، فالاستخارة هنا نوع من المشورة مع اللّه تعالی، والمعنی الآخر للاستخارة أن یطلب الإنسان من اللّه تعالی الخیر والصلاح فی کلّ عمل یقدم علیه، یعنی أن یجعل اللّه تعالی حاکماً علی مصیره، فیتحرّک فی حیاته من أجل الکسب والتجارة والزراعة وما إلی ذلک ولکنّ لسان حاله یقول: (أَسْتَخِیرُ اللّهَ بِرَحْمَتِهِ)، یعنی أطلب من اللّه الخیر والبرکة والرحمة، وهذا النوع من الاستخارة ورد التأکید علیه کثیراً فی الروایات الشریفة، منها ما ورد عن الإمام الصادق علیه

السلام: «مَا اسْتَخَارَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا خَارَ لَهُ»[۵۹۱].

ثمّ يوصى الإمام عليه السلام ولده بأن يتعمّق فى فهم هذه الوصايا والنصائح، ولا يمرّ عليها مرور الكرام أو يتعامل معها بسطحيّة وتساهل، ويقول: «وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِى، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً[۵۹۲]».

ثمّ يقدّم الدليل لتأييد هذه الحقيقة، ويقسّم العلوم والمعارف إلى ثلاثة أقسام يقول: «فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَاخَيْرَ فِى عِلْمٍ لَايَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ».

فالعلوم النافعة هى العلوم التى تعين الإنسان فى مسيرته المعنوية والقرب إلى اللّه، سواءً كانت فى مجال العقائد أو العبادات أو الأخلاق وما شاكل ذلك، وبذلك تحقّق له حياة كريمة فى هذه الدنيا وتنقذه من الفقر الذى يعدّ عاملًا رئيسياً للكفر والضلالة والانحراف.

والعلوم غير النافعة هى العلوم التى لا يجد الإنسان فيها خير الدنيا ولا خير

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۴۶

الآخرة، وأحياناً يستخدمها الإنسان لقضاء الوقت أو اللهو والتفاخر، كما ورد فى الحديث المعروف عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: «دَخَلَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله المَسْجِدَ فإذا جَماعةٌ قد أطافوا بِرَجُلٍ، فقال: ماهذا؟ فقالوا: عَلّامَة. فقال: وما العَلّامَةُ؟ فقالوا له: أعلَمُ النّاسِ بأنْسابِ العَرَبِ ووَقائِعِها، وأيّامِ الجاهليّةِ، والأشْعارِ العَربيّةِ، قال:

فقالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله: ذَاكَ عِلْمٌ لَايَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ، ثمّ قال النَّبِىُّ صلى الله عليه و آله: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ»[۵۹۳].

وبديهىّ أنّ العلوم والمعارف التى يحتاج إليها الإنسان فى إعمار الدنيا وقضاء حاجاته الدنيوية، وتساهم فى نجاته من الفقر والمرض ومشكلاته الأخرى، تعتبر من العلوم المفيدة أيضاً، لأنّها فى الواقع بمثابة مقدّمة لتلك الطوائف الثلاث من العلوم النافعة.

والقسم الثالث من العلوم، العلوم المضرّة، من قبيل علم السحر والشعوذة والعلوم التى ترتبط بإنتاج الوسائل المحرّمة مثل الخمر والمخدّرات، وفى عالمنا المعاصر نرى أنّ هذه العلوم أكثر بكثير من الماضى، منها العلوم التى تساهم فى صناعة أسلحة الدمار الشامل كالقنابل الذرية والأسلحة الكيمياوية وأمثال ذلك، فتعلم مثل هذه العلوم وتعليمها حرام فى الإسلام، لأنّها تكون مقدّمة للحرام.

### تأمّل: العلوم النافعة وغير النافعة

لا شكّ أنّ العلم نور وضياء فى حياة الإنسان، ولكنّ هذا لا يعنى أنّ جميع العلوم مفيدة ومطلوبة.

وكما رأينا فى وصية الإمام عليه السلام مورد البحث أنّ الإمام قد قسّم العلوم إلى ثلاثة أقسام:

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۴۷

الأول: العلوم التى تنفع الإنسان فى حياته، وأحياناً تكون ذات بعد معنوىّ من قبيل العلوم والمعارف الدينية والأحكام الشرعية والأخلاق الإنسانية، وأحياناً ذات بعد مادّى مثل جميع العلوم التى يحتاج إليها الإنسان فى حياته الدنيوية ومعاشه، من قبيل علم الطبّ، الزراعة، العلوم الدفاعية، الصناعات الخفيفة والثقيلة، وما إلى ذلك، وأنّه لولا توفّر هذه العلوم والمعارف وما يترتّب على فقدانها من خلل فى حياة الإنسان الماديّة، فإنّ ذلك من شأنه أن يفرز مشاكل معنوية كثيرة، وعلى وضوء ذلك فإنّ مثل هذه العلوم تعتبر فى الإسلام واجباً كفائياً، يعنى يجب على كلّ جماعة أن يتوجّهوا لطلب بعض هذه العلوم لتأمين جميع حاجات المجتمع الإسلامى المادية، ولو لم يتوفّر فى فرع من فروع هذه العلوم مَن يتصدّى له بالمقدار الكافى، فسيكون الوجوب عينياً على الأفراد.

وفى هذا السياق لا ينبغى للمسلمين فى كلّ عصر وزمان، بخاصّة فى عصرنا هذا، أن يتخلّفوا عن الآخرين فى هذه العلوم، بل يجب أن يكونوا روّاداً للعلم والمعرفة كما كانوا كذلك فى القرون الاولى للإسلام.

الثانى: العلوم المضرّة، وهى العلوم التى يترتّب عليها تخريب النظام الاجتماعىّ وهدم سلامة المجتمع وإعاقة حركة المجتمع نحو

التطوّر والتقدّم والإزدهار، كالعلوم التى تنتج أسلحة الدمار الشامل وتستخدم لصناعة المخدّرات والخمور وأمثالها.

الثالث: العلوم الزائفة وغير المفيدة، أى أنّها غير مضرّة وغير نافعة، وقد ذكرنا نماذج منها فى شرح كلام الإمام عليه السلام.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۴۹

## القسم السابع

### اشارة

أىْ بُنَىَّ، إِنِّى لَمَّا رَأَيْتُنِى قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِى أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِى إِلَيْکَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِى أَجَلِى دُونَ أَنْ أُفْضِىَ إِلَيْکَ بِمَا فِى نَفْسِى، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِى رَأْيِى كَمَا نُقِصْتُ فِى جِسْمِى، أَوْ يَسْبِقَنِى إِلَيْکَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِىَ فِيهَا مِنْ شَىْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُکَ بِالْأَدَبِ قَبلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُکَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّکَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِکَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاکَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاکَ مِنْ ذَلِکَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَکَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

### الشرح والتفسير: الباعث لكتابة هذه الوصية

فى هذاالمقطع من الوصية وهو (المقطع السابع) ينطلق الإمام عليه السلام مرّة أخرى ليبيّن هدفه من كتابة هذه الوصية المطوّلة والزاخرة بالمواعظ النافعة، ويتألّف الهدف الذى يرسمه الإمام عليه السلام من قسمين، قسم يتمثّل فى وجود الإمام عليه السلام وإحساساته، وقسم آخر يتجسّد فى وجود الإمام الحسن عليه السلام، وخلاصة ما يريد الإمام عليه السلام قوله:

إنّنى بلغت سنّاً متقدمةً وربّما يكون قد حان أجلى، ولهذا السبب أقدمت على كتابة هذه الوصية لک، ومن جهة أخرى فأنت شابّ تملک الاستعداد لقبول الحقّ والإصغاء إلى المواعظ، وأخشى أن يتقدّم بک العمر وتفقد مثل هذا الاستعداد،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۵۰

ولهاتين الجهتين بادرت لكتابة هذه الوصية.

بداية يقول الإمام عليه السلام: «أىْ بُنَىَّ إِنِّى لَمَّا رَأَيْتُنِى قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِى أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِى إِلَيْکَ».

ومعلوم أنّ عمر الإمام عليه السلام فى ذلک الوقت كان قد بلغ ستّين سنة أو أكثر قليلًا من ذلک، وكان عمر الحسن عليه السلام أكثر من ثلاثين عاماً ويملک فى ذلک الوقت مشاعر الشباب وإحساسات الفتوّة، وهذا يعتبر درساً لجميع الآباء تجاه أبنائهم، فعندما يتقدّم بهم العمر وقبل أن يحلّ أجلهم، أو يتجاوز الأبناء مرحلة الشباب ويفقدوا الاستعداد لتقبّل النصيحة وتغيير المواقف والسلوكيات، فاللازم على الآباء أن يتقدّموا لهم بمثل هذه التوصيات.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتقدّم بتوضيح أكثر ويقول: «وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِى أَجَلِى دُونَ أَنْ أُفْضِىَ [۵۹۴] إِلَيْکَ بِمَا فِى نَفْسِى، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِى رَأْيِى كَمَا نُقِصْتُ فِى جِسْمِى، أَوْ يَسْبِقَنِى إِلَيْکَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ[۵۹۵]».

وهنا نرى الإمام عليه السلام يتحدّث، لا من موقع كونه إماماً معصوماً ولا أنّ مخاطبه بوصفه ابنه المعصوم، بل بوصفه أباً مسنّاً ومحبّاً

لولده الذى يخشى عليه أن يقع فى دوّامة الأهواء وفتن الدنيا ووساوس النفس، ويشير إلى أمرين، أحدهما يعود لنفسه، والآخر لولده، ويقول: إنّنى من جهة قد بلغ بى العمر سنّ الشيخوخة، وأخشى أن يحين أجلى وأفقد الحديث معك، ومن جهة أخرى أنّ التقدّم فى السنّ ربّما يضعف الذهن والفكر كما يضعف أعضاء البدن الأخرى، ومن جهة ثالثة، أخشى عليك الآفات المختلفة والوقوع فى شباك الشيطان والأهواء النفسانية ومغريات الدنيا،

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٥١

وحينئذٍ ستزول الفرصة للموعظة وتقديم النصح.

وعلى أساس هذه الجهات بادرت لكتابة هذه الوصيّة لأصل إلى الغاية المطلوبة قبل فوات الأوان.

والعجيب أنّ ابن أبى‌الحديد فى شرح عبارات هذه الوصية، وعندما يبلغ حديث الإمام عليه السلام عن نفسه يقول: «إنّ هذه العبارات تشير إلى خلاف ما يعتقده الشيعة الذين يقولون أنّ الإمام معصوم فى مثل هذه الأمور ولا- يواجه نقصاً فى فكره ولا قصوراً فى رأيه»[٥٩٦].

فى حين أنّ جميع القرائن، كما أسلفنا ذلك، تشير إلى أنّ الإمام عليه السلام عندما يتحدّث بمثل هذا الكلام فإنّه لا ينطلق من موقع الإمامة والعصمة، بل من موقع الأب المسنّ والخبير والمجرّب الذى يتقدّم بالنصح لولده الشابّ الذى لم يجرّب الأمور بعد.

ولو أنّ ابن أبى‌الحديد التفت إلى كلام آخر للإمام علىّ عليه السلام فى نهج‌البلاغة أيضاً حيث يقول: «فَاسْأَلُونِى قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِى فَوَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَاتَسْأَلُونِى عَنْ شَىْءٍ فِيمَا بَيْنَكُم وَبَيْنَ السَّاعَة»[٥٩٧]، فسوف يتبيّن له الجواب عن هذا التوّهم.

وأيضاً يقول الإمام عليه السلام فى كلام آخر فى الخطبة ١٨٩: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِى قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِى فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّى بِطُرُقِ‌الْأَرْضِ»، أجل، لو أنّ ابن أبى‌الحديد أخذ بنظر الحسبان هذا الكلام لأميرالمؤمنين عليه السلام لما تحدّث بمثل ذلك الكلام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن الدليل والعلّة لطرح هذه الوصايا لولده الشابّ، ويقول:

«وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِىَ فِيهَا مِنْ شَىْءٍ قَبِلَتْهُ».

وهذا الأمر قد ثبت بالتجربة مرّات عديدة، بل هناك رواية صارت كالمثل تقول:

«الْعِلْمُ فِى الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِى الْحَجَرِ»[٥٩٨] أى الخطّ والرسم الثابت والعميق الذى لا

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٤٥٢

يزول أو يتغيّر بسهولة. ثمّ تضيف الرواية: وَالتَّعَلُّمُ فِى الْكِبَرِ كَالْخَطِّ عَلَى الْماءِ»،[٥٩٩] فى سرعة زواله وتغييره.

ثم إنّ الإمام يقدّم دليلين آخرين ويقول: فَبَادَرْتُکَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُکَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّکَ».

والحقيقة أنّ الإمام بيّن ثلاثة أدلّة لاختياره لهذا الموقع والسنّ لتقديم النصح والموعظة، منها، استعداد قلب الشابّ لتقبّل المواعظ، وقساوة القلب بسبب عدم التلوّث بالذنوب وعدم اشتغال الذهن بمشاكل الحياة، وكلّ واحدة من هذه الجهات الثلاث كافٍ لوحده لاختيار هذا الوقت المحدّد، فكيف إذا اجتمعت هذه الجهات مع بعضها!

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِکَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ ٦٠٠] وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ».

ويشير الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من الكلام إلى أهمية الاستفادة من تجارب الآخرين، لأنّ الحياة ليست سوى تجارب، والإنسان العاقل بدلًا من أن يجرّب كلّ شىء بنفسه ويترتّب على ذلك أضرار ومشاكل كثيرة، فإنّه يستفيد من تجارب الآخرين ويتعلّم منهم ما يعينه فى مسيرته بدون أن يدفع ثمن هذه التجارب، وبعبارة أخرى، إنّ الأجيال اللاحقة من حيث انتفاعها بتجارب القدماء، تعيش أفضل حالًا منهم من حيث السعادة والخبرة فى مواجهة التحدّيات والظروف، فما اكتسبه القدماء بتعب وجهد كبير فإنّ الجيل اللاحق ينتفع منه بدون تعب، وكما يقول الإمام: «كُفِيتَ مَؤُنَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِيتَ مِنْ عَلاجِ التَّجْرِبَةِ».

ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى ختام هذه الفقرة من الوصية: «فَأَتَاکَ مِنْ ذَلِکَ مَا قَدْ كُنَّا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۵۳

نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَکَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ»، فحصلت عليه بدون أن تتعب نفسك فى تحصيله، بل ربّما كان قد خفى عنك بعض الأمور ولكن بمرور الزمان استبانت لك، وهو إشارة إلى أنّ تجارب القدماء أحياناً تقع بأيدى الجيل اللاحق بشكل كامل فينتفعون بصورة تامّة، وأحياناً يكون القدماء قد سلكوا بعض الطريق وعلى الخلف أن يكمل المسيرة، وقد يحصل على نتائج وثمار لم يحصل عليها القدماء.

وكما أشرنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الوصية لا يتحدّث من موقع الإمامة ومقام العصمة، بل بوصفه رجلًا مجرّباً وخبيراً بالأمور الدنيا وتعقيداتها وينقل هذه التجارب من موقع الحرقة والشفقة على ولده الذى يجده فى مواجهة التحديات الصعبة وأعاصير الحوادث والمتغيرات لينتفع من هذه التجارب، بل أحياناً يكون الأب قد سار بعض الطريق وحصل على بعض النتائج وعلى الابن إكمال هذه المسيرة والحصول على نتائج أفضل.

### تأمّل: معطيات التربية فى سنّ الشباب

إنّ تاريخ الأنبياء يشير إلى أنّ الشباب هم الشريحة الاجتماعية الاولى الذين آمنوا بالرسالة الإلهيّة وتحرّكوا من موقع الدفاع عنها والالتزام الواعى بتعاليمها، ويحدّثنا القرآن الكريم فى موارد عدّة عن قصّة نوح عليه السلام وإيمان الشباب به وإعراض المسنّين الأثرياء عنه وعن رسالته السماوية، وكذلك يدلّنا تاريخ الإسلام على أنّ المؤمنين بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كانوا فى الغالب من فئة الشباب.

والروايات الإسلاميّة تؤيّد هذه الحقيقة، فالإمام الصادق عليه السلام يقول لأحد أصحابه والذى توجّه إلى البصرة للدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام: «عَلَيْکَ بِالْأَحْدَاثِ فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ»[۶۰۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۵۴

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ»[۶۰۲].

وأيضاً ورد فى حديث آخر عنه عليه السلام أنّه قال: «بَادِرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ»[۶۰۳]، والمرجئة هم الذين لا يعتقدون بإمامة علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأنّه خليفة رسول اللّه صلى الله عليه و آله مباشرة.

ويستفاد من الفقرة الأخيرة من وصية الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة بوضوح تامّ.

والدليل على ذلك واضح، لأنّ قلب الشبّان من جهة نقىّ وخالٍ من أدران التلوّث بالعقائد الباطلة وحالات العناد والتعصّب، ولهذا السبب فهو كالأرض الصالحة للزراعة، الخالية من الأشواك والأعشاب الضارّة، فعندما يبذر فيها أىّ نوع من البذور، فإنّه ينمو بسرعة.

ومن جهة أخرى فإنّ الشاب قليل التعلّق بالأمور الدنيوية والماديّة، وقليل الانشغال بالأوهام والعناوين الزائفة التى من شأنها حجب القلب والعقل عن تقبّل الحقّ.

ومن جهة ثالثة فإنّ تعاليم الأنبياء وأحكام الدين الإلهىّ تتقاطع فى موارد كثيرة مع مطامع الشيوخ غيرالمشروعة، فهؤلاء غير مستعدّين للتنازل عن مطامعهم وطموحاتهم بسهولة، فى حين أنّ الشباب لا يعيشون هذه المشكلة ولا يواجهون هذا العائق.

يقول أحد الشعراء:

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحداثَ فى مُهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الْكِبرَةِ الْأَدَبُ

إِنَّ الْغُصُونَ إِذا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلينَ إِذا قَوَّمْتَهَا الْخُشُبُ [۶۰۴

***

## القسم الثامن

### اشارة

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ؛ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ.

### الشرح والتفسير: تجارب الآخرين وإطالة عمر اللاحقين

يشير الإمام عليه السلام فى مطلع هذه الفقرة من الوصيّة إلى نقطة فى غاية الأهمية، وهى ضرورة مطالعة ودراسة تاريخ القدماء وسيرة الأقوام السالفة فيما يصل إلينا من أخبارهم وأعمالهم ومن خلال ما تتركه لنا آثارهم (ولأطلال والقبور المندرسة والثروات الباقية و ...) ويقول: «أيْ بُنَيَّ، إنِّي وَإنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ؛ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ».

وهو إشارة إلى أنّ الحياة ليست سوى تجربة، فلو أنّ المرء انتفع من تجارب الآخرين وتدبّر فى أعمالهم والنتائج المترتّبة عليها، ونظر بعين العبرة إلى آثارهم وما بقى منهم فى مطاوى التاريخ، فإنّه سيعيش طيلة عمره وكأنّه عاش مع جميع

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۵۶

الأقوام والمجتمعات البشرية على امتداد التاريخ، منذ أن خلق اللّه آدم عليه السلام ولحدّ الآن.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام، لقد تدبّرت فى جميع أخبارهم وآثارهم، واخترت منها الصفوة، وعرفت النافع من الضارّ، والحسن من السيّء: «فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ ۶۰۵] وَتَوَخَّيْتُ ۶۰۶] لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ».

إشارة إلى أنّ مطالعة آثار القدماء والسير فى ثنايا تاريخهم وآثارهم لا يكفى فى التعلّم والاعتبار، بل ينبغى أن يكون الإنسان كالصرّاف الذى يستخلص من كلّ أمر الجيّد منه ويميّز بين الغثّ والسمين، والحسن والردىء ويلقى بالسيّء والردىء جانباً، وينتفع من الحسن والجيّد، فيقول الإمام عليه السلام: وقد اخترت لك الجميل من أعمالهم وصرفت عنك الردىء وألقيت به بعيداً.

وفى ختام هذه الفقرة من الوصيّة يبيّن الإمام عليه السلام الباعث له على هذه الوصية مرّة أخرى بقوله: «وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ ۶۰۷] الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ».

وهذا إشارة إلى أنّنى عندما أتعبت نفسى فى جمع تجارب القدماء وما تحدّث به التاريخ عن الامم السابقة، فقد استخلصت لك منها هذه المواعظ، والباعث لذلك أمران: الأوّل: أنّنى والدك الشفيق والمحبّ لك والطالب لسعادتك، والآخر: أنّك

نفحات الولاية، ج٩، ص: ۴۵۷

شابّ وتعيش فى بداية العمر وتملك قلباً نقيّاً وروحاً طاهرة، فهذان الأمران يبرّران ما أتعبت نفسى من أجلك وييسّران كلّ عسير من أجل سعادتك وراحتك.

والواقع أنّ الإمام عليه السلام بهذا الكلام يعلّم جميع الآباء والمحبّين لأبنائهم أنّهم إذا كانوا يطلبون السعادة لأبنائهم فعليهم أن يتعاملوا

معهم بآلیة التربیة مادامت قلوب الأبناء صافیة ونقیة وغیر مکدّرة بمشاکل الحیاة، ولاسیما أنّ تاریخ القدماء زاخر بالدروس والعبر وتقدّم للإنسان نماذج حسّیة للمسیر فی خطّ القِیَم الأخلاقیة والمثل الإنسانیة.

## تأمّلان

### ۱. تشکیلة منسجمة من أسرار التاریخ

منذ الیوم الذی اخترع فیه الإنسان الخطّ واستطاع تدوین آثاره وتجاربه من خلال الکتابة، ابتدأ التاریخ البشریّ، وانتقلت تجارب الأقوام السابقة إلی الأقوام اللاحقة بوصفها میراثاً ثمیناً مختزناً فی مطاوی التاریخ وثنایا القرون، فقد دوّن التاریخ عوامل النجاحات والإخفاقات التی أصابت الأقوام والمجتمعات البشریة، وبیّن أسباب اهتزاز السلطات والحکومات وعوامل انهیار الحضارات والحوادث الحلوة والمرّة التی یزخر بها تاریخ البشریة بحیث أنّ الأشخاص المطّلعین وأهل الخبرة یستطیعون رؤیة مسیرة حیاتهم الفردیة والإجتماعیة فی مرآة التاریخ دون أن یحتاجوا لخوض غمار تجارب جدیدة وتکرار ما واجهته الأقوام السابقة اعتماداً علی ما یستوحونه ویستفیدونه من تجارب الآخرین.

ومن هذا المنطلق یستعرض القرآن الکریم فی آیات کثیرة تاریخ الأقوام السالفة من موقع کونها عبرة للأحیاء، ویتحدّث عن هذه الحقیقة بصراحة: «لَقَدْ کَانَ فِی قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبَابِ»[۶۰۸].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۸

ویتحدّث القرآن أیضاً فی بعض أخباره التاریخیة من موقع کونها تمثّل دروساً وتختزن فی مطاویها عبراً یستوحی منها الناس ما ینفعهم فی حیاتهم ومعیشتهم، ویختار منها «أَحْسَنُ الْقِصَصِ» ویقول: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ هَذَا الْقُرْآنَ»[۶۰۹].

وأحیاناً یحثّ القرآن الکریم مخاطبه علی السیر فی الأرض ومطالعة آثار الأقوام الماضیة وما انعکس علی حیاتهم وسلوکیاتهم فی التاریخ ویقول: «قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانظُرُوا کَیْفَ کَانَ عَاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلُ»[۶۱۰].

وفی هذه الوصیة یشیر الإمام علیه السلام إلی نقطة مهمّة فیما یتّصل بالتاریخ البشریّ، وهی أنّ مطالعة تاریخ القدماء من موقع الدّقة والعمق، من شأنه أن یمنح الإنسان عمراً خالداً وکأنّ الإنسان الذی یدرس حوادث التاریخ یعیش مع الأقوام البشریة منذ أن خلق اللَّه آدم وإلی هذا الیوم، ویستوحی من تجاربهم وحالتهم ما یعینه فی مسیرته وحیاته، ویمثّل له زاداً ومتاعاً لمواجهة الصعوبات والتحدّیات التی یفرضها الواقع علیهم، والحقیقة أنّ مثل هذا التراث الثمین الذی حصل علیه الإنسان المعاصر بنفقات زهیدة جدّاً، یعدّ متاعاً مهمّاً وزاداً ضروریّاً یمنحه الحرکة والقدرة علی مواصلة المسیرة.

ومن الطبیعیّ أن نجد بعض نقاط القصور والثغرات المهمّة فی التاریخ، وذلک بسبب هیمنة قوی الاستکبار والسلطة لتشویه وتحریف حقائق التاریخ بما یصبّ فی صالحها، بحیث استطاعوا تلویث مرآة التاریخ فی موارد کثیرة و عملوا علی إخضاع المؤرّخین بآلیات الطمع والتهدید لصیاغة التاریخ حسب رؤیتهم لا علی أساس ما یعکسه الواقع التاریخی، وکنموذج بارز لهذا التحریف والتشویش ما قام به بنو امیة من تحویر وتزییف لحقائق التاریخ.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۵۹

ولکنّ المحقّقین من أهل الخِبرة والاطّلاع استطاعوا من خلال توخّی الدّقة فی ملاحظة البرهان والشواهد المتناثرة فی زوایا التاریخ ومطاوی الحوادث التاریخیة، أن یمیّزوا بین الصحیح والسقیم، الحقّ والباطل، وبما أنّ الکاذب ضعیف الحافظة ویبتلی غالباً بالتناقض فی کلامه، استطاع هؤلاء المؤرّخون المخلصون من تمییز الماء الزلال من الکدر وتشخیص الحقیقة من الوهم والزیف.

ونتمنّی علی أصحاب السلطة وقوی الهیمنة والاستکبار فی عالمنا المعاصر إلقاء نظرة إلی التاریخ، وعلی الأقلّ مطالعة مسیرة الملوک

والسلاطين السابقين وما كان مصيرهم ليشاهدوا عن كثب مصيرهم فى المستقبل فى مرآة التاريخ ويتجنّبوا التعامل مع الشعوب بالظلم والجور والسحق الحقوق.

### ۲. كيف توصّل الإمام عليه السلام لتاريخ الأقوام الماضية؟

يستفاد من كلمات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرسالة أنّ الإمام عليه السلام قد توصّل لفهم تاريخ القدماء من خلال أربع طرق: الأوّل: من خلال النظر فى أعمالهم، ويمكن أن يكون ذلك إشارة إلى الأعمال والسلوكيات التى انتقلت شفوياً من جيل إلى جيل، ومن الآباء إلى الأبناء حتّى وصلت إليه.

الثانى: من خلال التفكّر والتدبّر فى أخبارهم المنعكسة والمدوّنة على صفحات التاريخ بشكل مكتوب.

الثالث: من خلال السير فى آثارهم والنظر إلى بقايا مدنهم وأطلال قصورهم، أى القصور الخاوية على عروشها والخرائب والأطلال المتبقّية من مدنهم، القبور المندرسة وما إلى ذلك، حيث تتحدّث هذه الآثار والأطلال وهى صامتة عن الحقائق التى تتعلّق بتلك الأقوام الماضية، وتبيّن ما كانوا عليه من حياة وثقافة وسلوك وفكر، وقد نقل إلينا العرفاء المطّلعون والشعراء المتعمّقون أموراً كثيرة عن تلكم الأقوام من خلال تدبّرهم وتأمّلهم فى هذه الآثار المتبقية.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۰

الطريق الرابع الذى استفاده منه الإمام عليه السلام لمعرفة حالات القدماء وتاريخهم يتمثّل فى العلم عن طريق الوحى النازل على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وقد نقله النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى أعزّ تلاميذه والوصىّ على رسالته وهو الإمام علىّ عليه السلام.

وبما أنّ المصادر الأخرى غير هذا المصدر الأخير، يقترن عادة بالأخطاء والتحريف واختلاط الأخبار الصحيحة والزائفة، فالإمام عليه السلام يقول: «فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ... فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ...».

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۱

## القسم التاسع

### اشارة

وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَاأُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِى الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِى هَذِهِ.

### الشرح والتفسير

رغم أنّ هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام (القسم التاسع) معطوف على الجملة السابقة أى: (أنْ يَكُونَ ذلِكَ وينبغى أن يمثّل قسماً شاخصاً، ولكن بما أنّ الإمام عليه السلام استعرض فى هذا المقطع المسائل المتعلّقة بالقرآن الكريم والتعاليم الإلهيّة فإنّه جعل

ذلك قسماً مستقلّاً على حدة وقال: «وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ ۶۱۱] الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَاأُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ».

وممّا لا شكّ فيه أنّ أعلى ما ورد من تعاليم الإسلام من العقائد والأحكام والقيم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۲

الأخلاقية، وردت في القرآن الكريم، وأنّ سنّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والمعصومين عليهم السلام بمثابة الشرح على فروع ومسائل تلك الأصول المبيّنة في كتاب اللّه، ومن هنا فالإمام يبتدىء في تربية ولده من القرآن الكريم، ويوحى لجميع المسلمين أن ينتهجوا بتعليم وتربية أبنائهم هذا النهج من القرآن الكريم، حتّى لا يقعوا فريسة وساوس الشياطين من الجنّ والإنس.

والمقصود من «تأويله» هو تفسير القرآن، لأنّ القرآن الكريم يتضمّن بعض المواضيع المذكورة على سبيل الإجمال، فتحتاج لتوضيح وتفسير النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام والعلماء والمطّلعون على عمق مداليل النصّ القرآنيّ من خلال القرائن الحالية والمقالية، والمراد من «شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ» العقائد الإسلاميّة بقرينة ذكر الأحكام بعده، رغم أنّ الشرائع والشريعة تطلق على الأصول والفروع، وعبارة «حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ» توضيح للأحكام، لأنّ العمدة في الأحكام ما يتصّل بمسألة الحلال والحرام، رغم وجود أحكام أخرى من قبيل المستحبّات والمكروهات والأحكام الوضعية أيضاً.

وجملة: «لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ» إشارة إلى أنّني أرى جميع حقائق الدين بعيدة عن أيّ خطأ واشتباه في القرآن الكريم، وبذلك لا اسلِمك لسلوك طرق مشكوكة في العقائد والأحكام، لأنّني أعلم أنّ الكثير من المسلمين في صدر الإسلام وبسبب نفوذ الأفكار الزائفة، انجذبوا نحو المذاهب الباطلة في الأصول والفروع، وقد انعكس ذلك على تفسيرهم للآيات القرآنية وأخذوا يفسّرون القرآن برأيهم وبالاستناد لتلك الذهنية المشوّشة، وقد اتّجهوا في معرفتهم لأحكام الإسلام نحو القياس والاستحسان والاجتهادات الظنية التي تفتقد للأساس المحكم والدعامة القوية، وفي المسائل الفرعية وقعوا في أخطاء واشتباهات كثيرة وغرقوا في دوامة البدع.

والعبارات اللاحقة في كلام الإمام عليه السلام شاهد على هذه الحقيقة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۳

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى نقطة أخرى ويقول: «ثُمَّ أَشْفَقْتُ ۶۱۲] أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَاآمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ».

وخلاصة كلام الإمام عليه السلام هو أنّني في هذه الوصية بيّنت بالدليل والبرهان زيف العقائد الباطلة والآراء الموهومة رغم أنّ طرح مثل هذه العقائد الباطلة وشبهات المنحرفين ليس محبّباً، ولكنّ الضرورة تستوجب أن أطرح مثل هذه المقولات وأُجيب عنها، لأنّ هذا العمل أفضل من أن أقوم بإخفائها والتستّر عليها، وربّما تبتلى أنت بها في يوم من الأيام ولا يمكنك الإجابة عنها.

إنّ هذا الهاجس يعيشه جميع المعلّمين والمربّين من أهل العلم والاطّلاع، فإنّهم لو لم يطرحوا شبهات الضالّين فيخشى على الطرف المقابل ممّن يرومون تربيته وتعليمه أن يقع يوماً في شباك هذه الشبهات، ومن هذا المنطلق يسعون لعرض تلك الشبهات، وعلى الأقلّ المهمّ منها بشكل كلّي والإجابة عنه بشكل حاسم.

وهذه العبارة يمكن أن تكون استمراراً لكلام الإمام عليه السلام حيث يعود إلى القرآن الكريم وبيان أهميته، فيقول: إنّني استوحى من آيات القرآن الكريم الأدلّة والبراهين على بطلان هذه العقائد الفاسدة واقدّمها لك لئلّا تتورّط يوماً بشبهات الفاسدين والمفسدين.

ويحتمل أن تكون هذه العبارة جملة مستقلّة، يعنى مضافاً إلى أنني أرى لزوم تعليمك كتاب اللّه وتفسيره ومعرفة حلاله وحرامه وأحكامه، أرى أيضاً لزوم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۴

الاستعانة بالبرهان والعقل لنقد الآراء الباطلة والعقائد الفاسدة لئلّا تسقط في مصائد هؤلاء المنحرفين، وعبارة: «ثُمَّ أَشْفَقْتُ مع الأخذ

بالحسبان أنّ کلمة «ثمّ» إشارة لمطلب جدید، فإنّها تتناسب أکثر مع التفسیر الثانی.
وعلی حدّ قول الشیخ مغنیة فی شرحه لنهج البلاغة، أنّ تعبیرات الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیة یؤکّد مرّة أخری علی هذه الحقیقة، وهی أنّ الإمام علیه السلام لم یطرح هذه التوصیات من موقع کونه إماماً، وأنّ الإمام الحسن المجتبی علیه السلام بوصفه خلیفة وإماماً بعده، بل بوصفه أباً شفیقاً فی مقابل ولده المحتاج للتعلیم والتربیة، لأنّه کما سبقت الإشارة إلیه، أنّ الإمام الحسن علیه السلام کان قد بلغ من العمر فی ذلک الوقت أکثر من ثلاثین سنة، فهل یحتمل أن یکون الإمام علیّ علیه السلام قد غفل عن تعلیم ولده القرآن إلی ذلک الوقت، ولم یطلعه علی الآراء الباطلة والمذاهب الفاسدة؟ إنّ الإمام الحسن علیه السلام قد عاش أوّلًا فی أحضان والده، ثمّ بقی إلی جانبه کلّ هذه الأعوام الطویلة، مضافاً إلی استماعه لخطب والده الفصیحة والبلیغة وما خصّه من علم ومعرفة وتعالیم إلهیّة أیضاً.
وفی آخر جملة من هذا المقطع من الوصیة یبرز الإمام علیه السلام أمله فی أن تؤثّر هذه الوصایا أثرها بشکل کامل فی ولده ویقول: «وَرَجَوْتُ أَنْ یُوَفِّقَکَ اللَّهُ فِیهِ لِرُشْدِکَ ۶۱۳]، أَنْ یَهْدِیَکَ لِقَصْدِکَ ۶۱۴]، فَعَهِدْتُ إِلَیْکَ وَصِیَّتِی هَذِهِ».
ویستفاد من عبارة الإمام علیه السلام: «فَعَهِدْتُ إِلَیْکَ وَصِیَّتِی هَذِهِ، أنّ ما تقدّم من الأقسام التسعة لهذه الوصیة تمثّل فی الحقیقة مقدّمة لأصل الوصیّة، والغایة منها أن یستعدّ الابن بشکل کامل لتقبّل الوصایا الأصلیة التی سیذکرها الإمام علیه السلام لاحقاً، فبدون التمهید لها لا یمکن تحصیل النتائج المطلوبة المترتبة علیها.
نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۶۵

## القسم العاشر

### اشارة

وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَیَّ مِنْ وَصِیَّتِی تَقْوَی اللَّهِ وَالاقْتِصَارُ عَلَی مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَیْکَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَی عَلَیْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِکَ، الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَیْتِکَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ یَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ کَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَکَّرُوا کَمَا أَنْتَ مُفَکِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِکَ إِلَی الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاکِ عَمَّا لَمْ یُکَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُکَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِکَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ کَمَا عَلِمُوا فَلْیَکُنْ طَلَبُکَ ذَلِکَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ.
وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِکَ فِی ذَلِکَ بِالْاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِکَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَیْهِ فِی تَوْفِیقِکَ، وَتَرْکِ کُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْکَ فِی شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْکَ إِلَی ضَلَالَةٍ. فَإِنْ أَیْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُکَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْیُکَ فَاجْتَمَعَ، وَکَانَ هَمُّکَ فِی ذَلِکَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِیمَا فَسَّرْتُ لَکَ، وَإِنْ لَمْ یَجْتَمِعْ لَکَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِکَ، وَفَرَاغِ نَظَرِکَ وَفِکْرِکَ، فَاعْلَمْ أَنَّکَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ. وَلَیْسَ طَالِبُ الدِّینِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ وَالْإِمْسَاکُ عَنْ ذَلِکَ أَمْثَلُ.

### الشرح والتفسیر: الحذر من سلوک الطرق المشکوکة

یقدّم الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیّة نصائح مهمّة لولده، وأولها وأهمّها التوصیة بتقوی اللَّه والقناعة بامتثال الفرائض والأحکام البیّنة والواضحة واجتناب المسیر فی الطرق المشکوکة والسُبل المشبوهة، یقول: «وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَیَّ مِنْ وَصِیَّتِی تَقْوَی اللَّهِ وَالاقْتِصَارُ عَلَی مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَیْکَ، وَالْأَخْذُ
نفحات الولایة، ج۹، ص: ۴۶۶
بِمَا مَضَی عَلَیْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِکَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَیْتِکَ».

ولا ـ شكّ أنّ تقوى اللّه تعتبر على رأس الأولويات فى وصايا جميع أولياء اللّه والزاد والمتاع لمسيرة الإنسان إلى الآخرة وجواز دخول الجنّة والمعيار لجميع امتيازات الإنسان وفضائله الأخرى، وعلى ضوء ذلك وردت التوصية بالتقوى فى جميع خطب صلاة الجمعة والتأكيد عليها، والتقوى هى حالة الخشية القلبية من اللّه تعالى وتقبّل المسؤوليات الرسالية، ومن شأنها منع الإنسان من التلوّث بالذنوب والخطايا.

وجملة: «وَالاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لا تعنى أن يقنع الإنسان بالإتيان بالواجبات ويترك المستحبّات والسنن، وهى ما سيأتى لاحقاً من اجتناب الأمور المسكوت عنها فى الشريعة والتى لا يعيش الإنسان المسؤولية تجاهها، أو لا يتيسّر تحقيقها وإنجازها بسهولة، أو يستحيل على الإنسان نيلها، من قبيل المعرفة بحقيقة الذات المقدّسة.

وجملة: «وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إشارة إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام علىّ عليه السلام وعبدالمطّلب وحمزة وأبى طالب وجعفر عليهم السلام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لذكر الدليل على هذه الحقيقة، ويقول: «فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا».

وهذا الكلام أيضاً ناظر إلى أنّ الإنسان ينبغى أن يتحرّك على مستوى التحقيق فى المسائل المتعلّقة بالدين والتى لا يعذر فى الجهل بها، بل يجب على الجميع الإطّلاع عليها، وهناك بعض الأمور الخارجة عن قدرة الإنسان وقابليته الذهنية والعقلية، كمعرفة الذات المقدّسة، فلا ـ يوجد أىّ نبىّ مرسل قد توصّل إلى هذه الحقيقة، أو بعض الأمور التى وضعها اللّه تعالى عن عاتق المكلّفين بلطفه وكرمه تخفيفاً منه لعباده، ولكن ربّما يكون الإنسان مكلّفاً بها فى حالة الإصرار عليها من

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۷

قبيل ما ورد فى قصّة بنى اسرائيل فيما يتّصل بذبح بقرة خاصّة، فلو لم يصرّ بنو اسرائيل على معرفة الجزئيات والتفاصيل، كان يكفيهم ذبح أيّة بقرة، ولكن إصرارهم أكثر من اللازم أدّى إلى تكليفهم بذبح بقرة خاصّة وبأوصاف معيّنة وكان ذلك سبباً فى تورّطهم فى العسر والحرج.

وكذلك ما ورد فى مسألة الحجّ فى الحديث الشريف: خطب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال:

«إنّ اللّهَ كَتَبَ عَلَيكُم الحجّ» فقام عكاشة بن محصن، ويروى سراقة بن مالك، فقال:

أفى كلّ عام يارسول اللّه، فأعرض (رسول اللّه) عنه، حتّى عاد مرّتين وثلاثاً، فقال رسول اللّه: «وَيحَكَ وما يُؤمِنكَ أنْ أقولَ: نعم، وَاللّهِ لَو قُلتُ نعم لَوجَبَتْ، وَلَو وَجَبَتْ ما اسْتَطَعْتُم وَلَو تَركتُم كَفَرتُم، فاترُكُونِى ما تَركتُكُم، فإنّما هَلكَ مَن كانَ قَبلَكُم بِكثرةِ سُؤالِهِم واختِلافِهِم على أنبيائِهِم، فإذا أمَرتُكُم بِشَىْءٍ فأتُوا مِنهُ ما استَطعتُم، وإذا نَهَيتُكُم عَن شىءٍ فاجْتَنِبُوهُ»[۶۱۵].

ونقرأ فى حديث آخر عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال فى خطبة له: «إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تَنْقُصُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَسْكُتْ عَنْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَكَلَّفُوهَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا»[۶۱۶].

ثمّ قال الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من الوصيّة: «فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَابِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِى ذَلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِى تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ ۶۱۷] فِى شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ».

وعصارة كلام الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة هى أنّ أمامك طريقين للوصول إلى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۸

الحقّ، أحدهما: الطريق الذى سلكه السلف الصالح من أهل بيتك وبإمكانك الاستفادة من تجاربهم الكثيرة، فهؤلاء سلكوا طريقاً سهلًا وبعيداً عن الخطر نسبياً.

الطريق الثانى: الاجتهاد الشخصىّ فى المسائل والقضايا التى تواجهها فى ميدان الحياة، أى أن تدخل بنفسك الميدان، وتعمل على تشخيص الحقّ من الباطل، وتسلك هذا الطريق بأربعة شروط:

الأوّل: أن تتمعّن فى كلّ أمرٍ وتتدبّر عاقبته بدقّة، والثانى: الابتعاد عن التورّط بالشبهات أو التمسّك بحالات التعصّب أو الخصومة، والثالث: أن تستعين باللَّه تعالى وتطلب منه أن يمدّ لك يد العون فى هذا المسير، والرابع: أن تجتنب كلّ أمر مشكوك ربّما يقودك إلى التورّط فى الشبهات أو يجرّك إلى مهاوى الضلالة والانحراف.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام فى إدامة كلامه هذه النقطة، وهى أنّ كلامى النافع والمثمر والمؤثّر ليس كافياً، بل ينبغى توفّر الاستعداد والقابلية على التقبّل فى وجودك، فإنّ ذلك يعدّ من شروط التأثير فى الكلام، وبعبارة أخرى، كما أنّ فاعلية الفاعل تعدّ شرطاً فى التأثير، فإنّ قابلية القابل كذلك، ومن هذه الجهة يهيّء الإمام عليه السلام قلب ولده وروحه بتقبّل هذه الوصايا ويقول:

«فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِى ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ».

وبديهىّ أنّ الأشخاص الذين يعيشون قلوباً مظلمة ومشحونة بحالات التعصّب والأهواء والشهوات، ويعيشون حالة التشتّت فى الفكر والذهن، فإنّهم تارة يفكّرون بحفظ مقامهم وأخرى بفكر جمع الأموال، وثالثة بإشباع الرغبات الرخيصة وإرضاء النوازع النفسانية، فمثل هؤلاء لا يقدرون على الانتفاع من هذه المواعظ وإصلاح الخلل فى وجودهم وتعديل مسارهم حتّى لو كان الواعظ لهم الإمام المعصوم، ومن هذه الجهة فإنّ الآيات القرآنية التى لا شكّ فى تأثيرها القاطع والحاسم، إنّما تؤثّر على جماعة تتوفّر فيهم حالة القبول، ولا تؤثّر فى الأشخاص الذين يعيشون

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۶۹

حالات العناد والخصومة، بل ربّما يكون لها أثر عكسى، ونقرأ فى الآية ۱۲۴ و ۱۲۵ من سورة التوبة: «وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ كافِرُون».

وكما يقول الشاعر:

بِقَدرِ الكدّ تُكتَسَبُ المَعالىوَمَنْ طَلَب العُلى سَهِرَ الليالى

يَغوصُ البحرَ مَنْ طَلَب اللئالىويحظى بالسّيادةِ والنوالِ

ومَنْ طلبَ العُلى مِنْ غَيرِ كَدٍّأضاع العمرَ فِى طلبِ المُحالِ ۶۱۸]

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى بيان توصياته لولده ويقول: «وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ[۶۱۹]، وَتَتَوَرَّطُ[۶۲۰] الظَّلْمَاءَ وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ ۶۲۱]».

فالإمام عليه السلام هنا يحثّ ولده أن يشحذ همّته وإرادته لنيل النتيجة المطلوبة من هذه الوصية ويبتعد مهما أمكن عن تشويش الخاطر والذهن، ويتحرّك بعزم جادّ وخطوات راسخة نحو الميدان، ويسلّم قلبه إلى كلام الإمام عليه السلام ليتسنّى له الوصول إلى برّ الأمان ومرفأ السعادة الأبدية من خلال تجسيد هذه الوصايا والمواعظ على أرض الواقع النفسى والسلوكى، وفى غير هذه الصورة فإنّ الإنسان يتعب نفسه بدون أن يحقّق المقصود وينال بغيته.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۱

## القسم الحادى عشر

### اشارة

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِى، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِىَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِىَ هُوَ الْمُعَافِى، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالْابْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِى الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَاتَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَىْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، يَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ! فَاعْتَصِمْ بِالَّذِى خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

## الشرح والتفسير: كلّ شىء من اللّه

يأمر الإمام عليه السلام بدايةً فى هذا المقطع من وصيّته لولده أن يتمعّن فيما يقوله له ويتفهّم ما يرد فى هذه الوصيّة، ويقول: «فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِى».

وهذه الجملة فى الحقيقة تشير إلى أهميّة الموضوع الذى سيذكره الإمام عليه السلام لاحقاً حيث يتطلّب من المخاطب تحرّى الدقّة والتدبّر الجاد.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ كلّ ما فى هذا العالم من حياة وموت، صحّة وسقم، حوادث حلوة ومرّة، نِعم وبلايا و ... كلّها من عند اللّه تبارك وتعالى الذى يدبّر الأمور بحكمته البالغة ومشيئته القاهرة، فلو لم يتعقّل الإنسان الحكمة من بعض الأمور والظواهر فى هذا العالم، فينبغى حملها على قلّة اطّلاعه

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۷۲

وضآلة معلوماته، ويذعن لإرادة الحقّ ومشيئته، ويستسلم أمام قدرته وإرادته:

«وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِىَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِىَ هُوَ الْمُعَافِى».

هذا الكلام إشارة للتوحيد الأفعالى وأنّ هذا العالم ليس له سوى مبدأ واحد ومؤثّر فارد: «لا مُؤَثِّرَ فِى الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ» لا أنّ العالم يملك مبدأين مبدأ للخير وآخر للشرّ، أو اليزدان والأهريمن كما يتصوّر الثنويون، وأساساً فإنّ الشرّ لا وجود له فى عالم الخلقة وكلّ ما هو موجود فهو خير، أمّا الشرّ فأمر نسبىّ، على سبيل المثال: لسع العقرب يعدّ وسيلة دفاعية له فى مقابل أعدائه، مضافاً إلى أنّ سمّ الحشرات يحتوى على دواء لشفاء بعض الأمراض، فمن هذه الجهة يكون هذا السمّ خيراً، ولو ابتلى أحد بلدغ العقرب أو بلدغ حشرة فإنّ هذا الشرّ ناشىء من جهله وعدم اطّلاعه على الخطر.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى عدم استقرار الدنيا واختلاط الجيّد والردىء والخير والشرّ فيها، ويقول: «وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالابْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِى الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَاتَعْلَمُ».

أجل، هذه طبيعة الدنيا التى خلقت بهذا الشكل وفقاً للحكمة الإلهيّة، لأنّ الإنسان إذا غرق دوماً فى النعمة والحبور فسوف يعيش الغفلة عن المصير، وإذا ابتلى دوماً بالمشاكل والآلام فإنّ اليأس سيهيمن على وجوده ويستولى على فكره ويبتعد بذلك عن اللّه تعالى، ومن هنا فإنّ اللّه قد خلط بين هذين الأمرين ليعيش الإنسان حالات اليقظة والانتباه ويتحرّك فى مسيرة الحياة المعنوية بالاستمداد من اللطف الإلهىّ.

وبما أنّ بعض الأفراد الجهّال يطلقون أحياناً كلمات الاعتراض بسبب جهلهم وعدم اطّلاعهم على الحكمة من حوادث العالم، يحذّر الإمام عليه السلام ولده ويقول: «فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَىْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ

نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۷۳

عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، يَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ».

وهذا يعنى أنّ الشخص الذى بإمكانه الاعتراض على ما يشكل عليه هو الذى يعلم بجميع الأمور ومطّلع على كافّة التفاصيل، ويعرف فلسفة جميع الحوادث والغرض منها، ثمّ يرى أنّ أحد الأمور لا- تتوافق مع الحكمة والغرض من الخلقة فيحقّ له أن يفتح فمه

بالاعتراض ويضع علامات الاستفهام، فی حين أنّ الإنسان ليس كذلك، فمعلوماته بالنسبة لمجهولاته كالقطرة بالنسبة للبحر، فهو فی بداية عمره جاء إلى الدنيا ولا يعلم شيئاً، ثمّ تدريجياً يطّلع على بعض الأمور ويعلم ببعض المسائل، وما أكثر الأمور التی لا يعلم الحكمة والغرض منها فی بداية الأمر ثمّ بعد ذلك تبيّنت له الحكمة من هذا الشیء والغرض من هذه الظاهرة، فهل يحقّ للإنسان مع هذا العلم المحدود وهذا الكمّ القليل من المعلومات التی يمتلكها، أن يعترض على بعض الأمور التی لا يعلم الغرض منها؟

وفی ختام هذا المقطع من الوصيّة يأمر الإمام عليه السلام ولده بالتمسك بالألطاف الإلهيّة والالتفات إلى الذات المقدّسة، فإنّه مفتاح للنجاة من كلّ هلكة، يقول: «فَاعْتَصِمْ بِالَّذِی خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ».

هذه التوصيات الأربع القصيرة والزاخرة بالمضمون، تضمن قطعاً سعادة كلّ إنسان، فالاعتصام والتمسّك بالألطاف الإلهيّة والتوجّه إليه بالدعاء وطلب الحاجات والخشية من عقابه، كلّ ذلك يقود الإنسان نحو مرفأ السلامة وساحل النجاة.

وقوله: «الَّذِی خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ مقتبس من الآيات القرآنية الشريفة:

«الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِی قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعَى [۶۲۲]، فبداية يشير إلى أمر الخلقة، ثمّ مسألة الرزق، ثمّ التسوية فی عملية الخلق، وتنظيم أجهزة الإنسان وأعضائه وقواه البدنية والروحية، فی حين أننا نعلم أنّ البداية هو الخلق ثمّ التسوية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۴

ثمّ الرزق، ولكن مع الالتفات إلى أنّ العطف فی الواو لا يعنی دائماً الترتيب، فلا نواجه مشكلة فی تفسير هذه العبارة.

ويحتمل أيضاً أنّ نظر الإمام عليه السلام فی هذه العبارة مراحل تكامل الجنين ونموّ الطفل بعد ولادته، لأنّ النطفة عندما تستقرّ فی رحم الام فإنّها تتغذّى على الرزق الإلهیّ المتوفّر فی رحم الام بشكل متناسب، ثمّ يطوی الجنين مراحل تكامله واحدة بعد الأخرى إلى أن تحين ولادته، ويتبدّل غذاؤه من الدم فی الرحم إلى اللبن فی ثدی الام، وهكذا تنطوی مراحل التسوية والتكامل لمدّة طويلة، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ الرزق الإلهیّ للإنسان يبدأ قبل طیّ مراحل التكامل والنموّ.

### تأمّل: المقارنة بين علم الإنسان وجهله

لا شكّ أنّ الإنسان عندما يأتی إلى هذه الدنيا لا يعلم شيئاً من أمر الحياة، رغم أنّه يملك استعداداً عجيباً لتقبّل المعارف واستلهام المعلومات، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة أيضاً: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُم لَاتَعْلَمُونَ شَيْئاً»[۶۲۳].

ثمّ إنّ الإنسان يبدأ فی التعلّم من خلال ثلاث طرق:

۱. طريق التجربة التی تتّخذ أشكال اللعب اللهو فی مرحلة الطفولة.

۲. طريق التعليم والتربية من قِبل الوالدين والمعلم.

۳. طريق تفتّح العلوم الفطرية (فطرة التوحيد، الحسن والقبح العقليين، الأمور الوجدانية وأمثال ذلك) حيث تتجلّى يد القدرة الإلهيّة فی واقع الإنسان ووجدانه، وكلّما يتقدّم أكثر فی مسيرة الحياة فإنّه يدرك سعة مجهولاته أكثر فأكثر، على سبيل المثال أنّ علماء النجوم عندما كانوا ينظرون إلى الكواكب والنجوم فی السماء الفسيحة وبالوسائل الابتدائية، كانوا يرون مقداراً محدوداً من هذه النجوم

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۷۵

والكواكب، وكانت تفاصيلها غامضة ومجهولة، وعندما تطوّرت أجهزة الرصد شاهدوا المجرّات العظيمة فی الفضاء الفسيح وكلّ واحدة منها تتألّف من ملايين أو مليارات النجوم والكواكب، ومع اكتشاف مجرّة منها فإنّ عالماً من المجهولات يتجلّى لهؤلاء العلماء ويتحدّاهم، فلو استطعنا يوماً أن ننظر إلى بعض هذه النجوم بدقّة كاملة بواسطة التلسكوب، فإنّ عالماً من المجهولات يتجلّى لنا بالنسبة لهذه الكوكب، وعلى ضوء ذلك فكلّما يتقدّم العلم وتتطوّر الأجهزة التقنية فإنّ افق معلوماتنا يتضاءل أمام جبل مجهولاتنا إلى أن يصل بنا الأمر إلى حدٍّ يقول عنه أحد الفلاسفة: «بلغت من العلم إلى مرتبة بحيث إنّنی علمت بأنّنی لا أعلم».

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وتدبّرنا الآيات التى تشير إلى علم اللّه تعالى المحيط بعالم الوجود، تقول الآية: «وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ»[۶۲۴].

وفى هذا السياق يقول القرآن الكريم فى مورد آخر: «وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»[۶۲۵].

يقول العالم الفيزيائى المعروف أنشتاين: إذا اجتمعت جميع علوم البشر منذ اليوم الأوّل ولحدّ الآن فى مكتبة شاملة ووضعناها فى مقابل مجهولات البشر فإنّ مقدار هذه المكتبة تكون بالنسبة لتلك المجهولات بمثابة صفحة واحدة من كتاب ضخم.

ومن هنا ندرك جيّداً من خلال النتيجة التى ذكرها الإمام عليه السلام فى العبارة أعلاه، أننا لو واجهنا بعض الأسئلة وعلامات الاستفهام بالمسائل المتعلّقة بالمبدأ والمعاد وأسرار الحياة ولم نعثر على جواب، فينبغى حمل ذلك على جهلنا وقصور معلوماتنا ولا نطلق ألسنتا بالإنكار والاعتراض، وهذه هى الحقيقة المؤيّدة من قِبل العقل والمنطق.

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۴۷۷

## القسم الثانى عشر

### اشارة

وَاعْلَم يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه و آله فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ- وَإِنِ اجْتَهَدْتَ- مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

### الشرح والتفسير: اجعل من النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله مرشداً لك

يتحرّك الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من وصيّته لإبنه العزيز مشيراً إلى نقطتين مهمّتين، الاولى: أنّ نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله خير دليل وأفضل قائد يقود الإنسان فى طريق الصلاح والنجاح، والآخر: أنّ والده أميرالمؤمنين عليه السلام لم يألُ جهداً فى هدايته وإرشاده، ومن هذا المنطلق ينبغى عليه الإصرار فى هذا المسير اتّباعاً لهدى هذين القائدين.

يقول عليه السلام: «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه و آله فَارْضَ بِهِ رَائِداً[۶۲۶]، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً».

وهذا التعبير يشير إلى أنّ الوحى السماوى الذى نزل على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يمثّل عصارة جميع تعاليم الوحى النازل على الأنبياء السابقين، ففى تلك الأعصار كان الوحى السماوى ينزل على الأنبياء السابقين وفقاً لقابليات أقوامهم ومتناغماً مع

نفحات الولايه، ج ۹، ص: ۴۷۸

ثقافة وعقلية ذلك العصر، ولكن فى عصر خاتم الأنبياء فقد نزل آخر خطاب إلهىّ للبشرية كافّة على قلبه المبارك.

إنّ المقارنة بين القرآن الكريم والتوراة و الإنجيل الحاليين (رغم امتداد يد التحريف إليهما) شاهد ناطق على هذا التفاوت العظيم، فبالنسبة لمعرفة اللّه وأدلّة التوحيد والصفات الإلهيّة فإنّ القرآن الكريم طرح قضايا هامة على هذا الصعيد لا توجد فى أىّ من الكتب السماوية الأخرى، بل حتّى لا يوجد فيها عُشر معشارها، وبالنسبة للمسائل المتعلّقة بالمعاد، وعلى حدّ قول بعض المحقّقين يوجد ألفى آية فى القرآن تتحدّث عن المعاد وتفاصيله وحالاته، فالقرآن الكريم تحدّث فى هذا المجال بحيث لا يمكن تصوّر كلام آخر فى هذا الشأن، وفى البحوث الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والمسائل التى تتصّل بالحكومة وتاريخ القدماء، فالقرآن الكريم زاخر بهذه البحوث، ومن هنا يستوحى الإمام عليه السلام دليله فى كلامه المذكور أعلاه ويقول: لا يوجد أحد كالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بيّن للناس تعاليم الوحى السماوى والمعارف الإلهيّة بهذه الصورة اليانعة، ولهذا ينبغى عليك أن تتمسّك بهذا القائد والمرشد بوصفه

أفضل مرشد لطريق الخير والصلاح فى واقع الحياة.

وينبغى الالتفات إلى أنّ مفردة «رائد» فى الأصل تعنى الشخص الذى يذهب للبحث عن المرتع والماء للماشية والدوابّ، وعندما يكتشف وجود ماء وكلأ يعود ليخبر قومه، ثمّ توسّعوا فى استخدام هذه الكلمة وأطلقوها على الأشخاص الذين يمسكون بمقاليد الأمور فى حياة الناس.

«القائد» فى الأصل بمعنى الشخص الذى يمسك زمام الناقة ويقودها فى المسير، ثمّ اطلق على كلّ مَن يقود طائفة من البشر.

ويواصل الإمام عليه السلام تقسيم نصيحته لولده ويقول: «فَإِنّى لَمْ آلُکَ [۶۲۷ نَصِيحَةً. وَإِنَّکَ

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۴۷۹

لَنْ تَبْلُغَ فِى النَّظَرِ لِنَفْسِکَ- وَإِنِ اجْتَهَدْتَ- مَبْلَغَ نَظَرِى لَکَ».

إنّ هدف الإمام عليه السلام من هذا الكلام حثّ ولده لتقبّل هذه النصائح والالتزام الواعى بها من خلال تقديم دليلين: أحدهما: أنّ الإمام، وبسبب شفقته ومحبّته الشديدة له، لم ولن يدع رأياً نافعاً ونظراً مفيداً لولده إلّاوذكره، والآخر: أنّ ولده شابّ لا يمكن أن يحيط بالأمور كإحاطة والده الإمام علىّ عليه السلام، ومن هنا قيل: إنّ ما يراه الشاب فى المرآة، يراه الشيخ فى الآجر الخام.

***

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۴۸۱

## القسم الثالث عشر

### اشارهٔ

وَاعْلَمْ يَا بُنَىَّ أَنَّهُ لَوْ کَانَ لِرَبِّکَ شَرِيکٌ لَأَتَتْکَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْکِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَکِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ کَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِى مُلْکِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ. أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِکَ فَافْعَلْ کَمَا يَنْبَغِى لِمِثْلِکَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِى صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَکَثْرَةِ عَجْزِهِ، و عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِى طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْکَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَکَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

### الشرح والتفسير: الإيمان بالواحد الأحد

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من الوصيّة عن أحد أدلّة التوحيد الذى يمثّل الركن الأساس والعمود الفقرى لجميع منظومة الدين، يقول: «وَاعْلَمْ يَا بُنَىَّ أَنَّهُ لَوْ کَانَ لِرَبِّکَ شَرِيکٌ لَأَتَتْکَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْکِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ».

ويستعرض الإمام عليه السلام فى قراءة سريعة، الدليل على نفى الشريک وإثبات التوحيد بثلاثة أمور:

الأوّل: إذا كان للّهشريک فلابدّ أن يكون حكيماً، والإله الحكيم يجب أن يعرّف نفسه لعباده ويكشف لهم عن تعاليمه وأحكامه بواسطة الأنبياء الذين يرسلهم

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۴۸۲

للناس، فى حين أنّ جميع الأنبياء دعوا الناس لإله واحد، والآيات القرآنية والنصوص السماوية شاهد على هذا المطلب.

ومن جهة أخرى فلو كان هناک إله آخر فيلزم من ذلک أن تظهر آثار ملكه وسلطانه وقدرته على هذا العالم، فى حين أنّنا مهما دقّقنا النظر فى ظواهر هذا العالم فسنجد الوحدة والانسجام التامّ مهيمناً على جميع أركانه، وهذه الوحدة والتجانس من نواة الذرّة إلى

المجرّات العظيمة، كلّها تسير وفق قانون واحد وتتحرّك وفق نظام متجانس ومنسجم، وهذا دليل على وحدة الخالق جلّ وعلا.
ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير فى سياق حديثه إلى سبع صفات من صفات البارى تعالى، بداية يقول: «وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ».
وهذه الصفة للذات المقدّسة تقع نتيجة الاستدلال الذى تقدّم به الإمام عليه السلام آنفاً من أنّه لو كان هناك معبود آخر غير اللّه تعالى لأرسل رسوله للناس وتجلّت آثار ملكه وسلطانه فى جميع أرجاء الكون والطبيعة، ولرأيت أفعاله وصفاته منعكسة على مرآة الخلقة والطبيعة، وبما أنّ الأمر ليس كذلك فنستنتج أنّه إله واحد.
أضف إلى ذلك أنّ اللّه تعالى فى القرآن الكريم وصف نفسه مرّات عدّة بالواحد الأحد، كما ورد نموذج من ذلك فى سورة التوحيد، وبما أنّ اللّه صادق ولا يعقل فى كلامه الكذب والغشّ والزيف، والتى هى حالات ناشئة من الحاجة والعجز واتّباع الأهواء، فلذلك يمكننا الاستناد لإثبات هذه الصفة وسائر الصفات على الأدلّة السمعيّة، أى الآيات والروايات القطعية.
الصفة الثانية يقول الإمام عليه السلام: «لَا يُضَادُّهُ فِى مُلْكِهِ أَحَدٌ».
وهذا هو التوحيد فى الحاكمية، الذى هو فرع من التوحيد الأفعالى، فالمالك واحد والحاكم واحد أيضاً، والدليل على ذلك واضح، لأنّه عندما نعتقد بأنّ اللّه هو الخالق، فمن الطبيعىّ أن يكون هو المالك والحاكم لا غير، وبخاصّة أنّ خالقية اللّه مستمرّة وفيضه دائم، يعنى أننا نُخلق لحظة بعد أخرى مثل ضوء القنديل أو السراج،
نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۸۳
فلو انقطع ارتباطه بمع منبع الطاقة، فسوف ينطفىء، أجل إنّ اللّه تعالى خالق فى كلّ يوم وكلّ لحظة، إذن فهو الحاكم والمالك دوماً وأبداً.
ثمّ تحرّك الإمام عليه السلام لبيان الصفة الثالثة والرابعة ويقول: «وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ».
والدليل على ذلك واضح، لأننا نعلم أنّ اللّه واجب الوجود، وأنّ واجب الوجود حقيقة ينبع وجودها من ذاتها إذا صحّ التعبير، وعلى هذا الأساس فإنّ هذا الوجود أزلىٌّ، ويجب أن يكون أبديّاً أيضاً، والموجودات حادثة لا تستقى وجودها من ذاتها، بل من موجود آخر، وسائر الموجودات فانية لأنّ وجودها لا ينبع من ذاتها بل يصل إليها الوجود من خارج ذاتها.
وتأسيساً على ذلك يمكن استنباط الصفة الخامسة والسادسة ممّا تقدّم آنفاً، يقول الإمام عليه السلام: «أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ».
وهاتان الصفتان من لوازم أزلية وأبدية الذات المقدّسة، وناشئة من كون اللّه تعالى واجب الوجود.
وفى الصفة السابعة والأخيرة يقول الإمام عليه السلام: «عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ».
والدليل على ذلك بيّن، فربوبية الذات المقدّسة أزلية وأبدية ولا بداية لها ولا نهاية، وأنّها تحيط بعالم الوجود بجميع أبعاده وآفاقه الممتدّة، وعلى ضوء ذلك فإنّ هذه الربوبية الواسعة لا ـ يمكن مشاهدتها بالعين، ولا تصوّرها بالذهن، لأنّ ربوبيته غير محدودة، واللامحدود لا يمكن الإحاط به بفكر الإنسان المحدود.
وبعد أن يبيّن الإمام عليه السلام عظمة اللّه تعالى وتوحيده وأزليته وأبديته وإحاطة ربوبيته على جميع الكائنات فى عالم الوجود، يواصل كلامه فى وصيته لولده ويتبهه لصغره وضعفه وحاجاته الكثيرة فى مقابل قدرة اللّه المطلقة، ويقول: «فَإِذَا عَرَفْتَ
نفحات الولاية، ج ۹، ص: ۴۸۴
ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِى لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِى صِغَرِ خَطَرِهِ ۶۲۸]، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، و عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ».
إنّ الصفات الأربع التى يصف بها الإمام عليه السلام ولده قابلة للتطبيق على جميع أفراد البشر، فكلّ إنسان فى مقابل اللّه تعالى صغير وحقير وضعيف وكثير الحاجات إلى ربّه، ولكن بشرط أن يعرف الإنسان ذلك فى نفسه ولا يغفل عن هذه الحقيقة، وإلّا فإنّه سيخرج

عن طريق العبودية ويسلك سبيل الطغيان والغرور، أجل فإنّ معرفة عظمة اللّه تعالى من جهة، ومعرفة صغر النفس وحقارتها فى مقابل الذات المقدّسة من جهة أخرى سبب وعامل أساس فى السير فى خطّ العبودية والطاعة، ونسيان هذه الحقيقة يعتبر منشأ الطغيان والظلم والعدوان.

يقول القرآن الكريم: «وَلا تَكُونُوا كَالَّذينَ نَسُوا اللّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُون»[۶۲۹].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن معالم الطريق لولده وفلذّة كبده وكيفية الإتيان بالأعمال الصالحة ويقول: «فِى طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْکَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَکَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ».

ويلخّص الإمام عليه السلام فى هذا الكلام العمل الصالح فى ثلاثة أمور: الطاعة للّه، والخشية من عقوبته، والشفقة من غضبه وسخطه.

وبديهىّ أنّ الخشية والإشفاق فى مقابل عقوبة اللّه وسخطه يبعثان على الطاعة، ومن هنا فالإمام فى البداية يشير إلى طاعة اللّه تعالى، ثمّ يؤكد على الدوافع والبواعث النفسية لتحقيق تلك الطاعة، وأمّا الفرق بين الخشية والإشفاق فكما أشرنا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۵

أنّ الخشية تعنى الخوف، ولكنّ الإشفاق أو الشفقة هى الخوف المقترن بالأمل والرجاء، وعلى ضوء ذلك، فالخوف من العقاب الإلهىّ ليس كالخوف من الحوادث المخوفة التى يفقد الإنسان فيها الأمل، بل هو خوف مقترن بالأمل بلطف اللّه وعطفه وكرمه.

والمفهوم من جملة: «فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْکَ ...» أنّك لا تحسب أنّ إطاعتك للّه‌تعالى ستضيف شيئاً لجلاله وعظمته، أو أنّ اللّه تعالى يحتاج إلى هذه الطاعة، على العكس، فأنت المحتاج له، لأنّه قد أمرك بما يحقّق لك سعادتك ونهاك عن القبائح والرذائل التى تقودك فى دروب الشقاء والمسكنة والذلّة.

وهذه العبارة دليل بيّن على الحسن والقبح العقليين، وللأسف فإنّ جماعة من المسلمين، الذين ابتعدوا عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتمسك بالكتاب والعترة، تحرّكوا فى هذه المسألة من موقع الإنكار والمخالفة، وأنكروا هذه المسألة البديهية والعقلية بسبب بعض البواعث والدوافع السقيمة.

## تأمّلان

### ۱. العلاقة بين الآيديولوجية والرؤية الكونية

فى هذا المقطع من الرسالة، وبعد أن يبيّن الإمام عليه السلام سلسلة من الحقائق فيما يتّصل بالذات المقدّسة والصفات الالوهية، ويبيّن عجز وضعف الإنسان وقصوره عن الإحاطة بالعلوم والمعارف الأنفسية والآفاقية، يستنتج الإمام عليه السلام أنّه ينبغى على الإنسان أن يتحرّك فى خطّ العبادة والعبودية بما يليق بمقام الالوهية وبعظمة الذات المقدّسة وصغر الإنسان.

وهذا يعنى أنّ تكاليف الإنسان مرتبطة بشكل وثيق مع الحقائق الموضوعية، أى أنّ القوانين تنطلق دائماً من قلب الحقائق، وأنّ ما ينبغى وما لا ينبغى وليد الوجود والعدم، وبعبارة أخرى، أنّنا نستنبط من هذه المعرفة والحقائق الموجودة فيما يتّصل بغنى اللّه وفقر الإنسان، لزوم عبادته والامتثال لأوامره وتطبيق أحكامه، وهذا هو البحث المهم الذى يطرح عادة فى موضوع الارتباط بين الآيديولوجية والرؤية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۶

الكونية وحيث يطرح هذا التساؤل: هل هناك ثمّة ارتباط بينهما؟

إنّ الرؤية الكونية هى عبارة عن المعرفة بالحقائق، والآيديولوجية فى هذا المورد تعنى الأحكام والقوانين الناتجة باعتقادنا من قلب هذا العالم والحقائق الموجودة فى الطبيعة.

ومن هنا يتبيّن الجواب عن شبهة من يقول: إنّ الأحكام الشرعية أمور اعتبارية ولا ـ ترتبط بالحقائق أو الأمور التكوينية، فالإمام عليه

السلام فى هذا المقطع من الوصيّة يشطب بخطّ البطلان على هذه الشبهة، لأنّ الفصل بين هذين الأمرين يلغى أىّ اعتبار للأحكام الشرعية، فالحكم إنّما يكون له قيمة إذا كان مرتبطاً بالحقائق الموضوعية، وهذه هى فلسفة الأحكام التى تمنحها اعتباراً وقيمة، وهذه العلاقة الوطيدة بين الحكم الشرعىّ والحقيقة الموضوعيّة هى التى تعمل على تجسيد الحكم وترسيخه.

والأحكام التعبّدية أيضاً غير مستثناة من هذا القانون، فجميع هذه الأحكام تتوافق مع المصالح والمفاسد الواقعية، رغم أنّنا أحياناً لا نعرف الحكمة منها، لأنه فى غير هذه الصورة نواجه الترجيح بلا مرجّح، وعلماء الشيعة جميعاً يتّفقون على هذا لرأى.

والآيات القرآنية والروايات الشريفة أيضاً تصرّح بوجود مثل هذه العلاقة بين الأحكام الشرعية والواقع الموضوعى.

مثلًا، نقرأ فى القرآن الكريم فى سورة المائدة: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُونَ»[۶۳۰]، وهكذا نرى أنّ اللّه تعالى فى هذه الآيات الكريمة بعد يبيّن موارد الضرر الواقعى للأرجاس، كالخمر و القمار، ويذكّر

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۷

المسلمين أنّ هذه الأمور من عمل الشيطان، ويبيّن الحكم الواقعى لها وينهى المؤمنين عن ارتكاب شرب الخمر والميسر، ثمّ يستعرض مرّة أخرى الحقائق الموضوعية التى تساهم فى تحقيق السعادة للإنسان وأنّ عمل الشيطان فى الحقيقة هو إثارة العداوة والبغضاء والابتعاد عن ذكر اللّه وترك الصلاة.

وبالنسبة للصوم ورد أيضاً: «صُومُوا تَصِحُّوا»[۶۳۱] وفى مورد آخر يبيّن القرآن الغاية من الصوم ويقول: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون»[۶۳۲].

وفى الحقيقة أنّ جميع الروايات الشريفة الواردة فى باب علل الشرائع، تعدّ دليلًا واضحاً على هذا المدّعى.

### ۲. بداية الخلقة ودوام الفيض

رأينا فى كلمات الإمام عليه السلام الناطقة فى هذا المقطع من الرسالة أنّ الذات المقدّسة تعتبر مبدأ كلّ شىء بدون بداية لها، ونهاية كلّ شىء بدون نهاية لها، ويصطلح على هذا المفهوم الأزلية والأبدية، وهنا يفرض هذا السؤال نفسه: هل أنّ للمخلوقات حدوثاً زمانياً؟ يعنى أنّ اللّه فى زمان كان موجوداً ولم تكن المخلوقات موجودة (وطبعاً التعبير بالزمان هنا من باب التسامح، لأنّ الزمان بنفسه إمّا مخلوق أو نتيجة حركة المخلوقات) كما ورد فى بعض العبارات: «كانَ اللّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَىْءٌ»[۶۳۳] فإذا كان الأمر كذلك فإنّ مسألة دوام الفيض يواجه مشكلة هنا، لأنّ مفهوم هذا الكلام أنّ اللّه تعالى كان فيّاضاً منذ البدء إلّاأنّه كان متوقّفاً عن الفيض، فى حين أن الفيض ملازم للذات المقدّسة وعدم الفيض يعدّ نقصاً.

والجواب على هذا السؤال: إنّ العالم له حدوث ذاتىّ، يعنى إذا قلنا بوجود

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۸۸

المخلوقات دائماً وأبداً، فذلك المخلوق بدوره يستند فى وجوده إلى الذات المقدّسة ومرتبط بالقدرة الإلهيّة، لا أنّه واجب الوجود، كما أنّ نور الشمس مرتبط بشكل وثيق بالشمس، فإذا كانت الشمس موجودة دائماً وتشعّ بنورها فى كلّ آن، فمع ذلك تعتبر الشمس أصلًا ونورها فرعاً.

وبعبارة أخرى أنّ كلمة «مع» فى جملة «كانَ اللّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَىءٌ» تبيّن هذه الحقيقة وهى أنّ اللّه تعالى كان منذ الأزل ولم يكن معه شىء بنفس المستوى وبذات الكينونة (لا بواسطته).

***

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۸۹

## القسم الرابع عشر

### اشارة

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

### الشرح والتفسير: السالكون طريق الآخرة

ينطلق الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيّة لبيان مكانة الدنيا والآخرة فى منظار المتألّهين من خلال مثالين جميلين، ويقول: «يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا».

إنّ للأمثلة دور مهم جدّاً فى فهم وإدراك المسائل المعقّدة والمفاهيم الغامضة سواء العقلية منها أو الحسّية، فيستطيع المخاطب من خلال المثال فهم هذه المسائل

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۹۰

من موقع العمق والوضوح فى الرؤيه، وبذلك يتمّ تشويقه وحثّه لأداء الأعمال المفيدة والخيرة والابتعاد عن الرذائل والقبائح.

والقرآن الكريم يستخدم كثيراً الأمثلة الجميلة والعميقة المغزى، حيث تشكّل الأمثلة قسماً مهماً من الآيات القرآنيه، ونرى فى كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام فى نهج‌البلاغة أمثلة كثيرة وذات معانٍ عميقة أوردها الإمام عليه السلام فى خطبه ووصاياه بغاية الفصاحة والبلاغة.

بعد أن يذكرالإمام عليه السلام هذه المقدّمة يستعرض مثالين للدنيا والآخرة فيقول أوّلًا:

«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ[۶۳۴] الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ[۶۳۵] نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ ۶۳۶]، فَأَمُّوا[۶۳۷] مَنْزِلًا خَصِيباً[۶۳۸] وَجَنَاباً[۶۳۹] مَرِيعاً[۶۴۰]، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ[۶۴۱] الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ[۶۴۲] الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ».

فأهل الآخرة يعلمون أنّهم فى سفر وأنّ ما يواجهونه من أتعاب وآلام وجشوبة العيش ومعاناة الطريق إنّما هى حالات مؤقّتة وبمثابة الثمن الذى يدفعونه لتحصيل السعادة الدائمة والوصول إلى منزل القرار والاستقرار والراحة الأبديّة فتكون هذه الأمور والصعوبات بالنسبة لهم هيّنة ويسيرة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام بعد ذلك:

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۴۹۱

«فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ».

أجل، فهذا هو نمط تفكير المؤمنين الصالحين وأولياء اللّه الذين يسيرون فى مسلك الطاعة والمعنوية، لأنّ هؤلاء لا ينجذبون أبداً لزخارف الدنيا ولا ينخدعون ببريقها، بل إنّ الدنيا تمثّل لهم مجموعة من الأتعاب والآلام والهموم والغموم وحالات التوتّر التى تفرضها حالات الصراع والنزاع، فى حين أنّ الإيمان بالمعاد والجنّة والنعيم الخالد والاعتقاد بالوعد الإلهىّ يوحى لهم بأنّهم سيواجهون

غداً مستقبلًا مشرقاً ويرفلون بالنعيم المادىّ والمعنوىّ بعيداً عن كلّ أشكال الهمّ والغمّ والألم، والأهمّ من ذلك أنّهم يصلون إلى مقام القرب الإلهىّ وهذا هو الذى يجعلهم يتقبّلون الصعاب والآلام فى هذا المسير بكلّ رحابة صدر ويتحمّلون كلّ مشقّة فى هذا الطريق لأنّهم متوجّهون إلى كعبة الحبيب، فجميع ما يجدونه من وخز الأشواک فى الطريق يكون بالنسبة لهم كفراش الحرير وتتبدّل المرارة إلى عذوبة.

ثمّ يستعرض الإمام عليه السلام المثال الثانى فيما يخصّ أهل الدنيا والمتشبّثين بزخارفها وملذّاتها ويقول: «وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَىْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ ۶۴۳] عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ».

أجل، فهم يعلمون أنّ مصيرهم فى النهاية النار والعذاب الأليم، فتكون الدنيا بالنسبة لهم بجميع مشاكلها وآلامها عذبة ومريحة جدّاً، ولهذا السبب يخافون من الموت ويخشون حلول الأجل، خوفاً من المستقبل المظلم، كما أخبر القرآن الكريم عن طائفة من بنى اسرائيل ممّن يعيشون حبّ الدنيا: «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۲

أَنْ يُعَمَّرَ»[۶۴۴].

وكذلك ورد فى حديث معروف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جِنَانِهِمْ وَجِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جَحِيمِهِمْ»[۶۴۵].

وفى هذا الصدد رواية عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عندما سأله أحدهم: «مَا بَالُنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ وَلَا نُحِبُّهُ؟». فأجابه: «إِنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ»[۶۴۶].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۳

## القسم الخامس عشر

### اشارة

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَاتُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

### الشرح والتفسير: نظرة واحدة لمصلحة الفرد والجماعة

يشير الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة من وصيّته لأحد أهمّ الأصول الأخلاقية والمثل الإنسانية ويقول: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ».

والميزان عادة ذو كفّتين، والوزن الصحيح يتمّ عندما تكون الكفّتان متساويتين فى الخطّ الافقى، وهذا الكلام إشارة إلى أنّه ينبغى عليك أن تحبّ للآخرين ما تحبّه لنفسك، وما تكره لنفسك فينبغى أن تكرهه للآخرين لتتساوى كفّتا الميزان فى عرض واحد.

ثمّ يوضّح الإمام عليه السلام هذا الأصل الأخلاقى المهم فى سبع جمل ويبيّن أبعاده وزواياه المختلفة:

يقول الإمام عليه السلام فى الجملة الاولى والثانية: «فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا».

وفى الجملة الثالثة: «وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَاتُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۴

وفى الجملة الرابعة: «وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْك».

ويقول فى الجملة الخامسة: «وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِك مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِك».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام فى الجملة السادسة: «وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِك».

وأخيراً وفى الجملة السابعة يقول: «وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَك».

وهو إشارة إلى أنّك كما لا تحبّ أن يستغيبك الناس أو يتّهمونك بأمر معيّن أو يخاطبونك بكلمات نابية ويذكرونك بألقاب قبيحة، أو يتحدّثون عنك بكلمات تسوؤك وتثير غضبك، فينبغى عليك أن لا تتحدّث عن الآخرين بآليّات الغيبة والتهمة والسبّ والشتم وما إلى ذلك، أو تتلفظ بكلمات لا مسؤولة تؤذى الآخرين وتسىء إليهم.

والحقيقة أنّ هذا الأصل الأخلاقىّ المهمّ بالتفاصيل والأغصان السبعة التى ذكرها الإمام عليه السلام لو طبّق فى أىّ مجتمع وعمل به الناس فى تواصلهم وتعاملهم فيما بينهم، لساد الصلح والأمن فى أجواء ذلك المجتمع وزالت كلّ أشكال النزاع والصراع، ووصلت الملفّات القضائية فى المحاكم إلى الحدّ الأدنى، وبلغت المحبّة والتعاون والتكاتف الحدّ الأقصى فى واقع الحياة والمجتمع، لأنّ جميع المشاكل الاجتماعية تنشأ من أنّ البعض يريد كلّ شىء لنفسه ولا يفكّر إلّافى نفعه وراحته وسعادته، ويتوقّع من الآخرين أن يتعاملوا معه بالقيم والعدل ولكنّه لا يجد فى نفسه أىّ التزام بهذه القيم، ويريد أن يكون حرّاً تجاه الآخرين، أو لا يقيم وزناً لحيثية الآخرين وراحتهم وسعادتهم، أو يهتمّ براحة الآخرين ولكن لا بمقدار ما يهتمّ لنفسه، فيريد لنفسه الحدّ الأقصى من النفع والسعادة والراحة، وللآخرين الحدّ الأدنى.

وما ذكره الإمام عليه السلام فى بيان هذا الأصل الأخلاقى لم يرد بهذه السعة والشمول فى كلام أىّ شخصية علمية أخرى، رغم أنّ جذور هذا الأصل كما يقول الشيخ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۵

مغنية فى شرحه لنهج البلاغة ذيل هذا الكلام للإمام عليه السلام، موجود بشكل إجمالى فى تراث القدماء.

يقول مغنية: «ولا نعرف أوّل من نطق بهذه الذهبية ... وأيّاً كان فهى لجميع الناس، لأنّ الحبّ معناه الأخوة والإنسانية والتكامل والتضامن والقوة والنجاح، وبالحبّ تستقيم الحياة، ولا معنى لحياة بلا حبّ، وأيضاً لا معنى للكراهية إلّاالحرب والشقاق والفشل والتخلف»[۶۴۷].

وقد ورد فى تعاليم الإسلام هذا المضمون أيضاً وطرحه النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بصياغة جميلة ورائعة، فقد ورد فى الحديث الشريف أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان راكباً دابّته وهو يريد بعض غزواته، فجاء إليه أعرابىّ فأخذ يغمز راحلته فقال: «يا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِى عَمَلًا أدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ».

فقال صلى الله عليه و آله: «مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْك فَأْتِهِ إِلَيْهِمْ وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْك فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِم خَلِّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ»[۶۴۸].

وجاء فى حديث آخر فى سيرة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه جاء شابّ إلى النبىّ صلى الله عليه و آله فقال له: أتأذن لى بالزنا، فنهره الأصحاب وأغلظوا عليه، فأدناه النبىّ صلى الله عليه و آله منه وقال له:

«أتُحِبُّ أن يُزْنى بامِّك أو اخْتِك أو بِنْتِك أو خَالَتِك أو عَمَّتِك؟» قال الشابّ: لا يارسول اللَّه، فقال له: «كُلُّ النّاسِ كذلِك»، ثمّ وضع يده المباركة على صدره: «اللّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَه وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» وبعد ذلك لم يره أحد وهو جالس إلى امرأة أجنبية[۶۴۹].

وينبغى الالتفات إلى هذه النقطة أيضاً، وهى أنّ الإمام عليه السلام فى العبارة السابعة من الكلام المذكور يقول على سبيل المقدّمة:

«وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ». وهذا

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ۴۹۶

إشارة إلى أنّ معلوماتک وإن كانت محدودة وقليلة فاقنع بها ولا تتدخّل فى أمور لا تعلم بها، فإنّ ذلک سيقودک إلى متاهات الخطأ والانحراف.

***

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ۴۹۷

## القسم السادس عشر

### اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِکَ، وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِکَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِکَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّکَ.

### الشرح والتفسير: لا تكن خازناً لغيرک

فى هذا المقطع من الوصية النورانية يشير الإمام عليه السلام إلى أربع فضائل أخرى ويوصى بها ولده وفلذّة كبده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

بداية يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان المعجب بنفسه لا يدرک الحقائق الموضوعية عن نفسه وعن الآخرين، فهذه الصفة الذميمة تسدل حجاباً على عقله، وليست فقط تغطّى عيوبه بل يرى عيوبه ورذائله نقاط قوّة وعناصر كمال لنفسه، وأحياناً يعيش عمره فى هذا الوهم ويغادر الدنيا دون أن يتحرک لإصلاح الخلل والعيب.

وعلى حدّ تعبير الشيخ مغنية فى شرحه لنهج البلاغة، أنّ العجب كالخمر من حيث إنّهما يسكران الإنسان، والسكران حاله حال المجانين وينبغى الابتعاد عنه والفرار منه.

وقد ورد فى القرآن الكريم والروايات الإسلاميّة فى ذمّ العجب والغرور نصوص كثيرة، منها ما ورد فى الآية ٨ من سورة فاطر: «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ بِما يَصْنَعُونَ»، فهذا الشخص بسبب العجب يرى سوء عمله حسناً وكأنّه يرى الحقيقة

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ۴۹۸

والواقع، ولكنّ اللّه تعالى يقول عنه أنّه ضالّ وغير جدير بالهداية ويوصى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أن لا يتحسّر ويأسف على مثل هؤلاء.

وقد وردت فى كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام تعبيرات وكلمات عجيبة عن العجب والغرور، فى مورد يقول: «العُجْبُ آفَةُ الشَرَف»[۶۵۰] وفى مورد آخر يقول: «آفَةُ اللُّبِ العُجْبُ»[۶۵۱].

وفى مورد آخر يقول: «العُجْبُ يُفْسِدُ العَقْلَ»[۶۵۲].

وفى مورد آخر يقول: «ثَمَرَةُ العُجْبِ البَغْضاءُ»[۶۵۳].

وأخيراً يقول: «الْعُجْبُ رَأْسُ الحَمَاقَةِ»[۶۵۴].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يواصل كلامه ويستعرض الوصيّة الثانية ويقول: «فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ».

نفحات الولاية ؛ ج ۹ ؛ ص ۴۹۸

ذا هو الأمر الذي ورد التأكيد عليه كثيراً في الروايات الإسلاميّة إلى درجة أننا نقرأ في الحديث النبويّ المعروف: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ»[۶۵۵].

لو أنّ جميع المسلمين وبخاصّة الشبّان عملوا بهذه التوصية فلا أحد سيكون محتاجاً للآخرين سوى العجزة والمعوقين، وبديهيّ أنّ المجتمع الإسلامي سيتحرّك في خطّ الرقيّ والتقدّم ويحرز حالة من الإزدهار الاقتصادي والحضاري بدرجات عالية، بل إنّ البلدان الإسلاميّة سوف لا تكون أداة طيّعة للبلدان الأجنبية، لأنّ ذلك لا ينتج لهم سوى الذلّة والمهانة والتبعيّة.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة إلى معنى آخر لهذه العبارة وقالوا: إنّ المقصود

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۴۹۹

منها السعي والكدح في طريق الإنفاق، فكلمة «كدح» تعني أنّ الإنسان يكدح ويتعب نفسه في البذل، وفي هذه الصورة تكون هذه العبارة مقدّمة لما يأتي بعدها، ولكن يبدو أنّ التفسير الأوّل أصحّ.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام التوصية الثالثة، ويقول: «وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ».

ويشير بذلك إلى أنّ الأشخاص الذين يتعبون أنفسهم في جمع الأموال والثروات ولا ينفقونها في سبيل اللّه، هم من المساكين الذين يتعبون أنفسهم في جمع وحفظ الأموال وينتفع بها الورثة، وفي القيامة يحاسبون عليها بينما يلتذّ بها وينتفع بها الآخرون، أي الورثة الذين لا يعيشون أحياناً أيّ مودّة واهتمام بالمورث وصاحب المال، ولا ينفقون منها في سبيل اللّه لحساب صاحبها، بل أحياناً يوبخونه ويذمّونه بأنه لم يترك لهم ثروة كافية، وحتى لو كان الورثة من الأشخاص الصالحين واستثمروا هذه الأموال في طريق الطاعة والصلاح، فمع ذلك ستكون حسرة على صاحب المال لأنّه أتعب نفسه من أجلها بينما ربح ثوابها الآخرون، وهذا هو ما وردت الإشارة إليه في الروايات الإسلاميّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ»[۶۵۶]. قال: «هُوَ الرَّجُلُ يَدَعُ مَالَهُ لَايُنْفِقُهُ فِي طَاعَةِ اللّهِ بُخْلًا ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدَعُهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللّهِ أوْ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ فَإنْ عَمِلَ بِهِ فِي طَاعَةِ اللّهِ رَآهُ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ فَرَآهُ حَسْرَةً وَقَدْ كَانَ الْمَالُ لَهُ وَإنْ كَانَ عَمِلَ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ قَوَّاهُ بِذَلِكَ الْمَالِ حَتَّى عَمِلَ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[۶۵۷].

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام لبيان التوصية الرابعة ويقول: «وَإذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ».

وهذا يعني أنّ جميع النعم والمواهب الإلهيّة تستحقّ من العبد الشكر، وأيّ نعمة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۰

أعظم على الإنسان من الهداية لطريق الخير والصلاح مع أنّ مجاميع كثيرة من الناس ساروا في خطّ الضلالة والمتاهة، وشكر كلّ نعمة يجب أن يتناسب مع تلك النعمة، وشكر نعمة الهداية يستلزم الخضوع للحقّ تعالى وإطاعة أوامره ونواهيه.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۱

## القسم السابع عشر

## اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَاغِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

## الشرح والتفسير: الآخرون يحملون متاعک إلى الآخرة!

فی هذه الفقرة من الوصية يتحدّث الإمام عليه السلام عن طول سفر الآخرة وحاجة الإنسان الشديدة للزاد والمتاع لهذا السفر من الطاعات وأعمال الخير وخاصّة الإنفاق فی سبيل اللّه.

بداية يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ».

إنّ طريق الدنيا مهما كانت طويلة وشاقّة فإنّها بالنسبة لطريق الآخرة سهلة وميسورة، وطريق الآخرة مليء بالمنعطفات والمطبّات وتحتاج لمجاهدة النفس وتربيتها على الفضائل الأخلاقية، وأحياناً يستغرق سلوک هذا الطريق سنوات طوال.

وبعد هذا التحذير ينبّه الإمام عليه السلام إلى لزوم تهيئة الزاد والمتاع لهذا السفر المليء

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۲

بالمخاطر ويقول: «وَأَنَّهُ لَاغِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ[۶۵۸]، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ ۶۵۹] مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ».

إنّ الأصل والأساس فی هذا الزاد والمتاع هو ما ورد فی القرآن الكريم يقول:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى [۶۶۰].

وعبارة: «حُسْنِ الْارْتِياد» مع الالتفات إلى أنّ كلمة «الارتياد» تعنی الطلب، فالمراد من العبارة حسن الطلب، أو بكلمة أخرى التدبير وإبتغاء المنهج الصحيح فی سلوک الطريق (أی فی تهيئة الزاد والمتاع لسفر الآخرة).

وعبارة: «خِفَّةِ الظَّهْرِ» إشارة إلى ما ذكره القرآن الكريم، حيث يقول: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَّعَ أَثْقالِهِم»[۶۶۱]، فالإمام عليه السلام يوصی ولده أن لا يكون مثل هؤلاء الأشخاص الذين يحملون أوزارهم وأوزار الآخرين على ظهورهم، فالمؤمن يسعى لتخفيف حمله ما أمكنه ذلک.

وسبق أن ذكرنا فی شرح الخطبة الحادية والعشرين أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن هذا المضمون بعبارة وجيزة جدّاً وعميقة المغزى وقال: «تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا»، فی الماضی وعندما كانت القوافل تسير فی طرق صعبة وتصل إلى منعطفات خطيرة فإنّ المثقلين يعجزون عن مواصلة الطريق، وبما أنّ القافلة لا تستطيع التوقف بسببهم، فإنّها تستمرّ فی مسيرتها، ويبقى هؤلاء وحدهم فی الصحراء ويكون مصيرهم نهباً لقطاع الطرق وطعاماً لذئاب البراری.

وبعد هذه المقدّمة الوجيزة والعميقة المعنى يطرح الإمام عليه السلام مسألة الإنفاق فی

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۳

سبيل اللّه وأنّه أهمّ زاد ومتاع ليوم القيامة ويقول: «فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ».

ويشير بذلک إلى أنّک لا تدّخر لنفسک أكثر ممّا تحتاجه فی حياتک ومعاشک بحيث تستطيع الإجابة يوم القيامة عنه، لأنّ ما تجمعه من هذه الدنيا سيكون ثقيلًا عليک فی الآخرة، فالحمل الذی لا تنتفع به فی هذا المسار سوف لا يجديک سوى التعب والعناء.

ثمّ يدعو الإمام عليه السلام للإنفاق فی سبيل اللّه بعبارات رائعة وجذّابة فيقول: «وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ».

ثمّ يضيف: «فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ ۶۶۲]».

وفى ختام هذا المقطع من الوصية يستخدم الإمام عليه السلام عبارات أخرى لترغيب المخاطب إلى الإنفاق فى سبيل اللّه ويقول:

«وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ».

وحصيلة الكلام أنّ الإنسان العاقل ينبغى أن يستثمر وجود نمطين من الناس:

الشخص الذى يتبرّع بحمل زاد الإنسان على كتفه مجاناً ويوصله بفرح وسرور إلى المنزل المقصود، والآخر الشخص الذى يستقرض من الإنسان بعض أمواله فى حال عدم حاجته إليه ويسدّده له فى وقت هو بأمسّ الحاجة إليه، أجل، هكذا حال الأشخاص الذين يتحرّكون فى الإنفاق فى سبيل اللّه، وهذا التعبير عن هؤلاء يعتبر أبلغ وأجمل تعبير يجسّد فى طياته القيم الأخلاقية الرفيعة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۴

والتعبير الثانى مقتبس من القرآن الكريم ويقول: «مَنْ ذَا الَّذى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرَةً»[۶۶۳]، وطبعاً فالآية الشريفة تضيف نقطة أخرى على مسألة القرض، وهى أنّ اللّه تعالى هو الذى يستقرض من عباده، ثمّ يسدد لهم أضعافاً مضاعفة.

والتعبير الأول يحتمل أن يكون من الآيات الشريفة فى سورة البلد، تقول الآيات: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذى مَسْغَبَةٍ ...»[۶۶۴].

والجدير بالالتفات أنّ المرحوم الصدوق ينقل فى كتابه علل الشرائع رواية رائعة مناسبة للكلام الوارد فى الوصية مورد البحث، يقول سفيان بن عُيَيْنَة قال: رأى الزهرىّ (من التابعين المعروفين) علىّ بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وهو يمشى، فقال له: يابن رسول اللّه ما هذا؟ قال: «أُرِيدُ سَفَراً أُعِدُّ لَهُ زاداً أَحْمِلُهُ إِلَى مَوْضِعٍ حَرِيزٍ»، فقال الزهرىّ: فهذا غلامى يحمله عنك، فأبى قال: أنا أحمله عنك فإنّى أرفعك عن حمله، فقال علىّ بن الحسين: «لَكِنِّي لَاأَرْفَعُ نَفْسِي عَمَّا يُنْجِينِي فِي سَفَرِي وَيُحْسِنُ وُرُودِي عَلَى مَا أَرِدُ عَلَيْهِ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ لَمَّا مَضَيْتَ لِحَاجَتِكَ وَتَرَكْتَنِي». فانصرف عنه، فلمّا كان بعد أيّام قال له: يابن رسول اللّه لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثراً، قال: «بَلَى يَا زُهْرِيُّ لَيْسَ مَا ظَنَنْتَ وَلَكِنَّهُ الْمَوْتُ وَلَهُ كُنْتُ أَسْتَعِدُّ إِنَّمَا الْاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ تَجَنُّبُ الْحَرَامِ وَبَذْلُ النَّدَى وَالْخَيْرِ»[۶۶۵].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۵

## القسم الثامن عشر

### اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَامَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، «فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ»، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

### الشرح والتفسير: ضع عن كتفك همّ يومك!

يعود الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية النورانية ليتحدّث مرّة أخرى فى مسألة سفر القيامة الطويل والملىء بالمخاطر والعقبات، ويبيّن معالم هذا المسير بدقّة متناهية، ويتحدّث عن وسيلة النجاة فيه.

بداية يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً[۶۶۶]، الْمُخِفُ ۶۶۷] فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ ۶۶۸]، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ».

والمراد من العقبة الكؤود والمنعطف الخطير فى هذا المسار إمّا الموت وسكراته، أو عالم البرزخ، أو جسر الصراط (ويحتمل أن يكون

جميع ذلک).

وبديهيّ أنّه لإحراز السلامة في عملية العبور من هذه المآزق والمنعطفات الخطيرة ينبغي التخفيف من الأثقال، والإسراع في المسير، لأنه في مثل هذه

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۶

المنعطفات الخطيرة يكثر قطاع الطرق أو الحيوانات المفترسة التي يواجهها الإنسان في هذا الطريق وتعيقه عن إكمال المسير.

وهذا التعبير أيضاً مقتبس من القرآن الكريم حيث يقول: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ...»[۶۶۹].

وذهب بعض المفسّرين في شرح هذه الآيات أنّ العقبة تعني هوى النفس، وذهب آخرون إلى المآزق والمنعطفات الخطيرة يوم القيامة، وكلام الإمام عليه السلام هنا يتناسب مع الثاني.

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه عن هذا المسير المعنوي ويقول: «وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ».

ثمّ يضيف: «فَارْتَدْ[۶۷۰] لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ۶۷۱] وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ ۶۷۲]».

والجدير بالذكر أنّ جملة: «لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ» قالها لأول مرّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقد ورد في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه و آله: «لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ وَمُنَغِّصِ الشَّهَوَاتِ»[۶۷۳].

وجملة: «وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ»، تعكس حقيقة جليلة أشارت إليها الآيات القرآنية والروايات الشريفة بشكل واسع، القرآن الكريم يقول: «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كَلَّا ...»[۶۷۴].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۷

ونقرأ في الخطبة ۱۸۸ من نهج‌البلاغة في حديث الإمام عليه السلام عن الموتى ويقول:

«لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً».

أجل، إنّ هذا المنزل في يوم القيامة وما بعد الموت غير قابل للعودة، كما أنّ الوليد المعوق لا يستطيع أبداً العودة إلى رحم امّه لينمو من جديد بشكل صحيح ولا يمكن للثمرة التي انفصلت عن الشجرة أن تعود إلى غصنها، فالأشخاص الذين يغادرون هذا العالم إلى عالم البرزخ لا يستطيعون أبداً العودة إلى الدنيا، وأهل البرزخ بدورهم عندما ينتقلون إلى القيامة لا يستطيعون العودة إلى عالم البرزخ، وهذا تحذير لنا جميعاً بأن نعلم أنّنا ربّما سنواجه لحظة وينتهي كلّ شيء وتوصد أمامنا أبواب التوبة ولانستطيع تحصيل الزاد والمتاع، فنغادر الدنيا بقلوب مليئة بالحسرات.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۰۹

## القسم التاسع عشر

### اشارة

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أذِنَ لَکَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَکَفَّلَ لَکَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَکَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَکَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَکَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَکَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُکَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْکَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَکَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْکَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ

يُعاجِلْكَ بِالنَّقْمِةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَايَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَايَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَه.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱۰

## الشرح والتفسير: فتح أبواب التوبة والدعاء أمام الإنسان

فى هذا المقطع من الوصية النورانية يشير الإمام عليه السلام إلى عدّة مواضيع مهمّة ويقول: ينبغى عليك أن تهتمّ بمسألة الدعاء، فالدعاء يمثّل قضية مصيرية فى حياتك: «وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ».

وفى هذه العبارات يشير الإمام عليه السلام إلى نقاط عدّة لتشويق المخاطب للدعاء، فيقول أوّلًا: يجب أن تطلب حاجاتك ممّن يملك جميع الأمور وبيده مقاليد السماوات والأرض ويستطيع أن ينعم عليك بالرزق والعطايا، وبكلمة واحدة أن تدعو من يملك جميع الكائنات، وعلى ضوء ذلك تكون فى طلبك ودعائك قريباً من الإجابة.

وفى الجملة الثانية يقول: إنّ اللَّه تعالى أذن لك بالدعاء، أى فى الحقيقة أنّه دعاك لتأتى إلى ساحة قدسه وتسأله من فضله وكرمه وتدعوه وتناجيه، وهذا يمثّل غاية اللطف والرحمة بحيث أنّه تعالى دعا المحتاجين إليه وقال: تعالوا إلىَّ واطلبوا منّى، وهذا المعنى أشارت إليه الآيات القرآنية فى قوله تعالى: «قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُم»[۶۷۵].

وفى الجملة الثالثة يقول: إنّ اللَّه تعالى قد ضمن لك استجابة الدعاء، وهذا أيضاً إشارة لقوله تعالى: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم»[۶۷۶] وغيرها من الآيات الشريفة.

وفى الجملة الرابعة يتوسّع الإمام عليه السلام فى هذا الموضوع وأنّ اللَّه تعالى قد تجاوز مسألة الإذن فى الدعاء، بل أمرك أن تسأله وتدعوه وتطلب من لطفه ورحمته ويعطيك وينعم عليك ويرحمك، وهذا ما ورد فى الآيات الشريفة، نظير: «وَاسْئَلُوا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱۱

اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَليماً»[۶۷۷].

وفى الجملة الخامسة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ».

وهذا إشارة إلى أنّ الدين الإسلامىّ يقوم على أساس أن البشر يستطيعون إقامة علاقة مباشرة مع اللَّه تعالى بدون توسّط أحدٍ من العباد، كما هو الحال فى الصلاة التى نصلّيها كلّ يوم، فإنّنا من بدايتها إلى انتهائها وبخاصّة فى سورة الفاتحة نتحدّث مع اللَّه تعالى بشكل مباشر بدون أية واسطة بيننا، وهذا يعدّ افتخاراً كبيراً للإسلام والمسلمين حيث فتح الإسلام طريق الارتباط المباشر مع اللَّه للجميع، والآيات القرآنية شاهدة على هذا المعنى، لا سيما الآيات الشريفة التى تبتدىء بكلمة «ربّنا».

على العكس من ذلك بعض المذاهب الباطلة التى تشترط وجود واسطة من المرشد وشيخ الطريقة بين العبد وربّه وأحياناً لا يجيدون

إقامة ارتباط مباشر مع اللّه تعالى.

وهنا يثار هذا السؤال، وهو أنّ مسألة الشفاعة في الإسلام، أي شفاعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والإمام المعصوم عليه السلام وصالح المؤمنين، وردت بكثرة في الآيات القرآنية والروايات الشريفة حيث تدلّ على شفاعة الشفعاء في الدنيا والآخرة، ألا تتنافى مثل هذه الشفاعة مع الارتباط المباشر مع اللّه تعالى؟

والجواب على هذا السؤال يتّضح بالالتفات إلى نقطتين:

الاولى: إنّ هذاالمعنى لا ينفي وجود الارتباط المباشر، بل إنّ الارتباط المباشر باللّه تعالى محفوظ في محلّه، والمسلمون يرتبطون باللّه في كلّ يوم وليلة بشكل مباشر في صلاتهم ودعائهم، والشفاعة بدورها لها مكانة خاصّة وثابتة، وبعبارة أخرى أنّ كلا الطريقين يوصلان الإنسان برحمة اللّه ولطفه ولا تقاطع بينهما حيث

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱۲

يجتمعان في إيصال العبد لربّه.

الثانية: وردت في الآيات القرآنية الإشارة إلى هذه النقطة في أكثر من مورد وهي أنّ الشفاعة بدورها إنّما تتحقّق بإذن اللّه، وعلى ضوء ذلك فالشخص الذي يتوسّل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ويطلب منهم الشفاعة، يجب عليه إلى جانب ذلك أن يطلب من اللّه الإذن لهم بالشفاعة، فإذن الشفاعة يعتبر مكمل للارتباط المباشر باللّه تعالى.

وببيان آخر، إنّني أطلب قضاء حوائجي من اللّه تعالى مباشرة، ولكن أحياناً تكون الحاجة معقدة ومهمّة، أو إنّني ملوّث بالذنوب بدرجة أشعر معها أنّني لا أستطيع نيل بغيتي وتحقيق مرادي لوحدي ومن خلال الدعاء فقط، هنا أتوسّل بالأولياء الإلهيين الذين لهم مكانة واعتبار عند اللّه تعالى أن يشفعوا لي عند اللّه تعالى بإذن اللّه، على سبيل المثال، نرى أنّ إخوة يوسف بعد ما ارتكبوا تلكم الجرائم في أخيهم شعروا بأنّ ذنبهم عظيم إلى درجة أنّهم لا يستطيعون طلب العفو بشكل مباشر من أخيهم يوسف عليه السلام أو من اللّه تعالى، وبذلك توسّلوا بأبيهم وقالوا: «يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِين»[۶۷۸].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن يطرح مسألة الدعاء يتعرّض لمسألة التوبة ويتحدّث عنها بكلمات بليغة وزاخرة بالمضامين العالية ويبيّن أنّ اللطف الإلهيّ يشمل المذنبين التائبين، ويؤكّد هذا المعنى في ثمان جمل:

۱. «وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ»، حيث فتح أمامك أبواب التوبة مع إساءتك.

۲. «وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ»، فأخّر العقوبة لعلّك تتوب من ذنبك.

۳. «وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ»، كما هو حال الأشخاص الذين يعيشون حبّ الانتقام من التائبين ويواجهونهم باللوم والتوبيخ والتقريع.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱۳

۴. «وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى ، وليس كما يتعامل بعض أصحاب النفوس الضعيفة الذين يتحرّكون على مستوى فضح الطرف المقابل بأدنى زلّة.

۵. «وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ»، بخلاف ما يتعامل به أصحاب الشخصيات الهزيلة مع الآخرين.

۶. «وَلَمْ يُنَاقِشْكَ ۶۷۹] بِالْجَرِيمَةِ»، بل يصفح عنك ومن دون استعتاب ومؤاخذة.

۷. «وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ ۶۸۰] عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً»، ومهما كان ذنبك عظيماً ووزرك ثقيلًا فإنّ اللّه تعالى فتح باب العودة والتوبة والإنابة إليك، وجعل هذه العودة حسنة لك، والأهمّ من ذلك أنّه جعل سيئتك واحدة، وضاعف حسنتك إلى عشر حسنات.

۸. «وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الاسْتِعْتَابِ ۶۸۱]»، أي أنّ اللّه تعالى فتح باب العودة إليه دائماً.

هذه العبارات في الحقيقة مقتبسة من الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدّث عن التوبة وآثارها والألطاف الإلهيّة بالنسبة للتائبين

والمنيبين.

والقرآن الكريم يقول: «وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَميعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»[۶۸۲].

وفى مورد آخر يتحدّث عن قبول التوبة ويقول: «وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ»[۶۸۳].

وفى مورد آخر يتحدّث عن عدم تعجيل العقوبة للمذنبين ويقول: «وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۱۴

ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ»[۶۸۴].

وفيما يخصّ عدم اليأس من رحمة اللّه يتحدّث القرآن الكريم بعبارات زاخرة باللطف ومفعمة بالمحبّة، يقول للنبىّ صلى الله عليه و آله: «قُلْ يا عِبادِىَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ»[۶۸۵].

وبالنسبة لتبديل السيئات بالحسنات يقول تعالى: «إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ»[۶۸۶].

وما يخصّ كتابة السيئات بمقدارها وكتابة الحسنات بعشر أمثالها يقول تعالى:

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ»[۶۸۷].

ومن المعلوم أنّ التوبة تعتبر أوّل خطوة فى طريق السلوك إلى اللّه تعالى ومن هنا يعتبر السالكون إلى اللّه التوبة أوّل منزل من منازل هذا الطريق، وعندما نرى أنّ الإمام عليه السلام يذكر التوبة بعد الدعاء، فذلك لأنّ التوبة أيضاً نوع من الدعاء، أى الدعاء لطلب العفو والرحمة من اللّه تعالى، وما لم يتقدّم الإنسان بهذه الخطوة، لن يغسل عن روحه وقلبه غبار الذنوب، وما لم يزح حجاب المعصية عن عين قلبه، فإنّ سلوك هذا الطريق يكون عسيراً أو غير ممكن.

ونقرأ فى الأدعية وروايات المعصومين عليهم السلام أيضاً إشارات كثيرة وتعبيرات لطيفة عن هذا الموضوع، وذلك ما ورد فى مناجاة التائبين (وهى أوّل مناجاة من المناجيات الخمسة عشر للإمام زين العابدين عليه السلام) فنقرأ: «إلهى أَنْتَ الَّذِى فَتَحْتَ لِعِبادِكَ بَاباً إِلَى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ فَقُلْتَ: «تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً» فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحِه».

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۱۵

أجل، فالإمام عليه السلام بوصفه مرشداً مطّلعاً مجرّباً يأخذ بيد ولده الشابّ ويسير به فى هذا الطريق من منزل لآخر إلى حيث الوصول إلى منزل القرب الإلهى.

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه لولده ويوصيه بالدعاء والمناجاة للّهوطلب الحاجة إليه، ويقول: «فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ ۶۸۸] إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ۶۸۹] ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ».

ففى هذه الفقرة من كلام الإمام عليه السلام يعلّم الإمام ولده كيفية المناجاة والابتهال مع إلى اللّه تعالى ويقول: اطلب حاجتك منه تعالى وافتح له قلبك وأبرز له هواجسك ومكنوناتك، وتحدّث معه عن معاناتك وهمومك، واطلب منه المعونة فى جميع أمورك، فهذه الأمور الخمسة تشكّل محاور مناجاة العباد مع ربّهم وقد أشار إليها الإمام عليه السلام بعبارات بليغة وموجزة.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بيّن لولده كيفية الطلب من اللّه تعالى وعدّد له مواهبه ونعمه المهمّة التى ينبغى للإنسان أن يطلبها من اللّه تعالى دائماً ويقول: «وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَايَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ».

فهنا نرى الإمام عليه السلام بعد أن يؤكّد على أنّ اللّه تعالى يملك مواهبَ ونعماً فى خزائن رحمته ولا يستطيع أىّ مخلوق إعطاء هذه النعم للإنسان، يشير الإمام عليه السلام إلى ثلاث من هذه النعم:

۱. العمر الطويل، الذى يتيح للإنسان أن يتحرّك على مستوى بناء ذاته وتزكية نفسه وزيادة حسناته.

۲. الصحّة والسلامة، وبدون هذه الصحّة والسلامة فلا يترتّب على زيادة العمر

نفحات الولايهٔ، ج ۹، ص: ۵۱۶

سوى مزيد من الألم والمعاناهٔ وأحياناً يؤدى إلى الابتعاد عن اللَّه والإعراض عن رحمته.

۳. الرزق الوفير، لأنّ الإنسان بدون إمكانات ماليهٔ غير قادر على أداء الكثير من الحسنات والخيرات، من قبيل صلهٔ الرحم، كفالهٔ الأيتام، إعانهٔ المحتاجين، بناء المدارس، المستشفيات، نشر علوم الإسلام ومعارف أهل البيت عليهم السلام، ضيافهٔ المؤمنين وما إلى ذلك.

وطبعاً هذا فى صورهٔ أن يكون المقصود من الأرزاق فى هذه العبارهٔ الأرزاق الماديهٔ، ولكن إذا توسّعنا فى مفهوم الرزق بحيث يشمل العلوم والمعارف، النفوذ الإجتماعى، القوى الجسميهٔ والنفسيهٔ وما شاكل ذلك، فسوف يكون المطلب أوضح وأبين.

وممّا لا شك فيه أنّ طول العمر وصحهٔ البدن وسعهٔ الرزق تتصل بشكل وثيق بسعى الإنسان وجهده بأن يراعى المسائل الصحيهٔ ويجتنب عوامل الضرر وموجبات المرض، ويتحرك فى واقع الحياهٔ بطلب الرزق، ولكن بشكل عام فإنّ هذه الأمور مرتبهٔ بمشيئهٔ اللَّه تعالى، والعوامل التى يفرضها ويقرّرها البارى فى عالم الغيب وهى خافيهٔ علينا، وعلى حدّ تعبير الإمام عليه السلام: إنّها من خزائن رحمهٔ اللَّه تعالى الذى لا يقدر على إعطائك غيره.

ويشير القرآن الكريم إلى هذا الموضوع أيضاً فى حديثه عن دعاء النبىّ إبراهيم عليه السلام وقوله: «الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى‌يَسْقِينِ* وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ»[۶۹۰].

ومن المعلوم أنّ المواهب الإلهيّهٔ لا تنحصر بزيادهٔ العمر وصحهٔ البدن وسعهٔ الرزق، ولكن لا شكّ أنّ الأركان الأصليهٔ لهذه النعم والمواهب الإلهيّهٔ تتمحور حول هذه الأمور الثلاثهٔ، لأنّ الأصل والعمدهٔ فى أعمال الخير ينبثق من هذه الأمور.

نفحات الولايهٔ، ج ۹، ص: ۵۱۷

وفى بيان مفاتيح هذه الخزائن الإلهيّهٔ يقول الإمام عليه السلام: «ثُمَّ جَعَلَ فِى يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ».

ويتبيّن من هذا الكلام أنّ الدعاء والابتهال إلى اللَّه تعالى له تأثير كبير فى نيل المطلوب والانتفاع بالنعم المتوفّرهٔ فى هذه الخزائن اللامتناهيهٔ ويتبيّن أيضاً دور الدعاء فى فتح أبواب هذه الخزائن الغيبيهٔ.

وطبعاً فالدعاء يستلزم توفّر شروطه، منها أن يبذل الإنسان جهده بما لديه من إمكانات فى هذا السبيل، ثمّ يتوسّل بالدعاء لما ليس له قدرهٔ عليه وما هو خارج عن إمكاناته.

ثمّ يخرج الإمام عليه السلام بهذه النتيجهٔ: «فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ [۶۹۱] رَحْمَتِهِ».

ومعلوم أنّ خزائن اللَّه تمثّل مجموعهٔ النعم الماديهٔ والمعنويهٔ للمخلوقات، وأنّ مفتاح أبواب هذه الخزائن هو الدعاء، وبكلمهٔ أخرى أنّ الإمام عليه السلام شبّه نعم اللَّه تعالى بمطر الرحمهٔ حيث يستطيع الإنسان أن يستمطر هذه الرحمهٔ الإلهيّهٔ من سماء القدرهٔ الإلهيّهٔ المطلقهٔ واللطف الإلهىّ العميم على أرض وجوده ويروى ظمأ قلبه وعطش روحه.

وجاء فى حديث آخر عن أميرالؤمنين عليه السلام: «الدُّعَاءُ مَفَاتِيحُ النَّجاحِ وَمَقَالِيدُ الْفَلَاحِ وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنْ صَدْرٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ تَقِيٍّ»[۶۹۲].

وهنا يثار سؤال مهمّ ومعروف، والإمام عليه السلام يجيب عنه بلا فصل، وهو: لماذا لا تستجاب الكثير من أدعيتنا، أو تتأخّر الإجابهٔ مدّهٔ طويلهٔ، فلو كان الدعاء يفتح أبواب رحمهٔ اللَّه، فلماذا لا يفتح هذا المفتاح الباب أو يستغرق فتحها مدّهٔ من الزمان؟ فى حين أنّ الآيات الشريفهٔ التى تعتبر الدعاء مفتاح الإجابهٔ مطلقهٔ وشاملهٔ

نفحات الولايهٔ، ج ۹، ص: ۵۱۸

لجميع الحالات، ففى مورد يقول القرآن الكريم: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم»[۶۹۳]، وفى مورد آخر يقول: «وَإِذا سَأَلَكَ عِبادى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعان»[۶۹۴].

ويجيب الإمام عليه السلام عن هذا السؤال بالإشارة إلى أربع نقاط:

الاولى: أحياناً تكون نيّة الداعى ملوّثة ولا يصدر الدعاء عن قلب نقىّ وطاهر من الذنوب، يقول: «فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ».

وهذا الحديث الشريف الذى قرأناه آنفاً مذكور فى كتاب الكافى وأنّ الدعاء إنّما يستجاب إذا صدر من قلب نقىّ وطاهر، وعلى هذا الأساس إذا لم تستجب بعض الأدعية ويستجاب البعض الآخر، فذلك ناشىء من تلوّث النيّة، والروايات التى تقرّر أنّ أحد شرائط استجابة الدعاء التوبة من الذنوب، تشير إلى هذا المعنى أيضاً.

وأشار الإمام عليه السلام إلى المانع الثانى فى قوله: «وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ».

وببيان آخر أنّ اللّه تعالى قد يؤخّر استجابة دعاء عبده ليبقى العبد فترة أطول أمام باب بيته، وبالتالى يحصل على مواهب أكثر وأوفر وذلك بسبب محبّة اللّه لهذا العبد.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى المانع الثالث من استجابة الدعاء ويقول: «وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا».

وهو إشارة إلى أنّك ربّما تطلب شيئاً قليلًا وتافهاً من اللّه تعالى ولكنّ اللّه بمقتضى عظمته وسعة رحمته لا يستجيب لك ولا يعطيك ما تطلب، بل يعطيك خيراً منه عاجلًا أو آجلًا، كالشخص الذى يتوجّه لشخص كريم فيطلب منه داراً وضيعة مثلًا ولكن ذلك الكريم لا يقبل ويمتنع عن إعطائه ما يريد، لأنّه سيعطيه فيما بعد داراً أوسع وأفضل ممّا طلب.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۱۹

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام السبب الرابع لعدم استجابة الدعاء، والذى يعتبر أهمّ سبب فى ذلك، يقول: «أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ».

فالكثير من الناس وبسبب عدم اطّلاعهم على عواقب الأمور يطلبون مسائل وحاجات من اللّه تعالى بإصرار وإلحاح، فى حين أنّ هذا الطلب فيه هلاكه وفساده، وبما أنّ اللّه تعالى عالم بعواقب الأمور، فإنّه لا يستجيب مثل هذا الدعاء، ولكنّه لا يخيّب أمل عبده، فيعطيه ما فيه فلاحه ونفعه.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة أيضاً ويقول: «وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ»[۶۹۵].

ونقرأ فى حديث شريف عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَاداً لَايَصْلُحُ لَهُمْ أَمْرُ دِينِهِمْ إِلَّا بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَالصِّحَّةِ فِى الْبَدَنِ فَأَبْلُوهُمْ بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ فَيُصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَعِبَاداً لَايَصْلُحُ لَهُمْ أَمْرُ دِينِهِمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالسُّقْمِ فِى أَبْدَانِهِمْ فَأَبْلُوهُمْ بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالسُّقْمِ فَيُصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرُ دِينِهِمْ»[۶۹۶].

وهناك نماذج جليّة على امتداد التاريخ وحتّى فى زمان صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمّة الهدى عليهم السلام تحكى عن وجود بعض الأفراد من ذوى الذهنية الضيّقة يطلبون من اللّه تعالى وبإصرار ويتوسّلون إليه بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام أن يوسّع فى رزقهم، وبعد الإصرار والطلب من النبىّ صلى الله عليه و آله أو الإمام أن يدعو لهم بسعة الرزق تفضى بهم سعة الرزق إلى حالة من الطغيان والتمرّد، بل ينطق بعض هؤلاء بكلمات يستشمّ منها الإرتداد عن الدين والإيمان كما فى القصة المعروفة عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى الذى كان يصرّ على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أن يدعو له بالمال الوفير،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۰

وكان النبىّ يعلم بحاله ومستقبله وكان يقول له: «قَلِيلٌ تُؤَدِّى شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُه»، أليس من الأفضل أن تتأسّى بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وتقنع بحياة بسيطة؟ ولكنّ ثعلبة بقى مصرّاً على طلبه، وأخيراً دعا له النبىّ وحصل على ثروة كبيرة من ميراث خلّفه

له أحد أرحامه، فاشترى بهذا المال ماشية، وازدادت وكثرت تدريجياً حتّى أصبح من العسير الاحتفاظ بها فى المدينة، فاضطرّ ثعلبة إلى الخروج إلى خارج المدينة وعلق بحياته المادية حتّى ترك صلاة الجماعة والجمعة خلف النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله خلافاً لعادته السابقة حيث كان يشترك فى جميع صلوات النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وبعد مدّة أرسل إليه النبىّ من يقبض منه زكاة أمواله، فامتنع ثعلبة من دفع الزكاة واعترض على أصل تشريع هذا الحكم الإلهىّ وقال: هل هذا إلّاالجزية التى تؤخذ من أهل الكتاب، نحن أسلمنا لئلّا ندفع الجزية، وعندما وصل خبره إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةً»[۶۹۷].

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه فى مسألة الدعاء ويصل إلى نتيجة مهمّة ويقول:

«فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَايَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ».

### تأمّل: شروط استجابة الدعاء

قد يتصوّر البعض أنّ عبارات من قبيل: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم»[۶۹۸] مطلقة وغير مقيّدة بأىّ قيد وشرط وأنّ الإنسان عندما يدعو بأىّ دعاء فعليه أن يتوقّع الإجابة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۱

وأنّ اللّه تعالى سيستجيب له هذا الدعاء بلطفه وكرمه، فى حين أنّ الأمر ليس كذلك، فقد ورد فى روايات عدّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام شروط عدّة لاستجابة الدعاء، منها التوبة وصفاء القلب، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ شَيْئاً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالْمِدْحَةِ لَهُ وَالصَّلَاةِ عَلَى النبىّ وَآلِهِ ثُمَّ الْاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ وَالتَّوْبَةِ ثُمَّ الْمَسْأَلَةِ»[۶۹۹].

والشرط الآخر أن يعيش الداعى حياة الطهر والنقاء، خاصّة من الأطعمة المحرّمة والكسب الحرام كما ورد عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قوله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ فَلْيُطَيِّبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَه»[۷۰۰].

فى حين أنّ الكثير من الناس فى حال الدعاء لا يعيشون حالة التوبة ولا يجتنبون الأطعمة المحرّمة أو الملوّثة، ثمّ يتوقّعون أن يستجيب اللّه تعالى لهم دعاءهم.

وكذلك من شروط الدعاء السعى وبذل الجهد فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالأشخاص الذين يشاهدون مظاهر المنكر والذنب ولا يثير ذلك فيهم أىّ ردّة فعل، فلا يحقّ لهم أن يتوقّعوا استجابة دعائهم، كما ورد فى الحديث الشريف عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «وَلَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»[۷۰۱].

وجاء فى الحديث الشريف أنّ رجلًا جاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وشكا إليه عدم استجابة دعائه، وقال: لماذا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فذكر الإمام عليه السلام فى هذا الحديث الشريف ثمانية شروط لاستجابة الدعاء، وقد ورد بعضها فى الأحاديث المذكورة

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۲

أعلاه ۷۰۲].

ولمزيد من التوضيح راجع كتاب «المفاتيح الجديدة» ص ۲۱ إلى ۲۵ والتفسير الأمثل فى ذيل الآية الشريفة: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ...»[۷۰۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۳

## القسم العشرون

### اشارة

وَاعْلَمْ يَا بُنَیَّ أَنَّک إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَالِلدُّنْیا، وَلِلْفَناءِ لَالِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَیَاةِ، وَأَنَّک فِی قُلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِیقٍ إِلَی الْآخِرَةِ، وَأَنَّک طَرِیدُ الْمَوْتِ الَّذِی لَایَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا یَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِکُهُ، فَکُنْ مِنْهُ عَلَی حَذَرِ أَنْ یُدْرِکَک وَأَنْتَ عَلَی حَالٍ سَیِّئَةٍ، قَدْ کُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَک مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَیَحُولَ بَیْنَک وَبَیْنَ ذَلِک، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَکْتَ نَفْسَک.

### الشرح والتفسیر: الغایة من الخلق

یتحدّث الإمام علیه السلام فی هذه الفقرة من الوصیة عن عدّة أمور مهمّة حول الغایة من خلق الإنسان وحقیقة الدنیا والحیاة وموقف الإنسان فی مقابل الموت، حیث تمثّل کلّ هذه التوصیات تحذیراً لولده وجمیع الأشخاص الذین یقرأون هذه الوصیّة.

بدایة یقول: «وَاعْلَمْ یا بُنَیَّ أَنَّک إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَالِلدُّنْیَا وَلِلْفَنَاءِ لَالِلْبَقَاءِ وَلِلْمَوْتِ لَالِلْحَیَاةِ».

فی منظار الإسلام والأدیان الإلهیّة أنّ الهدف من خلق الإنسان لیس هو الحیاة فی هذه الدنیا، بل إنّ هذه الحیاة تعتبر ممرّاً وقنطرةً یعبر منها الإنسان إلی الآخرة، وسوقاً للتجارة لکسب الزاد والمتاع، ونهایة هذه الحیاة الدنیویة ستنتهی إلی الموت والفناء، ولا یبقی حتی الأنبیاء الإلهیّون.

وبالنسبة للغرض من خلق الإنسان وردت تعبیرات مختلفة فی الآیات والروایات الشریفة، والقرآن الکریم یقول فی سورة الذاریات: «وما خَلَقْتُ الْجِنَ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۲۴

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ»[۷۰۴].

وعلی هذا الأساس فإنّ الهدف من خلق الإنسان کما تبیّن الآیة الشریفة هو العبودیّة والعبادة للّه‌تعالی.

ویقول فی الآیة الثانیة من سورة الملک: «الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَیاةَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُم أَحْسَنُ عَمَلًا».

ومن المعلوم أنّ الاختبار الإلهیّ یهدف إلی تحسین عمل الإنسان فی واقع الحیاة والعبودیّة لتهذیب النفوس، ونتیجة کلّ ذلک نیل السعادة الأبدیّة فی الآخرة، ومن هذا المنطلق تعود جمیع الأهداف إلی هدف واحد.

ثمّ یشیر الإمام علیه السلام إلی النقطة الثانیة، یعنی حقیقة الدنیا ومکانتها فی الرؤیة الکونیة ویقول: «وَأَنَّک فِی قُلْعَةٍ[۷۰۵] وَدَارِ بُلْغَةٍ[۷۰۶]، وَطَرِیقٍ إِلَی الْآخِرَةِ».

وهنا یبیّن الإمام علیه السلام الهدف من خلق الإنسان وکذلک ماهیة الحیاة الدنیویة، فالهدف من خلق الإنسان ضمان الحیاة السعیدة فی الآخرة لا مجرّد الحیاة فی هذه الدنیا، ومن هنا فإنّ نهایة الحیاة الدنیا هی الفناء لا البقاء، وعلی حدّ تعبیر القرآن:

«وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَیَوانُ»[۷۰۷]، وهذا المعنی انعکس فی الکثیر من الآیات القرآنیة.

أمّا تعبیر الإمام علیه السلام عن الدنیا بأنّها «قُلْعَة» (وهی المحلّ والمنزل الذی ینبغی مغادرته)، وعبارة «بُلغة» (المحلّ الذی ینبغی التزوّد منه وتحصیل الزاد والمتاع) فهذه الحقیقة انعکست أیضاً فی الآیات القرآنیة من قبیل قوله تعالی: «إِنَّک مَیِّتٌ

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۲۵

وَإِنَّهُمْ مَیِّتُونَ»[۷۰۸].

«کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ»[۷۰۹].

«کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ»[۷۱۰].

فكلّ هذه الآيات ناظرة إلى هذا المعنى، وكذلك قوله تعالى:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى [۷۱۱] يشير أيضاً إلى دار «دار بلغة».

وعندما ننظر إلى الدنيا والآخرة من هذه الزاوية وبهذا المنظار الذى بيّنه الإمام عليه السلام فى هذه العبارة، فإنّ رؤيتنا للحياة ستتبدّل، فلا يبقى أثر للحرص والطمع، وسوف تزول الآمال الطويلة والطموحات الموهومة، وينتهى التكالب على حطام الدنيا والنزاع مع أهلها لجمع الأموال والثروات ولا يبقى معنى للبخل واكتناز الأموال، بل كلّ شىء يكون للّهوفى سبيل اللَّه ومن أجل نيل رضا اللَّه تعالى ولتحقيق السعادة الأبدية فى الآخرة.

ويشير الإمام عليه السلام فى النقطة الثالثة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الموت من ورائك وسوف تقع فى شباكه حتماً، فلا مفرّ منه لكلّ حيّ: «وَأَنَّکَ طَرِيدُ[۷۱۲] الْمَوْتِ الَّذِی لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ».

والتعبير ب «طريد» يعنى الشخص الهارب ممّن يتعقّبه، أو الصيد الذى يتعقّبه الصيّاد، وهذا تعبير بليغ جدّاً، وكأنّ الإنسان فى بداية عمره يفرّ من الموت الذى يريد اصطياده، فتارةً يصطاده فى مرحلة الطفولة، وأخرى فى مرحلة الشباب، وثالثة فى مرحلة الشيخوخة، فلا أحد يستطيع النجاة والهرب من هذا الصياد كما يقول القرآن الكريم: «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ»[۷۱۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۶

وفى آية أخرى يقول: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ»[۷۱۴].

أجل، فالإنسان مهما شكّ فى أىّ شىء فإنّه لا يستطيع الشكّ فى هذه الحقيقة الحاسمة، وهى أنّه سيأتى اليوم الذى لابدّ أن يرحل من هذا العالم، وهذا اليوم غير معلوم، لا فى تاريخه ولا فى الساعة أو الدقيقة، فربّما يكون بعيداً وربّما يكون قريباً جدّاً، اليوم أو غد، والملفت أنّه لا يوجد أىّ استثناء لهذا القانون، فأصحاب القدرة والثروة والأطبّاء الحاذقون وحتّى الأنبياء والأولياء يخضعون لهذا القانون، والقرآن الكريم يخاطب النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بقوله: «إِنَّکَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»[۷۱۵].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى نقطة مهمّة هى آخر تحذير فى هذا المقطع من الوصيّة ويقول: «فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَکَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَکَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَکَ بَيْنَ ذَلِکَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَکَ».

وفى هذا التحذير والإنذار يلفت الإمام عليه السلام نظر ولده إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ زمان الموت مبهم وغير معلوم فى كلّ الأحوال، فأحياناً يرتكب الإنسان معصيةً وينوى التوبة وتطهير صحيفة أعماله من لوث هذه المعصية بعد ذلك، ولكنّ الموت يفاجئه بغتةً ويسلب منه هذه الفرصة، وكلّنا رأينا أو سمعنا فى حياتنا بعض الأشخاص الذين أرادوا القيام بأعمال حسنة أو سيئة ولكنّ الموت باغتهم فى تلك اللحظة فلم يستطيعوا إنجاز ما عزموا عليه، ولم ينالوا بغيتهم.

وفى هذه الأيّام التى نكتب فيها شرحاً لهذه الوصيّة سمعنا خبراً من أجهزة الإعلام أنّ مهرجاناً اقيم فى بلدنا لأحد العلماء المعروفين، وقد اشترك فى ذلك المهرجان جماعة من الشخصيات والمدعوين وجلس ذلك العالم وهو ينتظر بفارغ الصبر استلام الجائزة، وفجأة فى ذلك المكان حان أجله واصيب بسكتة قلبية، وانتهى كلّ شىء[۷۱۶].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۷

ونقرأ فى رواية المفضّل المعروفة أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول للمفضّل: إذا كنت تسأل لماذا جعل اللَّه تعالى مدّة حياة الإنسان مستورة وخفيّة وربّما حان أجله فى ساعة يمارس فيها الإثم ويقترف المعصية؟ فالجواب: الغرض من ذلك أنّ الإنسان، مع أنه لا يعرف زمان موته، إلّاأنّه يتحرّك فى خطّ المعصية وارتكاب الإثم، ولو كان يعلم زمان موته وحدود أجله، وكان يأمل بطول البقاء، فإنّه سيتجرّأ على المعاصى أكثر، ومن هنا فإنّ توقّع الموت فى كلّ لحظة وعلى أيّة حال أفضل من اطمئنانه بالبقاء، وعندما نرى أنّ هذا الانتظار لا ينفع مع بعض الناس فإنّه مؤثّر قطعاً فى البعض الآخر، حيث يبتعدون عن الذنوب والمعاصى ويتحرّكون فى خطّ الطاعة

والمسؤولية والأعمال الصالحة، وينفقون أموالهم على الفقراء والمساكين ويهتمّون ببناء آخرتهم وإعمارها[۷۱۷].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۲۹

## القسم الحادي والعشرون

### اشارة

يا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا. سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

### الشرح والتفسير: الدنيا الخدّاعة وأهلها

فى هذا المقطع من الوصيّة يحذّر الإمام عليه السلام ولده من الركون إلى الدنيا ويؤكّد عليه أن يذكر الموت ويستعدّ له ولا يغترّ بأفعال وسلوكيات أهل الدنيا.

بداية يقول: «يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ ۷۱۸]، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ ۷۱۹]، وَلَا يَأْتِيَكَ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۳۰

بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ ۷۲۰]».

وهذه هى الحقيقة الواضحة التى يعيش غالبية الناس الغفلة عنها، فالجميع يعلم أنّ عمر الإنسان ليس له تاريخ محدّد حسب الظاهر، وأنّه ربّما يواجه الموت فى كلّ لحظة وفى كلّ زمان، بسبب الحوادث الخارجية أو الحوادث الباطنية (الأمراض المفاجئة) على مستوى الفرد والجماعة، والكثير من الناس يدركون هذه الحقيقة ويرون ظاهرة الموت، إلّاأنّهم غافلون عنها، وأحياناً يغرقون فى تفكير عميق عندما يشتركون فى مجالس العزاء لأحد المفقودين من أعزّائهم وأرحامهم، وربّما قرّروا فى تلك اللحظة التهيّؤ لسفر الآخرة والاهتمام لتحصيل الزاد لهذا السفر المصيرىّ، ولكنّهم ما أن يخرجوا من ذلك المجلس حتّى يوضع هذا القرار فى زاوية النسيان.

ويؤكّد الإمام عليه السلام فى كلامه هذا على أنّك لاينبغى أن تنسى هذه الحقيقة الملموسة، وعليك بالاستعداد لاستقبال الموت، واحذر من أن يباغتك فجأة وأنت غير مستعدّ له.

ومرّ علينا قول الإمام عليه السلام فى الخطبة ۱۱۴ فى نهج‌البلاغة: «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ».

وفى الديوان المنسوب للإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام نقرأ أشعاراً عميقة المعنى فى هذا المجال منها:

يا مَنْ بِدُنْياهُ اشْتَغَلَ قَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَلِ

الْمَوْتُ يَأْتِى بَغْتَةًوَالْقَبْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَلِ

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه فى تحذير ولده من الاغترار بالدنيا والانخداع بأعمال أهلها فإنّهم كالحيوانات المفترسة يتكالبون على ملذّاتها وزخارفها، ويقول: «وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ[۷۲۱] أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ ۷۲۲] عَلَيْهَا».

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۳۱

ثمّ يذكر دليلين لهذا الكلام ويقول: «فَقَدْ تَأَكَ اللّهُ عَنْهَا وَنَعَتْ ۷۲۳] هِىَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا».

وهنا آيات عدّهٔ فى القرآن الكريم تتحدّث عن وهميّهٔ الدنيا وعدم ثباتها، منها:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً»[۷۲۴].

وهذا المثال ناظر للأشخاص الذين يطوون مراحل العمر المختلفهٔ (الطفولهٔ والشباب والشيخوخهٔ)، ولكنّ الكثير منهم لا يصلون لمراحل متقدّمهٔ، بل يحين أجلهم ويغادرون الدنيا فى المراحل الاولى أو المتوسطهٔ لأسباب وعوامل مختلفهٔ.

وأمّا قوله: «وَنَعَتْ هِىَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا»، فالمقصود أنّ الدنيا تحدّثت معك بلسان الحال، وهذا ما ورد فى كلام آخر للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال: «أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ...

مَتى غَرَّتْكَ! أَ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى »[۷۲۵].

وكما قال الشاعر:

هِىَ الدُّنْيا تَقُولُ لِمَنْ عَلَيْهاحَذارِ حَذارِ مِنْ بَطْشى وَفَتْكى

فَلا يَغْرُرْكُمْ حُسْنُ ابْتِسامِىفَقَولى مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكى ۷۲۶]

أجل، فبريق الدنيا يثير فى الإنسان النشاط والحركهٔ، ولكن عندما يتعمّق الإنسان فى حالاتها، يرى كثرهٔ المتغيّرات فيها، وعدم وفائها وعدم ثباتها على حال، ويقوده التفكّر والتدبّر فى أمرها للبكاء والحزن.

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۳۲

ويستطرد الإمام عليه السلام فى كلامه فى بيان الدنيا وحالاتها، فيقسّم أهل الدنيا إلى أربع طوائف ويقول: «فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ[۷۲۷]، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ[۷۲۸]، يَهِرُّ[۷۲۹] بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ ۷۳۰] مُعَقَّلَةٌ[۷۳۱]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ[۷۳۲]».

والحقيقهٔ أنّ هذا التقسيم رائع ودقيق جدّاً:

إنّ الإمام عليه السلام يشبّه طائفهٔ من الناس من أهل الدنيا بالكلاب التى اجتمعت حول جيفهٔ وكلّ واحد منها يريد الاستحواذ عليها، فينبح على سائر الكلاب ويريد إبعادها عن هذه الجيفهٔ، والمصداق البارز لهذه الطائفهٔ الأثرياء والمترفين الذين يعيشون الغفلهٔ عن اللّه تعالى ويسعون دوماً لجمع الثروات واكتناز الأموال وإقصاء الآخرين عن طريقهم، فأحياناً يصرخون بوجوههم، وأُخرى يلتجئون إلى المحاكم ويسعون من خلال المحامين المنحازين أن يستحوذوا على أموال الآخرين بصيغ قانونيهٔ، ونرى مثل هذه الحالهٔ من التنافس بين الحكومات والدول من خلال الحرب الباردهٔ وأجهزهٔ الإعلام الكاذب حيث يسعون لاحتكار أسواق بلدان العالم الثالث والهيمنهٔ والسيطرهٔ على ثروات الشعوب الأخرى.

وطائفهٔ من أهل الدنيا يتمثّلون فى عصرنا بالحكومات الاستكباريهٔ وأصحاب القدرهٔ والنفوذ، (أو الأثرياء الذين يدعمون مثل هذه الحكومات) فنراهم يعيشون دوماً حالات التنافس غير المشروع ويسعون لنهب مصادر الثروهٔ من الآخر، وفى كثير من الأحايين يشعلون الحروب المدمّرهٔ من أجل التوصّل إلى مقصودهم، ويسفكون دماء الآف الأبرياء ويدمّرون المدن والقرى، أجل، هؤلاء الذئاب العاويهٔ

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۳۳

يتصارعون فيما بينهم على جيفهٔ الدنيا، ويسحق الأقوياء منهم حقوق الضعفاء، ويتحرّك الكبار فى إزاحهٔ الصغار من طريقهم.

أمّا الطائفهٔ الثالثهٔ، فهم جماعهٔ لا يملكون شيئاً من النفوذ والقدرهٔ، ولكن نراهم لا يمتنعون من أيهٔ ذلّهٔ من أجل تحقيق متاع الدنيا،

فیتعاملون مع أصحاب النفوذ والمستکبرین من موقع العبودیة والخنوع والخضوع.

الطائفة الرابعة تعیش کالحیوانات المتمرّدة والمتوحّشة التی تعیش فی البراری والقفار، وعلی حدّ تعبیر الإمام علیه السلام فی کلامه: «قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَکِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوحُ ۷۳۳] عَاهَةٍ[۷۳۴] بِوَادٍ وَعْثٍ ۷۳۵]».

ثمّ یضیف: «لَیْسَ لَهَا رَاعٍ یُقِیمُهَا، وَلَا مُسِیمٌ ۷۳۶] یُسِیمُهَا، سَلَکَتْ بِهِمُ الدُّنْیَا طَرِیقَ الْعَمَی وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَی فَتَاهُوا[۷۳۷] فِی حَیْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِی نِعْمَتِهَا، اتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا».

هؤلاء هم الفئة التی تعیش فی کلّ زمان بخاصّة فی عالمنا المعاصر، حیث تتّخذ من العالم میداناً لجولاتها وتتحرّک فی کلّ مکان علی مستوی الإفساد والتخریب، ویعیشون حالة الشغف اللامحدود بالمال والثروة والجاه والمقام، قد أعموا عیونهم عن رؤیة الحقائق، وأصمّوا آذانهم عن سماعهم کلمة الحقّ وغرقوا فی النعم المادیة من الذهب والثروات والمجوهرات والدرهم والدینار، وهؤلاء عبدة الدرهم والدینار الذین یشعلون نار الحرب من أجل تحقیق مطامعهم الدنیویة، وأحیاناً یصنعون أسلحة الدمار الشامل ویبیعونها بأثمان باهظة لهذا وذاک ویوقدون نار الفتنة بینهم، فهؤلاء أضحوا العوبة بید الدنیا والدنیا العوبة بیدهم، ومن هذه الجهة نسوا اللّه

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۳۴

والمعاد والیوم الآخر تماماً.

والإمام علیه السلام فی هذه الکلمات یحذّر ولده وفلذة کبده من هذه الطوائف الأربع ویدعوه بالابتعاد عنهم، لیس لکونه ابن الإمام فقط، فالمخاطب للإمام علیه السلام یمتدّ لیشمل جمیع أفراد البشر.

و «عقول فی جملة «قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا» جمع عقل وهو الفهم والدرایة، ولکنّ البعض ذهب إلی أنها جمع عقال (وهو الحبل الذی یعقل به الجمل) وحینئذٍ یکون مفهوم العبارة: هؤلاء قد أضلّوا الضوابط التی تضبط أمورهم فی الحیاة، وبذلک یعیشون الحیرة والتیه فی صحراء الحیاة، ولکن مع الالتفات إلی الجملة الثانیة «وَرَکِبَتْ مَجْهُولَهَا» فإنّ المعنی الأوّل أنسب، مضافاً إلی أنّ «عقول» جمع عقل لا جمع عِقال، لأنّ جمع عقال «عُقل» علی وزن قفل و «عُقُل» علی وزن کُتب.

وعلی أیّة حال فالتقسیم الذی ذکره الإمام علیه السلام لأصناف أهل الدنیا وطوائفهم المختلفة یعتبر تقسیماً دقیقاً ورائعاً بحیث یستطیع المرء تشخیص هذه الفئات بسهولة ویتحرّک بحذر ویقظة بعیداً عنهم، وهذه الطوائف والفئات:

۱. فئة الفوضویین وأصحاب وسائل الإعلام المضلّلة.

۲. فئة الوحوش الذین یتکالبون علی ثروات الدنیا ویرومون السیطرة علیها.

۳. فئة العبید الذین یتحرّکون فی خطّ الذلّة والمهانة من أجل التوصّل إلی المال والمقام.

۴. فئة الأراذل وأتباع الشهوات الذین ترکوا عقولهم وساروا فی متاهات الحیاة، وهؤلاء یعبدون الذهب والفضة والدرهم والدینار، وغایتهم من الحیاة إشباع الغرائز وطلب الملذّات الرخیصة.

ج ج

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۳۵

## القسم الثانی والعشرون

### اشارة

رُوَیْداً یُسْفِرُ الظَّلَامُ، کَأَنْ قَدْ وَرِدَتِ الْأَظْعَانُ، یُوشِکُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ یَلْحَقَ! وَاعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ مَنْ کَانَتْ مَطِیَّتُهُ اللَّیْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ یُسَارُ بِهِ وَإِنْ کَانَ وَاقِفاً، وَیَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ کَانَ مُقِیماً وَادِعاً.

## الشرح والتفسير: السائرون بمركب الليل والنهار

فی هذا المقطع من الوصیة یحذّر الإمام علیه السلام مرّة أخرى ولده العزیز من هجوم الموت ونهایة العمر، ویقول: رُوَيْداً[۷۳۸] يُسْفِرُ[۷۳۹] الظَّلَامُ».

والمقصود من الظلام فی هذه العبارة الجهل بحال الدنیا وتقلّباتها حیث یتصوّر بعض الجهّال ثباتها ودیمومة حالاتها، ولکن لا تمضی فترة حتّى یواجهون الموت بهیئته الموحشة.

ثمّ یشبّه الإمام علیه السلام، أهل هذا العالم بالمسافرین الذین یتحرّکون باتّجاه المنزل المقصود ویقول: «کَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ ۷۴۰]».

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۳۶

ثمّ یضیف: «يُوشِكُ ۷۴۱] مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ»، فمن یسیر بسرعة فی هذا السفر یوشک أن یصل إلى الموت.

والمراد من «مَنْ أَسْرَعَ جمیع أفراد البشر لا طائفة خاصّة، لأنّ جمیع الناس یتحرّکون بسرعة باتّجاه المنزل النهائی، وهو نهایة الحیاة.

ویطرح الإمام علیه السلام تشبیهاً جمیلًا عن الناس فی هذا العالم ویقول: «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ۷۴۲] اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[۷۴۳]».

وهو إشارة إلى أنّ الحرکة باتّجاه نهایة العمر هی حرکة إجباریّة وحتمیّة لا اختیاریّة، فالجمیع یرکبون مطیّة الزمان ویتحرّکون بید التقدیر الإلهیّ، وسرعان ما یصلون- شاؤوا أم أبوا- إلى نقطة النهایة، وإن کان الکثیر منهم یعیشون الغفلة عن هذا المصیر.

وهناک تعابیر أخرى وردت فی سائر کلمات الإمام علیه السلام فی هذا المجال، منها قوله: «أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ»[۷۴۴].

ویقول فی مورد آخر: «نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ»[۷۴۵].

وفی حدیث آخر یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام: «إنّ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ يَعْمَلانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِما وَيَأْخُذانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُما»[۷۴۶].

وینقل ابن أبی‌الحدید فی هذا المورد قصّة جمیلة عن أستاذه ویقول: واستقرأنی أبو الفرج محمّد بن عبّاد (رحمه اللَّه) وأنا یومئذ حدث، هذه الوصیّة فقرأتها علیه من

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۳۷

حفظی، فلما وصلت إلى هذا الموضع صاح صیحةً شدیدة وسقط، وکان جبّاراً قاسی القلب (أی لا یتأثّر بسرعة بالمواعظ)[۷۴۷].

## تأمّل: السالکون إلى العالم الآخر!

فی هذه العبارات یشبّه الإمام علیه السلام الناس بالمسافرین الذین یرکبون مراکب سریعة، وهذه المراکب تقودهم إلى المنزل المقصود والنهائیّ، ولا شکّ أنّ جماعة من هؤلاء المسافرین یتوقّفون فی محطّات وسط الطریق، وجماعة أخرى یستمرّون فی مسیرتهم إلى آخر عمرهم الطبیعی، والعجیب أن لا أحد یعلم فی أیّ محطة یتوقّف وینزل.

وهناک أمران مسلّمان فی هذا السفر، أحدهما: أنّ هذا السفر غیر اختیاریّ وأنّه یملک نهایة مقرّرة سلفاً، فجماعة یطوون هذا السفر فی حال الغفلة والسکر والنوم، وجماعة آخرون یتحرّکون من موقع الیقظة والانتباه، وهناک جماعة ثالثة یتحرّکون بحالة من الیقظة تارة والغفلة تارة أخرى، وبعد نزولهم فی محطّات الطریق سیجدون نعماً وفیرة وبرکات کثیرة فی کلّ محطة، فیتزوّدون منها لمواصلة المسیرة، فأمّا من یطوی طریقه فی حال الغفلة والنوم، أو لا یدرک جیّداً مواقعه فی هذا الطریق، وکما ورد فی الحدیث الشریف: «النّاسُ نِيامٌ إذا ماتُوا انْتَبِهُوا»[۷۴۸]، فإنّهم یصلون إلى المنزل النهائی بأیدٍ خالیة وجعبة خاویة.

والأمر الآخر: إنّ الأنبیاء والرسل الإلهیین مکلّفون بتحذیر هؤلاء المسافرین وإثارة انتباهم فی هذا الطریق ویهتفون بالغافلین والنائمین

أن يستيقظوا من غفلتهم وينتبهوا من غفوتهم ويتزوّدوا من المنازل والمحطّات فى أثناء الطريق بما يحتاجونه

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۳۸

لمواصلةالمسير، لأنّهم عندما يصلون إلى المقصد فلا يمكنهم حينئذٍ توفير ما يحتاجون من وسائل ومتاع، والأهمّ من ذلك أنّ طريق العودة من هذا المسير موصدة وممتنعة.

فجماعة يؤمنون بهذه التوصيات والنصائح ويستقبلون كلام الأنبياء والأولياء بكلّ عواطفهم وقلوبهم، وجماعة أخرى يتعاملون مع هذه التعاليم السماويه من موقع الانكار، أو يستمعون إليها من غير تطبيق، وعندما يصلون إلى المقصد سيجدون الحقيقة الحاسمة أمامهم، فترتفع أصواتهم بالحسرة ويقولون: «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين»[۷۴۹]، ولكن، ولات حين مناص.

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۳۹

## القسم الثالث والعشرون

### اشارة

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّکَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَکَ، وَلَنْ تَعْدُوَأَجَلَکَ، وَأَنَّکَ فِي سَبِيلِ مَنْ کَانَ قَبْلَکَ. فَخَفِّضْ فِىالطَّلَبِ. وَأَجْمِلْ فِىالْمُکْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ؛ فَلَيْسَ کُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا کُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَکْرِمْ نَفْسَکَ عَنْ کُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْکَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّکَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِکَ عِوَضاً. وَلَا تَکُنْ عَبْدَ غَيْرِکَ وَقَدْ جَعَلَکَ اللَّهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَايُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَايُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟! وَإِيَّاکَ أَنْ تُوجِفَ بِکَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَکَ مَنَاهِلَ الْهَلَکَةِ. وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَکُونَ بَيْنَکَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّکَ مُدْرِکٌ قَسْمَکَ، وَآخِذٌ سَهْمَکَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَکْرَمُ مِنَ الْکَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ کَانَ کُلٌّ مِنْهُ.

### الشرح والتفسير: لا تذلّ نفسک أبداً

فى هذا المقطع من الوصيّة يشير الإمام عليه السلام إلى ستّ نقاط مهمّة تمثّل كلّ واحدة منها نصيحة للسائرين فى طريق الحقّ والمعنويه، ولكن قبل ذلك يذكر الإمام عليه السلام مقدّمة ويقول: «وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّکَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَکَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَکَ»، أنت لا تستطيع أن تتجاوز ما تقرّر من عمرك، فأنت تسير فى نفس الطريق الذى سار فيه القدماء، فأولئك ماتوا وذهبوا لحال سبيلهم وأنت سوف تلحق بهم.

ثمّ يستنتج الإمام عليه السلام هذه التوصية: «فَخَفِّضْ [۷۵۰] فِى الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ [۷۵۱] فِى

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۰

الْمُکْتَسَبِ».

جملة: «لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَکَ تبيّن حقيقة واضحة وهى أنّ كلّ إنسان فى هذا العالم لن يستطيع أنّ يحقّق جميع آماله وطموحاته فى أرض الواقع والحياة، ومن هذا المنطلق لا معنى للحرص فى طلب الرزق والإصرار فى تحصل المكتسبات الدنيويه.

وجملة «وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَکَ إشارة إلى أنّ عمر الإنسان محدود على أيّة حال ولا أحد يستطيع أن يغادر هذا العالم قبل وقته المقرّر وقبل حلول أجله، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يحرص الإنسان على اكتساب الأموال ويستنزف طاقاته أكثر من اللازم فى اقتناء الماديات.

ولفظتا: «خَفِّضْ و «أَجْمِلْ كلاهما تشيران إلى هذه الحقيقة، وهى لزوم ترك الحرص لاكتساب الرزق، فالمفروض أن يسلك الإنسان طريق الاعتدال والتأنّى فى الطلب، وهذا التعبير لا يعنى أبداً ترك السعى وبذل الجهد لاكتساب الرزق الحلال.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه فى بيان هذه الحقائق من موقع الاستدلال عليها يقول:

«فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ ۷۵۲]؛ فَلَيْسَ كُلَّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلَّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ».

ومثل هذا المضمون ورد فى حديث شريف عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«اجْمِلوا فى طَلَبِ الدُّنيا فَإنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ»[۷۵۳].

وعبارة: «رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلى حَرَبٍ تعتبر على حدّ قول بعض الكتّاب، من أمثال العرب، والمقصود أنّ السعى الكثير ربّما يؤدّى إلى عكس الغرض، وفى ذلك يقول الشاعر:

اقسمُ باللّهِ لَمَصُّ النَّوىوَشربُ ماء القُلُبِ المالحة

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۱

أحسنُ بالإنسانِ مِن ذلّةٍوَمِن سُؤالِ الأوجهِ الكالحة

فاستغنِ باللّه تكن ذا غنىً مغتبطاً بالصفقة الرّابحة[۷۵۴]

ويقول الآخر:

لا تَبخَلَنّ بِدُنيا وَهى مُقبلةٌفَلَيسَ يَنقُصها التَّبذِيرُ والسَّرفُ

وَإن تَوَلّتْ فَأحرى أن تَجودَ بِهافَالحمدُ مِنها إذا مَا أدبَرتْ خَلفُ ۷۵۵]

وقوله: «فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ ... وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ ...» فى الواقع بمثابة الدليل على ما ورد فى العبارات السابقة فى لزوم رعاية الاعتدال فى طلب الرزق وتشير إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ السعى الحثيث لا يعنى دوماً زيادة الرزق، ولا أنّ رعاية الاعتدال والتأنىّ قلّة الرزق، بل إنّ اللطف الإلهى يقرّر أنّ من توكّل على اللّه وترك الحرص والطمع وسعى فى طلب الرزق بشكل معتدل، فإنّه سيعيش حياة أفضل مقترنة بالسكينة والاستقرار أكثر، ومثل هؤلاء يفتحون المجال للآخرين ليتحرّكوا فى طلب الرزق ولا يتعاملون مع الناس من موقع الإقصاء والتهميش أو يضيّقون الخناق عليهم فى هذا السبيل.

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى التوصية الثانية ويقول: «وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ[۷۵۶] وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ ۷۵۷]، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ ۷۵۸] بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً».

وهذا إشارة إلى أنّ بعض الرغبات والذنوب النفسانية تتطلّب أحياناً تنازل الإنسان عن كرامته وشخصيّته، فالجدير بالإنسان الذى يعيش الكرامة والحرية أن لا يخضع لمثل هذه الرغبات، ولا يرد نفسه فى هذا المسير، فلا ينبغى للإنسان أن

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۲

يهين نفسه ويحقّق رغباته عن الشخصية أو يتنازل عن طموحاته المعنوية لحساب الميول المادية والدنيوية.

وكما قال الشاعر:

مَا اعْتاضَ باذِلٌ وَجْهِهُ بِسُؤالِهِعِوَضاً وَلَوْ نالَ الْغِنى بِسُؤالِ

وَإذَا النَّوالُ إلَى السُّؤالِ قَرَنْتَهُرَجَحَ السؤالُ وَخَفّ كُلُّ نَوالِ

وهذا يعنى أنّ الإنسان إنّما يريد المال لحفظ حيثيته وسمعته، ولكن لا ينبغى أن ينفق من حيثيته وماء وجهه لكسب المال، ولا يجدر بالإنسان أن يلهث وراء الأمور الماديّة على حساب اهتزاز شخصيته وسمعته.

ويواصل الإمام عليه السلام توصياته لولده ويقول فى التوصية الثالثة، ويقول: «وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً».

وهذه العبارة من أهمّ وأروع وصايا الإمام عليه السلام التى ينبغى أن تكتب بماء الذهب وتجعل نصب العين دائماً، أجل إنّ اللّه تعالى

خلق الإنسان حرّاً ولا- ينبغى أن يستبدل هذه الحرية بأىّ أثمان مادّيّة، بل أحياناً ينبغى أن يعيش الإنسان بإمكانات محدودة ويقنع بالمعاناة والمشقّة حفظاً لماء الوجه ولا يذلّ نفسه ويخضع لمشيئة الآخرين ويتعامل معهم من موقع الخنوع.

وهذا الكلام صادق بالنسبة للأفراد والشعوب كذلك، فما أكثر الشعوب والأقوام الضعيفة والمتخلّفة المستعدّة لبذل حريتها وكرامتها من أجل عوض زهيد، والمستكبرون وقوى الاستعمار يعرفون نقطة الضعف هذه فى الشعوب المتخلفة ويعملون على تكريس واقعها المتخلّف للإستيلاء على ثرواتها واستعبادها، بل إنّهم يتحرّكون على مستوى فرض ثقافتهم الخاطئة على هذه الشعوب مقابل بعض المساعدات الاقتصادية الزهيدة، وأحياناً يسلبون منهم دينهم وإيمانهم.

ولكنّ الأشخاص الذين يعيشون قوّة الشخصية، والشعوب الحرّة يرجّحون الموت على حياة العبودية والذلّة.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٥٤٣

وهذه التوصية فى الحقيقة من نتائج ولوازم التوصية السابقة التى يقول فيها الإمام عليه السلام: «وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ...».

وأحد المصاديق البارزة لهذا الموضوع هو ما تجلّى فى نهضة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فى كربلاء حيث قال الإمام الحسين عليه السلام فى هذه الواقعة التاريخية الهامة «ألا وَإنَّ الدعىَّ بْنَ الدَّعى قَدْ رَكَز بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السِلّةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهات مِنَّا الذِّلَّةِ»[٧٥٩].

ويطرح الإمام الصادق عليه السلام هذا المضمون بكامل أبعاده وجهاته ويبيّن أنّ الشخصية الحرّة ينبغى أن تتوفّر فيها خمس خصال قال: «خَمْسُ خِصالٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَىْءٌ مِنْها لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرُ مُسْتَمْتَعٍ: أَوَّلُها الْوَفاءُ وَالثّانِيَةُ التَّدْبِيرُ وَالثّالِثَةُ الْحَياءُ وَالرّابِعَةُ حُسْنُ الْخُلْقِ وَالْخامِسَةُ وَهِىَ تَجْمَعُ هَذِهِ الْخِصالَ الْحُرِّيَّة»[٧٦٠].

وفى التوصية الرابعة يقول الإمام عليه السلام: «وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَايُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ».

وهذا يعنى أنّ البعض ومن أجل التوصّل إلى غايتهم ومقصودهم يستخدمون كلّ وسيلة تتيح لهم ذلك وتيسّر لهم تحقيق مطلبهم، فى حين أنّ تعاليم الإسلام تقرّر أنّ التوصّل إلى الغايات والأهداف لابدّ أن يكون من طريق مشروع وصحيح، وببيان آخر، (الغاية لا تبرّر الوسيلة) وكذلك لا ينبغى لغرض تحصيل السعادة والراحة التوجّه إلى المقدّمات والوسائل التى تضيق الخناق على الإنسان وتجعله يعيش الضغوط النفسية والمالية.

وقد فسّرنا العبارة أعلاه بشكل جملة خبرية، ولكن البعض فسّرها بصيغة الجملة الاستفهاميّة، وطبقاً لهذا التفسير سيكون معنى العبارة: ماذا ينفع ذلك الخير الذى لا يحصل عليه الإنسان إلّابطريق الشرّ؟ وماذا تنفع الراحة التى تتأتّى بطريق المعاناة

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٥٤٤

والعسر؟ ومن الواضح أنّ نتيجة كلا التفسيرين واحد رغم تفاوت البيان وصياغة البلاغة.

ويشبه هذا المعنى ما ورد فى كلمات الإمام عليه السلام القصار، حيث يقول: «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النّارُ وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ»[٧٦١].

ويستطرد الإمام عليه السلام فى بيان وصيته ويخاطب ولده فى خامس توصية من هذه التوصيات: «وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ ٧٦٢] بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ ٧٦٣] الْهَلَكَةِ».

وهنا يشبّه الإمام عليه السلام موارد الطمع بمنزلة المطايا والدوابّ الجامحة والمتمرّدة التى إذا ركبها الإنسان فسوف يفقد زمامه واختياره وربّما تقوده إلى وادى الهلكة، والتعبير «مَناهِلَ الْهَلَكَةِ» فيه إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الإنسان يتوجّه لمنبع الماء لإرواء عطشه، ولكنّ المنبع الذى تقوده إليه مطايا الطمع ليس فقط لا يروى عطشه منها، بل لا يوجد ماء أساساً وتوجد بدله موارد الهلكة.

وقد جرّبنا فى حياتنا مرات عديدة هذا، والتاريخ بدوره يشهد على صحة هذا الكلام وهو أنّ الأشخاص الذين يعيشون حالات الطمع يواجهون الفشل والإخفاق فى حياتهم، لأنّ الطمع يعمى عين الإنسان عن رؤية الحقيقة ويصمّ اذنه عن سماع النصحية، ولا يسمح بتشخيص الطريق القويم من المتاهة، ومحلّ النجاة من الهاوية، بل يمكن القول إنّ أغلب الأشخاص الذين يشتغلون فى الشأن التجارى

وأمثال ذلك، والذين يواجهون الإخفاق والإفلاس فی نهاية المطاف فالسبب فی ذلك يعود إلی حالة الطمع والجشع فيهم.

ويشبه هـذا المعنى ما ورد الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام المذكور فی كتاب بحار الأنوار حيث يقول: «الطَّمَعُ خَمْرُ الشَّيْطَانِ يَسْتَقِی بِيَدِهِ لِخَوَاصِّهِ فَمَنْ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴۵

سَكِرَ مِنْهُ لَايَصْحُو إِلَّا فِی أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ مُجَاوَرَةِ سَاقِيهِ»[۷۶۴].

وفی حديث آخر يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «الطَّمَعُ يُذْهِبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ»[۷۶۵].

ونقرأ فی حديث آخر عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَا هَدَمَ الدِّينَ مِثْلُ الْبِدَعِ، وَلَا أَفْسَدَ الرَّجُلَ مِثْلُ الطَّمَعِ»[۷۶۶].

ثمّ ينطلق الإمام ليبيّن التوصية السادسة والأخيرة فی هذا المقطع من الوصية ويقول: «وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ».

ويستند الإمام عليه السلام فی هذا التوصية إلی مسألة أخلاقية مهمّة وهی أنّ الإنسان مهما أمكن لا ينبغی أن يقيّد نفسه رهن إحسان الآخرين ومنّتهم، بل يجب عليه الاعتماد علی ما يملكه من إمكانات وطاقات لينال حصّته من النعم والمقدرات الإلهيّة، فإذا نال نصيباً أقلّ من هذا الطريق، فإنّه أفضل من النصيب الأوفر إذا كان من خلال الاستعانة بالآخرين وقبول منّتهم، وفی الحقيقة النصيب الأقلّ مع حفظ كرامة الإنسان وشخصيته ومقامه يعتبر فی الحصيلة أكثر من تلك الحصّة الأخرى، لأنّ الإنسان فی هذه الحالة يحفظ شخصيته وكرامته ولا يبذل منها شيئاً لا يمكن إرجاعه بعد ذلك.

وعلی رغم أنّ عبارة الإمام عليه السلام فی هذه الفقرة مطلقة وتشمل عدم الخضوع لمنّة أیّ شخص حتّى لو كان من المحبّين والمشفقين عليه، كالأب والابن والأخ الذين يتقبّلون أیّ طلب ويستجيبون لأیّحاجة برحابة صدر، ولكن من الواضح أنّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۴۶

الإمام عليه السلام فی هذا الكلام يرى أنّ شخصية الإنسان تتعرّض بالسؤال والطلب من الآخرين إلی الخلل والاهتزاز، وعادة ما يقترن السؤال مع الذلّة أو المنّة.

والشاهد علی هذا الكلام ما ورد فی الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه:

«قَالَ يَوْماً رَجُلٌ عِنْدَهُ: اللَّهُمَّ أَغْنِنَا عَنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ. فَقَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَاتَقُلْ هَكَذَا، وَلَكِنْ قُلِ: اللَّهُمَّ أَغْنِنَا عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَايَسْتَغْنِی عَنْ أَخِيهِ»[۷۶۷].

ونقرأ فی حديث آخر عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال لولده الإمام الحسن:

«يَا بُنَیَّ إِذَا نَزَلَ بِكَ كَلَبُ الزَّمَانِ وَقَحْطُ الدَّهْرِ فَعَلَيْكَ بِذَوِی الْأُصُولِ الثَّابِتَةِ وَالْفُرُوعِ النَّابِتَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ وَالْإِيثَارِ وَالشَّفَقَةِ، فَإِنَّهُمْ أَقْضَى لِلْحَاجَاتِ وَأَمْضَى لِدَفْعِ الْمُلِمَّاتِ»[۷۶۸].

وببيان آخر أنّ الإنسان كثيراً ما يكون قادراً علی أداء عمل معيّن ولكن بسبب الكسل وطلب الراحة فإنّه يطلب المعونة من الآخرين ويضع كلّه عليهم، وهذا العمل مذموم وقبيح، ولكن فی بعض الموارد لا يتيسّر العمل ونيل المقصود إلّابآلية التعاون والتكاتف، ففی مثل هذه الموارد لا إشكال فی طلب المساعدة من الآخرين، لأنّ حياة الإنسان مقترنة دوماً بعنصر التعاون فی حركة المجتمع.

وجملة: «وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ فی الحقيقة إشارة إلی التوحيد الأفعالی للذات المقدّسة وأنّه علی فرض أن يطلب الإنسان المعونة والمساعدة من الآخرين (فيما لا ينبغی طلب المعونة فيه) ثمّ يمدّون له يد العون، فلو دقّقنا النظر فی هذا المورد أيضاً لرأينا أنه حتّى هذا المورد من قِبل اللَّه تعالى، لأنّ الإنسان لا يملك شيئاً فی واقعه حتى يعطيه لغيره، فما يملك فهو من اللَّه تعالی وما حصل عليه فإنّه قد اكتسبه بإذن اللَّه وبما أودع اللَّه فيه من قوّة وقدرة.

يقول المرحوم مغنية فی شرح نهج‌البلاغة ذيل هذه التوصية لأميرالمؤمنين عليه السلام

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۷

نقلًا عن الشيخ محمد عبده العالم المصرى المعروف، فى جمل قصيرة وعميقة المضمون، يقول: لا يوجد كلام يقع مؤثّراً فى قلب الإنسان أفضل من هذا الكلام، الكلام الذى يتسبّب بقوّة التأثير وإصابة الحقّ بحيث ينقل القارىء المؤمن من هذه الدنيا وأهلها ويجعل جميع همّه متوجّهاً إلى اللّه تعالى.

وكما يقول الشاعر:

وَيحكِ يا نَفسُ دَعِى مَا عِشتِ ذُلَّ الطَّمعِ

وَارضى بِما جرى بِهِ حُكمُ القَضاءِ واقنَعِى

إيّاكِ والميلَ إلى شَيطانكِ المُبتَدعِ

واقتَصِدى واقتَصِرى كى ترتَوى وَتَشبَعى

أينَ السّلاطِينُ الالى مِنْ حِميَر وتُبّعِ

شَادُوا الحُصُونَ فوق كُلّ شَاهِقِ مُرتفعِ

لَم يَبقَ مِنْ دِيارهِم غير رُسُوم خُشَّعِ

كَفى بذاك واعظاً وزاجراً لِمَن يعى

حَسبُكِ يا نَفسُ اقبَلى نُصْحِى وَلا تُضيّعى ۷۶۹].

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۴۹

## القسم الرابع والعشرون

### اشارة

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِى الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِى يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِى يَدَىْ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ! إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ. وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ. بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَئُوبُ. وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ.

التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لَاخَيْرَ فِى مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِى صَدِيقٍ ظَنِينٍ. سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَىْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ.

### الشرح والتفسير: سبع وعشرون موعظة ثمينة

يستعرض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من وصيته النورانية مجموعة منسجمة ومتجانسة من النصائح المتنوّعة لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والتى تتضمّن كلّ

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۰

واحدة منها نقطة مهمّة فی حياة الإنسان وسلوكه الأخلاقی، وتشكّل بمجموعها منهاجاً مفصّلًا لتحقيق الحياة السعيدة لكلّ فرد.

بدايةً يقول الإمام عليه السلام: «وَتَلَافِيكَ ۷۷۰] مَا فَرَطَ[۷۷۱] مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ».

وهذا يعنی أنّ الإنسان إذا امتنع عن التحدّث بشیء ثمّ علم بعد ذلك أنّ صمته كان خطأً فإنّه يستطيع فوراً تلافی هذا النقص وتدارك هذا الخلل، فی حين أنّه إذا كان قد تحدّث بكلام ثمّ فهم بعدُ أنّ هذا الكلام خطأ، فإنّ تدارك هذا الخطأ غير ممكن، كالماء الذی اريق على الأرض، فإنّ جمعه غير ممكن حينئذٍ.

ويستعرض الإمام عليه السلام فی إدامة كلامه الطريق الصحيح للوصول إلى هذا المقصود بذكر المثال، ويقول: «وَحِفْظُ مَا فِی الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ».

«الوعاء» الظرف الذی يوضع فيه الشیء، والمراد به هنا القلب وروح الإنسان، «الوكاء» الحبل الذی تشدّ به فوهة القربة، وهو إشارة إلى لسان الإنسان وفمه، فلو أنّ الإنسان ملك لسانه ومنطقه، فإنّه لا تصدر منه كلمات نابية ولا مسؤولة قد توجب له الندم بعد صدورها منه.

ثمّ يتطرق الإمام عليه السلام للتوصية الثانية ويقول: «وَحِفْظُ مَا فِی يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَیَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِی يَدَیْ غَيْرِكَ».

وهو إشارة إلى أنّ الكثير من الناس وبسبب حالات الإسراف والتبذير فی الأموال، يفقدون ما لديهم من ثروة، ويضحون محتاجين للآخرين، ويفقدون عزّتهم ومكانتهم، ولو أنّ الإنسان سلك طريق الاعتدال والاقتصاد فی حياته فإنّه لا يحتاج إلى الآخرين، ومن هذا المنطلق فإنّه التوصية المذكورة لا تدعو للبخل أبداً، بل تعنی الدعوة للاعتدال وترك الإسراف والتبذير.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۱

ثمّ يتطرق الإمام عليه السلام للتوصية الثالثة التی ترتبط بما قبلها ويقول: «وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ». أی «اليأس» ممّا فی أيدی الناس أفضل من الطلب إليهم.

والمراد من «اليأس» فی هذه العبارة هو حالة من قطع الأمل بالآخرين من موقع الاختيار بحيث إنّ الإنسان يوصد على نفسه باب الطلب من الناس، وهذا العمل وإن كان صعباً وشاقّاً، ولكنّه يمنح الإنسان العزّة والشرف والكرامة، ولهذا يقول الإمام عليه السلام، إنّ مثل هذه المرارة أفضل من حلاوة الطلب والسؤال إلى الناس.

وعبارة «الْيأس عَمّا فی أيْدِی النَّاسِ بوصفها قيمة وفضيلة أخلاقية وردت فی روايات عدّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام منها ما ورد فی رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وَخَيْرُ الْمَالِ الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَالْيَأْسُ عَمَّا فِی أَيْدِی النَّاسِ»[۷۷۲].

وهذا الكلام لا يعنی أنّ الإنسان يعرض عن التعاون والتكاتف مع الناس فی أمور الحياة، وأنّ الحياة الاجتماعية لا تقوم إلّاعلى أساس التعاون، بل المراد أن لا ينظر المرء إلى أموال الناس بعين الطمع ولا يجعل الناس كَلّاً، بل يسعى لكسب معاشه بنفسه.

وكما يقول الشاعر:

وَإِنْ كانَ طَعْمُ الْيأْسِ مُرّاً فَإِنَّهُ أَلَذُّ وَأَحلى مِنْ سُؤالِ الْأَراذِلِ

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام فی التوصية الرابعة ويقول: «وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ».

العفّة فی اللغة وموارد استعمالها عند علماء الأخلاق لا تعنی ضبط النفس من حيث الغريزة الجنسية، بل ضبط النفس عن كلّ ذنب، وجاءت فی الجملة أعلاه بهذا المعنى، لأنّ البعض لا يمتنع من اقتراف أیّ ذنب ومعصية فی جمع الثروة والمال من هذه الجهة أو تلك، أمّا المؤمنون الذين يعيشون الطهر والنقاء القلبی ربّما يجمعون

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۲

ثروة أقلّ، من خلال الطرق المشروعة والبعيدة عن كلّ أنواع الإثم والعدوان، والإمام يقول: إنّ هذا الأخير أفضل وأرجح من السابق.

ویستطرد الإمام علیه السلام فی بیان التوصیة الخامسة ویقول: «وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ»، لأنّ الإنسان أکثر اهتماماً وتشدّداً لحفظ أسراره من الآخرین، لأنّ إفشاء هذه الأسرار یوجب له الضرر والخسارة، وقد یتسبب فی هتک حرمته وفضح شخصیته، فی حین أنّ الآخرین ربّما لا یتضرّرون من إفشاء سرّه، ومن هذا المنطلق إذا أراد الإنسان حفظ أسراره، فیجب أن یضعها فی مکنون صدره ویحکم إغلاق بابه، کما ورد ذلک فی کلمات الإمام علیه السلام القصار: «صَدْرُ الْعاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ».

وفی التوصیة السادسة یقول الإمام علیه السلام: «وَرُبَّ سَاعٍ [۷۷۳] فِیمَا یَضُرُّهُ».

وهذا إشارة إلی أنّ سعی الإنسان یجب أن یکون مدروساً ومحسوباً، وببیان آخر، أنّ السعی یجب أن یقترن بالتدبیر، حتی لا ینعکس الأمر علیه ویقطع أصله بسیفه، وهذا یعدّ من أسوء أنواع المصائب.

وفی التوصیة السابعة یقول الإمام علیه السلام: «مَنْ أَکْثَرَ أَهْجَرَ[۷۷۴]».

أجل، فأحد فوائد الصمت، عدم التورّط فی شباک الکلام الرکیک والموهن، وقد ثبت بالتجربة أنّ الأشخاص الثرثارین یتحدّثون بکلمات کثیرة لیس لها معنی ولا مفهوم، لأنّ الکلام المحسوب والمدروس یحتاج إلی فکر ومطالعة، فی حین أنّ الثرثارین لیس لدیهم مجال للتفکیر، والإمام فی غرر الحکم یبیّن العواقب السیئة الکثیرة لظاهرة الثرثرة وما یترتّب علیها ویقول: «مَنْ کَثُرَ کَلامُهُ زَلَّ»[۷۷۵]، وهذا الأمر یؤدّی إلی سقوط شخصیته من أعین الناس ویتسبّب فی ذلّته وفضیحته، بخلاف الأشخاص الذین یتحدّثون بکلام قلیل ومدروس، فإنّ ذلک من شأنه أن یمنحهم

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۵۳

مکانة مرموقة وسمعة حسنة فی أنظار الناس وکما یقول الشاعر:

وَالصَّمتُ أجملُ للفتی‌مَا لَم یَکُن عیّ یُشینُه

وَالقَولُ ذو خَطلٍ إذامَا لَم یَکُن لبّ تُعینُه

وفی الوصیة الثامنة یقول الإمام علیه السلام: «وَمَنْ تَفَکَّرَ أَبْصَرَ»، أی أبصر حقائق الحیاة وسلک الطریق القویم فی حیاته.

إنّ أهمّیة التفکّر فی أمور الدنیا والآخرة لیست شیئاً خافیاً علی أحد، فجمیع الأفراد الذین حقّقوا نجاحاً فی حیاتهم سلکوا هذا الطریق. یقول القرآن الکریم فی هذا المجال: «کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُون* فِی الدُّنْیا وَالْآخِرَة»[۷۷۶].

وفی التوصیة التاسعة یقول الإمام علیه السلام: «قَارِنْ أَهْلَ الْخَیْرِ تَکُنْ مِنْهُمْ، وَبَایِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ».

وهذا إشارة إلی أنّ تأثیر المجالسة والمعاشرة لا یقبل الإنکار، فمجالسة الأشرار تقود الإنسان إلی وادی الهلکة والشقاء، بینما مجالسة الأخیار تقوده نحو فضاء السعادة والنجاة، وفی الآیات القرآنیة إشارات جلیّة علی هذا المعنی، یقول تعالی:

«وَیَوْمَ یَعَضُّ الظَّالِمُ عَلی یَدَیْهِ یَقُولُ یا لَیْتَنِی اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِیلًا* یا وَیْلَتی لَیْتَنِی لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِیلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِی عَنِ الذِّکْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِی وَکانَ الشَّیْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا»[۷۷۷].

وجاء فی الحدیث الشریف المشهور عن النبیّ الأکرم علیه السلام یقول: «الْمَرْءُ عَلَی دِینِ خَلِیلِهِ وَقَرِینِهِ»[۷۷۸].

وهذا هو المعیار الأفضل لمعرفة شخصیة الإنسان المعقّدة والغامضة من خلال

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۵۴

النظر إلی قرینه وصدیقه، کما ورد ذلک فی حدیث عن الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام:

«فَمَنِ اشْتَبَهَ عَلَیْکُمْ أَمْرُهُ وَلَمْ تَعْرِفُوا دِینَهُ فَانْظُرُوا إِلَی خُلَطَائِهِ فَإِنْ کَانُوا أَهْلَ دِینِ اللَّهِ فَهُوَ عَلَی دِینِ اللَّهِ وَإِنْ کَانُوا عَلَی غَیْرِ دِینِ اللَّهِ فَلَا حَظَّ لَهُ مِنْ دِینِ اللَّهِ»[۷۷۹].

ویقول علیه السلام فی التوصیة العاشرة: «بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ».

ویتحدّث القرآن الکریم عن الأشخاص الذین یأکلون أموال الیتامی بأنّهم یأکلون النار فی بطونهم: «إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوالَ الْیَتامی

ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ ناراً»[۷۸۰]. وهكـذا بالنسبة للأطعمة المحرّمة فإنّها تشبه أموال اليتامى من هـذه الجهة، وقد ورد فى الروايات أنّ من جملة موانع استجابة الدعاء، تناول الأطعمة الحرام، وقد أشرنا قبل ذلک إلى حديث نبوىّ فى هذا المجال.

ويواصل الإمام عليه السلام بيان توصيات ولده ويقول فى التوصية الحادية عشر: «وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْم»، لأنّه غير قادر على الدفاع عن نفسه، وينقل الكلينى فى كتاب الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْوَفَاةُ ضَمَّنِی إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ أُوصِيکَ بِمَا أَوْصَانِی بِهِ أَبِی عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ إِيَّاکَ وَظُلْمَ مَنْ لَايَجِدُ عَلَيْکَ نَاصِراً إِلَّا اللَّهَ»[۷۸۱].

وبديهىّ أنّ الظلم قبيح تجاه كلّ إنسان، ولكن إذا ظلم رجل شخصاً ثريّاً وسرق مقداراً من ماله، فرغم أنّ هذا العمل يعدّ مخالفة أخلاقية، إلّاأنّه لا يتسبّب فى إلحاق أذىً وضرر كبير لصاحب المال، بخلاف ما لو سرق من فقير ماله.

وفى التوصية الثانية عشر يقول الإمام عليه السلام: «إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً[۷۸۲] كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً».

إنّ أصل مناهج الحياة يقوم على أساس المداراة والليونة والانعطاف، فأحياناً

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۵

يوجد بعض الأشخاص من سيّئى الاستفادة من هذا السلوك الإنسانى، فتزداد حالات العنف فيهم، فمع مثل هؤلاء الأشخاص يكون استخدام العنف الطريق الوحيد لإصلاحهم، والجملة اللاحقة فى الحقيقة بمثابة علّة لهذه الجملة، فهناک موارد يكون الدواء فيها مزيداً فى العلّة والمرض، ويكون تحمّل الألم دواءً وعلاجاً لهذا المريض كما قال الشاعر:

ألا فاصبِر عَلَى الحَدثِ الجَليلِوَداوِ جَواکَ بالصّبرِ الجَميلِ

وَلا تَيأس فإنّ اليأسَ كُفرٌلَعلَ اللّهَ يُغنِی مِن قليلِ

وإنّ العُسرَ يَتبعُهُ يَسارٌوَقَولُ اللّهِ أصدقُ كُلِّ قيلِ

وهذا يعنى أنّ الجراح التى يتوقّف علاجها على الكىّ بالنار، فمن المعلوم أنّ استخدام الرقى والأدوية مرّة أخرى تكون عبثاً، وربّما تتسبّب فى زيادة المرض، وبعكس ذلک تارة يكون المرض عارضاً على الإنسان بحيث يتسبّب فى شفاء المريض من أمراض أهمّ وأخطر.

وفى الوصية الثالثة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ ۷۸۳] الْمُسْتَنْصَحُ ۷۸۴]».

وهذا إشارة إلى أنّه لا ينبغى إساءة الظنّ بكلام الأشخاص ممّن ليسوا من أهل النصح، وأحياناً تصدر منهم كلمات حكيمة ونصيحة نافعة، على العكس من ذلک تارة يصدر من أهل النصح والصلاح خيانة فى نصيحتهم بسبب الخطأ أو الحسد أو عوامل أخرى، وعلى ضوء ذلک لا ـ ينبغى أن نقبل كلامهم بدون تدبّر، بل ينبغى فى كلا الحالتين العودة إلى حكم العقل والعمل على تمييز الكلام النافع من غير النافع لهؤلاء الناصحين من خلال الشواهد والقرائن.

ينقل العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار رواية مشهورة وجميلة فى هذا المجال،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۶

عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: لمّا دعا نوح عليه السلام ربّه عزّ وجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه اللّه فقال: يا نوح إنّ لک عندى يداً اريد أن اكافيک عليها، فقال له نوح عليه السلام: إنّه يبغض إلىَّ أن يكون لک عندى يدٌ فما هى؟ قال: بلى، دعوتَ على قومک فأغرقتهم، فلم يبق أحد اغويه، فأنا مستريح حتّى يظهر قرن آخر واغويهم، فقال نوح عليه السلام:

ماالذى تريد أن تكافئنى به؟ (وفى بعض الروايات أن اللّه عزّ وجلّ أوحى إلى نوح أن كلّمه واسأله فإنّى سانطقه بمحجّة عليه، إلّاأنّ نوح عليه السلام لم يقبل أن يكلّمه)[۷۸۵] قال إبليس: «اذْكُرْنِی فِی ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَإِنِّی أَقْرَبُ مَا أَكُونُ إِلَى الْعَبْدِ إِذَا كَانَ فِی إِحْدَاهُنَّ: اذْكُرْنِی إِذَا غَضِبْتَ، وَاذْكُرْنِی إِذَا حَكَمْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، اذْكُرْنِی إِذَا كُنْتَ مَعَ امْرَأَةٍ خَالِياً لَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ»[۷۸۶].

وهذا الحديث فى الحقيقة يبيّن أحد المصاديق الواضحة لكلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وفى التوصية الرابعة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَإِيَّاکَ وَالاتِّکَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْکَى ۷۸۷]».

المقصود من كلمة «المُنى الآمال الطويلة والعريضة التى هى إلى الخيالات والأوهام أقرب، والأشخاص الذين يعيشون هذه الحالة من الاعتماد على الآمال البعيدة والطموحات الخيالية فإنّهم يستنزفون قواهم الفعّالة ويهدرون طاقاتهم الحيوية، ثمّ لا يصلون إلى شىء، ومن جهة أخرى الاعتماد على هذه الآمال يستنزف عصارة فكر الإنسان وعمره لحساب الوهم ويصرفه عن التفكير فى المعاد والحياة الآخرة.

وهذا ما ورد فى الحديث المشهور عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وكذلك عن الإمام

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۷

أميرالمؤمنين عليه السلام فى نهج‌البلاغة، قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِى الْآخِرَةَ»[۷۸۸].

وفى التوصية الخامسة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ».

إشارة إلى أنّ الإنسان عندما يجمع التجارب التى اكتسبها من واقع الحياة ومن الآخرين، ومع الالتفات إلى القاعدة المعروفة: «حُكْمُ الْأَمْثالِ فيما يَجُوزُ وَفيما لايَجُوزُ واحِد»، والحديث المعروف: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَايُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[۷۸۹] فإنّ ذلك من شأنه أن يمنح الإنسان القدرة على مواجهة الحوادث والمستجدّات بأساليب صحيحة، ويتعاطى معها من خلال ما اكتسبه من تجارب قديمة، وبالتالى يستطيع تفادى الكثير من الأخطاء والتخلّص من الكثير من الأزمات.

إنّ الكثير من القواعد العقليّة الكليّة مستوحاة من هذه التجارب الجزئية، (وفقاً لقاعدة الاستقراء المنطقية) وطبعاً فهذه التجارب تارة تتعلّق بالإنسان نفسه، وأخرى يستقيها الإنسان من تجارب الآخرين، وهذا كما يسمّى «نُورٌ عَلى نُورٍ»، ومن هذه الجهة يهتمّ المدراء والقادة بمطالعة تاريخ القدماء ليستوحوا منه الدروس والعبر.

وخلاصة الكلام أنّ الإنسان إذا تحرّك فى حياته على مستوى حفظ تجاربه والاستفادة من تجارب الآخرين، فإنّه يستطيع استخدامها فى الموارد المشابهة دون أن يكرّر أخطاءه الماضية، وكذلك يستخلص قانوناً كلياً من الموارد الجزئية لنفسه وللآخرين فى جميع شؤون الحياة.

ورد فى رسالة الإمام عليه السلام المرقّمة ۷۸ من نهج‌البلاغة تعبيراً أشدّ فى هذا المجال، يقول عليه السلام: «فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَة».

والتوصية السادسة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَکَ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۸

وهذا إشارة إلى أنّ التجارب تارة تمنح الإنسان نفعاً مادياً، وأخرى نفعاً معنوياً، وأنّ أفضل التجارب هو ما نفع الإنسان على المستوى المعنوى والأخلاقى.

وفى كلمات الإمام عليه السلام القصار: «لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِکَ مَا وَعَظَکَ»[۷۹۰].

وفى التوصية السابعة عشر يقول عليه السلام: «بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَکُونَ غُصَّةً».

والفرصة يعنى توفير المقدّمات للتوصّل إلى المقصود، وأحياناً يكون للإنسان مقصد مهمّ ولكن لم تتوفّر مقدّماته، وفجأة وفى لحظة تتهيّأ وتتوفّر هذه المقدّمات، فحينئذٍ ينبغى عليه المسارعة فى الاستفادة من هذه اللحظة قبل فوات الأوان، وإيصال نفسه إلى المقصد، فإذا غفل عن ذلك وأفلت الفرصة من يديه، فربّما لا تتوفّر أبداً فى المستقبل تلك الظروف لتحقيق الغاية والوصول إلى الهدف، والفرص مثل الرياح الموافقة التى تهبّ باتّجاه المقصد، فلو لم ينتفع الملّاح فى السفينة الشراعية من هذه الفرصة، فربّما يبقى ساعات

وأيّاماً على سطح البحر دون أن يتحرّك فى المسير الصحيح، ويتحوّل ضياع تلك الفرصة إلى غصّة.

وجاء فى الحديث المشهور عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»[۷۹۱].

وورد فى حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله قال: «مَنْ فُتِح لَهُ بابٌ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لا يَدْرى مَتى يُغلَقُ عَنْهُ»[۷۹۲].

وقد وردت بهذا المضمون روايات كثيرة عن المعصومين عليهم السلام وفى عبارات الأعاظم، ونختم هذا الفصل بحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام حيث يقول: «أَشَدُّ الْغُصَصِ فَوْتُ الْفُرَصِ»[۷۹۳].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۵۹

وفى التوصية الثامنة عشر يقول الإمام عليه السلام: «لَيسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَؤوبُ».

وهاتان الجملتان بمثابة العلّة للتوصية بالمبادرة واستغلال الفرص قبل فوات الأوان، لأنّ الإنسان إنّما يصل إلى مقصوده فيما لو سعى لتوفير الأرضية اللازمة والظروف المناسبة للنجاح، وفى غير هذه الصورة فإنّ سعيه سيكون عقيماً، وكلمة «غائب» يمكن أن تشير إلى الفرص الضائعة التى لا تعود أبداً، وفى ذات الوقت يمكن أن تكون توصية مستقلّة وإشارة إلى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يتوقّع أن يصل إلى نتيجة من سعيه وعمله دائماً، وببيان آخر أن لا يصاب باليأس والقنوط ممّا يواجهه من إخفاقات فى حركة الحياة.

نفحات الولاية ؛ ج۹ ؛ ص۵۵۹

ى الوصية التاسعة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ».

والمقصود من الزاد هنا هو زاد التقوى والمتاع لسفر الآخرة، فلو أنّ الإنسان أضاع هذا الزاد فإنّه سيفسد معاده وتضيع آخرته.

وفى التوصية العشرين يقول: «وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ».

وذلك إشارة إلى أنّ الإنسان عندما يقدم على أىّ عمل، يجب أن يتدبّر فى عاقبته، ولا يتحرّك فى طريق ويقوم بعمل دون تفكير ومحاسبة، فلو كانت عاقبته حسنة فإنّه يقدم عليه وإلّا فلا.

وجاء فى غرر الحكم عن الإمام أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام هذه العبارة مع إضافة، يقول: «وَلِكُلِّ أمْرٍ عاقِبَةٌ حُلْوَةٌ اوْ مُرَّةٌ»[۷۹۴].

وفى التوصية الحادية والعشرين يقول الإمام عليه السلام: «سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ».

والمقصود أنّه لا ينبغى أن يعيش الإنسان الحرص بدون مبرّر، وهذا لا يعنى أنّ الإنسان يترك السعى لطلب المعاش وتحسين ظروف الحياة، بل الغرض من ذلك أن

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۶۰

يجتنب الجهد العقيم والسعى غير المثمر، وجميع الروايات التى تشير إلى تقدير الرزق، ناظرة إلى هذا المعنى.

وفى التوصية الثانية والعشرين يضيف الإمام عليه السلام: «التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ[۷۹۵]».

فالتاجر لا- ينتفع ويربح من تجارته دائماً، وكما يقال إنّ التجارة نوع من الحظّ، ومن هنا فالإنسان ينبغى أن يتحلّى بالشجاعة ويتوكّل على اللّه ولا يخشى من الأضرار المحتملة ولا يفقد أمله من مواجهة الضرر والخسارة، فالتاجر يجب أن يسعى ويبذل جهده فى هذا السبيل مع التدبّر فى معطيات هذا المسير ومخاطره، ولكن إذا واجه ضرراً وخسارة، فلا ينبغى له أن يتألم ويحزن.

ويحتمل أن تكون هذه الجملة إشارة إلى الأبعاد المعنوية للتجارة، لأنّ التاجر تتلوّث أمواله أحياناً بالحرام وتواجه سعادته الخطر من ذلك، وعلى ضوء ذلك يجب عليه الانتباه من الوقوع فى هذه الأخطار وخاصّة فى عصرنا الحاضر الذى ازدادت فيه الأموال الحرام والتجارة غير المشروعة وأحياناً تسدل الأرباح الوفيرة حجاباً على عقل الإنسان وتقود التاجر إلى التورّط فى مهاوى الذنوب والانحراف.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستعرض التوصية الثالثة والعشرين ويقول: «وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ».

إشارة إلى أنّ الإنسان لا ينبغى أن ينظر إلى كمية الأعمال والأفعال، بل المهمّ الكيفية والنوعية، فكم من الأعمال القليلة وبكيفية أفضل وإخلاص أوفر تعطى ثماراً أكثر، يقول القرآن الكريم: «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»[٧٩٦].

وهنا احتمال آخر فى تفسير هذه الجملة، وهى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يهتمّ فى حياته الماديّة بزيادة رأس ماله وثروته، وربّما يكون الرأسمال القليل حلالًا

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٦١

وطاهراً، وفى التالى ينمو ويزداد بشكل أكبر، يقول القرآن الكريم: «وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِّباً لِّيَرْبُوَا فِى أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَما آتَيْتُمْ مِّنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ»[٧٩٧].

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يطرح التوصية الرابعة والعشرين ويقول: «لَا خَيْرَ فِى مُعِينٍ مَهِينٍ ٧٩٨]، وَلَا فِى صَدِيقٍ ظَنِينٍ ٧٩٩]»، لأنّ الصديق المهين إذا كان يعيش الحقارة والدناءة فإنّ عمله هذا سيكون مقترناً غالباً بالمنّ، مضافاً إلى أنّ شخصية الإنسان ستواجه الاهتزاز فى أنظار الناس، لأنّه يتخذ من الشخص الدنىء معيناً ورفيقاً، والصديق المتّهم وإن أدّى حقّ الصداقة والزمالة، فإنّه يتسبّب فى توجّه التهمة إلى صديقه ويسىء إلى سمعته، وهنا ينبغى على العاقل أن يغضّ نظره عن معونته وعطائه.

وفى التوصية الخامسة العشرين يقول الإمام عليه السلام: «سَاهِلِ ٨٠٠] الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ».

وهو إشارة إلى أنّه من الممكن أن لا تعود مثل هذه الفرصة فى المستقبل، ويحتمل أيضاً فى تفسير هذه الجملة أنّ الدهر إذا تعامل معك من موقع المداراة فعليك أن تداريه أيضاً وكما قال الشاعر:

إذا الدَّهْرُ أعْطاكَ الْعِنانَ فَسِرْ بِهِ رُوَيْداً وَلا تَعْنَفْ فَيُصْبِحُ شامِساً

وفى التوصية السادسة والعشرين يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ».

فأحياناً تتوفّر نعم كثيرة لدى الإنسان، ولكن حالة الطمع وطلب المزيد تدفعه من أجل اكتساب المزيد من النعم والثروات، أن يخاطر بحياته وبإمكاناته، وهذا العمل يتقاطع مع العقلانية، من قبيل أنّ الإنسان يضع ماله بيد أشخاص لا يعرفون

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٦٢

شيئاً من أمر التجارة والمضاربة، طمعاً فى ما وعدوه من أرباح وفيرة، فتكون النتيجة أنّه ليس فقط لا يربح شيئاً، بل يفقد أصل رأس ماله أيضاً.

وأخيراً وفى التوصية السابعة والعشرين (فى هذا المقطع من الوصيّة) يقول الإمام عليه السلام: «وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ ٨٠١] بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ».

اللجاج هو أن الإنسان يصرّ على كلامه الباطل أو سلوكه المنحرف الذى ثبت له بطلانه، خوفاً من اهتزاز شخصيته أمام الآخرين، فى حين أنّ الإنسان فى مثل هذه الموارد لو تعامل مع الحقيقة من موضع التواضع والإذعان لها، فإنّه سيكسب المزيد من السمعة فى أنظار الناس.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إِيَّاكَ وَاللَّجَاجَةَ فَإِنَّ أَوَّلَهَا جَهْلٌ وَآخِرَهَا نَدَامَةٌ»[٨٠٢].

وفى حديث آخر يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «لا مَرْكَبَ أَجْمَحَ مِنَ اللَّجاجِ»[٨٠٣].

والحقيقة أنّه لو قرأ الإنسان هذه الوصايا السبع والعشرين فقط فى هذه الوصية والتى وردت بعبارات موجزة وعميقة المحتوى، وتحرّك على مستوى تطبيقها وتجسيدها فى واقع الممارسة والعمل، فسوف يعيش السعادة المنشودة، ولو أنّ المجتمع جسّد هذه المواعظ والنصائح فلا شكّ أنّ مثل هذا المجتمع سيعيش الحيوية والنشاط والسعادة والإزدهار.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٦٣

## القسم الخامس والعشرون

## اشارة

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَیْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِیَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّی لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً. وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ. وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَا. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

## الشرح والتفسیر: الإحسان فی مقابل الإساءة!

ینطلق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الوصیة لبیان وظیفة الإنسان فی مقابل إخوانه وأصدقائه وکیفیة التواصل معهم من موقع حسن الخلق، وذلک بتقدیم عدّة توصیات، یقول بدایةً:

«احْمِلْ نَفْسَکَ مِنْ أَخِیکَ عِنْدَ صَرْمِهِ ۸۰۴] عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ ۸۰۵] عَلَى

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۶۴

اللَّطَفِ ۸۰۶] وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ ۸۰۷] عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّینِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى کَأَنَّکَ لَهُ عَبْدٌ، وَکَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَیْکَ».

فی هذه التوصیة یحذّر الإمام علیه السلام ولده من الردّ بالمثل فیما یواجهه من نفور ولامبالاة من أصدقائه، وضمناً یوصیه بستّ جمل بلیغة تتضمّن بلاغة الجناس، بأنّ الردّ بالمثل من شأنه أن یهدّد أساس المودّة والصداقة بین الأصدقاء، فیفقد المرء صدیقه بسبب ذلک، ولکن کلّما تعامل مع الإساءة بالإحسان ومع اللامبالاة بالمودّة، فسوف یدرک صدیقه خطأه ویخجل من نفسه ویتحرّک على مستوى جبر الخلل وتقویة وترسیخ دعائم المحبّة والمودّة أکثر فأکثر.

والعبارات التی یستخدمها الإمام علیه السلام فی هذه الفقرات تمثّل فی الحقیقة شرحاً لما ورد فی القرآن الکریم فی قوله: «ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَبَیْنَهُ عَداوَةٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ* وَما یُلَقَّاها إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا وَما یُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِیمٍ»[۸۰۸].

ورغم أنّ هذه الآیة نزلت فی مورد الأعداء، ولکن ممّا لا شک فیه أنّها صادقة على الأصدقاء أیضاً، فسیرة النبیّ الأکرم صلى الله علیه و آله وأئمّة الهدى علیهم السلام وعلماء الدین الکبار تشیر إلى هذه الحقیقة أیضاً إلّافی موارد استثنائیة، وأنّهم کانوا لا یواجهون العدوان والإساءة من الأصدقاء والأعداء بالمثل، إلّافی موارد خاصّة ونادرة.

وبما أنّ بعض السذّج وذوی الفکر الضیّق ربّما یسیئون هذا السلوک الإنسانی معهم، فالإمام علیه السلام استثنى هذه الفئة من هذه القاعدة وقال: «وَإِیَّاکَ أَنْ تَضَعَ ذلِکَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَیْرِ أَهْلِهِ».

والفرق بین جملة «وَإِیَّاکَ أَنْ تَضَعَ ...» وجملة «أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ ...» أنّ الجملة الثانیة

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۶۵

تشیر إلى الأشخاص الذین یعیشون الحقد والعناد، وأنّ الاحسان إلیهم فی مقابل إساءتهم قد تتسبّب فی زیادة جرأتهم وعدوانهم، فیکون الإحسان إلیهم کالإحسان إلى الذئب، ولکنّ الجملة الاولى ناظرة إلى الأشخاص الذین لا یعیشون مثل هذه الحالة، ولکن ربّما یقودهم الإحسان إلیهم فی مقابل إساءتهم أن یتصوّروا خطأً أنّهم أخیار وأنّ عملهم جیّد ولیس فیه إشکال.

والتعبیر ب «احْمِلْ فی بدایة هذه التوصیة إشارة إلى أنّ عملیة الإحسان فی مقابل الإساءة وإن کانت صعبة على الإنسان، ولکن ینبغی

علیه أن یتحمّل ذلک ویحمل هذه القضیة علی نفسه.

ویقول الإمام علیه السلام فی التوصیة الثانیة: «لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِیقِکَ صَدِیقاً فَتُعَادِیَ صَدِیقَکَ».

فهذا العمل یعدّ من جملة النفاق، حیث یطرح الإنسان المودّة مع صدیقه ومع عدوّ صدیقه أیضاً، فهذا هو اسلوب الأشخاص الذین لا یعیشون واقع الصداقة وحقیقة المودّة، وغرضهم من ذلک الانتفاع والمصلحة الشخصیة من کلا الطرفین، فلا یمتنعون فی هذا السبیل من الوقوع فی مثل هذا التناقض والسلوک والعواطف.

وطبعاً هذا فی مورد تکون عداوة العدوّ ناشئة من ظلمه وعدوانه، لا أنّ الصدیق مقصّر وقد ارتکب إساءة فی حقّه بحیث أدّی ذلک إلی معاداته.

وکذلک یصدق هذا الکلام فی مورد لا یکون الغرض من إقامة علاقة مع عدوّ الصدیق إصلاح ذات البین، فإن کان المقصود من المودّة معه إصلاح ذات البین فإنّه لیس فقط عمل غیر ذمیم بل عمل إنسانی ممدوح.

وممّا یجدر ذکره أنّ توصیة الإمام علیه السلام فی هذا الباب لا تتناول الأشخاص فقط، بل تشمل الفئات والشعوب والدول أیضاً، رغم أنّ الکثیر من الدول فی العالم المعاصر یطرحون المودّة والصداقة مع کلا طرفی النزاع دون أن یقصدوا من ذلک المصالحة بینهما، بل هدفهم من ذلک استغلال هاتین الدولتین المتخاصمتین لضمان

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۶۶

مصالحهم الشخصیة، فیقیمون روابط سیاسیة واقتصادیة مع الأصدقاء ومع الأعداء علی حدّ سواء، واللافت للنظر أنّهم لا یخفون ذلک، بل یصرّحون بإقامة مثل هذه العلاقة العمیقة معنا، وکذلک مع أعدائنا فی ذات الوقت.

ففی روایة أنّ رجلًا قدم علی أمیرالمؤمنین علیه السلام فقال: یاأمیرالمؤمنین إنّی احبّک واحبّ فلاناً، وسمّی بعض أعدائه فقال علیه السلام: «أمّا الآنَ فأنتَ أعْوَر، فإمّا أنْ تَعْمی وإمّا أن تُبْصِر»[۸۰۹].

وفی بعض الروایات أنّه ذکر معاویة.

وجاء فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السلام قاله له رجل: إنّ فلاناً یوالیکم إلّا أنّه یضعف عن البراءة من عدوّکم، فقال الإمام علیه السلام: «هَیْهَاتَ، کَذَبَ مَنِ ادَّعَی مَحَبَّتَنَا وَلَمْ یَتَبَرَّأْ مِنْ عَدُوِّنَا»[۸۱۰].

ویقول القرآن الکریم مخاطباً النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله: «لا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْیَوْمِ الْآخِرِ یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشیرَتَهُم»[۸۱۱].

ثمّ یقول الإمام علیه السلام فی هذه الفقرة من الوصیّة: «وَامْحَضْ [۸۱۲] أَخَاکَ النَّصِیحَةَ، حَسَنَةً کَانَتْ أَوْ قَبِیحَةً».

وهو إشارة إلی أنّ بعض الأصدقاء یمتنعون أحیاناً من بذل النصیحة خوفاً من إزعاجنا وامتعاضنا فیخفون الحقائق عنّا، فهؤلاء فی الواقع لیسوا مخلصین فی نصحهم ومودّتهم، لأنّه لو نصحوا شخصاً وحذّروه من مغبّة عمل معین واستاء مؤقتاً من ذلک، ولکنّه سلم من خطر أو ضرر بسبب هذه النصیحة، فإنّ ذلک أفضل بکثیر

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۶۷

من اختیار السکوت وترکه یواجه المشاکل والأخطار بسبب ذلک السلوک الخاطیء.

وللأسف فإنّ الکثیر من الأشخاص، وبسبب هذه الملاحظات، یصرفون النظر عن تقدیم النصح فی الموقع المناسب، فیبتلون بسخط اللَّه تعالی والخیانة لخلق اللَّه.

ولذا یقول الإمام الصادق علیه السلام فی حدیث شریف: «أَحَبُّ إِخْوَانِی إِلَیَّ مَنْ أَهْدَی إِلَیَّ عُیُوبِی»[۸۱۳].

یعنی أنّ الإنسان العاقل لیس فقط لا یتألم من بیان عیوبه من قِبل الآخرین، بل ینبغی أن یحثّهم علی بیانها وذکرها، لیستطیع إصلاح العیب والخلل.

وفى حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «اتَّبِعْ مَنْ يُبْكِيكَ وَهُوَ لَكَ نَاصِحٌ وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ يُضْحِكُكَ وَهُوَ لَكَ غَاشٌّ»[۸۱۴].

ويقول الإمام عليه السلام فى التوصية الرابعة: «وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّى لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً[۸۱۵]».

فهنا نرى أنّ الإمام عليه السلام يشبّه الغضب بالدواء المرّ الذى يتجرّعه الإنسان على مضض ولهذا يتناوله جرعة بعد جرعة، ولكنّ عاقبته الشفاء من المرض، ونهايته حلوة ومريحة، وهكذا حال كظم الغيض وتجرّع الغضب، لأنّه ينقذ الإنسان من الوقوع فى هوّة الندم والخجل والأضرار الكثيرة المترتّبة على حالة السخط والحدّة فى صورة عدم ضبط الإنسان لنفسه.

وفى الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «قالَ لِى أبى: يَا بُنَيَّ مَا مِنْ شَىْءٍ أَقَرَّ لِعَيْنِ أَبِيكَ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ عَاقِبَتُهَا صَبْرٌ وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَسُرُّنِى أَنَّ لِى بِذُلِّ نَفْسِى حُمْرَ

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۶۸

النَّعَمِ»[۸۱۶].

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضَاهُ»[۸۱۷].

ويضيف الإمام عليه السلام فى التوصية الخامسة ويقول: «وَلِنْ ۸۱۸] لِمَنْ غَالَظَكَ ۸۱۹] فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ».

الكثير من الأشخاص يسلكون سبيل العنف فى حال الغضب والسخط، وتزداد وتيرة الحدّة وتتفاقم حالة الغضب حتّى تصل أحياناً إلى مواقع الخطر، ولكن إذا أمسك الإنسان زمام نفسه وكظم غيظه وضبط حدّة الغضب بإرادته، وبدلًا من استخدام آلية العنف فإنّه يستخدم آلية المداراة والانعطاف، فليس فقط تزول حالة الصراع والنزاع مع الطرف الآخر، بل تحلّ المودّة والمحبّة محلّها، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم حيث تؤكّد الآية الشريفة على لزوم الإحسان فى مقابل الإساءة لتحويل الطرف المقابل من عدوّ إلى صديق وتقول: «ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»[۸۲۰].

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة عن التفضّل على العدوّ، ويقول:

(وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ»، أى الظفر عن طريق العنف والقوّة، والظفر عن طريق المحبّة والمودّة.

وهذه الجملة فى الحقيقة تأكيد على ما تقدّم من توصيات، ولكنّها تتمتع ذات جمال أخّاذ فى صياغتها، يقول: ربّما تنتصر على عدوّك بآليات العنف والقوة، ولكن

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۶۹

يمكنك أن تحقّق هذا النصر من خلال إبراز المحبّة والمودّة، ومعلوم أنّ الطريق الثانى أحلى وأحسن عاقبة، لأنّك فى المستقبل ستعيش فارغ الذهن عن خوف الانتقام من العدوّ فى حين أنّك إذا انتصرت عليه باستعمال القوّة، فسوف تتوقّع فى كلّ وقت ظهور نزاع جديد باستخدام القوّة من قِبل العدوّ، وبعبارة أخرى، أنّ العدوّ سيبقى فى الطريق الأول عدوّاً، فى حين أنّة فى الطريق الثانى سيتبدّل إلى صديق.

ينقل أبوالفرج الاصفهانى فى كتاب مقاتل الطالبيين قصّة جميلة فى هذا المجال عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّ رجلًا من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذى أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه، ويشتم علياً عليه السلام، فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن ذلك أشدّ النهى وزجرهم أشدّ الزجر، فسأل عن العمرى، فذُكر له أنّه يزرع بناحية من نواحى المدينة، فركب إليه فوجده فى مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمرى:

لاـ توطئ زرعنا، فتوطّأه أبو الحسن موسى عليه السلام بالحمار حتّى وصل إليه، فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه وقال له: «كَمْ غَرِمتَ فِى زَرْعِكَ هذا؟» (أى صرفت على زرعك).

فقال العمرى: مائة دينار، فقال الإمام عليه السلام: «وَكَمْ تَرجُو أن تُصِيبَ؟» (أى تربح من الزرع).

قال العمرى: لست أعلم الغيب، فقال الإمام عليه السلام له: «إنّما قُلتُ لَكَ كَمْ تَرجُو أن يَجِيئُكَ فِيه»، قال العمرى: أرجو أن يجيئنى فيه مائتا دينار.

فأخرج الإمام الكاظم عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقال: «هذا زَرْعُكَ على حَالِهِ واللّهُ يَرزُقُكَ فِيهِ ما تَرْجُو».

فقام العمرى فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فرطه (أى ما فرّط فى حقّ الإمام عليه السلام) فتبسّم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف.

قال الراوى: وراح الإمام الكاظم عليه السلام إلى المسجد فوجد العمرّى جالساً، فلمّا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۷۰

نظر إليه قال: «اللّهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَه»، فوثب أصحاب العمرى إليه، فقالوا له:

ما قصّتك، قد كنت تقول غير هذا؟

قال العمرى: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبى الحسن الإمام الكاظم عليه السلام، فخاصموه وقاطعهم، فلمّا رجع أبوالحسن عليه السلام إلى داره، قال لجلسائه الذين سألوه فى قتل العمرى: أيّما كان خيراً، ما أردتم أو ما أردت، إنّنى أصلحت أمره بالمقدار الذى عرفتم وكفيت شرّه ۸۲۱].

ويقول الإمام فى التوصية السابعة: «وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَا».

وهذا يعنى أنّ الإنسان ينبغى أن يسير فى مسألة الصداقة فى خطّ الاعتدال، ولا يفشى أسراره كلّها لصديقه، حتّى لا يتورّط فيما لو انقلبت هذه الصداقة يوماً ما إلى عداوة ويواجه الضرر والخسارة، وهكذا بالنسبة للحالة الأخرى، فالإنسان لا ينبغى أن يقطع صلته تماماً مع صديقه ويهدم كلّ الجسور خلفه، لأنّه ربّما يندم ويريد إعادة العلاقة مع الطرف الآخر، ولكنّه لا يجد طريقاً لمدّ جسور الثقة معه.

وهذا المضمون ورد بشكل أشمل فى كلام آخر لأميرالمؤمنين عليه السلام (طبقاً لما ورد فى بحارالانوار) قال: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا»[۸۲۲].

وينقل ابن أبى‌الحديد عن بعض العلماء هذا المعنى ببيان آخر قال: «إذا هَوَيْتَ فَلا تَكُنْ غالِياً وَإذا تَرَكْتَ فَلا تَكُنْ قالِياً»[۸۲۳].

وفى التوصية الثامنة والأخيرة من هذا المقطع من الوصية يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۷۱

وهو إشارة إلى أنّ شخصاً لو كان يظن أنّك من أهل الخير والبذل والعطاء وطلب منك شيئاً أو استعان بك على أمر، فعليك أن تصدّق ظنّه وتثبت له أنّك عند حسن ظنّه.

ومثل هذا السلوك يمتاز بمزيّتين؛ فمن جهة يكرّس حسن ظنّ الناس بالشخص، ومن جهة أخرى يقوده حسن الظنّ فى طريق الخير والصلاح.

وقد يصادف كثيراً أن يأتى بعض الأشخاص لدى المرء ويقولون: إننا نواجه مشكلة ونعتقد أنّ حلّها بيدك، فهنا يجب على الإنسان أن يسعى لحلّ مشكلة هؤلاء ويؤكّد لهم صدق ظنّهم ولا يتبدّل حسن الظنّ إلى سوء الظن.

***

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۷۳

## القسم السادس والعشرون

## اشارة

وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

## الشرح والتفسير: لا تضيّع حقّ الصديق

فى هذا المقطع من الوصيهٔ النيّرهٔ يطرح الإمام عليه السلام كما فى القسم السابق، ستّ نصائح مهمّهٔ فى عبارات موجزهٔ لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول أوّلًا: «وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ بَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ».

وهذا يعنى أنّ جميع الإخوهٔ والأصدقاء يتوقّعون من أصدقائهم احترام حقوقهم، ولو شاهدوا خلاف ذلك فإنّ من شأنه تعريض أركان الاخوهٔ والصداقهٔ إلى الاهتزاز، ولكن للأسف فإنّ بعض الأشخاص يفكّرون بخلاف هذه الطريقهٔ ويحسبون أنّهم إذا لم يراعوا حقّ الأخ والصديق والرفيق، فذلك ليس بالأمر المهمّ ويتوقّعون من الطرف الآخر القبول والإغماض، فى حين أنّ هذا خطأ كبير، لأنّ مثل هذه السلوكيات الجافّهٔ وهذه اللامبالاهٔ للحقوق إذا لم تؤثّر عاجلًا فى إضعاف وشائج المودة، فإنّها بالتدريج تعرّض دعائم الاخوّهٔ والصداقهٔ إلى الضعف والاهتزاز.

وهذا الكلام من قبيل ما لو أنّ شخصاً مديناً لعدد كبير من الناس وكان يسعى

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۷۴

لإرضاء الآخرين وكسب ودّهم، ويغفل عن مطالبات أصدقائه ويعتقد أنّ هذه اللامبالاهٔ بحقوقهم لا يترتّب عليها شىء.

وفى التوصيهٔ الثانيهٔ يضيف الإمام عليه السلام ويقول: «وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ».

أى لا ينبغى أن تتعامل مع أهلك بآليات الإساءهٔ بحيث يقفون منك موقفاً سلبياً ويتمنّون موتك وزوال النعمهٔ عنك.

وهناك احتمال آخر فى تفسير هذه الجملهٔ أيضاً، وهو أنّه لا ينبغى أن تبذل كلّ اهتمامك لأصدقائك وتغفل عن أهلك واسرتك وتتركهم يعيشون فى حالهٔ من الشقاء والمعاناهٔ.

الكثير من الأشخاص يصرفون جلّ أوقاتهم مع الأصدقاء والزملاء ويعيشون معهم غالباً فى أجواء المحبّهٔ ويبذلون لهم كلّ مساعدهٔ، ولكنّهم يحرمون اسرتهم من هذه المودّهٔ والصفاء أو القيام بمسؤوليات الاسرهٔ.

ونقرأ فى حديث عن الإمام أبى الحسن علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام قال: «يَنْبَغِى لِلرَّجُلِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى عِيَالِهِ كَيْلَا يَتَمَنَّوْا مَوْتَه»، فجدير بالإنسان عندما يحصل على نعمهٔ أن يرفه على عياله ولا يضيّق عليهم، حتّى لا يقفوا منه موقفاً سلبياً.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى ذيل هذه الروايهٔ يقول: «الأسيرُ (العائلهٔ) عيالُ الرَّجُلِ وَيَنبغِى للرّجلِ إذا زِيدَ فِى النّعمهِٔ أنْ يَزِيدَ اسَراءَهُ فِى السَّعهِٔ عَليهُم، ثمّ قال: إنّ فُلاناً أنعمَ اللَّهُ عَليهِ النّعمهَٔ، فَمَنَعَها اسَراءَهُ وَجَعلَها عندَ فُلانٍ، فَذهبَ اللَّهُ بِها»[۸۲۴].

وفى التوصيهٔ الثالثهٔ يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ[۸۲۵] عَنْكَ».

لأنّ مثل هذه العلاقهٔ تقود الإنسان إلى مهاوى الذلّهٔ والمهانهٔ، وصحيح أنّه طبقاً للتوصيات السابقهٔ فأنّه يجب على الإنسان أن يحتفظ بالعلاقهٔ مع الشخص الذى

نفحات الولايهٔ، ج۹، ص: ۵۷۵

قطع علاقته به؛ ولكن هذا المعنى إنّما يصحّ فيما لو وقف الطرف المقابل موقفاً إيجابياً منه، ولكن إذا تعامل معه من موقع التحقير واللامبالاهٔ، فلا ينبغى على الإنسان أن يذلّ نفسه ويتوجّه إليه ويتوسّل به، بل ينبغى أن يغضّ النظر عنه، فالإنسان كما يقول المثل يجب أن يضحّى لمن يهتمّ به.

وفی التوصیة الرابعة یقول الإمام علیه السلام: «وَلَا یَکُونَنَّ أَخُوکَ أَقْوَی عَلَی قَطِیعَتِکَ مِنْکَ عَلَی صِلَتِهِ، وَلَا تَکُونَنَّ عَلَی الْإِسَاءَةِ أَقْوَی مِنْکَ عَلَی الْإِحْسَانِ».

وهذا إشارة إلی أنّ الطرف المقابل مهما سعی لقطع العلاقة معک، فینبغی علیک أن تصرّ علی توثیقها وتقویتها، وکلّما رأیت منه إساءة، فیجب أن تقابلها بالإحسان.

وطبعاً هذا فی مورد الأشخاص الذین تؤثّر فیهم المحبّة والإحسان، وعلی هذا الأساس لا تتنافی مع الجمل السابقة.

وفی التوصیة الخامسة یقول الإمام علیه السلام: «وَلَا یَکْبُرَنَّ عَلَیْکَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَکَ، فَإِنَّهُ یَسْعَی فِی مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِکَ».

وهذا یعنی أنّ الإنسان لا ینبغی أن یستاء کثیراً فی مقابل حالات الظلم التی یواجهها، ولا یدع للیأس أن یتخّذ طریقاً له فی حیاته، بل علیه أن یعتقد بأنّ هذا الظالم الذی قصّر فی حقّه وظلمه، إنّما یظلم نفسه وینفع المظلوم فی نهایة المطاف حیث یحمل وزر المظلوم علی ظهره یوم القیامة، والحقیقة أنّ ضرر الظلم یصیب مرتکبه ویخفّف عن کاهل المظلوم وزره.

وهذا الکلام یشبه ما ورد فی الروایات فی باب الغیبة وأنّ أحد العلماء سمع رجلًا یغتابه ویتحدّث عنه بسوء، فأهدی إلیه هدیة، فتعجّب ذلک الرجل فقال له هذا العالم: سمعت أنّ حسناتک قد انتقلت إلی صحیفة أعمالی، وقد تقبّلتَ سیّئاتی، وأنا بدوری أشکرک علی هذه الخدمة وهذا الإحسان إلیَّ.

وهذا الکلام لا یعنی أنّ الإنسان ینبغی أن یلتزم الصمت فی مقابل الظالمین ولا یتصدّی لهم بالاعتراض، لأنّنا نعلم أنّ شعار الإسلام هو: «لا تَظْلِمُونَ وَلا



تُظْلَمُونَ»[۸۲۶]، ونعلم أنّ الإمام علیّ علیه السلام ذکر فی وصیته لأبنائه وهو فی فراش الشهادة قال: «کُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»[۸۲۷] بل المقصود أنّ الإنسان عندما یقع مظلوماً ولا یملک القدرة علی ردّ الظلم والتصدّی للظالم، لا ینبغی له الیأس والتشاؤم وإطلاق کلمات اللعن والتأوّه، والشاهد علی هذا الکلام ما ورد فی الحدیث المشهور عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله عندما سرق أحدهم عقد عائشة وأخذت عائشة بلعن السارق، فقال لها النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله: «لا تَمْسَحی عَنْهُ بِدُعائِکَ»[۸۲۸]، أی لا تدرئی عنه العذاب بهذا اللعن، فعلیک بضبط نفسکِ ولسانکِ عنه واعلمی أنّه قد ظلم نفسه وإنّ اللَّه تعالی سیثیبکِ علی صبرکِ وتحمّلکِ.

وهنا توجد نقطة دقیقة ینبغی الالتفات إلیها، وهی أنّ الظالم کالسارق مثلًا، عندما یورد الضرر والخسارة المالیة علی المظلوم من جهة ویجعله یعیش الحزن والألم الروحیّ من جهة أخری، فإنّ اللَّه تعالی یثیبه علی کلا الأمرین، ولکن لو دعا المظلوم علی من ظلمه وأخذ یلعنه باستمرار لیشفی غیض قلبه ویهدّیء من غیضه، فمن الطبیعی أن یخفّف ذلک من عذاب الظالم.

فیتبیّن ممّا تقدّم أنّ ما ذهب إلیه بعض شرّاح نهج‌البلاغة کابن أبی‌الحدید من اتّخاذ السکوت فی مقابل ظلم الظالمین کقاعدة کلیّة، خطأ کبیر، بل ینبغی القول أنّ هذا المورد یعدّ استثناءً وناظر إلی موارد خاصّة، وأمّا الأصل الکلّی فی الإسلام فهو أن لا یقع الإنسان مظلوماً ولا ظالماً.

وأخیراً یقول الإمام علیه السلام فی التوصیة السادسة من هذا المقطع من الوصیة:

«وَلَیْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّکَ أَنْ تَسُوءَهُ».

وهذه النصیحة مقتبسة من القرآن الکریم حیث قال: «هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا



الْإِحْسانُ»[۸۲۹].

وذهب بعض الشرّاح إلی أنّ هذه الجملة لا تعتبر کلاماً مستقلًا، وقالوا: إنّها استمرار للتوصیة السابقة، وأنّ الإمام علیه السلام یقول: إنّ

الظالم إنّما يضرّ نفسه وينفعك، ومن هذا منطلق فالشخص الذى أوصل إليك النفع لا ينبغى أن تسوءه (من خلال الدعاء عليه وإظهار التظلّم بشكل متكرّر).

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۷۹

## القسم السابع والعشرون

### اشارة

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُکَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاکَ. مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى إِنَّمَا لَکَ مِنْ دُنْیَاکَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاکَ، وَإِنْ کُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ یَدَیْکَ، فَاجْزَعْ عَلَى کُلِّ مَا لَمْ یَصِلْ إِلَیْکَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ یَکُنْ بِمَا قَدْ کَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ؛ وَلَا تَکُونَنَّ مِمَّنْ لَاتَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِی إِیلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ یَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لَاتَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْکَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْیَقِینِ. مَنْ تَرَکَ الْقَصْدَ جَارَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِیقُ مَنْ صَدَقَ غَیْبُهُ. الْهَوَى شَرِیکُ الْعَمَى وَرُبَّ بَعِیدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِیبٍ، وَقَرِیبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِیدٍ، وَالْغَرِیبُ مَنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ حَبِیبٌ. مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ کَانَ أَبْقَى لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ، بِهِ سَبَبٌ بَیْنَکَ وَبَیْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ لَمْ یُبَالِکَ فَهُوَ عَدُوُّکَ. قَدْ یَکُونُ الْیَأْسُ إِدْرَاکاً، إِذَا کَانَ الطَّمَعُ هَلَاکاً. لَیْسَ کُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا کُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِیرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّکَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِیعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ.

لَیْسَ کُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ. إِذَا تَغَیَّرَ السُّلْطَانُ تَغَیَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِیقِ قَبْلَ الطَّرِیقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِیَّاکَ أَنْ تَذْکُرَ مِنَ الْکَلَامِ مَا یَکُونُ مُضْحِکاً، وَإِنْ حَکَیْتَ ذَلِکَ عَنْ غَیْرِکَ.

نفحات الولایه، ج۹، ص: ۵۸۰

### الشرح والتفسير: ثمان وعشرون موعظة أخرى

فى المقطع السابع والعشرين من هذه الوصية الرائعة يشير الإمام عليه السلام إلى ثمان وعشرين موضوعاً مهمّاً من موقع النصيحة، وبذلك يزيد من ثراء وعمق هذه الوصية.

الاولى: يتحدّث الإمام عليه السلام أولًا عن مسألة الرزق حيث يتحرّک الكثير من الناس طلباً له بحالة من الحرص والولع ويقول: «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُکَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاکَ».

وهذه الجملة، بقرينة ما ورد فى جملة مشابهة لها وأكثر تفصيلًا فى كلمات الإمام عليه السلام القصار[۸۳۰]، ناظرة إلى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يعيش الحرص والوله بالرزق، ولا ينبغى أيضاً أن يتكاسل فى طلبه.

ومراد الإمام عليه السلام من الرزق الذى يجب على الإنسان أن يطلبه، هو الكسب والعمل اليومىّ فى طلب المعاش، مثل، الزراعة، الصناعة، التجارة وأمثال ذلک، ومراده من الرزق الذى يطلب الإنسان ويأتيه وإن أعرض عنه الإنسان أو لم يطلبه، الهدايا أو التجارة والأرباح التى يصيبها الإنسان من غير احتساب، وعلى ضوء ذلک إذا ضاق عليه القسم الأول من الرزق فلا ينبغى أن ييأس من لطف اللّه بل يتوقّع، مع استمراره فى الحركة والسعى والكسب، أن يرزقه اللّه من حيث لا يحتسب.

وعندما يرى الإنسان فى عالم الخلقة موارد كثيرة من الرزق من النوع الثانى، فإنّ هذا الأمل سيقوى ويتعمّق فى قلبه، ففى يوم كان الجنين فى عالم الرحم يأتيه رزقه من خلال المشيمة والحبل السرّى المتّصل برحم الام، وبعد ولادته يأتيه رزقه من صدر امّه لإدامة حياته وما يحتاجه بعد ولادته من الغذاء، يقول القرآن الكريم: «وما مِنْ دَابَّةٍ فِی‌الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى‌اللَّهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها

كُلٌّ فِى كِتابٍ مُبينٍ»[۸۳۱].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۱

وعندما يسير الإنسان فى خطّ التقوى والورع ويجتنب الأموال والأرباح المحرّمة، فإنّ اللّه تعالى يبشّره بسعة الرزق ويقول: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب»[۸۳۲].

ومن جهة أخرى نشاهد فى عالم الخلقة وجود أرزاق كثيرة وضرورية لحياة الإنسان وبشكل وافر، بمقتضى رحمانية اللّه تعالى لجميع أفراد البشر أعمّ من المؤمن والكافر، فنور الشمس وبركات الأرض، والأمطار، والاوكسجين فى الفضاء ممّا لا يستطيع الإنسان فى الحياة بدونها، فكلّها من الأرزاق والنعم الإلهيّة التى أنعم اللّه بها على الإنسان ممّا لم يطلبه ويتحرّك فى سبيل كسبه.

ويقول القرآن الكريم أيضاً: «وَفِى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ»[۸۳۳].

ويقول أيضاً: «وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها»[۸۳۴].

وبالرغم من أنّ هذه الآية الشريفة، ومن خلال القرائن الموجودة فيها، ناظرة فقط إلى قطرات المطر، ولكن الآية السابقة لها تملك مفهوماً أوسع وأشمل بحيث تشمل نور الشمس الذى يعدّ العلّة الرئيسية لكلّ حركة فى الكرة الأرضية كحركة الرياح والهواء الذى يعتبر مصدر حياة جميع الأحياء أيضاً.

وفى تاريخ القدماء نقرأ أحياناً بعض القصص التى تكشف عن الحوادث التى تعتبر مصداقاً حيّاً فى الرزق الذى يطلب الإنسان دون أن يطلبه أو يتوقّعه، فمن ذلك ما ذكره ابن أبى‌الحديد فى شرحه لهذه الجملة عن عماد الدولة (من سلاطين آل بويه): والقصة هى: دخل عماد الدولة أبوالحسن بن بويه مدينة شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت وأجلاه عنها، وهو فقير لا مال له، فساخت إحدى قوائم فرسه فى الأرض، فنزل عنها وابتدرها غلمانه وخلّصوها، فظهر لهم فى ذلك الموضع نقب

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۲

وسيع، فأمرهم بحفره، فوجدوا فيه أموالًا عظيمة وذخائر لابن ياقوت، ثمّ استلقى يوماً آخر على ظهره فى داره بشيراز التى كان ابن ياقوت يسكنها، فرأى حية فى السقف، فأمر غلمانه بالصعود إليها وقتلها، فهربت منهم ودخلت فى خشب الكنيس، فأمر من يقلع الخشب وتستخرج وتقتل، فلما قلعوا الخشب وجدوا فيها أكثر من خمسين ألف دينار ذخيرة لابن ياقوت.

واحتاج أن يفصّل ويخيط ثياباً له ولأهله، فقيل: هاهنا خيّاط حاذق كان يخيط لابن ياقوت، وهو رجل منسوب إلى الدين والخير، إلّاأنّه أصمّ لا يسمع شيئاً أصلًا، فأمر بإحضاره فاحضر وعنده رعب وهلع، فلمّا أدخله إليه كلّمه فقال: أريد أن تخيط لنا كذا وكذا قطعة من ثياب، فارتعد الخياط واضطرب كلامه وقال: واللّه يا مولانا ما له عندى إلّاأربعة صناديق ليس غيرها، فلا تسمع قول الأعداء فىّ، فتعجّب عماد الدولة وأمر بإحضار الصناديق فوجدها كلّها ذهباً وحلية وجواهر، وديعة لابن ياقوت [۸۳۵].

الثانية: والنصحية الثانية للإمام عليه السلام يقول: «مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى».

وهذا إشارة إلى أنّ الأشخاص من ضعفاء النفوس عندما يحتاجون إلى هذا وذاك، فإنّهم يعرضون حاجتهم بالكثير من حالات الذلّة بحيث تتعرّض شخصيتهم للاهتزاز، ولكن عندما يعيشون القدرة وعدم الحاجة، فإنّهم يتعاملون مع المحتاجين من موقع الازدراء واللامبالاة، وكلا هاتين الصفتين من الرذائل الأخلاقية، فينبغى للإنسان عند الحاجة أن يحفظ مناعة الطبع والعزّة فى نفسه، وعند القدرة وعدم الحاجة لا يبخل فى اللطف وإظهار المحبّة والتواضع للمحتاجين.

وذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة[۸۳۶] إلى أنّ هذا الكلام ناظر إلى مورد فى الآية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۳

الشريفة: «حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ»[۸۳۷].

وعلى هذا الأساس فإنّ العبارات أعلاه ناظرة إلى العلاقة بين الخلق والخالق فى حين أنّ الأمر ليس كذلك، والظاهر أنّ هذه الجمل والعبارات ناظرة إلى العلاقة بين المخلوقين أنفسهم، لأنّ الخضوع أمام الخالق محمود على أيّة حال.

ولا ـ يخفى أنّ المراد من الخضوع فى هذا المورد ليس هو التواضع المعقول، بل التواضع المقترن بالذلّة والحقارة، والمراد من الجفاء، إظهار الكراهية وعدم الاحترام، وأمثال ذلك.

ونقرأ فى الحديث الشريف عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قوله: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحْسَنُ مِنْهُ تيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالًا عَلَى اللَّهِ»[۸۳۸].

ويقول أحد الشعراء فى هذا المجال:

خُلْقانِ لاأرْضاهُما لِفَتىً تيهُ الْغِنى وَ مَذَلَّةُ الْفَقْرِ

فَإذا غَنَيْتَ فَلا تَكُنْ بَطِراًوَ إذا افْتَقَرْتَ فَتِه عَلَى الدَّهْرِ

الثالثة: «إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ ۸۳۹]».

وهذا إشارة إلى أنّ الثروات الدنيوية تذهب وتروح، وأحياناً قد يترك الإنسان آلافاً مؤلّفة منها للورثة، ويبقى حسابها ووزرها عليه فى الآخرة، ويتمتّع بها الآخرون فى الدنيا، فهذه الأموال لا تعتبر مالًا حقيقياً للإنسان، والمقدار الذى يعتبر

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۴

ملكه فى‌الحقيقة هو ما استخدمه لإصلاح آخرته وأرسله أمامه إلى حياته بعد الموت.

ونقرأ فى الكلمات القصار للإمام عليه السلام قوله: «لِكُلِّ امْرِئٍ فِى مَالِهِ شَرِيكَانِ:

الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ»[۸۴۰].

ونقرأ فى حديث آخر عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قوله: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِى مَالِى وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ مَالُ الْوَارِثِ»[۸۴۱].

يعنى أنّ المال الحقيقى للإنسان يكون على قسمين: قسم يستفيد منه بمصارفه ومعيشته فى الدنيا، وقسم آخر يجعله ذخيرة لآخرته ويوم معاده، وسائر أمواله موهومة ربّما تسلب منه فى بعض الحوادث، ولو بقى منها شىء فهو نصيب الورثة.

الرابعة: يشير الإمام عليه السلام هنا إلى نقطة أخرى، وجدير بالإنسان أن يتذكرها كلّ يوم وهى قوله: «وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ ۸۴۲] مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ».

الكثير من الأشخاص عندما يفقدون المال والمقام الذى كانوا يملكونه تراهم يرتفع عويلهم وصراخهم ويتحسّرون على ذلك أيّاماً طوالًا، وربّما شهوراً وأعواماً مديدة، ولكنّهم بالنسبة للأموال والمقامات التى لم يحصلوا عليها أبداً لا يعيشون تجاهها هذه الحالة، فى حين أنّنا إذا دقّقنا النظر فإنّ كلا الحالين سواء، فالتقدير الإلهىّ قضى بأنّ هذا المال أو المقام يكون من نصيبى لمدّة سنة أو عدّة سنوات ثم يزول إلى غيرى، بحسب الأسباب الظاهرية أو الغيبية، فما الفرق بين البقاء والحدوث؟ فإذا لم نجزع على غير المقدّر حدوثه فلماذا لا نعيش هذه الحالة فى حال فقدانه؟ وطبعاً أحياناً يتصوّر الإنسان أنّ هذا المال أو المقام لابدّ أن يبقى عنده

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۵

أكثر من المدّة المقدّرة، ولكن بحسب عالم الأسباب والمسبّبات فإنّ هذا التصوّر مجرّد خيال باطل، والتأسّف عليه مثل تأسّف الشخص الذى رأى فى منامه أنّه يملك مالًا ومقاماً وعندما يستيقظ فإنّه يجزع على ما ذهب من يده فى منامه.

الخامسة: يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية إلى نقطة مهمة أخرى ويقول:

«اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ».

وهـذا يعنى وجود سلسلة من القوانين الكليـة الحاكمـة على عـالم الوجود وعلى المجتمعـات البشـرية، ولهـا فى كلّ زمانٍ مصاديق فى أرض الواقع، ولكن كـلّ هـذه المصـاديق والموارد مشـمولة لتلك القوانين الكليـة، وعليه فالإنسان بإمكانه- من خلال مطالعـة حالات القـدماء والمجتمعات الماضيـة بل وحتّى مراجعة ما واجهه من حوادث ومتغيّرات فى سـنوات عمره الماضيـة- أن يتعرّف على المسائل التى تواجهه فى الحاضر والمستقبل من خلال المقارنة، لئلّا يتورّط بعناصر الخطأ والضرر والخسران.

وهـذا الكلاـم يشـبه مـا ورد عـن الإمـام عليـه السـلام فى خطبـة أخرى حيـث قـال: «عِبَـادَ اللَّهِ إِنَّ الـدَّهْرَ يَجْرِى بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِين»[٨٤٣]، وهذا الكلام متداول فى تعبيراتنا اليوميّة حينما نقول: التاريخ يعيد نفسه.

وفى ذيل الخطبة يتحدّث الإمام عليه السـلام عن كيفية تكرار التاريخ، وقد تحدّثنا فى شـرحها تحت سـتّة عناوين: الزوال السريع للنعم، عدم ثبات الحوادث فى العالم، عدم وفاء الدنيا وأهلها، الغرور والإخفاقات الناشئة عنه، تغيّر الحالات والروحيات لدى الأفراد بحيث إنّ أقرب المقرّبين ربّما يتحوّل إلى أخطر الأعـداء، وأخيراً أنّ الـذى يبقى ويعـدّ ذكرى جميلـة للإنسان فى هـذا العالم، أشـكال الإحسان والمحبّة والإخلاص، وما يؤدّى إلى اللعن ويسبّب السمعة السيئة للإنسان هو الظلم والجور وسلب الحقوق.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٥٨٦

أجل، هـذه الأمور كلّها تتكرّر حالياً كما وقعت فى السابق، ومن هنا فإنّ العقلاء من الناس هم الذين يطالعون ماضيهم وتاريخ القدماء من بعمق وتمعّن ويستلهموا منها الدروس والعبر.

السادسة: يقول: «وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَاتَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِى إِيلَامِهِ، فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لَاتَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ».

وهو إشـارة إلى أنّ النـاس على نحوين: فبعض يتّعـظ بـأدنى تفكير وتنبيه ويلتفت إلى خطئه ويسـعى لإصـلاحه، هؤلاـء هم الأشـخاص الواقعيون، ولكنّ البعض الآـخر لا يتّعظ بسـهولة إلّاإذا وصـلت السـكّين إلى العظم فما لم يشـعروا بالتوبيـخ والتحقير والـذمّ أو يواجهوا الضـرر والخسـارة نتيجة أعمالهم، فإنّهم لا يرعون عن غيّهم، فهؤلاء حالهم حال الأنعام والبهائم التى لا تتعلّم إلّابالضـرب، ولا تسـكن وتترك الجموح إلّا بالسوط.

السابعة: يشير الإمام عليه السلام إلى توصية مهمّة أخرى ويقول: «اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ».

إشارة إلى أنّ الحياة عبارة عن مجموعـة من الحوادث المرّة والحلوة، وكلّ وقت تهجم على الإنسان الغموم والأحزان، تارة على شـكل هموم اجتماعية وأخرى سياسية وثالثة مادية أو عائلية، فالإنسان إذا رضخ وخنع أمام هجوم هذه الهموم فسوف يعيش الإخفاق والفشل فى حياته، ولكنّه يستطيع التغلّب على هذه الهموم والتحدّيات بالاستعانة بقوّتين:

الاولى: قوّة الصبر والاسـتقامة، وأن يعلم أنّه سواء صبر أو لم يصبر، فإنّ مثل هذه الحوادث خارجة عن اختياره، فإذا كانت هذه الهموم ناشـئة من جهله وتساهله فى الأمور، فعليه تغيير المسار وإصـلاح الخلل، فلو التزم بآليـة الصبر فإنّه يكون عند اللَّه مأجوراً وسـليماً أيضاً، وإن ترك الصبر فإنّ حوادث الدهر تستمرّ فى مسيرتها ويفقد الأجر والثواب.

نفحات الولاية، ج ٩، ص: ٥٨٧

والأـخرى، أن يجّهز الإنسان نفسه بقوّة اليقين، وعلى حـدّ تعبير القرآن الكريم يقول: «قُلْ لَّنْ يُصيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا»[٨٤٤]، ومعلوم أنّ التقـديرات الإلهيّـة تنطلق من موقع الحكمـة والتـدبير الإلهى، سواء علمنا بهـذه الحقيقة أم لم نعلم، وبالتالى نسـتطيع بهاتين القوّتين التصدّى لواردات الهموم وتسكين خلجات النفس وترطيب أجواء الحياة.

ينقل المرحوم مغنية فى شـرحه لنهج البلاغة قصة مفيدة ويقول: ومن جملة ما قرأت أنّ رجلًا أحس بضـعف وانحراف فى صحّته، ولمّا عرض نفسه على الطبيب قال له أنّه مريض بسـرطان الـدم، وأنّه يموت بعـد مدة قصـيرة، فلم ينزعج وتحدّى المرض، وقال فى نفسه: لا فرق بين أن أموت فجأة أو بإنذار سابق، ومضـى فى عمله كأن لم يكن شـىء، استمرّ فيه حتى الآن، ولو أنّه استسلم للوساوس لخارت قواه وأمسى طريح الفراش ينتظر الموت فى كلّ لحظة، ومعنى هذا أنّه يموت فى اليوم مرّات، ولمّا قيل له: كيف تعمل وأنت على هذه

الحال؟ قال: اجرّب الحكمة القائلة: خير الدواء العمل [۸۴۵].

ويقول لقمان الحكيم أيضاً فى مواعظه الجميلة لولده: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»[۸۴۶].

الثامنة: يقول: «مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ».

وهذا يعنى أنّ إحراز السلامة فى الدين والدنيا يمرّ من خلال الاعتدال، وأنّ كلّ إسراف وتفريط يقود الإنسان إلى دروب الضلالة والشقاء والإخفاق، وأنّ الصراط المستقيم الذى ندعو اللَّه تعالى كلّ يوم فى صلاتنا أن يهدينا إليه، هو صراط الاعتدال والاستقامة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۸

التاسعة: «وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ ۸۴۷]». أى حاله حال أقرباء الإنسان وأرحامه.

وهذا إشارة إلى أنّ رابطة الصداقة تارة تكون قوية إلى درجة أنّها تحلّ محلّ رابطة القرابة والنسب، بل تارة تكون أقوى من ذلك، وهناك مثل معروف يقول أنّه سئل شخص: أيّهما أفضل الصديق أم الأخ؟ فقال: الأخ الصديق أفضل، وهناك مثل معروف أيضاً لدى العرب حيث يقال: «الصَّديقُ نَسيبُ الرُّوحِ وَالْأَخُ نَسيبُ الْبَدَنِ»[۸۴۸].

وقد نستوحى من هذا الكلام هذه النتيجة، وهى أنّ ذات الحقوق المقرّرة للأرحام والأقرباء ينبغى أخذها بنظر الاعتبار من الأصدقاء الجيّدين أيضاً.

العاشرة: يقول: «وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ».

وهو إشارة إلى الأشخاص الذين يظهرون المحبّة والعشق والعلاقة فى حضور المرء، ولكن ربّما لا يكون ذلك علامة حقيقية على صدقهم وصداقتهم، فالصديق الواقعى إنّما يتبيّن فى غياب صديقه ويراعى حقوقه فى غيبته كما فى حال حضوره ويتحدّث عنه فى غيبته كما يتحدّث أمامه.

الحادية عشر: يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصية إلى نقطة مهمّة أخرى ويقول:

«وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى»، فكما أنّ الأعمى لا يرى ما حوله من الأجسام حتّى لو كانت قريبة منه ومجاورة له، فإنّ اتّباع الدنيا والسالكين فى خطّ الأهواء محرومون من الحقائق الجليّة، لأنّ حجاب الهوى يعتبر أشدّ الحجب ظلاماً ولا توجد آفة للمعرفة أضرّ وأسوء من هذه الآفة.

يقول القرآن الكريم: «أ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أ فَلا تَذَكَّرُونَ»[۸۴۹].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۸۹

ويصرّح الإمام عليه السلام فى رسالة له لأحد أصحابه بهذه الحقيقة ويقول: «فَارْفُضِ الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِى وَيُصِمُّ وَيُبْكِمُ وَيُذِلُّ الرِّقَابَ»[۸۵۰].

الثانية عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ».

وهو إشارة إلى أنّ العلاقات الجسدية لا تدلّ دائماً على العلاقة القلبية والتجانس الفكرى بين الأقرباء، فأحياناً يكون البعيد أقرب إلى الإنسان من قريبه، فالمهمّ وجود ارتباط قلبىّ وعلاقة روحية بين الطرفين، فلو لم يجد الإنسان مثل هذه العلاقة لدى أرحامه وأقربائه فبإمكانه البحث عنها فى غيرهم.

ونقرأ فى القرآن الكريم: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُم فَاحْذَرُوهُمْ»[۸۵۱].

الثالثة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ».

الأمر الذى يخرج الإنسان من عتمة الغربة، المحبّة، والأشخاص الذين لا يعيشون المحبّة من قبل الآخرين يواجهون الوحشة والوحدة، ولهذه الغربة عوامل مختلفة، فأحياناً يقود الكبر والغرور والأنانية صاحبها إلى زاوية الوحدة وتبعد الناس عنه، وأخرى عناصر الحسد

والحدّة، وتارة حالات عدم الوفاء وعوامل أخرى.

ومن هـذا المنطلق، ولأجل التخلّص من وحشـة الغربـة، ليس لنا طريق سوى تطهير نفوسـنا من الرذائل الأخلاقية والتحلّى بالفضائل التى توفّر لنا أصدقاءَ مخلصين وإخوة صالحين.

الرابعة عشر: فى هذه التوصية يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة فى غاية الأهميّة ويقول: «مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ»، لأنّ طريق الحقّ واسع ومعبّد ونورانى، أمّا

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۰

طريـق الباطـل فملىء بـالعثرات والمطبّـات والمنعطفـات الخطيرة والمـآزق الضـيّقة، والسـائرون فى طريـق الحقّ يتحرّكون بسـرعة نحو مقصـدهم وهـدفهم، لأنّ عالم الوجود يتحرّك فى طريق الحقّ، ومَن كان منسـجماً مع عالم الوجود فإنّه يتحرّك فى هذا المسـير أيضاً، ولكن السـالكون طريق الباطـل كمن يسـبح عكس التّيـار، ومَن يخـالف مسار الطبيعـة وقوانين الوجود، يوقع نفسه فى مآزق عمليـة ولا يصل إلى نتيجة.

أضف إلى ذلك فإنّ مسير الحقّ كالجادّة الواضـحة التى نصبت عليها علامات المرور التى ترشـد السالكين فيه لمعرفة وضع المسير، ولكن طريق الباطل يفتقر لكلّ هذه الأمور، ولذلك يقود السالك فيه إلى مهاوى الضلالة ومتاهات الحيرة.

الخامسة عشر: يشير الإمام عليه السلام فى هذه الفقرة إلى موضوع معروف ومهمّ ويقول: «وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ».

وبهذا المضـمون وردت عبارة أخرى للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فى كتاب غرر الحكم، قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَءً عَرَفَ قَدْرَهُ وَ لَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ»[۸۵۲].

والتجربـة تشـير إلى أنّ الأشـخاص الـذين تجاوزوا حـدودهم ولم يعرفوا قـدرهم، أثاروا الناس ضـدّهم، بحيث أنّ الناس ليس فقط لم يعترفوا لهم بمقامهم الزائف الذى يدّعون، بل سلبوا منهم موقعهم الذى يستحقّون، والسبب واضح، لأنّ الناس يرون فى هؤلاء المدّعين الطوبائيين والذين يعيشون حالات النرجسـية والغرور أنّهم أشـخاص انتهازيون وخونة، وأحياناً حمقى وسـفهاء، ولهذا لا يحسـبون لهم أيـة قيمـة، ولكنّ الأشـخاص الـذين يعيشون الصـدق والنزاهة والقانعين بحقّهم، يعتبرهم الناس شخصـيات محترمة ويمنحونهم المكانة اللائقة ويراعون حقّهم فى واقع الحياة الاجتماعية.

السادسة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ».

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۱

وهو إشـارة إلى أنّ التمسّـك بالوسائـل الماديّة واللجوء إلى المخلوقين والطلب منهم، طريق لا يعتمـد عليه، وربّما لا يوصل إلى نتيجة مطلوبة، فهذه الأسباب لا يوثق بها فى تحصل المراد، والأصل الثابت والأساس القائم والخالد هو البارى تعالى الذى لا يمكن لأىّ شىء مخالفة مشيئته وقدرته المطلقة، وعلى ضوء ذلك فالشخص الذى يلتجىء إلى الذات المقدّسة فإنّه يلتجىء إلى حرز حريز وملاذ أمين غير قابل للزوال والاهتزاز، وهذا هـو التوحيـد الأفعالى الـذى يقرّر: «لا مُؤَثِّرَ فِى الْوُجُودِ إلّا اللَّهُ». والقرآن الكريم يقول: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى [۸۵۳].

وذهب بعض إلى أنّ المراد من الوسـيلة الإيمان والقرآن الكريم، ولكن من الواضـح أنّ الجملـة لها مفهوم واسع تشـمل جميع الوسائل التى تقرّب الإنسان إلى للّه تعالى.

ومعلوم أنّ هـذا الكلامـ لاـ يعنى أن نـترك عـالم الأسـباب والمسبّبات، ولاـ يعنى أيضـاً ترك التوسّـل بـالمعصومين، لأننا إذا توسّـلنا بالمعصومين وبالأسباب الطبيعية وكان نظرنا إلى ما ورائها من القدرة الإلهيّة، وكان نظرنا إلى مسبّب الأسباب، فمثل هذا التوسّل وطلب الشفاعة من هؤلاء الأولياء يمثّل تقرّباً إلى اللَّه تعالى وهو من المصاديق البارزة للعلاقة الوثيقة مع الذات المقدّسة.

السابعة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ».

وطبعاً فالمراد الشخص الذى يرتبط مع الإنسان بنحو من الارتباط، وربّما ادّعى المحبّة والمودّة، ولكن عندما تحين لحظة الدفاع عن الحقّ والعرض والسمعة، فإنّه يواجه هذا الموقف من موقع اللامبالاة وبحالة من البرودة، وهذا يشير إلى أنّه غير صادق فى إظهار المحبّة والصداقة، بل يضمر نوعاً من العداوة فى داخله ونفسه.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٩٢

وعلى ضوء ذلك، فلا داعى لحمل هذه الجملة على أنّها ناظرة للعلاقة بين الناس والحكّام، والقول بأنّ بعض الناس- فيما يتّصل بالشأن السياسىّ والاجتماعى وما إلى ذلك- لا يتحرّكون على مستوى الانسجام مع برنامج الحكومة ويتعاملون مع الخطط والمناهج التى تقرّرها الدولة من موقع اللامبالاة وعدم الاهتمام، فهؤلاء فى الحقيقة مخالفون لهذا النظام وأعداء لذلك المنهج ٨٥٤]، وبخاصّة إذا رأينا أنّ أجواء هذه الوصية لا يرتبط بمقولة العلاقة بين الحاكم والمحكومين، بل بين أفراد المجتمع أنفسهم.

الثامنة عشر: يقول الإمام عليه السلام فى هذه التوصية المثمرة: «قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكاً».

وهذا يعنى أنّ الإنسان أحياناً يسعى للتوصّل إلى هدفه وغايته، ويطمع أن ينال بغيته، فى حين أنّ اللّه تعالى يعلم أنّ ذلك مضرٌّ له وفيه خسارته، وبذلك يحرمه من تحقيق غايته، وفى هذا المورد، وإن لم يصل هذا الشخص ظاهراً إلى غايته وهدفه، إلّا أنّه فى الحقيقة حصل على الهدف الحقيقى وهو السلامة والمنفعة الحقيقية الكامنة فى وجدانه، وعلى ذلك لا ينبغى أن يعيش الإنسان حالات اليأس وفقدان الأمل فى عدم الوصول إلى النتيجة ويحسب أنّ ذلك خسارة وإخفاقاً، بل تعدّ هذه الظاهرة فى كثير من الموارد نجاحاً وتوفيقاً.

التاسعة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ».

هناك احتمالات عدّة فى تفسير هذه العبارة: الاحتمال الأول: إنّه إذا كنت تعتقد بأنّ البعض ذو شخصية كاملة حسب الظاهر ولا نقص ولا عيب فيه، فلا تغترّ بهذه الحالة الظاهرية، لأنّه ربّما كانت هناك عيوب خفيّة لم تظهر لك، وعليه ينبغى الاحتياط على كلّ حال، وهذا ما ذهب إليه جماعة من شرّاح نهج‌البلاغة.

نفحات الولاية، ج٩، ص: ٥٩٣

الاحتمال الثانى: إنّ الإنسان إذا رأى فى نفسه أنّه سليم من كلّ عيب ونقص ظاهراً، فلا يغترّ بذلك، لأنّ الكثير من العيوب لا تظهر للإنسان إلّابالتأمّل والتفكّر والدقّة، كما ذكروا فى حالات بعض العظماء أنّه بعد ثلاثين سنة مثلًا انتبه فجأة ومن خلال حادثة معيّنة، إلى وجود بعض العيوب فى نفسه.

الاحتمال الثالث: إذا كانت لديك عيوب ونقاط ضعف وترى أنّك أدنى وأقلّ مرتبة من الآخرين بسبب ذلك، فلا تقلق، بل عليك بإصلاح نفسك وسدّ هذه الثغرات فى شخصيتك، لأنّ الآخرين يملكون عيوباً أيضاً ويسعون لإخفائها عن الآخرين.

وبديهىّ أنّ هذه التفاسير لا تتقاطع فيما بينها، وربّما تجتمع كلّها فى مفهوم هذه الجملة، وإن كان التفسير الأول أنسب حسب الظاهر.

العشرون: يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ».

يعنى إذا فقدت فرصة فلا تحزن، لأنّ الفرصة أحياناً تأتى بشكل مفاجىء بحيث أنّ الإنسان لا يوفّق للاستفادة منها، رغم أنّه لابدّ من السعى الجادّ لاستغلال الفرص، ولو أنّ الناس استطاعوا استغلال جميع الفرص بدون أن تزول فرصة، فإنّ حياة البشر ستتغيّر وتختلف كثيراً عمّا عليه الآن.

وهذ الكلام النورانى يمنحنا درساً كبيراً، لأننا كثيراً ما رأينا بعض الأشخاص الذين يعيشون التحسّر طيلة عمرهم على فقدان فرصة، ويقولون: إذا كنت قد عملت ذلك العمل فى اليوم الفلانى فسأكون كذا وكذا، أو ليت أنّى كنت مستيقظاً فى تلك الساعة ولم أفقد تلك الفرصة، هؤلاء وبدلًا من التفكير بالمستقبل يتحسّرون دائماً على الماضى.

الحادية العشرون: فى هذا التوصية يطرح الإمام عليه السلام موضوعاً مهمّاً آخر ويقول: «وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى

رُشْدَهُ».

وهذا يشير إلى لزوم التدبّر فى أعمال أهل الخبرة والمطّلعين من الناس، فلا تتصوّر أنّهم يتحرّكون فى مسيرهم بدون ارتكاب خطأ، وكذلك عليك بالدقّة فى

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۴

أعمال الجهلة والسطحيين من الناس ولا- تظنّ أنّهم جميعاً على خطأ فى مسيرهم، فربّما لا يصل الخبير إلى مقصوده بسبب بعض العوامل، فى حين يحصل الجاهل على غايته.

ونقرأ فى رواية عن الإمام علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام عن آبائه عن جدّه رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «كَلِمَتَانِ غَرِيبَتَانِ فَاحْتَمِلُوهُمَا، كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفِيهٍ فَاقْبَلُوهَا وَكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكِيمٍ فَاغْفِرُوهَا»[۸۵۵].

وجاء فى الأمالى، فى ذيل هذا الحديث: «فَإِنَّهُ لَاحَكِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ وَلَا سَفِيهَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ»[۸۵۶].

الثانية والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ».

وهذا يعنى أنّ الخير يحتاج إلى مقدّمات، وأنّ الإنسان يجب أن يتعجّل هذه المقدّمات، فى حين أنّ الشرّ فى كلّ زمان وفى جميع الظروف لا يحتاج إلى مقدّمات بل هو ممكن الصدور من أىّ شخص.

وربّما يراد من هذه العبارة أنّك لا تتعجّل فى العقوبة والتوبيخ والمؤاخذة لو كنت على حقّ، لأنّ ذلك متيسّر فى كلّ زمان، وستشعر بالندم بعد ذلك، فى حين أنّ طريق العودة موصد.

ويحتمل أيضاً فى تفسير العبارة مورد البحث أنّ هذه الجملة كناية عن ترك كلّ أشكال الشرّ والإساءة بدون حقّ، من قبيل أن يقول أحد الأشخاص مثلًا: لقد تألمت بشدّة إلى درجة أنّنى قررت الانتحار، فنحن نقول له: إنّ الانتحار لا يفوتك، وأنّه ممكن فى كلّ زمان، فتعال لنعثر على طريق لإصلاح مشكلاتك والبحث عن الحلول الناجعة لها، ومعلوم أنّ مفهوم هذا الكلام لا يعنى أنّ عليك الانتحار بعد ذلك، بل هو كناية عن تركه.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۵۹۵

الثالثة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ».

هذه العبارة إشارة إلى أنّه كما ينتفع الإنسان من الارتباط مع العقلاء فإنّه ينتفع كذلك من القطيعة مع الجّهال (وطبقاً لهذا المعنى فإنّ الجاهل والعاقل بمنزلة المفعول لقطيعة وصلة).

ويحتمل أيضاً فى تفسير هذه العبارة أنّ الجاهل إذا قطع علاقته معك فلا تحزن لذلك لأنّه بمنزلة أن يقوم عاقل بايجاد رابطة معك، وبالتالى فأنت تتخلّص من شرّه وضرره بقطع علاقته معك (وطبقاً لهذا التفسير فإنّ الجاهل والعاقل فى هذه العبارة لهما موقع الفاعل).

الرابعة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ».

والجملة الاولى إشارة إلى أنّ أىّ نعمة من نعم الدنيا لا يمكن أن يعتمد عليها، فأشكال النجاحات، والانتصارات، والثروات، والجمال والحُسن، المحبوبية والمكانة الاجتماعية، وسائر المواهب المادية الأخرى معرّضة للزوال فى كلّ لحظة، والأشخاص الذين يعتمدون على هذه الأمور فسوف يواجهون فجأة خيانة الدنيا لهم، وستؤخذ منهم هذه النعم والمواهب واحدة بعد الأخرى، وهذا من قبيل أنّ الإنسان يبنى فى مسير السيل داراً فخمة، يحتمل فى كلّ لحظة أن يأتى سيل عظيم ويجرف معه تلك الدار وينقضها، وعلى ضوء ذلك فالمراد من الزمان هنا الدنيا والمواهب المادية والنعم الدنيوية.

والمراد من الجملة الثانية أنّ الإنسان يرى أهميّة الدنيا فى عينه ويتحرّك لتحصيل النعم المادية فيها بأىّ طريق كان وبأيّة وسيلة، وبديهى أنّ مثل هذا الشخص سيعيش الذلّة والمهانة ويسقط فى أنظار الناس.

ويحتمل أيضاً فى تفسير الجملتين أعلاه أنّ المقصود من الزمان، أهل الزمان، يعنى أنّ الإنسان لا ينبغى له أن يثق بجميع أهل زمانه،

لأنّه ربّما يطعن من الخلف ويواجه الغدر والخيانة، والمراد من تعظيم الزمان هو تعظيم أهل الزمان وبخاصّة

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۹۶

أصحاب القدرة والثروة وصنّاع القرار والمستكبرين، فالاعتماد على هؤلاء وتعظيمهم يتسبّب فى إضعاف شخصية الإنسانة وسقوطه، ولذلك نرى أنّ الكثير من الأكابر والعلماء السابقين كانوا يحرّمون الاقتراب من الحكّام الجائرين والطواغيت، ويحذّرون الشخصيات المحترمة من إقامة علاقة وطيدة مع السلاطين، وما نرى فى ترجمة حال الأكابر القدماء من شكواهم من فساد الزمان، فمقصودهم فساد أهل زمانهم [۸۵۷].

ونقرأ فى الأشعار المنسوبة لعبدالمطّلب:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلُّهُمُ زَمَاناًوَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَاوَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِنَا هَجَانَا

وَإِنَّ الذِّئْبَ يَتْرُكُ لَحْمَ ذِئْبٍوَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً عِيَاناً[۸۵۸]

الخامسة والعشرون: يقول الإمام عليه السلام فى هذه العبارة من وصيّته الرائعة: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ».

وهو إشارة إلى أنّه لا ينبغى للأنسان أن يتوقّع الوصول إلى مقصده وتحقيق هدفه دائماً بحيث لو أنّه لم يحقّق النتيجة المرجوّة يصاب باليأس، أو أنّ الأشخاص الذين يرتكبون بعض الأخطاء التى تعيقهم عن تحقيق هدفهم، يقعون ضحيّة الذمّ والتقريع والتوبيخ، فالبشر غير معصوم ويحتمل فى حقّه الخطأ والاشتباه (سوى المعصومين عليهم السلام).

والغرض من هذا الكلام تسلية الخاطر وتقوية الإرادة من بعض الإخفاقات التى يواجهها الإنسان فى حركة الحياة والاحتفاظ بالأصدقاء والمدراء وعدم نبذهم بسبب بعض الأخطاء والهفوات.

ويحتمل أيضاً أنّ المقصود من هذه العبارة أنّ كلّ رامٍ لا يوفّق لإصابة الهدف، بل

نفحات الولايه، ج۹، ص: ۵۹۷

الرامى الماهر والمجرّب هو الذى ينجح فى إصابة الهدف.

ولا يبعد أن يكون المقصود من هذه العبارة كلا المعنيين المذكورين.

السادسة والعشرون: فى هذه التوصية المباركة يتعرّض الإمام عليه السلام لمسألة تغيير الأوضاع وتبدّل الظروف فى زمانه ويقول: «إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ».

وهذا يعنى أنّ أوضاع المجتمع تدور حول محور وضع الحكّام وأصحاب السلطة والقدرة، فليس فقط أنّ «النّاسُ عَلى دِينِ مُلُوكِهِم» يمثّل حقيقة واقعية، بل إنّ أغلب حركات وسكنات الناس تدور حول محور نوع الحكومات ونمط إدارة النظام السياسى، فلو كان الحكّام من أهل الخبرة والتقوى والعدالة، فإنّ الناس يتحرّكون فى خطّ التقوى والعدالة، وإن كانوا من الظلمة والقساة وأهل الجور، فإنّ ذلك سينعكس على جميع روحيات المجتمع ونفسيات أفراده، ولهذا السبب كان الأنبياء الإلهيون يسعون قبل كلّ شىء لإقامة الحكومة العادلة ليتيسّر لهم إصلاح الناس فى ظلّ مثل هذه الحكومة، أمّا الأشخاص الذين يعتقدون بفصل الدين عن السياسة، فهم بعيدون جدّاً عن الحقيقة والصواب، لأنّ ترويج الدين ونشر التعاليم السماوية لا يمكن بدون إصلاح الحكومة، ومن هنا فإنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تحرّك على مستوى تشكيل الحكومة الإسلاميّة فى أوّل فرصة سنحت له ليستطيع التأثير فى الامّة وتبليغ الرسالة بشكل صحيح من خلال آليات القدرة ويعمل على استبدال الثقافة الجاهلية بثقافة سليمة وإنسانية، وبخاصّة ما نراه فى عالما المعاصر من تأثير وسائل الإعلام فى أفكار الناس وكذلك البرامج المتعلّقة بالتعليم والتربية من المراحلة الابتدائية إلى المستويات العالية كلّها بيد الحكومات أو العناصر المرتبطة بالحكومة، فهل يمكن بدون الأخذ بزمام هذه الأمور من إصلاح المجتمع وتطهيره من

عناصر الفساد والرذيلة؟

ويتبيّن ممّا تقدّم آنفاً أنّ المراد من الزمان، تغيير أفراد المجتمع، والمراد من تغيير السلطان تغيير حالات السلطان.

نفحات الولايةُ، ج۹، ص: ۵۹۸

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِی إِذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِی وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِی، قِیلَ: یَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمَا؟ قَالَ الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ»[۸۵۹].

وجاء فی بعض المصادر التاریخیة أنّ انوشیروان استدعى یوماً عمّاله على القرى والقصبات وبیده درّة ثمینة یقلّبها، فقال: أیّ شیء أضرّ بارتفاع السواد وادّعى إلى محقّه؟ أیّکم قال ما فی نفسی جعلت هذه الدرّة فی فیه.

فقال بعضهم: انقطاع الشرب، وقال بعضهم: احتباس المطر، وقال بعضهم: استیلاء الجنوب وعدم الشمال، (غلبة ریاح الجنوب وعدم هبوبها من الشمال)، فقال لوزیره (بوذرجمهر): قل أنت فإنّی أظنّ عقلک یعادل عقل الرعیّة کلّها أو یزید علیها، فقال:

تغیّر رأی السلطان فی رعیّته، وإضمار الحیف لهم والجور علیهم.

فقال: للّه أبوک بهذا العقل أهلّ آبائی أجدادی لما أهّلوک له، فدفع إلیه الدرّة وجعلها فی فیه ۸۶۰].

السابعة والعشرون: یقول الإمام علیه السلام: «سَلْ عَنِ الرَّفِیقِ قَبْلَ الطَّرِیقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ».

وقد أثبتت التجربة صحّة کلام الإمام علیه السلام هذا، فالناس قد جرّبوا ذلک مراراً لأنّ الستار والحجاب یزول غالباً فی السفر وتبرز بواطن الأشخاص ومکنوناتهم، فلو کان رفیق السفر شخصاً وقحاً وغیر متورّع أو کان بخیلًا وسیّء الخلق مع الآخرین، فإنّ ذلک من شأنه أن یسلب الراحة والهناء من أصدقائه فی السفر، وهکذا بالنسبة إلى الجار السیّء فإنّه یسلب الراحة من الإنسان حتّى وهو فی داره.

ونقرأ فی حدیث شریف عن رسول اللَّه صلى الله علیه و آله: «کانَ إذا سافَرَ یَقُولُ: مَنْ کانَ یُسیءُ إلى جارِهِ فَلا یَصْحَبْنا لِأنّ الْجارَ رَفِیقٌ مُلازِمٌ»[۸۶۱].

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۵۹۹

یقول المرحوم التستری فی شرحه لنهج البلاغة نقلًا عن کتاب تاریخ بغداد: کان لمحمّد بن میمون أبی‌حمزة السکری ۸۶۲] (من مشاهیر عصره) جار أراد أن یبیع داره، فقیل له: بکم، قال: بألفین (دینار) عن الدار، وألفین (دینار) عن جوار أبی حمزة، فبلغ ذلک أبا حمزة فوجّه إلیه أربعة آلاف (دینار)، فقال: خذ هذه ولا تبع دارک ۸۶۳].

الثامنة والعشرون: یقول الإمام علیه السلام فی هذه الفقرة الأخیرة من وصیّته الزاخرة بالقیم والنصائح المفیدة: «إِیَّاکَ أَنْ تَذْکُرَ مِنَ الْکَلَامِ مَا یَکُونُ مُضْحِکاً، وَإِنْ حَکَیْتَ ذَلِکَ عَنْ غَیْرِکَ».

لأنّ مثل هذا الکلام یزیل هیبة الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى یقترن غالباً بالغیبة أو السخریة من الآخرین من ذوی الوجاهة فی المجتمع، ومن هنا سیکون مثل هذا الکلام باعثاً للإضرار بالإنسان فی الدنیا وفی الآخرة، سواء کان هذا الکلام من عنده أو نقلًا عن شخص آخر، فلا فرق فی الغیبة أو السخریة أن تکون من إبداع الشخص نفسه أو حکایة عن غیره.

وطبعاً فإنّ هذا لا یعنی أنّ الإنسان یجب أن یترک کلّ أشکال المزاح المشروع والفکاهة اللطیفة، أو أن یجلس فی المجالس بوجه عبوس ومکفهرّ، لأننا نعلم أنّ النبیّ الأکرم صلى الله علیه و آله وأئمّة أهل البیت علیهم السلام والعلماء الکبار کانوا یمزحون فیما بینهم ویتحدّثون باللطائف والفکاهة أحیاناً، بل وردت التوصیة بالمزاح فی السفر أکثر للتخفیف من ضغط المشاکل والصعوبات التی یواجهها الإنسان فی سفره، یقول العلّامة السید بحر العلوم فی أشعاره الفقهیة:

وَ اکْثِرِ الْمِزاحَ فِی السَّفرِ إذالَمْ یُسْخِطِ الرَّبَّ وَ لَمْ یَجْلِبْ أذىً

وهذا الکلام مقتبس من الحدیث النبویّ الشریف، قال النبیّ الأکرم صلى الله علیه و آله: «وَأَمَّا

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۰۰

الَّتِی فِی السَّفَرِ فَبَذْلُ الزَّادِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَالْمِزَاحُ فِی غَیْرِ الْمَعَاصِی»[۸۶۴].

وخلاصة الکلام أنّ هذه الأمور تعتبر حسنة وجمیلة إذا کانت فی حدّ الاعتدال، وإن تجاوزت الحدّ أو أدّت إلی إهانة الآخرین وظهور المتکلّم بمظهر المهرّج فی أنظار الناس أو قاده هذا الکلام إلی ارتکاب الذنوب ممّا یسخط اللّه تعالی؛ فمثل هذا الکلام والمزاح یکون منهیّاً عنه فی الشرع والعرف.

والإنصاف أنّ من بین هذه النصائح الثمانیة والعشرین التی ذکرها الإمام علیه السلام فی عبارات قصیرة وعمیقة المعنی وتمثّل کلّ واحدة منها درساً مهمّاً فی حرکة الحیاة المادیة والمعنویة للإنسان؛ تعتبر من أروع ما ورد فی النصائح والمواعظ وجدیر أن تکتب بماء الذهب وتعلّق أمام أنظار الجمیع، سلام اللّه وصلواته علی روحک الطاهرة وکلماتک الزاهرة یا أمیرالمؤمنین علیه السلام.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۰۱

## القسم الثامن والعشرون

### اشارة

وَإِیَّاکَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْیَهُنَّ إِلَی أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَی وَهْنٍ. وَاکْفُفْ عَلَیْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِکَ إِیَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَی عَلَیْهِنَّ، وَلَیْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِکَ مَنْ لَایُوثَقُ بِهِ عَلَیْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا یَعْرِفْنَ غَیْرَکَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّکِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَیْحَانَةٌ، لَیْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ. وَلَا تَعْدُ بِکَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِی أَنْ تَشْفَعَ لِغَیْرِهَا.

وَإِیَّاکَ وَالتَّغَایُرَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِ غَیْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِکَ یَدْعُو الصَّحِیحَةَ إِلَی السَّقَمِ وَالْبَرِیئَةَ إِلَی الرِّیَبِ.

### الشرح والتفسیر: السلوک العادل والحکیم مع المرأة

وفی القسم الثامن والعشرین من هذه الوصیة التاریخیة یتحدّث الإمام علیه السلام بالقضایا التاریخیة المتعلّقة بالنساء ویوصی ولده بثمان وصایا.

بدایة یقول: «وَإِیَّاکَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْیَهُنَّ إِلَی أَفْنٍ [۸۶۵] وَعَزْمَهُنَّ إِلَی وَهْنٍ».

ویبیّن الإمام علیه السلام فی مطاوی هذه النصائح والتوصیات الثمان العلّة وراء هذه التوصیات والتی بإمکانها الإجابة عن جمیع الأسئلة وعلامات الاستفهام التی تثار حول هذه التوصیات، فالإمام یقول: لأنّ المرأة ریحانة ولیست بقهرمانة (مدیرة ومسیطرة).

ومن المعلوم أنّ مثل هذا الکائن اللطیف لا یستطیع أن یکون طرفاً للمشورة فی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۰۲

المسائل المهمة، ومعلوم أیضاً أنّ کلّ حکم عام له استثناءات، وما من عام إلّاوقد خصّ، وفی هذا المورد ثمة نساء یملکن من العزم والإرادة والرأی الثاقب بحیث یوازین الرجال من أهل الخبرة، أضف إلی ذلک أنّ القضایا العاطفیة والأحاسیس النفسانیة تتغلّب علی النساء، وهذا هو الأمر الذی یؤثّر علیهن فی مقام المشاورة.

ثمّ یتعرّض الإمام علیه السلام للتوصیة الثانیة ویقول: «وَاکْفُفْ عَلَیْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِکَ إِیَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَی عَلَیْهِنَّ».

ومثل هذه التوصیة وردت فی الآیة ۳۱ من سورة النور: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَیَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ».

وهذا یشیر إلی حقیقة مخالفة لتصوّر الکثیر من الناس، فجمیع أشکال الفتنة وحالات الإرباک فی الأخلاق والمجتمع، لا تنطلق من نظر الرجال إلی النساء، بل إنّ الکثیر منها ناتج عن نظر النساء إلی الرجال ووسوستهنّ وترغیبهنّ، والإمام علیه السلام قدّم هذه التوصیة وأمر بلزوم حجبهنّ لمنع مثل هذه الفتنة.

وبديهى أنّ هذا الأمر السلبى لا يشمل جميع النسوة بل ناظر إلى النسوة الضعيفات الإيمان أو المتحلّلات خلقياً.

وفى التوصية الثالثة يقول: «وَلَيسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَايُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ»، فلا ينبغى إدخال الأشخاص غير الموثوقين فى خلقهم والتزامهم الدينى عليهنّ، فذلك أشدّ وأشنع من خروجهنّ إلى الملأ العام.

وفى التوصية الرابعة التى تعتبر تتّمة للتوصية السابقة يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ».

وهو إشارة إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ من الضرورى أن يطلبن حاجتهنّ منك فقط لا من غيرك، وحتّى لو أردن شيئاً من الآخرين فذلك يكون عن طريقك وبواسطتك، أى أنّ أىّ ارتباط بين النساء والآخرين ربّما يتبدّل فى كثير الموارد إلى علاقة فاسدة، ولابدّ من قطع مثل هذا الارتباط، فعليك بتحكيم وتوثيق علاقتك بأهلك

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۳

ونسائك فى جميع الموارد، ومن هذا المنطلق تتمّ الاستجابة من جهة إلى جميع ما يطلبن، ومن جهة أخرى يتمّ قطع الروابط غير السليمة مع الآخرين.

ويستعرض الإمام عليه السلام التوصية الخامسة بقوله: «وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ[۸۶۶]».

وهذا يعنى أنّ النساء وبسبب ما يملكن من الحالات العاطفية واللطائف الروحية لا يستطعن تولى الأمور الصعبة وإدارة القضايا المعقدّة، وعلى ضوء ذلك لابدّ من تحديد دائرة عملهنّ فى المسائل الخاصّية بهنّ لا المسائل المتعلّقة بالآخرين وبخاصّة ما يتّصل بالمناصب الحسّاسة والثقيلة فى المجتمع الإسلامى.

أمّا العلة التى ذكرها الإمام عليه السلام لمثل هذه التوصيات فهى علّة حسّاسة ودقيقة جدّاً تنسجم وتتناغم مع البناء الروحى والجسمى للمرأة، رغم أنّ بعض المتأثّرين بالغرب غير مستعدّين لقبول هذه الحقيقة، ولكنّهم على مستوى العمل يسعون لتجسيد هذه التوصيات فى واقعهم العائلى، حتّى فى الغرب ومع طرح شعار المساواة بين الرجال والنساء لعقود من الزمان فإنّهم على مستوى العمل والممارسة يسلكون سبيلًا آخر، بحيث قلّما تستطيع إمرأة استلام مقاليد الأمور فى المناصب الحسّاسة، ونسبة النسوة اللاتى يحرزن مثل هذه المناصب الحسّاسة إلى النسوة اللاتى لا يستطعن ذلك، ربما لا تصل حتّى إلى ۵٪.

وخلاصة الكلام أنّ رعاية العدالة بين النساء والرجال ورفع أشكال التميز والإجحاف رغم أنّه يعتبر حقيقة ملموسة، ولكن لا يمكن تنظيم قوانين المجتمع بحيث تتقاطع مع التكوين النفسى والجسمى للمرأة، وإطلاق الشعارات التى تدعو لمثل هذه المساواة، هى مجرّد شعارات برّاقة ومضلّلة ويقصد بها الرياء والتظاهر ولا تتّصل بالحقائق الموضوعية على أرض الواقع النفسىّ للمرأة.

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۰۴

وفى التوصية السادسة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تَعْدُ[۸۶۷] بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا».

وهذا يعنى أنّها كلّما تتعامل مع الآخرين من موقع الاحترام والإكرام ربّما تتولّد علاقة عاطفية بينهما، هذه الرابطة يمكن أن تكون منشأ للفساد فى المستقبل.

وفى التوصية السابعة التى ترتبط بما سبقها من توصية، يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا»، لأنّ مثل هذه الشفاعات ربّما تكون أيضاً منشأ للعلاقة العاطفية، فيكون ضررها وفسادها أكثر من نفسها.

والخلاصة أنّه لابدّ من حفظ احترام المرأة ولكن بحدودها، ولا تتجاوز إلى غيرها، سواءً على مستوى قبول شفاعتها أو بدون ذلك، لأنّ لهذه الأمور آثاراً سلبية على المستوى النفسىّ وتبعث على تشجيعهن لإيجاد العلاقة مع الآخرين.

ويذهب بعض شرّاح نهج‌البلاغة فى تفسير جملة: «وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا» أنّ المقصود أن لا يحترمها الرجل أكثر من اللازم، بل يقتصر تكريمهنّ بمقدار معيّن، ولكن هذا التفسير لا يتناسب مع سياق هذه الجملة وكلماتها، والظاهر أنّ المراد منها هو ما تقدّم آنفاً.

وفی التوصیة الثامنة (والأخیرة فی هذا المقطع من هذه الوصیة) یقول الإمام علیه السلام:

«وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ[۸۶۸] فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ ۸۶۹]».

ممّا لا ـ شکّ فیه أنّ کلّ إنسان وبخاصّة النساء، لا یرتکبون مخالفة حفظاً للسمعة، والاهتمام بالوجاهة لدی الناس، ولکن إذا عاش الأقرباء والأزواج حالات الغیرة اللامبرّرة وأساؤوا الظنّ بهنّ إلی درجة الاتّهام فإنّ ذلک من شأنه خرق حجاب العفّة وخلق حالة من اللامبالاة بالقیم والعرف لدیهنّ، فتقول هذه المرأة: الآن وقد فضحنی

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۰۵

واتّهمنی زوجی بدون مبرّر فما الداعی لأن أحفظ نفسی واهتمّ بسمعتی وعفّتی، فلأفعل ما أشاء فلیکن ما یکون، وهذا الکلام لا یختصّ بالنساء فقط، بل یمتدّ لیشمل الأبناء، الشرکاء، الخدم والأصدقاء أیضاً، فکلّ سوء الظنّ غیر المبرّر یبعث علی تشجیع الطرف الآخر للتلوّث والسقوط فی مهاوی الفساد والرذیلة، وسبق أن ذکرنا أنّ کلّ شیء جیّد وحسن إذا کان بصورة الاعتدال حتّی حالات الغیرة والتعصب لحفظ القیم.

## تأمّل: مکانة المرأة فی المجتمع

وهنا لابدّ من الإشارة إلی أمرین:

۱. ثمّة شعارات کثیرة فی عالمنا المعاصر بالنسبة لمقولة المساواة بین الرجل والمرأة، حیث تنعقد مؤتمرات دولیة ومعاهدات ولوائح تزداد یوماً بعد آخر، والتأکید علی عدم وجود أیّ تفاوت بین الجنسین، ومن هذا المنطلق بإمکان کلّ من الرجل والمرأة تحمّل المسؤولیات الإجتماعیة، سواءً ما یتصل بالقضاء أو قیادة الجیش أو إدارة الحرب، أو الرحلات الفضائیة، أو الرحلات العلمیة للتحقیق والبحث فی أعماق البحار، والخلاصة أن یتولّی الرجل والمرأة جمیع أشکال الإدارة علی جمیع الصعد والمستویات.

والعجیب هنا، أنّهم عندما تصل النوبة لمرحلة التطبیق والعمل فإنّ الفوارق تبرز بشکل جلیّ، فالرجال یستلمون الإدارة علی المستویات العلیا والمتوسطة إلّافی موارد نادرة ومحدودة جدّاً، فلا یسمحون للنساء بتولّی هذه المناصب الحسّاسة والورود إلی هذه المیادین، ولا یختلف الحال أیضاً فی البلدان الاوربیة والأمریکیة، فعندما یسألون أنّ هذه الظاهرة تتضمّن تناقضاً فی القول والعمل، ولماذا یختلف مستوی التطبیق عن تلکم الادّعاءات الرنّانة والشعارات البراقة؟ فلا جواب لدیهم.

نفحات الولایة، ج۹، ص: ۶۰۶

وهذا التناقض ولید التفاوت بین الحقائق الموجودة علی الأرض والشعارات التی تطلق فی عالمنا المعاصر وفی المحافل والمؤتمرات، فمن أجل کسب آراء النساء فی الانتخابات السیاسیة وإسکات اعتراضهنّ یرفعون شعار المساواة ویصرّون علیه بحجّة الدفاع عن حقوق المرأة، ولکنّهم فی مرحلة العمل یجدون أنفسهم مرغمین لقبول هذه الحقیقة، وهی أنّ بنیة النساء من حیث المستوی الجسمی والنفسی یختلف عن الرجال، فکلّ واحد من الجنسین خلق لمسؤولیة معیّنة وکلّ واحد منهما إنسان یملک حقوقاً فردیة واجتماعیة، ولکن أن نقول أنّهما یملکان قابلیات وملکات متساویة وقادرون علی تولّی جمیع المسؤولیات، فهو خطأ کبیر.

یقول الفیزیائی والجرّاح الفرنسی المعروف (الکسیس کارل) الذی ألّف کتباً معروفة وله شهرة عالمیة، یقول فی کتابه «الانسان ذلک المجهول»: إنّ الرجل والمرأة بحکم قانون الخلقة، یختلفان فی التشکیلة البنیویة، وهذا الاختلاف والتفاوت یسری إلی الوظائف والحقوق ... ولعدم الالتفات إلی هذه النقطة الأصلیة والمهمّة فإنّ أنصار حقوق المرأة یتصوّرون أنّ کلا الجنسین بإمکانهما امتلاک مستوی واحد من حیث التعلیم والتربیة و المشاغل والمسؤولیات المختلفة، فالمرأة فی الحقیقة تختلف عن الرجل من جهات عدّة، فکلّ خلیة من خلایا البدن، وکذلک الأجهزة وخاصّة الشبکة العصبیة، تحمل علائم جنس صاحبها، ثمّ یضیف: إنّ القوانین الفسیولوجیة أیضاً، حالها حال القوانین الفلکیة وعالم الطبیعة، ثابتة وغیر قابلة للتغییر، ولا یمکن إیجاد التغییر فیها برغبة البشر، فنحن

مجبورون على قبولها كما هى عليه (لا كما نريد).

ثمّ يختم كلامه بهذه العبارة: ينبغى على النساء أن يتحرّكن باتّجاه مواهبهنّ الطبيعية ويسرن فى طريقهنّ الخاصّ بهنّ بعيداً عن حالات التقليد الأعمى للرجال، ووظيفة المرأة فى سبيل تكامل البشرية أكثر بكثير من الرجال، ولا ينبغى التسامح



والتساهل فى هذا الأمر[۸۷۰].

والملفت أنّه فى سنة ۱۹۹۵ اجتمع عشرات الآلاف من أعضاء مؤسّسات الحقوق الرسمية وغير الرسمية فى بكّين عاصمة الصين لتدوين وثيقة على أساس المعاهدات الدولية لمحو جميع أشكال التميز ضدّ النساء، وإمضاء هذه المعاهدة التى تمّ تنظيمها مسبقاً، ولكن بعض مواد هذه اللائحة كانت من البطلان والزيف لدرجة أنّ الكثير من المنظّمات والمجامع فى العالم اعترضت عليها، وبعض المشتركين فى ذلك المؤتمر تركوا الجلسة، ومنهم السيدة شارون هير النائبة فى برلمان كندا ورئيسة الهيئة الكندية المشاركة فى ذلك المؤتمر، حيث قامت من مكانها وتوجّهت بالخطاب إلى الصحفيين وقالت: «إنّ التساوى المقصود فى وثيقة بكّين لا ـ يأتى بالتساوى الحقيقى للنساء، وأنا أعود لبلدى بأوّل طائرة وأسعى لحفظ الفوارق بين الرجل والمرأة (وبتبعها المسؤوليات المختلفة)، فهذا التفاوت موجود فى أصل الخلقة، وهذه الفوارق هى التى ستحفظنا»[۸۷۱].

وتفصيل هذه المسألة خارج عن عهدة هذا البحث المختصر، ويكفى القول إجمالًا بأنّ هذه الشعارات البرّاقة ليس أنها لاتحلّ مشكلة لنساء العالم، فحسب بل تترتّب عليها آثار مخرّبة أيضاً[۸۷۲].

وعلى ضوء ذلك ينبغى القبول بالحقائق المتعلّقة بكلا الجنسين بعيداً عن الشعارات الخاوية وتخطيط المناهج والبرامج على أساسها ووضع كلّ واحد من الجنسين فى موقعه الاجتماعى اللائق به بدون أن نقبل بأىّ ظلم وتحقير للنساء.

۲. ما ورد فى كلمات الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الوصية وفى بعض خطبه والكلمات القصار كان مورد بحث ونقاش من جهة بعض الكتّاب والمفكّرين، فهل



أنّ مفهوم هذه العبارات فى رسائل الإمام عليه السلام وخطبه يعكس موقفاً سلبياً من المرأة؟

وعندما نبحث فى جذور هذه الخطب والرسائل ونقارن بينها وبين الحوادث التاريخية فى ذلك الوقت، فسوف يتبيّن أنّ كلّ هذه التعبيرات غير ناظرة لجميع النسوة، بل إشارة لفئة خاصّة من النسوة ممّن كانت مصدر مفاسد اجتماعية وعائلية، وبخاصّة مع الالتفات إلى أنّ بعض كلمات الإمام علىّ عليه السلام فى هذا الشأن صدرت بعد واقعة الجمل، ونعلم أنّ حرب الجمل، وهى الحرب التى راح ضحيتها وفقاً لرواية، سبعة عشر ألف مسلم، قد أشعل فتيلها إمرأة أو أنّها اشتركت وساهمت فى إشعالها.

وعلى ضوء ذلك، فنظر الإمام عليه السلام فى هذه المقولات يتّجه لمثل هؤلاء النسوة، وبكلمة أخرى أنّ خطاب الإمام عليه السلام فى هذه الموارد ليس موجبة كليّة بل موجبة جزئية.

والشاهد على هذا الكلام رؤية القرآن فى ما يخصّ النساء، وعلى سبيل المثال نشير إلى قوله تعالى: «وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»[۸۷۳].

فلو كانت النسوة جميعهنّ ناقصات العقول، فكيف تتحقّق هذه السكينة والمودّة والرحمة بين الزوجين؟

وفى آية أخرى يقول تعالى: «هُنَّ لِباسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَّهُن»[۸۷۴].

فلو كانت النساء يملكن صفات سلبية فقط فكيف، يعبّر القرآن على أنّهنّ زينة لأزواجهنّ والعامل فى حفظ هؤلاء الأزواج؟

وفى آية آخرى نقرأ: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ»[۸۷۵].

وفی الآیـة ٣٥ من سورة الأـحزاب یسـتعرض القرآن الکریم عشـر فئـات من المؤمنین الصـالحین والنساء الصالحات ویعـدهم فی نهایهٔ المطاف بأجر عظیم: «إِنَّ الْمُسْلِمینَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنینَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتینَ وَالْقانِتاتِ وَالصّادِقینَ وَالصّادِقاتِ وَالصّابِرینَ وَالصّابِراتِ وَالْخاشِـعینَ وَالْخاشِـعاتِ وَالْمُتَصِـدِّقینَ وَالْمُتَصِـدِّقاتِ وَالصّائِمیـنَ وَالصّائِمـاتِ وَالْحـافِظینَ فُرُوجَهُـمْ وَالْحافِظـاتِ وَالـذّاکِرینَ اللّهَ کَثیراً وَالذّاکِراتِ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظیماً».

وثمّـهٔ بحوث کثیرهٔ فی هـذا المجال لا یسع المقام استعراضـها لأنّها خارجـهٔ عن موضوعنا، ولکنّنا لحسن الختام نعود لکلام الإمام علیّ علیه السـلام فی هذا المقطع من الوصیّهٔ حیث قال: «إنّ الْمَرْأَةَ رِیْحانَةٌ وَلَیْسَتْ بِقَهْرِمانَةٌ». ونعلم أنّ الورد والریاحین تملک فی حدّ ذاتها مزایا کثیرهٔ، فهی عنصـر لخلق السـکینهٔ والراحهٔ النفسیهٔ، وکذلک تعتبر زینهٔ، ولها فوائد کثیرهٔ أخری، ولکن فی ذات الوقت فهی کائن لطیف ورقیق بحیث إذا ترکت بـدون رعایـهٔ کافیـهٔ فسوف یصـیبها الـذبول والجفاف، فالحقیقـهٔ أنّ هذه الجملهٔ إشارهٔ إلی أنّ المشاعر والعواطـف للنسـاء هی الغالبـهٔ، فی حیـن أنّ العقـل للرجـال غـالب علی العواطـف والأحاسـیس، وبـدیهی أنّ هـذین الجنسـین بهـذه الخصوصیات إذا اجتمعا وعملا سویاً فإنّ ذلک من شأنه تقویهٔ نظام الاسرهٔ وتعمیق وشائج العلاقهٔ بین أفراد المجتمع.

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۶۱۱

## القسم التاسع والعشرون

### اشارهٔ

وَاجْعَلْ لِکُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَـدَمِکَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَی أَلَّا یَتَوَاکَلُوا فِی خِدْمَتِکَ وَأَکْرِمْ عَشِـیرَتَکَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُکَ الَّذِی بِهِ تَطِیرُ، وَأَصْلُکَ الَّذِی إِلَیْهِ تَصِیرُ، وَیَدُکَ الَّتِی بِهَا تَصُولُ.

### الشرح والتفسیر: تقسیم المسؤولیات

فی هذا المقطع من الوصـیهٔ یؤکّد الإمام علی توصیتین مهمّتین فی مجال الإدارهٔ والتعاون، وفی الحقیقهٔ أنّ هذه التوصیهٔ لا تتعلّق بولده البارّ، بل بجمیع أفراد البشر بوصفه والداً شفیقاً لجمیع الناس.

بدایهً یقول الإمام علیه السلام: «وَاجْعَلْ لِکُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِکَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَی أَلَّا یَتَوَاکَلُوا[۸۷۶] فِی خِدْمَتِکَ».

إنّ تقسـیم العمـل یعـدّ من أهم أصول ومبادیء الإدارهٔ الناجحهٔ، لأنّه بـدون ذلک فإنّ العمّال والموظفین یتواکلون غالباً ویتوقّعون من الآـخرین أن یقوموا بالمسؤولیـات الملقـاهٔ علی عـاتقهم، وعنـدما یتأخّر العمل ویتباطأ الإنتاج فإنّ کلّ فرد منهم یسـتطیع تبریر عمله فی مقابـل مؤاخـذهٔ ربّ العمـل بـأنّه کـان یظن أنّ هـذا العمـل من مسؤولیـهٔ آخرین، وإذا سـئل الآـخرون عن ذلـک فإنّهم یجیبون بنفس الجواب، ولکن عندما یتمّ تقسیم العمل والمسؤولیات، فإنّ کلّ شخص یعلم أنّه مسؤول عن

نفحات الولایهٔ، ج۹، ص: ۶۱۲

عمله الخـاصّ ویبـذل جهـده للقیـام به بأفضـل وجه، وهـذه التوصـیهٔ تـدلّ علی أنّ الإمـام علیه السـلام ملتفت تمامـاً لمبـادیء الإدارهٔ، ژویوصی بها ولده.

وفی عصر النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله کانت هذه المسألهٔ علی رأس الأولویات، سواء فی الحرب أو فی غیرها، فیتمّ انتخاب رجل لقیـادهٔ میمنـهٔ الجیش وآخر لقیادهٔ المیسرهٔ وثالث یکون مقرّه فی قلب الجیش، وهو الـذی یعیّن المسؤولیات ویصـدر الأوامر، وهکـذا بالنسـبهٔ لجمع الزکاهٔ، فثمّـهٔ عمّال مأمورون بهـذه المهمّـهٔ، وکذلک لکسب المعلومات عن وضع العدو حیث یتمّ إختیار أفراد خاصّـین

لهـذا الغرض، وهكـذا فى سـائر أمور إدارة البلـد الإسـلامى فى جميع أبعاده السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة وما إلى ذلك، حيث يتمّ اختيار أفراد واعين وملتزمين يقومون بهذه المهام.

وفى التوصـية الثانية يقول الإمام عليه السـلام: «وَأَكْرِمْ عَشِـيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِى بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِى إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِى بِهَا تَصُولُ [۸۷۷]».

ونرى أنّ الإمـام عليه السـلام فى هـذه العبارة يشـبّه الأقرباء والأرحام بثلاثـة أشـياء كلّ واحـدٍ منها ناظر إلى زاويـة خاصّـة، فثمّـة تشبيه بالجناح وتشبيه بالأصل وثالث باليد.

والتشبيه الأول يشير إلى التقدّم والإزدهار والرقىّ فى ظلّ التكاتف والتعاون بين أفراد العشيرة، والتشبيه الثانى يشير إلى عدم الشعور بالوحدة فى مقابل التحدّيات المفروضة، والتشبيه الثالث يشير إلى مواجهة الأعداء والتصدّى لهم بمساعدة أفراد العشيرة والأقرباء.

وفى الحقيقـة أنّه كمـا أنّ المجتمع الكبير فى ظلّ التكاتف والتعاون بين أفراده يصل إلى مراتب متقدّمـة من التطور والرقى والإزدهار، فكـذلك المجتمـع الصـغير المتكوّن من العشـيرة والأقربـاء الموجودين فى قلب المجتمع الكـبير، فـإنّه بالتعـاون والتكـاتف بين أفراده، يعيش المجتمع التآخى والنجاح والتغلّب على الصعاب، وحتى القبائل فى الجاهليـة أيضاً أدركت هـذه الحقيقة، ولذلك كانت العلاقة القبلية

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۳

واعتماد الفرد على قبيلته يساهم بشكل أساس فى التغلّب على المشاكل والأزمات التى تواجه العرب فى عصر الجاهلية، وطبعاً مع فارق أنّ العرب فى عصر الجاهلية كانوا يدافعون عن القبيلة، والقبيلة تدافع عن أفرادها بدون النظر إلى مسألة الحقّ والباطل، والعدل والظلم، أى بـدون قيـد أو شـرط، ولكن فى الإسـلام أضحـى هـذا الدفاع المتقابل بين الفرد وقبيلته محدوداً بحدود الحقّ والعدالة، فالدفاع عن الباطل أضحى مرفوضاً حتّى فى مقابل الأخ والام والأخت وأمثالهم.

وفى القسم الرابع من الخطبة ۳۲ وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب ثمّة بحث متعمّق فى هذا المجال.

ويورد ابن أبىالحديـد بعض النماذج من دفاع القبيلـة عن أفرادها المظلومين ويبيّن أنّ هـذه الحماية كانت مؤثّرة كثيراً، ومن ذلك أنّ الفرزدق كان لا ينشـد بين يـدى الخلفاء والامراء إلّاقاعـداً، فـدخل على سـليمان بن عبـدالملك يوماً، فأنشده فخراً به وبآبائه، وقال من جملته:

تاللَّهِ ما حمَلتْ مِن ناقةٍ رَجُلًامِثلى إذا ريح لفّتنى على الكورى

فقـال سليمان: هـذا المـدح لى أم لك؟ قال: لى ولك ياأميرالمؤمنين. فغضب سـليمان وقال: قم فأكمل ولا تنشـد بعده إلّاقائماً، فقال الفرزدق: لاـ واللَّه أو يسـقط على الأـرض أكثرى شـعراً، فقال سـليمان: ويلى على الأحمق ابن الفاعلـة، لا يكنّى، وارتفع صوته، فسـمع ضوضاء بالباب، فقال سـليمان: ما هـذا؟ قيل: بنو تميم على الباب، قالوا: لاينشـد الفرزدق قائماً وأيدينا فى مقابض سـيوفنا، قال: فلينشـد قاعداً[۸۷۸].

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۵

## القسم الثلاثون (القسم الأخير)

### اشارة

اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِى الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: ضع كلّ وديعة عند اللَّه

وأخيراً يتحدّث الإمام عليه السلام فى آخر هذه الوصية وأقصرها مخاطباً ولده ويذكر توصيتين تجمعان كلّ شى فى ثناياهما.

يقول الإمام عليه السلام بداية: «اسْتَوْدِع ۸۷۹] اللَّهَ دِينَکَ وَدُنْيَاکَ».

ثمّ يضيف: «وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَکَ فِى الْعَاجِلَهِ وَالْآجِلَهِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَهِ، وَالسَّلَامُ».

وبديهىّ أنّه لا أحد أفضل وأحسن من اللَّه تعالى لحفظ دين الإنسان ودنياه، ولا أحد أحسن منه فى تأمين أفضل المقدّرات والعطايا لدنيا الإنسان وآخرته، فالذات المقدّسة مصدر جميع الخيرات ومنبع كافّة البركات، وكلّ ما يملكه المخلوقون فهو صادر منه، كما نقرأ فى القرآن الكريم: «بِيَدِکَ الْخَيْرُ إِنَّکَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ»[ ۸۸۰].

ولا شكّ أنّ الإنسان يواجه فى دنياه ودينه الكثير من الآفات والمزالق والمآزق،

نفحات الولاية، ج۹، ص: ۶۱۶

وطبعاً فإنّ الآفات التى تمسّ الدين أكثر، وهذه الآفات إلى درجة من الكثرة والتنوّع بحيث أنّ التغلّب عليها لا- يتيسّر للإنسان إلّابالاستعانة بالذات المقدّسة واللجوء إلى صاحب القدرة المطلقة

قال الشاعر:

تَوكّل عَلَى الرّحمنِ فِى الأمرِ كُلِّهُفما خابَ حَقّاً مَنْ عَلَيهِ تَوكّلا

وَكُنْ وَاثِقاً بِاللَّهِ وَاصبِرْ لِحُكمِهِتَفزْ بِالّذى تَرجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلا[ ۸۸۱]

***

نكتب هذه الكلمات الأخيرة من الجزء التاسع ونحن على أعتاب إطلالة عيد الغدير الأغرّ من سنة ۱۴۲۸ ه ق، وختاماً نترنم بهذا الدعاء الرائع ونقول:

«الْحَمْدُللَّهِ الَّذى جَعَلَنا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلايَهِ مَوْلانا أميرالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّهِ الْمَعْصُومينَ عليهم السلام».

نهاية الجزء التاسع

---

[۱] ( ۱). سند الرسالة:

طبقاً لنقل ابن أبى‌الحديد وما ورد فى الروايات أنّ الإمام علىّ عليه السلام عندما تحرک من المدينة باتجاه البصرة وصل فى مسيره إلى منطقة الربذة، وهناک أرسل محمد بن جعفر بن أبى طالب و( امّه أسماء بنت عميس) مع محمد بن أبى بكر بهذه الرسالة إلى أهل الكوفة، وقد وردت بعض الاضافات فى ذيل هذه الرسالة وفقاً لنقل ابن أبى‌الحديد حيث يشير إلى وجود مصدر آخر لهذه الرسالة.

وأورد( ابن قتيبة) فى كتاب« الإمامة والسياسة» هذه الرسالة مع بعض الإضافات، ونقلها الشيخ المفيد فى كتاب،« الجمل» الذى تمّ تأليفه قبل السيد الرضى، ولكنه قال: إنّ الإمام علىّ عليه السلام أرسل هذه الرسالة بواسطة الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر إلى أهالى الكوفة.

وذكرها المرحوم الشيخ الطوسى أيضاً فى الأمالى مع بعض التفاوت، ومن الواضح أنّ السيد الرضى لم ينقل جميع ما ورد فى الرسالة، بل اقتطف منها ما ذكره فى كتابه( انظر: مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۴).

[۲] ( ۱).« الجبهة» فى الأصل بمعنى أعلى الوجه، وما بين الجبينين، وبما أنّ هذا المكان يعدّ من الأعضاء الشريفة والبارزة فى البدن فتطلق هذه الكلمة على الجماعة القوية الذين يتحركون لجلب الخير أو دفع الشر، وكذلك تطلق على رئيس الجمعية.

[۳] ( ۱).« استعتاب» من مادة« عتبى» بمعنى اللوم والتوبيخ، وبهذا المفهوم نعاتب الطرف الآخر حتى يرضى، ثماستعمل بمعنى طلب الرضا.

[۴] ( ۲).« وجيف» من مادة« وجف» على وزن« وقف» تعنى الاضطراب والاهتزاز، وبما أنّ الإنسان بمسيره السريع يواجه حالة من الاهتزاز والاضطراب فى حركته، استعملت هذه المفردة بمعنى السرعة أيضاً.

[۵] ( ۳).« حِداء» وكذلك« حُداء» على وزن« دعاء» بمعنى اطلاق الصوت فى مسير القافلة لتسريع حركة الابل ثم اطلقت على كلّ ما يبعث على التحرك لأداء عمل معين.

« عنيف» من مادة« عنف» وتعنى الغلظة والشدّة فى الاسلوب والعمل.

[۶] ( ۱).« فلتة» تعنى صدور العمل بشكلّ عفوى وبدون تدبير مسبق، و« فلتات اللسان» الكلام الذى يصدر من الإنسان من موقع الغفلة والعفوية بدون تأمل.

[۷] ( ۲).« اتيح» من مادة« تيح» على وزن« شىء» بمعنى الاستعداد لأداء عمل معين، وجملة« فاتيح له قوم» تعنى أنّ جماعة من الناس استعدوا لقتل عثمان.

[۸] ( ۳). وفى هذه الصورة يكون ضمير« اشِتِعْتابَه» ضمير للفاعل ومفعوله محذوف، يعنى« اشِتِعْتابَهُ مِنَ الناسِ» فىحين على التفسير الأول يكون الضمير مفعولًا ويتناسب أكثر مع الجملة اللاحقة.

[۹] ( ۴). بحار الأنوار، ج ۳۱، ص ۱۹۴.

[۱۰] ( ۱). إنّ قصة قتل عثمان ومعركة الجمل وأبعادها وعواملها وتداعياتها تعتبر قصة ذات تفاصيل وفروع كثيرة ومطولة، وقد سبق أن استعرضنا فى الأجزاء السابقة لهذه المجموعة بعض الأبعاد المهمّة لهذه الواقعة التاريخية، وهنا نذكر قائمة للقراء الأعزاء لمصادر هذه الواقعة فى هذا الكتاب يتسنى لهم مراجعتها والإحاطة بكافّة أبعاد وخفايا هذه الواقعة:

أ) عوامل ثورة المسلمين ضد عثمان، ج ۱، ص ۳۷۱ إلى ۳۷۶.

ب) حوادث معركة الجمل، ج ۱، ص ۳۸۹ إلى ۳۹۱.

ج) قتل عثمان وعدم مشاركة الإمام علىّ عليه السلام ودور طلحة والزبير فى تحريك الجمهور، ج ۲، ص ۳۰.

د) تحليل آخر حول قضية مقتل عثمان، ج ۲، ص ۲۳۲ تا ۲۴۱.

ه) دور طلحة والزبير فى معركة الجمل، ج ۲، ص ۲۵۱.

و) الأعمال التى قام بها عثمان وأدت إلى سخط الناس عليه، ج ۲، ص ۴۸۸.

ز) بحث آخر حول دور طلحة وتحريك الناس على قتل عثمان، ج ۶، ص ۵۲۷.

[۱۱] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبي‌الحديد، ج ۱۴، ص ۸- ۲۱.

[۱۲] ( ۲). الإصابة، ج ۱، ص ۱۷.

[۱۳] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۱۳۴.

[۱۴] ( ۱). ورد فى تنزيه الصحابة توضيحات أخرى فى ذيل الخطبة الثالثة، ج ۱، ص ۳۷۶ وما بعدها وفى ج ۴، ص ۳۲۰ وذيل الخطبة ۹۷، و ج ۵، ص ۵۱۸ وذيل الخطبة ۱۳۵، وكذلك ورد فى كتاب« الشيعة تجيب»، بحث مفصل ووافى حول هذا الموضوع.

[۱۵] ( ۱).« جاشَتْ» من مادة« جيش» على وزن« حيف» بمعنى الغليان والهيجان.

[۱۶] ( ۲).« مِرْجَل» بمعنى القِدر سواء كان مصنوعاً من الفخار أو من النحاس وما إلى ذلك، ولذلك عندما يسيطر الغضب والحدّة

على الإنسان يقال:« جاشت مراجله».

[۱۷] ( ۳).« قطب» فى الأصل بمعنى الحديدة التى توضع فى وسط حجر الطاحونة كمحور لدوران الحجر العلوى حوله، ثم اطلق على كلّ أمر يكون له دور محورى فى قضية معينة.

[۱۸] ( ۱). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۵۱۳.

[۱۹] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۴، ص ۲۴.

[۲۰] ( ۲). المصدر السابق، ج ۱۷، ص ۲۴.

[۲۱] ( ۱). سند الرسالة:

إنّ ما أورده السيّد الرّضى فى هذه المقام يمثّل مقطعاً من رسالة مطّولة نسبياً أرسلها الإمام عليه السلام بعد فتح البصرة إلى أهالى الكوفة:« مِنْ عَبدِ اللَّهِ على بن أبى طالبِ إلى قُرظَةَ بن كَعبِ( أحد صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله المشهورين الذى ارسل إلى الكوفة) وَمَنْ قِبلهِ مَنَ المُسلِمِينَ سَلام عَليكُم فإنّى أُحمد إليكمُ اللَّهَ الذى لا إله إلّاهُو ...».

وقد كتب هذه الرسالة كاتب الإمام عليه السلام عبيداللَّه بن رافع فى سنة ۳۶ من الهجرة، وقد أوردها الشيخ المفيد فى كتابه« النصرة» من كتاب« الجمل» للواقدى( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۵).

وقد جاء فى كتاب نهج‌البلاغة الكامل، ص ۷۸۸، أنّ الإمام عليه السلام أرسل هذه الرسالة بعد فتح البصرة مع« زحر بن قيس الجعفى» إلى أهالى الكوفة ومطلع الرسالة:« مِنْ عَبدِ اللَّهِ على بن أبى‌طالبِ أمِيرالمُؤمِنين إلى أهل الكوفة».

[۲۲] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۳ و ۱۴.

[۲۳] ( ۱). بحارالانوار، ج ۳۵، ص ۲۵۲، ح ۱۹۸.

[۲۴] ( ۱). سند الرسالة:

لقد نقل المرحوم الصدوق فى« الأمالى»( قبل نهج‌البلاغة) قصّة هذه الرسالة، ولا تختلف عمّا ورد فى« نهج‌البلاغة» إلّابتفاوت يسير، والأشخاص الذين أوردوا هذه الرسالة بعد السيّد الرضىّ نقلوها مع بعض الاختلاف ممّا يشير إلى وجود مصادر أخرى لهذه الرسالة قبل« نهج‌البلاغة» للسيّد الرضىّ ومن ذلك ما أورده سبط ابن الجوزى فى« تذكرة الخواص»، وكذلك القاضى القضاعى فى« دستور معالم الحكم» والشيخ البهائى فى كتاب« الأربعين»( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹۹).

[۲۵] ( ۱). ورد فى بعض النسخ« مِنْ غَيْرِ مالِكِها» وهو إشارة إلى عملية الغصب، ولكن مع الالتفات إلى جملة« مِنْ غَيْرِحَلالِكَ» يبدو أنّ الكاف فى« غَيْرِ مالِكِك» للخطاب.

[۲۶] ( ۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۲۴۰.

[۲۷] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۲۶.

[۲۸] ( ۱).« ازعج» من« إزعاج» يعنى دفعه ورفعه لتحريكه.

[۲۹] ( ۲).« خطّة» فى الأصل بمعنى الأرض التى يختارها الإنسان ويضع لها علامات وحدوداً للدلالة على حيازتها، وهى فى الأصل من مادة« خطّ»، ثم استخدمت بمعنى المنطقة والناحية، وجاءت فى الجملة أعلاه بهذا المعنى الأخير.

[۳۰] ( ۳).« داوعى» جمع« داعية» بمعنى السبب والعلّة.

[۳۱] ( ۴).« المغوى» اسم فاعل من« الإغواء» بمعنى المضِلّ.

[۳۲] ( ۵).« يشرع» من مادة« شرع» وتستخدم فى هذه الموارد بمعنى الانفتاح.

[۳۳] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۲۲۶.

[۳۴] ( ۱).« ضراعة» تعنى الذلّة( ولها معنى مصدرى وكذلك اسم المصدر)؛ وهذه المفردة تعنى أيضاً التواضع.

[۳۵] ( ۱).« إشخاص» بمعنى إحضار، إرسال وسوق، وفى العبارة أعلاه الأنسب هو المعنى الأول.

[۳۶] ( ۱). سورة غافر، الآية ۷۸.

[۳۷] ( ۲). من جملة القرائن المؤيدة لهذا الرأى وجود قرينتين:

أ) ورد فى الرسالة أعلاه فى كتاب دستور معالم الحكم لابن سلامة، ص ۱۳۷ أنّها تنتهى إلى« وتبع وحمير» بدون جملة« إشخاصهم ...» فى حين أنّ الرسالة متواصلة.

ب) ورد فى كتاب حلية الأولياء، ج ۸، ص ۱۰۲ جملة« إشخاصهم» بهذه الصورة:( وأشخصهم ...) والذى يشير إلى أنّها جملة منفصلة عن الجملة السابقة.

[۳۸] ( ۳). سورة آل عمران، الآية ۱۸۵.

[۳۹] ( ۱). وسائل‌الشيعة، ج ۱۸، ص ۶، ح ۱، الباب ۳ من أبواب صفات القاضى.

[۴۰] ( ۲). الكافى، ج ۷، ص ۳۸۵، ح ۵.

[۴۱] ( ۱). منهاج البراعة فى شرح نهج‌البلاغة، ج ۱۷، ص ۱۵۸؛ سفينة البحار، مادة شرح.

[۴۲] ( ۲). تاريخ الطبرى، ج ۴، ص ۲۷۴ فى باب حوادث سنة ۶۰ ه.

[۴۳] ( ۱). انظر: الاصابة فى معرفة الصحابة، ج ۲، ص ۷۰، ترجمة حال الحسين بن على عليه السلام.

[۴۴] ( ۲). يستفاد من التواريخ أنّ شريحاً عاد بنفسه فى زمان الحجاج، ولكنّه استقال من منصبه بعد ذلك ووافق الحجاج على استقالته. ولمزيد من التوضيح راجع: الاستيعاب، ص ۵۹۰ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ص ۲۸ و ۲۹.

[۴۵] ( ۱). سند الرسالة:

هذه الرسالة التى أوردها الشريف الرضى تمثّل مقطعاً من الرسالة التى أرسلها الإمام عليه السلام لبعض امراء جيشه وقد ذكرها سبط ابن الجوزى فى كتاب تذكرة الخواص بشكل موسع ومختلف، ومن الواضح تماماً أنّه اقتبسها من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة، ولكن ابن الجوزى فى أول الباب السادس من كتابه يقول: كل كلام أنقله عن على ابن أبى‌طالب فى هذا الكتاب نقلًا باسنادى المتصل إلى الإمام عليه السلام نفسه.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۰۱).

[۴۶] ( ۱). الجمل، ص ۱۲۲.

[۴۷] ( ۲).« توافت» من مادة« وفا» وتعنى المصافحة والاجتماع والتلاقى، والمراد من الجملة أعلاه أنّه إذا اجتمعت‌الحوادث وتظافرت فيما بينها واستمر المخالفون على تمردهم.

[۴۸] ( ۱).« انهد» صيغة أمر من« النهود» بمعنى الظهور والارتفاع والقيام بأداء عمل معين.

[۴۹] ( ۲).« تقاعس» من مادة« قعس» على وزن« فحص» وبمعنى التماهل والتواكل وإلقاء المسؤولية على الآخرين والتراجع عن القيام بالوظيفة والتكليف أو الحرب.

[۵۰] ( ۳).« المتكاره» تعنى الشخص الذى يكره القيام بعمل معين ويعيش حالة السخط وعدم الرضا منه، وهى من مادة« كره».

[۵۱] ( ۴).« مغيبة»:« مغيب» و« مشهد» مصدر ميمى بمعنى الغيبة والحضور.

[۵۲] ( ۵). سورة التوبة، الآية ۴۷.

[۵۳] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۷۲.

[۵۴] ( ۲). ولمزيد من التوضيح انظر: تاريخ الطبرى، ج، ۳ فى باب حوادث سنة ۳۶ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۹، ص ۳۰۵ إلى ۳۲۳.

[۵۵] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۴۷.

[۵۶] ( ۲). سورة التوبة، الآية ۴۸.

[۵۷] ( ۳). سورة البقرة، الآية ۲۴۹.

[۵۸] ( ۱). سند الرسالة:

من جملة الأشخاص الذين أوردوا هذه الرسالة: نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، نقل هذه الرسالة من مطلع كلام الإمام عليه السلام، ومع الأخذ بالحسبان أنّ نصر بن مزاحم كان يعيش قبل السيّد الرضىّ بقرنين من الزمان تقريباً، مضافاً إلى أنّه ذكر هذه الرسالة بشكل كامل، فيتبيّن من ذلك أنّه نقلها من مصادر أخرى.

ونقلها أيضاً« ابن عبد ربّه» مع بعض الإضافات وابن قتيبة فى كتابه الإمامة والسياسة باختصار يسير بالنسبة لما أورده نصر بن مزاحم.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۰۲).

[۵۹] ( ۱). نهج‌البلاغة الكامل، ص ۸۰۳؛ وقعة صفين، ص ۲۰.

[۶۰] ( ۲).« طعمة» تعنى الشيء المطعوم والمأكول، ولكن تأتى على سبيل الكناية، مثلًا يقال عن الشخص الفلانى‌خبيث الطعمة، يعنى أنّ كسبه وعمله غير مشروع، وفى الرسالة أعلاه وردت بمعنى ما يعتاش به الإنسان.

[۶۱] ( ۳). سورة النساء، الآية ۵۸.

[۶۲] ( ۴). انظر: تفسير نور الثقلين، ذيل الآية المذكورة؛ والكافى، ج ۱، ص ۲۷۶ باب أنّ الإمام يعرف الإمام الذى يكون من بعده.

[۶۳] ( ۱).« تفتات» فى الأصل من مادة« فوت»، التى تأتى أحياناً بمعنى فقد الشيء وأخرى بمعنى السبق، وطبقاً للمعنى الثانى عندما تأتى من باب افتعال تعنى الاستبداد والتزمت بالرأى، وكأنّه يسبق الآخرين فى اختيار مقصوده، ويحتمل أيضاً أنّ هذه المفردة من مادة« فأت»( بالهمزة)، وتأتى أيضاً بمعنى التفرد والاستبداد.

[۶۴] ( ۲).« رعية» صفة مشبهة بمعنى المراعاة، من مادة« رعى» وهى فى الأصل تعنى رعى الأغنام والذى يقترن عادة بالمراعاة والمحافظة عليها، وهذا التعبير يشير إلى أنّ الدولة فى الحكومة الإسلاميّة مكلّفة بخدمة الناس والمحافظة عليهم ومراعاة حقوقهم، وقد ورد فى الحديث النبوى المعروف:« كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعَيَّتِهِ» وهو إشارة إلى هذا المعنى، أى أنّ جميع الناس يجب أن يرعى أحدهم الآخر ويتعامل معه من موقع المسؤولية ومراعاة الحقوق والواجبات، والحديث المذكور ورد فى بحار الأنوار و جامع الأخبار وفى كتب أهل السنّة صحيح البخارى و مسند أحمد ومصادر أخرى).

[۶۵] ( ۱). سورة النور، الآية ۳۳.

[۶۶] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة العلّامة التسترى، ج ۸ ص ۷.

[۶۷] ( ۱). انظر: الكافى، ج ۸ ص ۱۶۷، ح ۱۸۷.

[۶۸] ( ۲). بحارالانوار، ج ۲۹، ص ۴۲۰ ولمزيد التوضيح فى ترجمة الأشعث راجع الجزء الأول من هذا الكتاب، ذيل الخطبة ۱۹.

[۶۹] ( ۱). انظر إلى كتاب تاريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۲۳۳ و تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ۲۲ و كذلك معجم البلدان الحموى، ج ۱، ص ۱۲۸ وفتوح البلدان للبلاذرى، ج ۲، ص ۴۰۰.

[۷۰] ( ۱). سند الرسالة: تمثّل هذه الرسالة مقطعاً من رسالة مطولّة أرسلها الإمام عليه السلام لمعاوية وبعثها مع« جرير بن عبداللّه البجلى» وفى جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضى، نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، وابن عبد ربه فى العقد الفريد. مضافاً أنّ الطبرى فى تاريخه ينقل هذه الرسالة ويذكر قصّة مفصّلة عنها فى الجزء الثالث من تاريخه فى حوادث سنة ۳۶. وابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق فى شرح حال معاوية( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۰۹).

[۷۱] ( ۱).« تتجنى» فى الأصل من ال« جناية»، وإذا كانت من باب تفعّل فإنّها تعنى أنّ شخصاً يريد أن يلقى بالجريمة‌على الآخر فى حين أنّ ذلك الشخص لم يرتكبها وهذا هو معنى التهمة.

[۷۲] ( ۲).« تجنّ» هـذه المفردة فعـل أمر من« تجنّی» کما سبق ذکره ومفهوم الجملـة أنّک یا معاویـة تعلم بأنّ انتساب قتل عثمان إلیّ مجرّد تهمة فإذا کان الأمر کذلک فقل ما شئت وتحدّث بما بدا لک.

[۷۳] ( ۱). ولمزید من هذه الأدلة القرآنیة والروائیة والعقلیة راجع نفحات القرآن، ج ۹.

[۷۴] ( ۱). سورة الأنعام، الآیتان ۷۷ و ۷۸.

[۷۵] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۴، ص ۳۶ و ۳۷.

[۷۶] ( ۱). سند الرسالة: من جملة الأشخاص الذین نقلوا هذه الرسالة قبل السیّد الرضیّ ابن أعثم الکوفی فی کتاب الفتوح والمبرد فی الکامل ونصر بن مزاحم فی کتاب صفین، هؤلاء نقلوا الرسالـة مورد البحث بتفاوت یسیر، وهـذه الرسالـة فی الحقیقـة رسالـة جوابیة أرسلها الإمام علیه السلام إلی معاویـة جواباً علی رسالته الملیئة بالعبارات الوقحة والکلمات المنکرة فی أثناء معرکة صفین، بل کتبها فی آواخر هذه الحرب( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۱).

[۷۷] ( ۲). سیأتی ذکر رسالة معاویة فی نهایة هذا البحث.

[۷۸] ( ۱). سورة الزمر، الآیة ۶۵.

[۷۹] ( ۲).« موصّلة» تعنی أمور متنافرة وغیر مرتبطة تمّ جمعها فی مورد واحد، وهی من مادة« وصل» أی ربط.

[۸۰] ( ۳).« محبّرة» وتعنی تزیین الشیء من مادة« حبر» علی وزن« ابر» وتعنی بفتح الأول التزین و« حبر» بکسر الأول تعنی الجمال.

[۸۱] ( ۴).« نمّق» من« التنمیق» بمعنی التزیین؛ ولکن الثلاثی لها« نمق» علی وزن« نقد» تعنی الکتابة، وعندما تأتی من باب التفعیل تعنی التزیین.

[۸۲] ( ۱).« أمضیت» من« الإمضاء» وتعنی الإرسال والإجراء والتنفیذ لشیء، وبما أنّ إمضاء السند أو الوثیقة یعتبر نوعاً من إنفاذها وإجرائها، فهذه المفردة تطلق علی هذا العمل.

[۸۳] ( ۲).« هجر» من مادة« هجر» علی وزن« زجر» وتعنی الهذیان.

[۸۴] ( ۳).« لاغط» من مادة« لغط» علی وزن« وقت» بمعنی إثارة الفوضی واللغو والشغب.

[۸۵] ( ۴).« خابط» من مادة« خبط» علی وزن« وقت» وتعنی المتحیر والسائر بدون هدف معین.

[۸۶] ( ۱).« النظر» تعنی هنا التأمل والتدبر، یعنی أنّ البیعة بعد انعقادها غیر قابلة للتأمل والتشویه( هذا فی صورة أن‌تکون« فی» متعدیة.

[۸۷] ( ۲).« مروّی» الشخص الذی یشک ویتردد فی أمر ویفکر ویتأمل فیه وهی من« الترویة»، وتأتی أحیاناً بمعنی‌شرب الماء وإزالة الظمأ، وأخری بمعنی المطالعة والتأمل فی شیء.

[۸۸] ( ۳).« مداهن» تعنی المتملق والمنافق والمتزلف.

[۸۹] ( ۱). مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۱ ونقل ابن أبی‌الحدید هذه الرسالة أیضاً مع اختلاف یسیر فی: ج ۱۴، ص ۴۲.

[۹۰] ( ۱). سورة الحجرات، الآیة ۹.

[۹۱] ( ۱). سورة غافر، الآیة ۲۶.

[۹۲] ( ۱). سند الرسالة:

من الأشخاص الذین نقلوا هذه الرسالة قبل السیّد الرضیّ، نصر بن مزاحم فی کتاب صفین وابن عبد ربه فی کتاب العقد الفرید( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۱).

[۹۳] ( ۱).« الفصل» فی الأصل بمعنی الفرقة والانفصال، ویطلع علی الحکم القطعی الذی یصدر من القاضی وغیرالقاضی، لأنّه یفصل بین المتخاصمین ویمیّز المسائل المشتبه بها.

[۹۴] ( ۲).« مجلیة» من« الإجلاء» بمعنی إخراج من الوطن وأصله من« جلاء» بمعنی الوضوح والظهور، ولذلک یطلق علی الخروج من

المدینة وکأنّ الشخص کان مختفیاً فیها ومع خروجه یظهر ویبرز إلی العیان، و« الجلاء» بمعنی تلمیع الشیء وصقله، وکذلک نوع من ظهور اللون الحقیقی المستور تحت الصدأ.

[۹۵] ( ۱).« مخزیة» من مادة« خزی» من باب افعال و« الخزی» تعنی الفضیحة والذلة، ولعل أصلها من الفضیحة التی تسبب الذلة، وذهب جماعة من أرباب اللغة إلی أنّ جذره الأصلی سوء حال النتائج من وقوع البلاء والفضیحة والذلّة.

[۹۶] ( ۲).« فانبذ» من مادة« نبذ» علی وزن« نصر» فی الأصل بمعنی القاء الشیء بعیداً لعدم اعتباره أو لکونه غیر ذی قیمة، وأحیاناً تأتی بمعنی الاعلام وکأنّ المتکلّم یطرح الکلمات إلی الطرف المقابل سواء کان هذا امضاء لعهد أو اعلاناً لحرب أو شیئاً آخر، وفی الجملة أعلاه ورد بمعنی إعلان الحرب.

[۹۷] ( ۱). سند الرسالة:

یقول مؤلف کتاب مصادر نهج‌البلاغة بعد بیان کیفیة کتابة هذه الرسالة، هذه القصّة مشهورة فی کتاب صفین لنصر بن مزاحم، وأمّا ما ذکره السید الرضی فیمثّل قسماً ختامیاً للرسالة، ثم أضاف: وقد نقل هذه الرسالة کتّاب آخرون أیضاً فی کتبهم، ومنهم:

۱. ابن عبد ربه فی العقد الفرید.

۲. البلاذری فی کتاب انساب الأشراف.

۳. الشیخ المفید فی کتاب الفصول المختارة وقد أورد مقطعاً منها.

۴. الخطیب الخوارزمی فی کتاب المناقب( والجدیر بالذکر أنّ الثلاثة المتقدمین کانوا یعیشون قبل السید الرضی)( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۷).

[۹۸] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۷۳ إلی ۷۵.

[۹۹] ( ۱).« اجتیاح» تعنی الإهلاک، وهدم وتخریب، وأصلها من« جوح» علی وزن« قوم» وتأتی بهذا المعنی المذکور.

[۱۰۰] ( ۲).« هموم» جمع« همّ» بمعنی الأحزان، وأشکال القلق والاضطراب، التخطیط والتدبیر، وهنا وردت بمعنی التآمر من قِبل قریش ضد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وهو یفضی إلی الغم والحزن الشدید، وأصل هذه المفردة بمعنی القصد، وبما أنّ القصد فی کثیر من الموارد یقترن بالقلق والحزن، فجاء بمعنی القلق والحزن أیضاً.

[۱۰۱] ( ۱).« الأفاعیل» جمع« أفعال» وهو جمع« فعل»، وفی هذه الموارد وردت بمعنی الأعمال الکبیرة وأشکال التآمروالدسیسة.

[۱۰۲] ( ۲).« العذب» بمعنی الرواء الهنیء، وتارة یقصد به البعد الظاهری، والبعد الباطن والمعنوی.

[۱۰۳] ( ۳).« احلسونا» أصلها« حلس» علی وزن« حرص» وتعنی القماش الناعم الذی یوضع تحت أقتاب الإبل، وفی الحقیقة یلتصق ببدن الإبل، ثم اطلق علی کل شیء یلازم شیئاً آخر، مثلًا، یقال: فلان حلس البیت؛ یعنی أنّه لا یخرج من بیته، والجملة أعلاه« أحْلَسُونَا الْخَوْفَ» تعنی أنّ الأعداء فرضوا علینا حالات الخوف والرعب الدائم.

[۱۰۴] ( ۴).« وعر» الأرض الصعبة والملیئة بالأحجار وغیر المعبدة.

[۱۰۵] ( ۵).« اوقدوا» أصلها من« الإیقاد» بمعنی اشعال النار وهی من« الوقود» بمعنی إشعال الشیء.

[۱۰۶] ( ۶). خلافاً لما یتوهم البعض من أنّ شعب أبی طالب هو محل قبر أبی طالب الذی یقع الآن علی مقربة من جسرالحجون، لأنّه تفصله فاصلة کبیرة مع المسجد الحرام والکعبة، وشعب أبی طالب کان وادیاً إلی جانب جبل أبی‌قبیس، ولذلک ورد فی التواریخ أنّ صوت بکاء أطفال المسلمین من شدّة جوع والآلام الآخری کان یسمع لیلًا فی المسجد الحرام من ذلک الوادی.

[۱۰۷] ( ۱).« ذب» بمعنی دفع وأبعد ودافع.

[۱۰۸] ( ۱). منهاج البراعة فی شرح نهج‌البلاغة، ج ۱۷، ص ۳۶۵.

[۱۰۹] ( ۱).« خلو» بمعنی خواء الشیء وکونه عاریاً.

[۱۱۰] ( ۱).« البأس» فى الأصل بمعنى الشدّة والقوّة والقدرة، وتأتى بمعنى المشكلات الكبيرة والحرب، وجملة« لا بأس به» أى« لا مشكلة فيه» وجملة أعلاه« احمَرّ الْبَأسُ» إشارة إلى شدّة ضراوة الحرب.

[۱۱۱] ( ۲).« احْجَم» أصلها من« حجم» على وزن« رجم» بمعنى الامتناع عن عمل معين، وجملة« أَحْجَمَ النَّاسُ» بمعنى أنّهم امتنعوا من الدخول إلى ميدان الحرب.

[۱۱۲] ( ۱).« أسنة» جمع« سنان» بمعنى رأس الرُمح.

[۱۱۳] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۵.

[۱۱۴] ( ۲). المصدر السابق، الخطبة ۱۵۶.

[۱۱۵] ( ۱).« لا يدلى» من« الإدلاء» وتعنى الاظهار والاعلان، ويقال:« أدلى برأيه» يعنى أظهر رأيه، وهى فى الأصل من مادة« دلو»، وعندما تأتى من باب الإفعال تكون بمعنى ارسال الدلو إلى البئر لسحب الماء، ثم اطلقت على أى اظهار للرأى.

[۱۱۶] ( ۱).« يسعنى» من« الوُسع» بمعنى القدرة على عمل معين، وإمكانية العمل.

[۱۱۷] ( ۱). ترجمة شرح نهج‌البلاغة ابن ميثم، ج ۴، ص ۶۲۸، ومثل هذه الرواية وردت بتفاوت يسير فى كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى، ج ۳، ص ۶۱، ونقلنا عن أبى‌مسلم الخولانى مثله.

[۱۱۸] ( ۲).« غىّ» و« غواية» بمعنى ضلال وإضلال بمعنى الوقوع فى المتاهة.

[۱۱۹] ( ۳).« شقاق» بمعنى الفرقة والنفاق وعدم الانسجام، وهى بالأصل الشق وانفصال الجانبين فى الشىء.

[۱۲۰] ( ۴).« زَور» تارة تأتى بمعناها المصدرى وتعنى اللقاء والملاقاة، وأحياناً تأتى بمعنى الزائر، وفى الجملة وردت بالمعنى الأول.

[۱۲۱] ( ۵).« لقيان» و« لقاء» مصدر بمعنى الملاقاة.

[۱۲۲] ( ۱). صفين، ص ۳۱۹.

[۱۲۳] ( ۱). انساب الأشراف البلاذرى، ج ۵، ص ۵۷؛ تاريخ الطبرى، ج ۵، ص ۱۱۳؛ العقد الفريد، ج ۲، ص ۲۵۸ و ۲۶۱ و ۲۷۲.

[۱۲۴] ( ۱). النهاية لابن الأثير الجزرى، ج ۵، ص ۸۰ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۲، ص ۷۷ و ج ۶، ص ۲۱۵.

[۱۲۵] ( ۱). تاريخ الطبرى، ج ۵، ص ۱۱۸ وما بعدها و كامل لابن الأثير، ج ۳، ص ۷۰ وما بعدها. لتحقيق أكثر انظر إلى كتاب فروغ ولاية عن الاستاذ جعفر السبحانى، ص ۳۲۷- ۳۳۵ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى لحديد، ج ۲، ص ۱۲۹ تا ۱۵۸، ذيل الخطبة ۳۰.

[۱۲۶] ( ۱). سند الرسالة:

نقل هذه الرسالة نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قبل السيّد الرضىّ، وبعد السيد الرضى ذكرها ابن عساكر فى كتاب تاريخ دمشق فى شرح حال معاوية، وما ذكره السيّد الرضىّ فى نهج‌البلاغة لا يمثّل جميع هذه الرسالة، فالرسالة تبتدىء بمقدّمة وردت فى كتاب مصادر نهج‌البلاغة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۲۰).

والرسالة المذكورة لها خاتمة وردت فى كتاب نهج‌البلاغة الكامل.

[۱۲۷] ( ۱).« جلابيب» جمع« جلباب» على وزن« مفتاح»( وهذه المفردة ترد بكسر الجيم وفتحها وتعنى العباءة، قطعةالقماش التى تغطّى جميع البدن، وتطلق على الثوب الواسع والطويل).

[۱۲۸] ( ۱).« تبهّجت» من مادة« بهج» و« بهجة» بمعنى الجمال والطراوة، و« والتبهّج» بمعنى الشعور بالفرح بسبب رؤية الجمال.

[۱۲۹] ( ۲).« يوشک» من مادة« وشک» على وزن« كبت» تعنى الإسراع فى المشى، وعليه فإنّ كلمة« يوشک» تدلّ على أنّالأمر الفلانى سرعان ما يتحقق( والصحيح« يوشِک» بكسر الشين، وتارة تأتى بفتحها).

[۱۳۰] ( ۳).« مجنّ» بمعنى الدرع.

[۱۳۱] ( ۴).« أقعس» صيغة أمر من مادة« قعس» على وزن« نفس» وفى الأصل بمعنى بروز الصدر إلى الأمام وانبعاج الظهر، ثم اطلقت

على كل تكاسل واهمال فى عمل معين، وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى، يعنى: يجب عليك يامعاوية أن تتراجع عن الخلافة.

[۱۳۲] ( ۵).« أهبة» بمعنى تهيئة وسائل العمل.

[۱۳۳] ( ۶).« شمّر» من ال« تشمير» وأصلها من« شمر» على وزن« تمر» بمعنى جمع الأمور وقطف الثمار والاستعداد لقدوم قادم، وتعنى فى التهيؤ لأداء عمل معين.

[۱۳۴] ( ۷).« غواة» جمع« غاوى» المضل.

[۱۳۵] ( ۱).« مترف» هو الشخص الذى يملك نعماً ومواهب كثيرة، وبما أنّ ذلك قد يسبب غالباً الطغيان فالمترفين همالأشخاص الأثرياء الذين يعيشون حالة الطغيان والتمرّد.

[۱۳۶] ( ۱).« باسق» بمعنى المرتفع من« البسوق» على وزن« طلوع».

[۱۳۷] ( ۱).« غرّة» بمعنى الغفلة والجهل وعدم الاطلاع والغرور.

[۱۳۸] ( ۲).« الامنيّة» بمعنى الأمل، وأصلها« منى» على وزن« رمى» بمعنى التقدير والفرض ويطلق على الأمال تمنىوالامنية بسبب أنّ الإنسان يقدر لنفسه الكثير من الأمور فى عالم الخيال ويتعلق بها قلبه، ومفردة امنية تأتى غالباً فى موارد الطموحات والأمال البعيدة والتى لا تتحقق فى الواقع العملى.

[۱۳۹] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۳۵، ح ۳.

[۱۴۰] ( ۱). ومن النقاط التاريخية الملفتة للنظر ما وقع نظير هذه القصة عن بسر بن ارطاة الذى يعتبر من شجعان العرب، فينقل ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب( ج ۱، ص ۱۶۴) أنّ بسر كان حاضراً مع معاوية فى صفّين، فشجّعه معاوية على قتال أميرالمؤمنين وقال:« كان بسر من الأبطال الطغاة وكان مع معاوية بصِّفين، فأمره أن يلقى علياً عليه السلام فى القتال، وقال له: إنّى سمعتك تتمنّى لقاءه، فلو أظفرك اللّه به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة، ولم يزل يشجّعه ويمنّيه حتى رأى عليّا عليه السلام فى الحرب، فقصده والتقيا فصرعه علىّ عليه السلام، وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص فى كشف السوأة»( شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۶، ص ۳۱۶ و ۳۱۷).

[۱۴۱] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۸۴- ۸۵.

[۱۴۲] ( ۱).« ثائر» بمعنى المطالب بدم المقتول، وهى من مادة« ثأر» على وزن« سأل»، وعندما تطلق هذه الكلمة علىبعض المعصومين عليهم السلام،« يا ثاراللّه» يعنى الشخص الذى ينتقم للّهلا لفرد معين أو قبيلة.

[۱۴۳] ( ۱).« عضّ» من« العضّ» بمعنى الامساك بالأسنان.

[۱۴۴] ( ۲).« جمال» جمع« جمل» بمعنى الإبل؛ مثل« جبال» جمع« جبل».

[۱۴۵] ( ۳).« حائدة» بمعنى المائلة عن الطريق المستقيم من مادة« حيد» على وزن« صيد» أى الميل إلى أحدى الجهات، وهذه المفردة تأتى بمعنى نقض البيعة.

[۱۴۶] ( ۱).« هرير» فى اللغة بمعنى عواء الكلب عند التألم، وهذا إشارة إلى أنين أهل الشام وصراخهم فى تلك الليلة.

[۱۴۷] ( ۲). انظر: شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۲، ص ۲۰۵- ۲۵۶.

[۱۴۸] ( ۱). سند الرسالة:

لقد أورد هذه الرسالة نصر بن مزاحم الذى كان يعيش ۲۰۰ سنة قبل السيد الرضى فى كتابه صفين، والحسن ابن شعبة الحرّانى فى تحف العقول والدينورى فى كتاب الاخبار الطوال. وابن ميثم البحرانى الذى يعدّ أحد شرّاح نهج‌البلاغة أورد هذه الرسالة مع إضافات مهمّة وهذا يشير إلى وجود مصادر غير نهج‌البلاغة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۲۴).

وصرح صاحب المصادر إلى أنّ هذه الرسالة تمثّل قسماً من رسالة مطولّة أرسلها الإمام عليه السلام إلى زياد بن النضر الحارثى

وشريح بن هانیء من قوّاد جيش الإمام علیّ عليه السلام. وقد وردت هذه الرسالة أيضاً فی کتاب نهج‌البلاغة الکامل برقم ۱ من رسائل الإمام أميرالمؤمنين علیّ عليه السلام فی ص ۹۴۵.

[۱۴۹] ( ۱).« أشراف» جمع« شرف» علی وزن« هدف» بمعنی المکان المرتفع والتعبير ب« قبل الأشراف» يعنی أمام‌المرتفعات.

[۱۵۰] ( ۲).« سفاح» فی الأصل معنی انهمار الماء وجريانه، ثم اطلق علی جانب الجبل، لأنّ الماء ينهمر منه، وتأتی هذه المفردة کناية عن الزنا.

[۱۵۱] ( ۳).« اثناء» جمع« ثنی» علی وزن« صنف» بمعنی الملتوی والمطاوی، وهذه المفردة« اثناء» تأتی بمعنی وسط الشیء.

[۱۵۲] ( ۱).« ردء» بمعنی المعين والنصير.

[۱۵۳] ( ۲).« مردّ» تأتی تارة بمعنی المانع وأخری بمعنی محل العودة، فی الجملة أعلاه کما ذکرنا فی الشرح، تأتی بکلا المعنيين.

[۱۵۴] ( ۱).« صياصی» جمع« صيصية» أو« صيصة» وهو فی الأصل بمعنی المشط الذی يستخدمه الحائک لتعديل وتنظيم القماش، أو الظفر الزائد فی أقدام بعض الطيور، ثم اطلق علی القلاع المحکمة علی قمم الجبال وکذلک تطلق علی قمّة الجبل، وفی العبارة أعلاه وردت بمعنی الأخير.

[۱۵۵] ( ۲).« مناکب» جمع« منکب» علی وزن« مغرب» بمعنی الأکتاف، بالنظر إلی أنّ الهضاب جمع هَضَبَة( علی وزن عَقَبَة) تأتی بمعنی الجبال المسطحة التی تفتقد القمم، فإنّ« مناکب الهضاب» تعنی الأقسام العليا من هذه التلال المرتفعة والتی هی بمثابة الاکتاف للجبل.

[۱۵۶] ( ۱).« کفة» جمعها« کفاف» بمعنی الشیء المدوّر، وکفّة الميزان يراد بها هذا المعنی أيضاً حيث تکون بشکل‌دائری.

[۱۵۷] ( ۱). سند الرسالة:

جاء فی کتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ الحرب بين الإمام عليه السلام وأهل الشام عندما وصلت إلی المدائن أرسل الإمام علیّ عليه السلام معقل بن قيس الرياحی مع ثلاثة آلاف مقاتل کمقدمة للجيش باتجاه الشام وأوصاه بوصايا عدّة اختار منها الشريف الرضی بعضها، والبعض الآخر ذکره نصر بن مزاحم فی کتاب صفين، ولا شک أنّ السيد الرضی نقل هذه الوصية من مصدر آخر غير کتاب صفين لنصر بن مزاحم.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۲۶).

ثم أضاف: إنّ المرحوم ابن ميثم فی شرحه لنهج البلاغة نقل إضافات لما أورده السيد الرضی، وهذا يشير إلی وجود مصدر آخر غير نهج‌البلاغة للشريف الرضی( شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم، ج ۴، ص ۳۸۰۹.

والعجب أنّ کتاب نهج‌البلاغة الکامل أورد کلمتين اضافيتين فقط علی ما ذکره السيد الرضی فی نهاية هذه الوصية( نهج‌البلاغة الکامل، ص ۷۴۴).

[۱۵۸] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۲۲۳.

[۱۵۹] ( ۲). سورة النجم، الآية ۴۲.

[۱۶۰] ( ۱). سورة الانفال، الآية ۶۱.

[۱۶۱] ( ۲).« بردين» تثنية« برد» بمعنی البرودة ضد الحر، وهذا إشارة إلی الصبح والعصر حيث يبرد الهواء نسبياًوتنخفض درجة الحرارة.

[۱۶۲] ( ۳).« غوّر» من مادة« غور» علی وزن« قول» وردت فی المصادر اللغوية بمعنيين، الأول، النوم فی منتصف النهاروالذی يعبر عنه بالقيلولة، والثانی، التوغل إلی باطن الشیء وعمقه، وفی الجملة يراد بها الأول، وأحياناً يقصد بهذه المفردة الحملة والهجوم والإغارة أيضاً.

[۱۶۳] ( ۴).« رفّه» من« الترفيه» و« رفوه» بمعنی الراحة والهدوء فی الحياة، والرفاه يرد أيضاً کأحد المصادر لهذه المفردة.

[۱۶۴] ( ۱).« ینبطح» من مادة« بطح» على وزن« فتح» بمعنى الامتداد والتوسع، وجملة« يَنْبَطِحُ السِّحَرُ» يعنى امتدادالسحر وظهور علاماته، وهذه المفردة تأتی أحياناً بمعنى الاضطجاع على الأرض.

[۱۶۵] ( ۲). سورة الأنعام، الآیة ۹۶.

[۱۶۶] ( ۳). سورة آل عمران، الآیة ۱۷.

[۱۶۷] ( ۱).« ینشب» من« النشوب» على وزن« سجود» بمعنى المواجهة والتدخل فی عمل الشیء، وأحياناً تأتی بمعنى بدء اشتعال نار الحرب، و« انشاب» من باب إفعال بمعنى غرز المخالب فی بدن الطرف المقابل، وأحياناً تأتی بمعنى إشعال نار الحرب.

[۱۶۸] ( ۲).« شنآن» مصدر بمعنى الخصومةوالعداوة.

[۱۶۹] ( ۱).« اعذار» بمعنى اتمام الحجة وايصاد طریق الاعتذار على الطرف المقابل.

[۱۷۰] ( ۱). سند الرسالة:

وردت هذه الرسالة فی تاریخ الطبری( ج ۳، ص ۵۶۴) وفی کتاب صفین لنصر بن مزاحم ص ۱۵۳.

وأورد صاحب کتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ هذین المؤرخین کانا یعیشان قبل السید الرضی، وجاء فی تاریخ الطبری أنّ الإمام علیه السلام کتب هذه الرسالة لزیاد بن النضر وشریح بن هانیء من قادة مقدّمة جیشه عندما کانا یتوجّهان إلى صفّین، وعندما اقتربا من جیش معاویة التقیا بأحد أفراد جیشه ویدعى أبو الأعور السلمی ودعیاه للالتحاق بجیش الإمام علیّ علیه السلام والطاعة له، ولکنّه لم یقبل بذلک، فوصل خبر هذا اللقاء إلى الإمام علیه السلام فأرسل الإمام مالک الأشتر وجعله قائداً للجیش ومعه هذه الرسالة إلیهما.

[۱۷۱] ( ۱).« حیّز» تعنی المکان والناحیة، وهی من مادة« الحیازة» بمعنى تملّک الشیء والاستیلاء علیه وإحراز الأولویة فی التصرّف به.

[۱۷۲] ( ۲).« مجنّ» بمعنى الدرع، من مادة« جنّ» على وزن« فن» بمعنى التغطیة.

[۱۷۳] ( ۳).« سقطة» بمعنى الانحراف والسقوط.

[۱۷۴] ( ۴).« احزم» من مادة« حزم» على وزن« نظم» بمعنى تحکیم العمل واتقانه.

[۱۷۵] ( ۵).« امثل» بمعنى أفضل.

[۱۷۶] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۱۵، ص ۱۰۰( مع تلخیص).

[۱۷۷] ( ۱). الاستیعاب، ج ۲، ص ۷۲.

[۱۷۸] ( ۲). تاریخ الإسلام الذهبی، ج ۵، ص ۴۲۳.

[۱۷۹] ( ۳). مستدرکات علم رجال الحدیث، ج ۳، ص ۴۵۵.

[۱۸۰] ( ۱). سند الرسالة:

صرّح صاحب کتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ هذه الرسالة نقلت عن الإمام علیه السلام بالتواتر، فقد تحدّث الإمام علیه السلام عدّة مرات بهذه التوصیات لأصحابه وأنصاره، ومن المؤرخین الذین نقلوا هذه الرسالة قبل السید الرضی، الطبری فی تاریخه المعروف فی سنة ۳۷ عن عبد الرحمن بن جندب عن أبیه بأنّ الإمام علیّ علیه السلام کان یوصی أنصاره بهذه التوصیات فی کل مواجهة وقتال مع الأعداء، وکذلک نقلها نصر بن مزاحم فی کتاب صفین بهذا المضمون، وذکرها المرحوم الکلینی أیضاً فی کتاب فروع الکافی فی کتاب الجهاد من الراوی نفسه( عبدالرحمن بن جندب عن أبیه)، وکذلک نقلها المسعودی فی مروج الذهب وابن أعثم الکوفی فی کتاب الفتوح؛ ثم أضاف مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ کل هؤلاء الرواة کانوا یعیشون قبل السید الرضی فلا نحتاج لذکر اسماء الأشخاص الذین نقلوا هذه الرسالة عن الإمام علیه السلام بعد السید الرضی( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۱۷).

[۱۸۱] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۳۲، ص ۳۱۳.

[۱۸۲] ( ۱). سورة المائدة، الآية ۳۳.

[۱۸۳] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۱۹۴.

[۱۸۴] ( ۳).« معور» فی الأصل من مادة« عار» و« عور» علی وزن« غور» بمعنی العیب والنقص، ثم اطلقت علی المناطق‌الضعیفة والنقاط القابلة للنقص، والمعور: الشخص الذی لا یستطیع الدفاع عن نفسه ویتعرّض للضرر فی مقابل هجوم مخالفه، وسمیت الآلة التناسلیة بالعورة لأنّ اظهارها یورث العیب والعار لصاحبها.

[۱۸۵] ( ۱).« لا تُجْهِزُوا» من« الإجهاز» بمعنی التسریع وقتل المجروحین وإنهاء حیاتهم، وهذا یشبه ما یطلق علیه حالیاً برصاصة الرحمة.

[۱۸۶] ( ۲). الکافی، ج ۵، ص ۳۳، ح ۲.

[۱۸۷] ( ۱).« فَهر» بمعنی قطعة من الحجر الصافی والأملس بمقدار قبضة الید، و« فِهر» علی وزن« شعر» تطلق علی الأحجار التی تطحن بها الأدویة.

[۱۸۸] ( ۲).« هراوة» بمعنی قطعة من الخشب کالعصا الغلیظة.

[۱۸۹] ( ۳).« عقب» الولد سواء کان ذکراً أم انثی.

[۱۹۰] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۰۵.

[۱۹۱] ( ۱). الکافی، ج ۵، ص ۵۰۵، ح ۴.

[۱۹۲] ( ۲). وسائل‌الشیعة، باب ۸۹ من أبواب مقدمات النکاح، ح ۲.

[۱۹۳] ( ۳). الکافی، ج ۵، ص ۳۲۳، ح ۳ باب أصناف النساء.

[۱۹۴] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة العلّامة التستری، ج ۱۳، ص ۵۱۴.

[۱۹۵] ( ۱). سند الدعاء: هذا الدعاء ورد فی عدّة مصادر معروفة قبل المرحوم السیّد الرضی، ومنها کتاب صفین لنصر بن مزاحم حیث نقله بأربعة أسانید عن الإمام علیّ علیه السلام وفیه اضافات معتبرة أکثر مما أورده السید الرضی.

وقد ذکر المرحوم الشیخ المفید أیضاً فی کتاب النصرة وقال: إنّ الإمام علیه السلام دعا بهذا الدعاء یوم الجمل.

وفی کتاب صفین لعبد العزیز بن یحیی الجلودی أیضاً طبقاً لنقل المرحوم العلّامة المجلسی.( والسیّد ابن طاووس فی مهج الدعوات). أنّ الروایات أعلاه تشیر أحیاناً إلی أنّ هذا الدعاء ورد فی معرکة الجمل وأحیاناً أخری فی معرکة صفین ویوم الهریر، ویستفاد من بعضها أنّ الإمام علیه السلام کان عندما یرید الورود إلی میدان القتال فی کل مرّة یقرأ هذا الدعاء( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۲۰).

[۱۹۶] ( ۱).« أفضت» من« الإفضاء» و« فضاء» بمعنی الوصول إلی الشیء، وکأنّه ورد فی دائرة فضائه وأجوائه.

[۱۹۷] ( ۲).« شخصت» من« الشخوص» بمعنی تحدیق العین بالشیء بحیث أنّ سواد العین ثابت والجفن لا یتحرک.

[۱۹۸] ( ۳).« أُنضیت» من« الإنضاء» بمعنی إضعاف بدن الإنسان أو الحیوان وجعله نحیفاً، وتأتی بمعنی الاستنزاف والاستهلاک والإساءة أیضاً.

[۱۹۹] ( ۱). سورة التوبة، الآیتان ۱۲۰ و ۱۲۱.

[۲۰۰] ( ۲).« جاشت» من مادة« جیش» علی وزن« عیش» بمعنی الغلیان، وهذا المفردة تطلق علی الغلیان الظاهری للأشیاء وکذلک الغلیان المعنوی والباطنی، مثل غلیان الغم والحزن فی داخل الصدور.

[۲۰۱] ( ۳).« مراجل» جمع« مرجل» علی وزن« منبر» بمعنی القدور.

[۲۰۲] ( ۴).« أضغان» جمع« ضغن» وهو الحقد.

[۲۰۳] ( ۱).« افتح» من مادة« فتح» تأتی أحیاناً بمعنی النصر وأخری بمعنی فتح الباب أو القفل، وثالثة بمعنی التحکیم، وکلّها تشترک

بنوع من فتح الشيء المغلق.

[۲۰۴] ( ۲). سورة الأعراف، الآية ۸۹.

[۲۰۵] ( ۱). سند الرسالة:

هذا الكلام في الحقيقة يمثّل مقطعاً من كلام الإمام عليه السلام لأصحابه في أحد أيّام معركة صفين، ويستفاد من كلام ابن أبي‌الحديد أنّه استمرار للخطبة ۶۲( وفقاً للترقيم الوارد في نهج‌البلاغة لصبحي الصالح الخطبة ۶۴). وعلى أية حال فمن جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الخطبة قبل السيد الرضي المرحوم الشيخ الكليني في كتاب الكافي، كتاب الجهاد في عدّة عبارات، وذكر نصر بن مزاحم أيضاً في كتاب صفين مقطعاً منه، والعجب أنّ الوارد في كتاب نهج‌البلاغة الكامل مقطع من هذا الكلام لا كله.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۲).

[۲۰۶] ( ۱).« فرّة» وتعني المرّة من الفرار.

[۲۰۷] ( ۲).« كرّة» بمعنى المرّة من العودة الهجوم على العدو، ومن هنا سمى الإمام على عليه السلام بالكرّار لأنّه كان يكثر من العودة إلى العدو والهجوم عليه.

[۲۰۸] ( ۳).« جولة» بمعنى الدوران في الميدان والتحرك من هذه الجهة إلى تلك.( وهذه المفردة تأتى بمعنى المصدر واسم المصدر أيضاً، وذهب بعض إلى أنّ« جولة» تعنى الفرار لمدّة قصيرة، ولكن مع الالتفات إلى سياق كلام أميرالمؤمنين عليه السلام أعلاه فإنّ هذا المعنى مستبعد.

[۲۰۹] ( ۱).« مصارع» جمع« مصرع» بمعنى محل سقوط الشخص.

[۲۱۰] ( ۱).« اذمُرُوا» فعل أمر من مادة« ذمر» على وزن« أمر» بمعنى التثوير وتهييج النفس على فعل معين.

[۲۱۱] ( ۲).« الطَعْن» بمعنى ادخال الرمح في بدن العدو، وهذه المفردة تأتى كناية أيضاً ويراد بها إبراز عيوب الشخص والتنقيص من شخصيته.

[۲۱۲] ( ۳).« دعسىّ» من مادة« دعس» على وزن« درس» بمعنى إملاء، وتأتى أحياناً بمعنى التأثير، وهذا المفردة عندما تأتى بمعنى إدخال الرمح في بدن العدو وكأنّ الرمح قد ملأ جوف العدو وأثر في بدنه.

[۲۱۳] ( ۴).« طلحف» بمعنى الشديد.

[۲۱۴] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۱۹، ص ۲۵۲.

[۲۱۵] ( ۱).« نسمة» بمعنى الإنسان وأحياناً تأتى بمعنى الروح، وأخرى تطلق على كل موجود ذى روح، وأصلها من‌النسيم وهو الريح الخفيفة والناعمة.

[۲۱۶] ( ۱). سورة النساء، الآية ۲۹.

[۲۱۷] ( ۲). صحيح مسلم، ج ۶، ص ۱۸.

[۲۱۸] ( ۳). تاريخ الطبرى، ج ۸ ص ۱۸۵، مطبعة مؤسسة الأعلمى، بيروت.

[۲۱۹] ( ۱). تاريخ الطبرى، ج ۸ ص ۱۸۶، مطبعة مؤسسة الأعلمى، بيروت.

[۲۲۰] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبي‌الحديد، ج ۱۰، ص ۱۰۱.

[۲۲۱] ( ۳). مسند أحمد، ج ۵، ص ۳۴۷.

[۲۲۲] ( ۴). شرح نهج‌البلاغة لابن أبي‌الحديد، ج ۵، ص ۱۲۹.

[۲۲۳] ( ۱). العقد الفريد، ج ۵، ص ۸۷.

[۲۲۴] ( ۲). كامل التواريخ، ج ۳، ص ۴۸۷.

[۲۲۵] ( ۳). المحاسن والمساوىء، ص ۴۳ طبعة بيروت( مطابق نقل شرح إحقاق الحق، ج ۱۵، ص ۶۲).

[۲۲۶] ( ۱). الموفقيات، ص ۵۷۶، طبعة وزارة الاوقاف بغداد، سنة ۱۳۹۲؛ مروج الذهب،، ج ۲، ص ۴۲۹، طبعة بيروت، سنة ۱۹۸۲؛ شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۵، ص ۱۲۹.

[۲۲۷] ( ۱). وقعة صفين، ص ۴۷۲.

[۲۲۸] ( ۱). سند الرسالة:

يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة: ذكر هذه الرسالة جماعة من المؤرخين قبل السيد الرضى فى كتبهم، منهم: نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، البيهقى فى المحاسن والمساوىء، ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، المسعودى فى مروج الذهب وابن اعثم الكوفى فى كتاب الفتوح، وطبقاً لما ذكره نصر بن مزاحم أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة أيّام( وليلة الهرير هى الليلة الأخيرة من معركة صفين حيث استمر القتال وخلافاً للمعتاد حتى الليل واستمرت الحرب بين الطرفين إلى الصباح من يوم غد وظهرت علائم الهزيمة على جيش معاوية)( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۴).

[۲۲۹] ( ۱). مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۸.

[۲۳۰] ( ۲). انظر إلى كتاب نهج‌البلاغة الكامل، ص ۸۵۲.

[۲۳۱] ( ۱). طبقاً لبعض الروايات أنّ عددالقتلى فى حرب صفين من جيش معاوية ۴۵ ألفاً، ومن جيش الإمام عليه السلام ۲۵ ألفاً.

[۲۳۲] ( ۲).« حُشاشات» جمع« حشاشة» بمعنى النفس الأخير.

[۲۳۳] ( ۱).« امضى» بمعنى شدة التأثر والنفود فى الإقدام والعمل وهى من« المضىّ» بمعنى العبور والمرور.

[۲۳۴] ( ۱).« طليق» بمعنى الأسير المتحرر من« الطلاق» بمعنى التحرر والإنفلات.

[۲۳۵] ( ۲).« صريح» تطلق على الشخص الذى يملك نسباً خالصاً وواضحاً.

[۲۳۶] ( ۳).« لصيق» يقع على الضد من صريح، ويعنى الشخص غير واضح النسب والذى ينسب لشخص أو قبيلة ويلتصق به.

[۲۳۷] ( ۱). انظر: شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۱۸.

[۲۳۸] ( ۲).« مُدغل» بمعنى المفسد والمثير للفتنة من مادة« دغل» بمعنى الفتنة والفساد.

[۲۳۹] ( ۳).« هوى» من« الهُوِىّ» بضم الهاء وتشديد الياء، وهى فى الأصل السقوط من مرتفع، وبما أنّ نتيجته الهلكةوالموت، فلذلك تطلق هذه المفردة على الهلكة أيضاً.

[۲۴۰] ( ۱).« نعشنا» من مادة« نعش» بمعنى رفع الشىء، ويقال للتابوت نعش الميت لأنّه مرتفع عن الأرض أو أنّه مرفوع‌على الأيدى، والمراد من الجملة أعلاه أنّ الأشخاص الذين يعيشون الذلة والمهانة أضحوا بالإسلام وفى ظل الإيمان أعزاء.

[۲۴۱] ( ۱). سورة النصر، الآيات ۱- ۳.

[۲۴۲] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۰.

[۲۴۳] ( ۱). الجدير بالذكر أنّ القراءة المشهورة أن تقرأ كلمة الأنصار بالكسر لأنّها عطف على المهاجرين لا بالضمة على‌أساس أنّها عطف على السابقين.

[۲۴۴] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۰.

[۲۴۵] ( ۲). سورة الجمعة، الآية ۳.

[۲۴۶] ( ۳). سورة الحشر، الآية ۱۰.

[۲۴۷] ( ۴). أوردنا بحثاً كافياً فى موضوع تنزيه الصحابة فى التفسير الأمثل، ذيل الآية ۱۰۰ من سورة التوبة تحت عنوان: هل أنّ جميع الصحابة صالحون؟ وكذلك فى ذيل الخطبة الشقشقية الخطبة الثالثة من نفحات الولاية، ج ۱، تحت عنوان« هل أنّ جميع الصحابة

سلكوا طريق رسول اللّه عليه السلام؟» وكذلك فى هذا الجزء من شرح نهج‌البلاغة، وللمزيد من الاطلاع يمكنكم مراجعة كتاب« الشيعة تجيب» فى بحث تنزيه الصحابة.

[۲۴۸] ( ۱). سند الرسالة:

ذكر صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة حول هذه الرسالة: إنّ ابن الميثم نقل هذه الرسالة فى شرح نهج‌البلاغة ولكن سياق كلامه يدلّ بوضوح على أنّه نقل هذه الرسالة من مصدر غير نهج‌البلاغة، وكذلك نقل بعض مقاطع هذه الرسالة أبوهلال العسكرى فى كتاب الصناعتين والباقلانى فى إعجاز القرآن والسيّد أمير يحيى العلوى فى كتاب الطراز، ومع الالتفات إلى التفاوت الموجود بين هذه المنقولات يتبين وجود مصادر غير نهج‌البلاغة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۴۱).

[۲۴۹] ( ۱).« مغرس» فى الأصل بمعنى محلّ غرس الأشجار. ثم اطلق على محل ظهور كلّ شيء.

[۲۵۰] ( ۲).« حادث» صيغة أمر من« المحادثة» بمعنى المراقبة والتحقيق وإزالة الصدأ، يعنى غسل القلوب وتطهيرها من درن الأحقاد ورسوبات النزاعات السابقة.

[۲۵۱] ( ۳). سورة فصلت، الآيتان ۳۴ و ۳۵.

[۲۵۲] ( ۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۱۵۸.

[۲۵۳] ( ۲).« تنمّر» بمعنى الغضب الشديد وسوء المعاملة، من مادة« نمر» على وزن« كبد» وهو الحيوان المعروف.

[۲۵۴] ( ۳).« وغم» وهذه المفردة تأتى بمعنى الحرب وكذلك بمعنى الحقد.

[۲۵۵] ( ۴).« ماسّة» بمعنى القريبة والحميمة من مادة« مسّ» وهو إتصال الأبدان.

[۲۵۶] ( ۵).« مأزورون» بمعنى المذنبون من مادة« وزر» وهو الذنب.

[۲۵۷] ( ۱).« أربع» من« الربوع» بمعنى المداراة وضبط النفس.

[۲۵۸] ( ۲).« يفيل» من مادة« فيل» على وزن« ميل» بمعنى الخطأ أو الضعف.

[۲۵۹] ( ۱). سند الرسالة:

نقلت هذه الرسالة فى الكتب والمصادر التاريخية قبل السيد الرضى، ومن جملة هذه المصادر ما أورده البلاذرى( المتوفى ۲۷۹) فى كتاب انساب الأشراف البلاذرى، وابن واضح( المعروف باليعقوبى المتوفى ۲۸۴) فى تاريخه مع تفاوت وإضافات يسيرة لما ورد فى نهج‌البلاغة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۴۲).

[۲۶۰] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم، ذيل الرسالة المذكورة.

[۲۶۱] ( ۱).« دهاقين» جمع« دهقان» وأصل هذه الكلمة فارسية« دهكان» أو« دهبان» بمعنى كبير القرية الرئيس، الزعيم، وأحياناً تطلق على كل فلاح، ولكن الأنسب فى العبارة أعلاه المعنى الأول، لأنّ الرؤساء وكبار القرية هم الذين يكتبون الشكاوى.

[۲۶۲] ( ۱).« جلباب» بكسر وفتح الجيم، ذكروا لهذه الكلمة معانٍ مختلفة فتارة تأتى بمعنى العباءة والملحفة، وأخرى‌المقنعة وغطاء الرأس، والثالثة الثوب الطويل والواسع، وفى الرسالة مورد البحث قصد بها الكناية، والمراد الغطاء واللباس المعنوى الذى يرتديه المدير والقائد لجماعة من الناس حيث يوصيه الإمام عليه السلام بلزوم التحلّى بحالة تقترن فيها الشدة باللين.

[۲۶۳] ( ۲).« داوِل» صيغة أمر من« المُداولة» بمعنى تحويل الأمر من شخص لآخر بإدارته وإدارة الأمر واستبدال شيءبشيء أو شخص بدل شخص آخر، والمراد من هذه المفردة من العبارة أعلاه أن تتعامل معهم أحياناً بالمودة والمحبة وأخرى بشيء من القسوة والشدّة.

[۲۶۴] ( ۱). سورة الحجر، الآيتان ۴۹ و ۵۰.

[۲۶۵] ( ۱). سورة الممتحنة، الآية ۸.

[۲۶۶] ( ۱). سند الرسالة:

ذكر هذه الرسالة قبل السيد الرضى، البلاذرى فى كتاب انساب الأشراف، واليعقوبى فى تاريخه( مع تفاوت يسير) وقد أشار كتاب مصادر نهج‌البلاغة إلى الكتاب الأول ثم أضاف أنّ هذه الرسالة نقلها البيهقى فى المحاسن والمساوىء( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۳).

[۲۶۷] ( ۱). سورة العنكبوت، الآية ۱۳.

[۲۶۸] ( ۱). سند الرسالة:

نقل هذه الرسالة البلاذرى فى كتاب انساب الأشراف، وفى الحقيقة أنّ ما ذكره السيد الرضى فى نهج‌البلاغة يعتبر قسماً من رسالة مطولّة أرسلها الإمام عليه السلام لزياد بن أبيه، وقد أورد كتاب مصادر نهج‌البلاغة هذا المصدر فقط للرسالة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۳).

ونقلها ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة ذيل الرسالة ۴۴ عن البلاذرى فى أنساب الأشراف مع اختلافات عدّة، وبما أنّ هذا التفاوت كبير نسبياً فمن البعيد حمله على اختلاف النسخ، ولعلّ ابن أبى‌الحديد كان يملك مصدراً آخر لهذه الرسالة حيث نقلها بكلّ تفاصيلها وشرحها.

[۲۶۹] ( ۱). نقل المرحوم الحرّ العاملى صاحب كتاب وسائل الشيعة فى الجزء الأول، الباب ۱۰۲ فى آداب الحمام روايات كثيرة حول كيفية الاستفادة من أنواع الدهون لتسبيط الشعر وتنعيم الوجه والبدن بما كان متداولًا فى ذلك الزمان ومستحباتها ومكروهاتها، ويستفاد من تعبير الإمام عليه السلام فى التعبير أعلاه أنّ الإكثار من استخدام هذه الدهون كان مسلك الأشراف والأثرياء والمترفين فى ذلك العصر.

[۲۷۰] ( ۲). ذكر هذا المضمون البلاذرى فى انساب الأشراف، وابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة( ج ۱۶، ص ۱۹۶).

[۲۷۱] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۳۴۶.

[۲۷۲] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۱۱۰.

[۲۷۳] ( ۲). سورة الحشر، الآية ۱۸.

[۲۷۴] ( ۱). غرر الحكم، ح ۲۶۰۹.

[۲۷۵] ( ۲). المصدر السابق، ح ۲۸۹۸.

[۲۷۶] ( ۳). الكافى، ج ۲، ص ۳۱۰.

[۲۷۷] ( ۴).« المتمرّغ» هو الشخص الذى اضطجع على التراب وألصق بدنه به، من« التمرّغ». بمعنى التقلّب فى التراب.

[۲۷۸] ( ۵).« ارْمَلَة» المرأة التى توفى زوجها، و« ارْمَل» الرجل الذى توفيت زوجته، وتأتى أحياناً بمعنى فقدان الزاد والمتاع، وفى الأصل بمعنى« رمل» وكأنّ مثل هؤلاء الأشخاص ولشدّة عجزهم وفقرهم وحاجتهم التصقوا بالأرض وبالرمل، وتطلق مفردة« أرامل» على المساكين أيضاً.

[۲۷۹] ( ۱). سورة الزلزال، الآيتان ۷ و ۸.

[۲۸۰] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۳۹، ذيل الكتاب ۲۱.

[۲۸۱] ( ۱). سند الرسالة:

يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة: إنّ هذه الرسالة وردت فى روايات متواترة، وقد نقلها كثيرون قبل السيد الرضى وبعده فى كتبهم، ومن الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى، نصر بن مزاحم فى كتابه صفين، والمرحوم الكلينى فى روضة الكافى والبلاذرى فى انساب الأشراف واليعقوبى فى تاريخه وبعد المرحوم السيّد الرضى جماعة أخرى أيضاً، ويستفاد من مجموع ذلك أنّ هذه الرسالة مشهورة ومعتبرة جدّاً( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۳۴).

[۲۸۲] ( ۱). سورة الحديد، الآية ۲۳.

[۲۸۳] ( ۱).« درک» وردت هذه الكلمة فی أكثر نسخ نهج‌البلاغة« دَرَک» علی وزن« سَنَد» ولكن وردت فی بعض النسخ« دَرْک» علی وزن« عَدْل» وكليهما يقصد بهما معنی واحد وهو تحصيل الشیء ونيل المراد.

[۲۸۴] ( ۲). سورة النجم، الآية ۳۹.

[۲۸۵] ( ۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۱۰۵.

[۲۸۶] ( ۱). سند هذا الكلام: ذكر هذه الوصية المرحوم الكلينی فی كتاب الكافی مع بعض التفاوت وقال: عندما ضُرب الإمام عليه السلام بالسيف فی محرابه، تجمّع بعض المصلين حول فراشه فقال أحدهم: ياأميرالمؤمنين عليه السلام أوصنا، فقال: اتونی بوسادة لأتكیء عليها ثم تحدّث بكلام معروف ومذكور فی المصادر وقد أورد السيد الرضی قسماً منه.

وأورد قسماً من هذه الوصية المسعودی فی مروج الذهب وكذلک فی كتاب إثبات الوصية وابن عساكر فی تاريخه، الحوادث التی تتعلق باستشهاد الإمام علی عليه السلام.

[۲۸۷] ( ۱). سورة النور، الآية ۲۲.

[۲۸۸] ( ۱). سورة القصاص، الآية ۱۷۹.

[۲۸۹] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۱۷۹.

[۲۹۰] ( ۱). نهج‌البلاغة، الكتاب ۴۷.

[۲۹۱] ( ۲). كمال الدين وتمام النعمة: ۶۶، كفاية الأثر: ۱۵.

[۲۹۲] ( ۱). سند الوصيّة: طبقاً لما ورد فی مصادر نهج‌البلاغة أنّ الشيخ الكلينی نقل هذه الوصية فی كتاب فروع الكافی، ج ۷، ص ۴۹ عن عبدالرحمن بن الحجاج( ولكن ما ورد فی الكافی يختلف كثيراً عمّا أورده السيد الرضی فی نهج‌البلاغة) ونقلها الشيخ الطوسی بعد الشريف الرضی فی كتاب التهذيب.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۵۴).

ويستفاد من كتاب نهج‌البلاغة أنّ هذه الوصية أكثر بكثير ممّا أورده السيد الرضی، وفی الحقيقة أنّ ما ورد فی نهج‌البلاغة يعتبر مقطعاً صغيراً من هذه الوصية، ولكن هذا المقطع عميق فی المعنی ودقيق فی العبارات والمضمون.( ولمزيد من الاطلاع انظر كتاب نهج‌البلاغة، ص ۹۸۸).

[۲۹۳] ( ۱). إنّ الرواية المذكورة فی كتاب الكافی بدل هذه الرواية تشير إلی أنّ التفسير الثانی أنسب، لأنّ المذكور فی الكافی:« وَإنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَیٌّ ... وَإنَّ حُسَيْناً يَفْعَلُ فيهِ مِثْلَ الّذی أمَرتُ بِهِ حَسَناً» ومفهومه أنّ الإمام الحسين عليه السلام يسلک فی إجراء هذه الوصية بالنسبة للوقف، ذات البرنامج والمنهج الذی يسلكه الإمام الحسن عليه السلام.( الكافی، ج ۷، ص ۵۰).

[۲۹۴] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۴۹.

[۲۹۵] ( ۲). وللمزيد من الاطلاع راجع فروع الكافی، ج ۷، ص ۵۰.

[۲۹۶] ( ۱). عبارة« أطوف عليهن» تعبير كنائی جميل للمواقعة الجنسية، لأنّه يفهم من كلمة الطواف نوع من الإلتواء والدوران وعندما تأتی هذه الكلمة مع علی يقصد بها الدروان حول الشیء وخاصة أنّ هذا التعبير طبقاً لما ذكره لسان العرب يستخدم عادة فی الحركات الليلة، وإذا كان القصد منها الحركة فی النهار لابدّ من المجیء بقرينة.

[۲۹۷] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۳۲، ح ۳.

[۲۹۸] ( ۱). وللمزيد من الاطلاع انظر: تفسير الأمثل، ذيل آيات ۱- ۳ من سورة محمّد.

[۲۹۹] ( ۱). الاستيعاب، ج ۳، ص ۱۱۲۶.

[۳۰۰] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۴۶.

[۳۰۱] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۱۰۰، ص ۱۸۲، ح ۴، والآيات ۵- ۷ من سورة الليل.

[۳۰۲] ( ۲). وسائل الشيعة، ج ۱۳، كتاب الوقوف والصدقات، باب ۱، ح ۱۰.

[۳۰۳] ( ۱). سند الوصيّة:

نقل هذه الرسالة بسند معتبرة المرحوم الكلينى فى كتابه الكافى فى باب« آدب المصّدّق» من كتاب الزكاة، وكذلك شيخ الطائفة الشيخ الطوسى فى باب« الزيادات فى الزكاة» بنفس سند الكلينى، ونقلها صاحب كتاب الغارات( إبراهيم الثقفى) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام. يقول صاحب كتاب مصادر نهج‌البلاغة: إنّ هذه الوصية كانت معروفة بين العلماء قبل السيد الرضى ومن جملة الأشخاص الذين أشاروا إليها الشيخ المفيد فى المقنعة. ثم أضاف: من الأشخاص الذين نقلوها بعد السيد الرضى ابن إدريس فى السرائر عن المقنعة، والزمخشرى فى ربيع الأبرار مع تفاوت يسير( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۵۷).

[۳۰۴] ( ۱). مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۵۸.

[۳۰۵] ( ۱).« لا- تروعنّ» من مادة« روع» على وزن« قول» بمعنى الخوف والرعب، وذهب بعض العلماء إلى أنّ« روع» ربّماتعنى شدّة الخوف.

[۳۰۶] ( ۲).« تجتازنّ» من« الإجتياز» وتعنى العبور.

[۳۰۷] ( ۱).« حىّ» تأتى أحياناً بمعنى ذى الروح، وأخرى بمعنى القبيلة، لأنّ مجموع القبيلة بمثابة الإنسان الحى‌الواحد، وتستعمل أيضاً فى اللغة المتداولة بمعنى المنطقة السكنية من المدينة.

[۳۰۸] ( ۱).« انْعَم» من« الإنعام» تأتى أحياناً بمعنى اعطاء النعمة، وأخرى بمعنى قول كلمة نعم، وفى الجملة موردالبحث جاءت بالمعنى الأخير، بقرينة الجملة ما قبلها:« فَإنْ قالَ قائِلٌ لا».

[۳۰۹] ( ۲).« تَعْسِف» من مادة« عسف» على وزن« كسب» وفى الأصل بمعنى سلوك طريق المتاهة، ثم اطلق على الظلم والجور، لأنّه مصداق سلوك طريق المتاهة.

[۳۱۰] ( ۳).« ترهق» من« الإرهاق» وأصلها من مادة« رهق» على وزن« شفق» وهى فى الأصل بمعنى التغطية أو تغطية الشىء بالقوة والغلبة، وتأتى فى كثير من الموارد بمعنى التعسير والأخذ بشدّة، وفى الجملة مورد البحث جاءت بهذا المعنى.

[۳۱۱] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۴.

[۳۱۲] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۹۳، ص ۸۵.

[۳۱۳] ( ۲). المصدر السابق.

[۳۱۴] ( ۳). المصدر السابق.

[۳۱۵] ( ۱). الكافى، ج ۳، ص ۵۴۰، ح ۸.

[۳۱۶] ( ۱).« ماشية» فى الأصل الطريق الذى يُسار عليه، من مادة« مشى»، ثم اطلقت على الدواب والأنعام من الإبل والبقر والغنم، ولكن تطلق غالباً على الأغنام وجمعها مواشي، وفى العبارة مورد البحث المقصود منها البقر والغنم بقرينة ذكر الإبل بعدها.

[۳۱۷] ( ۲).« عنيف» بمعنى الخشن والصعب، من مادة« عنف» على وزن« قفل».

[۳۱۸] ( ۳).« لا تفزعنّ» من مادة« فزع» بمعنى خاف وارتعد، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعدّية وتعنى التخويف والترهيب.

[۳۱۹] ( ۴).« اصدع» من مادة« صدع» على وزن« صبر» وتعنى الشق والفصل بين شيئين، وهذه المفردة« صدع» تأتى اسم‌مصدر وتعنى القسم المنفصل عن الشىء.

[۳۲۰] ( ۱).« استقال» من« الإستقالة» بمعنى طلب فسخ العقد أو ما اتفق عليه، وأصلها من القيلولة وهو النوم القليل فى‌وسط النهار للاستراحة، وبما أنّ الإنسان عندما يندم على عقد معين فإذا فسخه وألغاه فربّما يؤدى ذلك إلى امتعاضه وتأثره فاستخدمت كلمة«

إقالة» والمطالبة بهذا العمل يدعى« استقالة».

[۳۲۱] ( ۱). انظر: جواهر الكلام، ج ۱۵، ص ۱۶۰.

[۳۲۲] ( ۲).« مهلوسة» من« الهُلاس» على وزن« غبار» و« هَلْس» على وزن« درس» بمعنى مرض السل، وعلى ضوء ذلك فإنّ« مهلوس» هو الحيوان المبتلى بهذا المرض، ولكن تارة يراد بهذه المفردة كل نوع من المرض، ويذهب بعض أرباب اللغة إلى أنّ« هلاس» تعنى الأمراض التى تسبب الضعف والنحافة فى البدن، وبما أنّ مرض السل الذى يصيب الإنسان يجعله نحيفاً وضعيفاً فاطلقت هذه الكلمة على هذا المرض.

[۳۲۳] ( ۳).« عَوار» من مادة« عار» و« عور» على وزن« غور» بمعنى العيب والنقص، وبما أنّ اظهار العضو التناسلى يعد عيباً للشخص فاطلقت كلمة« عورة» على هذا العضو، وتطلق هذه المفردة أيضاً على الدار غير المصبوغة واللباس المعيوب.

[۳۲۴] ( ۱). انظر: جواهر الكلام، ج ۱۵، ص ۱۳۵.

[۳۲۵] ( ۲). سورة آل عمران، الآية ۹۲.

[۳۲۶] ( ۳). سورة محمد، الآية ۳۷.

[۳۲۷] ( ۱).« مُعنف» من مادة« عنف» على وزن« قفل» وتعنى أخذ الشيء بشدة وعنف.

[۳۲۸] ( ۲).« مُجحف» من« الإجحاف» وأصله من« جحف» على وزن« حرف» بمعنى الإصرار على إضرار الطرف المقابل.

[۳۲۹] ( ۳).« مُلغب» من« اللغوب» وتعنى التعب والإرهاق، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعدية وتعنى إتعاب الآخر.

[۳۳۰] ( ۴).« مُتعب» من مادة« تعب» ومعناها واضح، ولكن إذا جاءت من باب إفعال فإنّها تكون متعدّية وبمعنى إتعاب الآخر، وهى قريبة المعنى من« ملغب»؛ ولكن ذهب بعض إلى أنّ« لغوب» تعنى التعب النفسى والارهاق الروحى فى حين أنّ التعب يقصد به ما يشمل التعب البدنى أيضاً.

[۳۳۱] ( ۱).« احدُرْ» من مادة« حدر» على وزن« حرف» بمعنى التحرك بسرعة، وكذلك تعنى جرّ الشيء من الأعلى إلىالأسفل، وهنا المراد بها المعنى الأول يعنى جمع زكاة الحيوانات والإتيان بها بسرعة إلينا لنوصلها إلى المستحقّين.

[۳۳۲] ( ۲).« اوعِز» من مادة« وعز» على وزن« وعظ» بمعنى الاقتراح والتوصية لآخر بعمل معين.

[۳۳۳] ( ۳).« فصيل» بمعنى ولد الإبل الذى فطم عن الرضاع، ومن مادة« فصل» وهو فصل الطفل عن امّه فى الارتضاع، ولكن مع الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السلام أمر بعد هذه الجملة أن لا يحلب جميع ما فى الضرع من اللبن لينتفع به الفصيل، فيستفاد من ذلك أنّ المقصود من الفصيل هنا ولد الناقة الذى على وشك أن يفصل ويفطم ولكنّه لحدّ الآن لم يفطم( وعلى حدّ تعبير الادباء هو مجاز بعلاقة الأوْل والمشارفة).

[۳۳۴] ( ۱).« لا يمصر» من مادة« مصر» على وزن« نصر» بمعنى حلب جميع ما فى الضرع من اللبن.

[۳۳۵] ( ۲).« يَسْتأنِ» من مادة« أنْى» على وزن« امر» وتعنى الإمهال، وعندما تأتى من باب الاستفعال فتعنى الانتظار والمداراة.

[۳۳۶] ( ۳).« نقب» هو الجمل الذى يصعب عليه المشى لتهرؤ باطن خفّه.

[۳۳۷] ( ۴).« ظالع» من مادة« ظَلع» على وزن« زرع» وتعنى الناقة العرجاء.

[۳۳۸] ( ۵).« غُدر» جمع« غدير» تعنى بركةالماء.

[۳۳۹] ( ۶).« جوادّ» جمع« جاده» تعنى الطريق الواسع.

[۳۴۰] ( ۷).« نطاف» جمع« نطفه» بمعنى الماء الزلال.

[۳۴۱] ( ۸).« الاعْشاب» جمع« عُشب» على وزن« قفل» بمعنى النباتات الخضراء.

[۳۴۲] ( ۹).« بُدّن» جمع« بادن» بمعنى الحيوان البدين.

[۳۴۳] ( ۱۰).« مُنقیات» جمع« مُنقیة» بمعنی الحیوان الکثیر الدسم.

[۳۴۴] ( ۱). وسائل الشیعة، ج ۸، أبواب أحکام الدواب، باب ۹، ص ۳۵۰، ح ۱.

[۳۴۵] ( ۲). الکافی، ج ۶، ص ۵۳۷، ح ۱.

[۳۴۶] ( ۳). المصدر السابق، باب ۱۰، ص ۳۵۳، ح ۹.

[۳۴۷] ( ۱). کنزالعمال، ح ۴۳۶۹۵؛ وسائل‌الشیعة، باب ۵۳ من أحکام الدواب. ص ۳۹۷.

[۳۴۸] ( ۲). تهذیب الأحکام، ج ۴، ص ۱۶۴، ح ۴.

[۳۴۹] ( ۱). سند الرسالة:

طبقاً لما أورده القاضی النعمان المصری( المتوفی ۳۶۳) فی کتاب دعائم الإسلام، أنّ الإمام علیه السلام کتب هذه الرسالة إلی« مخنف بن سلَیم الازدی» أحد قادة جیشه، وما ذکره القاضی النعمان فی کتابه المذکور یعتبر متناً مختصراً بالنسبة لما أورده السید الرضی فی نهج‌البلاغة، والحاج النوری فی کتابه مستدرک الوسائل فی کتاب الزکاة الباب ۱۲ الحدیث ۳، والظاهر أنّ مؤلف کتاب مصادر نهج‌البلاغة لم ینقل عن مصدر آخر قبل السید الرضی غیر هذین المصدین.

[۳۵۰] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۶۹، ص ۲۰۷.

[۳۵۱] ( ۲). المصدر السابق، ص ۲۰۶، ح ۷.

[۳۵۲] ( ۱).« بؤسی» یعنی شدّة المحنة وسوء الحالة وتکون ناتجة أحیاناً من الفقر وأحیاناً بسبب عوامل أخری، وهذه‌الکلمة من قبیل« بأساء» و« وبؤس» علی وزن« قفل».

[۳۵۳] ( ۲).« مدفوعون» یعنی الأشخاص الذین منعوا عن حقّهم.

[۳۵۴] ( ۱).« رَتَع» من مادة« رتع» علی وزن« فتح» بمعنی تناول الطعام والشراب الکثیر وخاصة فی فصل الربیع وفی‌القری والأریاف، ولکن المعنی الواسع للکلمة یطلق علی کل أکل وشرب حتی ما أکلت الحیوانات فی الصحراء، ومن هنا اطلقت کلمة مرتع علی المناطق التی یکثر فیها علف المواشی.

[۳۵۵] ( ۲).« أَحَلَّ» من« الحلول» بمعنی الدخول، وعندما تأتی من باب إفعال فتعنی إدخال.

[۳۵۶] ( ۱).« أَفظع» من« الفظاعة» بمعنی القبیح جدّاً.

[۳۵۷] ( ۲).« الغش» تأتی أحیاناً بکسر العین وأخری بفتحها، فعندما تأتی بکسر العین تکون اسم مصدر وتعنی الخداع والحیلة والخیانة، وإذا جاءت بفتح العین فتکون مصدراً وتعنی عمل الخیانة والمکر.

[۳۵۸] ( ۱). وسائل الشیعة، ج ۶، ص ۴، باب ۱، ح ۶، من أبواب الزکاة.

[۳۵۹] ( ۲). الکافی، ج ۲، ص ۱۰۴، ح ۱.

[۳۶۰] ( ۳). الأمالی، الشیخ الصدوق، ص ۳۰۰، ح ۶.

[۳۶۱] ( ۴). الکافی، ج ۲، ص ۱۰۴، ح ۲.

[۳۶۲] ( ۱). سند الرسالة:

ذکر صاحب کتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ هذا العهد نقله قبل السید الرضی، إبراهیم بن هلال الثقفی فی کتابه الغارات وابن شعبة الحرانی صاحب کتاب تحف العقول فی کتابه هذا، ونقله بعد السید الرضی الشیخ الطوسی فی الإمالی والطبری فی بشارة المصطفی وآخرون.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۶۵).

ویستفاد من کتاب الغارات وکتاب نهج‌البلاغة الکامل أنّ هذا العهد المطول أکثر بکثیر ممّا أورده السید الرضی، حیث اقتصر السید الرضی علی نقل مقطع خاص منه.

[۳۶۳] ( ۱). الغارات، ص ۲۵۱؛ وهذا الکلام نقله ابن أبی‌الحدید بشکل مختصر فی شرحه لنهج البلاغة( ج ۶، ص ۷۹) وصاحب کتاب نهج‌البلاغة الکامل، در ص ۹۰۳، بعد ذکره لهذا العهد بشکل کامل.

[۳۶۴] ( ۱). سورة الشعراء، الآیة ۲۱۵.

[۳۶۵] ( ۱).« ألِنْ» من« اللین» علی وزن« حین» بمعنی السهولة.

[۳۶۶] ( ۲). سورة آل عمران، الآیة ۱۵۹.

[۳۶۷] ( ۳). سورة آل عمران، الآیة ۱۵۹.

[۳۶۸] ( ۴).« آس» من« المواساة» وتعنی التساوی بین الأطراف من جمیع الجهات.

[۳۶۹] ( ۵).« لحظة» النظرة الخاطفة من زاویة العین، خلافاً ل« نظرة» التی تعنی النظر بجمیع العین، والعبارة أعلاه تشیر إلی أنّ الحاکم لیس فقط یساوی بین الرعیة بالنظر المباشر وبجمیع العین، بل حتی باللحظات وبطرف العین.

[۳۷۰] ( ۶).« حیف» الانحراف عن الحق والظلم والجور، سواء فی مقام القضاء أو الحکم أو فی الأمور الأخری.

[۳۷۱] ( ۷). الضمیر فی« لهم» یعود إلی« العظماء» والجملة تعنی أنّ الأقویاء لا- ینبغی أن یطمعوا فی حکمک لصالحهم‌علی حساب حقوق الآخرین وظلم الرعیّة، وأمّا عودة الضمیر إلی« الرعیّة» فبعید جدّاً لأنّ« اللام» ینبغی أن تکون بمعنی علی، مضافاً إلی أنّ کلمة« الرعیّة» و« ضعفاء» لم تردا فی العبارات السابقة لتسویغ عودة الضمیر علیهما، ولو کان المقصود ما ورد فی بدایة الرسالة فستکون الفاصلة بعیدة.

[۳۷۲] ( ۸). ضمیر« علیهم» یعود إلی« ضعفاء» و« علی» جاءت هنا بمعنی اللام، یعنی أنّ الضعفاء لا- ییأسون من مراعاة العدالة فی حقوقهم، وجاء فی بعض النسخ حرف الباء بدلًا من« علی» وهو أنسب ظاهراً.

[۳۷۳] ( ۱). الکافی، ج ۷، ص ۴۱۳، ح ۳.

[۳۷۴] ( ۱). الضمیر فی« لَمْ یُشارِکُوا» یعود إلی المتّقین، ومفهوم الجملة أنّ المتّقین فی الآخرة لا- یشارکون فی عذاب أهل الدنیا والمجرمین، ولکن ورد فی بعض النسخ وکذلک النسخة المصححة لنهج البلاغة« لَمْ یُشارِکْهُم» وهی أکثر تناسباً مع المضمون، وتعنی أنّ أهل الدنیا لا یشارکون فی الآخرة المتقین فی نعیمهم فی حین أنّ أهل الدنیا یشترکون مع المتقین فی دنیاهم بشکل معقول.

[۳۷۵] ( ۱).« مُتْرَف» تعنی، کما تقدّم فی شرح الرسالة ۱۰، الأثریاء المغرورین الذین یعیشون حالة الطغیان.

[۳۷۶] ( ۱).« المبلّغ» تعنی فی الجملة الزاد والمتاع الذی یوصل الإنسان إلی مقصده وهو من« البلوغ» بمعنی الوصول.

[۳۷۷] ( ۲).« جیران اللّه» کنایة عن علوّ المقام، لأنّ اللّه تعالی لیس له دار خاصّة لیکون له جیران، فالعبارة تشیر إلی القرب المعنویّ من اللّه تعالی.

[۳۷۸] ( ۳). سورة یس، الآیة ۵۷.

[۳۷۹] ( ۴). سورة فصلت، الآیة ۳۱.

[۳۸۰] ( ۱).« خطب» بمعنی الحادثة المهمّة، ولکن تأتی غالباً للحوادث المؤلمة.

[۳۸۱] ( ۱). سورة التوبة، الآیة ۱۰۲.

[۳۸۲] ( ۱). سورة هود، الآیات ۱۰۵- ۱۰۸.

[۳۸۳] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۵۴.

[۳۸۴] ( ۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۶۶.

[۳۸۵] ( ۱).« طرداء» جمع« طرید» وقیل إنّها جمع« طریدة» من« الطرد» بمعنی الإبعاد، وتأتی للشخص المحکوم بالنفی‌والتبعید عن المنطقة، أو الصید الذی یتبعه الصیاد ولا یزال یبعده عن مکانه الأصلی.

[۳۸۶] ( ۲).« نواصی» جمع« ناصیة» بمعنی الشعر فی مقدم الجبین( ولا تعنی الجبین نفسه) وذکر بعض أرباب اللغة وهم قلة أنّ« ناصیة» تعنی القسم المقدّم من الرأس أو الشعر، وبعضهم ذهب إلی أنّ الأصل فیها مقدّم الرأس والشعر فی مقدم الرأس یطلق علیه ناصیة بمناسبة نموّه علی هذا القسم المقدّم، ولکن موارد استعمال هذه الکلمة فی القرآن الکریم یشیر بوضوح إلی أنّ المعنی الأول أنسب، لأنّ الوارد فی القرآن فی الکثیر من الأدعیة استعمال کلمة الناصیة بهذا المعنی وخاصة مع کلمة أخذ، ومعلوم أنّ ما یمکن أخذه والامساک به هو الشعر فی مقدم الرأس بحیث یضطر صاحبه للتسلیم والاذعان لا الجبین نفسه الذی لا یمکن الامساک والأخذ به، وضمناً فقد وردت عبارة الأخذ بالناصیة فی کثیر من الموارد کنایة عن التسلط علی الطرف المقابل.

[۳۸۷] ( ۱). سورة النساء، الآیة ۷۸.

[۳۸۸] ( ۲). سورة الرحمن، الآیة ۴۱.

[۳۸۹] ( ۱). منهاج البراعة، ج ۱۹، ص ۸۹ ومثله فی المعنی ورد فی عوالی اللئالی، ج ۱، ص ۲۸۰.

[۳۹۰] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۸، ص ۲۸۸، ح ۲۱.

[۳۹۱] ( ۳). سورة النساء، الآیة ۵۶.

[۳۹۲] ( ۱). سورة غافر، الآیة ۴۹ و ۵۰.

[۳۹۳] ( ۲). سورة الزخرف، الآیة ۷۷.

[۳۹۴] ( ۳). سورة فاطر، الآیة ۳۷.

[۳۹۵] ( ۱). الکافی، ج ۲، ص ۶۷، باب الخوف والرجاء، ح ۱.

[۳۹۶] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۶۷.

[۳۹۷] ( ۱).« محقوق» من مادة« حق» تعنی فی هذا المورد الجدیر واللائق.

[۳۹۸] ( ۱).« تنافح» من« المنافحة» بمعنی الدفاع عن الشیء، وأصله من« نفح» علی وزن« فتح» التی تأتی دائماً بمعنی‌النسیم الملائم والرائحة العطرة، وأحیاناً أخری بمعنی دفع الشیء، وجاءت« منافحة» بهذا المعنی.

[۳۹۹] ( ۱). الکافی، ج ۲، ص ۵۷، ح ۲.

[۴۰۰] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۵۶، ح ۱۳۲.

[۴۰۱] ( ۱). الکافی، ج ۳، ص ۲۶۸، باب من حافظ علی صلاته، ح ۴.

[۴۰۲] ( ۲). المصدر السابق.

[۴۰۳] ( ۱).« الردی» من مادة« ردی» علی وزن« رأی» بمعنی الهلکة أو السقوط من مرتفع، المقترن مع الهلکة.

[۴۰۴] ( ۱). سورة القصص، الآیة ۴۱.

[۴۰۵] ( ۲).« یقمع» من مادة« قمع» علی وزن« منع» بمعنی التغلب علی الطرف المقابل وإذلاله وکبته.

[۴۰۶] ( ۳).« جَنان» بفتح الجیم تعنی القلب، و« جِنان» جمع« جِنة» بمعنی البستان والزاهر والحدیقة الغناء، وکلّها تعود فی الأصل لکلمة« جن» علی وزن« فن» بمعنی المغطی والمختفی، وبما أنّ القلب یختفی فی باطن الصدر، وأرض بستان تختفی تحت الأشجار الباسقة فاطلقت هذه الکلمة علی هذه الموارد.

[۴۰۷] ( ۱). سورة القصص، الآیة ۵۰.

[۴۰۸] ( ۲). سورة البقرة، الآیة ۱۰۵.

[۴۰۹] ( ۱). سورة الاسراء، الآیة ۶۰.

[۴۱۰] ( ۱). سورة القدر، الآیة ۳.

[۴۱۱] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۳۲.

[۴۱۲] ( ۲). سورة الأحزاب، الآية ۵.

[۴۱۳] ( ۱). هذا الشعر ل« عبداللّه بن زبعراء» الذى كان من ألد أعداء رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنشد هذا الشعر مع أشعار أخرى يوم احد بعد استشهاد طائفة من المسلمين من قبيلة الخزرج، وقد أنشده يزيد فى حادثة كربلاء ومقصوده أنّ بنى امية ليتهم كانوا أحياء ليسمعوا بكاء وعويل أهل البيت وذرارى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

وقد نقل الطبرى فى تاريخه أبياتاً أخرى ليزيد فى رسالة المعتضد العباسى رغم أنّ ابن أبى‌الحديد حذف منه بعض الأبيات منها:

فَاهَلّوا وَاسْتَهَلّوا فَرَحاًثُمَّ قالُوا يا يَزِيدُ لا تَشَلْ

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلاخَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْىٌ نَزَلْ [۴۱۴] ( ۲). سورة الأحزاب، الآية ۶۴.

[۴۱۵] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۱۵۹.

[۴۱۶] ( ۲). تاريخ الطبرى، ج ۸ ص ۱۸۲- ۱۸۹ و شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۷۳- ۱۸۰.

[۴۱۷] ( ۱). سند الرسالة:

يقول مؤلف كتاب مصادر نهج‌البلاغة( المرحوم السيّد عبد الزهراء الحسينى الخطيب): إنّ هذه الرسالة من الرسائل الشهيرة للإمام على عليه السلام والنص بليغ إلى درجة أنّه يغنينا عن البحث فى سندها( وبديهى أنّ مثل هذا النص لا يصدر من غير الإمام) مضافاً إلى أنّ ابن اعثم الكوفى الذى كان يعيش قبل السيد الرضى ذكر هذه الرسالة فى كتابه الفتوح مع بعض الإضافات.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۷۸)، وفى مكان آخر يقول بالنسبة لهذه الرسالة: وقد نقلها بعض الكتّاب قبل السيد الرضى مع بعض التفاوت من مصادر آخرى غير نهج‌البلاغة، منهم القلقشندى فى كتاب صبح الأعشى والنويرى فى نهاية الارب( المصدر السابق، ص ۲۷۵).

[۴۱۸] ( ۱).« طفقت» من مادة« طفق» على وزن« طبق» بمعنى الابتداء بعمل معين والشروع به.

[۴۱۹] ( ۲).« بلاء» يعنى الامتحان والاختبار، وبما أنّ البلاء يأتى أحياناً بواسطة النعمة، وأخرى بواسطة المصيبة، هذه المفردة تأتى بمعنى النعمة والمصيبة كليهما، وفى الجملة مورد البحث جاءت بمعنى النعمة.

[۴۲۰] ( ۳).« مسدِد» من مادة« سداد» على وزن« نهاد» يعنى المحكم والثابت القوى، ومن هنا اطلقت هذه الكلمة على السدّ لأنّه يمثّل جداراً ثابتاً وقوياً، ومسدد تعنى الشخص الذى يعلم الآخر الثبات والاستقامة.

[۴۲۱] ( ۴).« نضال» يعنى المجابهة بالرمى بين شخصين، ثم اطلقت على كلّ أشكال المبارزة والمجابهة والنزاع.

[۴۲۲] ( ۱).« ثَلْم» فى الأصل بمعنى الكسر والشق، ومعنى الاسم المصدرى لهذه المفردة هو الشق والعيب، ثم اطلقت على كل شكل من الاضرار والخسارة، وفى الجملة أعلاه وردت بمعنى الضرر والخسارة.

[۴۲۳] ( ۱).« حنّ» من« الحنين» بمعنى اطلاق الصوت بالتأوه من موقع الحزن.

[۴۲۴] ( ۲).« قدح» بمعنى السهم قبل أن يكتمل صنع رأسه المدبب.

[۴۲۵] ( ۱). اقتبس من بحار الأنوار، ج ۳۳، ص ۶۵.

[۴۲۶] ( ۲).« تَرْبَعُ» من مادة« ربع» على وزن« رفع» بمعنى التوقف والإنتظار، وجملة« ألا تَرْبَع» يعنى لماذا لا تتوقف‌وتترك الأمر.

[۴۲۷] ( ۳).« ظَلْع» بمعنى مشى الأعرج، وجملة« ارْبَعْ عَلى ظَلْعِكَ» مثل سائد بين العرب يقال للشخص الذى لا يستطيع عمل معين ويتجه عبثاً لتحقيقه، فيقال له اسكن ولا تتلف وقتك.

[۴۲۸] ( ۴).« ذَرْع» بمعنى فتح اليد والفاصلة بين اليدين، و« قُصُورِ ذَرْع» كناية عن الضعف والعجز.

[۴۲۹] ( ۱). ورد هذا الحديث( سبعين تكبيرة) بشكل إجمالى فى الكافى( ج ۳، ص ۱۸۶، باب من زاد على خمس تكبيرات، ح ۳)، ولكن ما ورد أعلاه من أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله صلّى أربعة عشر صلاة بأربعة عشر من الملائكة ورد فى شرح نهج‌البلاغة

لابن ميثم.

[۴۳۰] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۹۳.

[۴۳۱] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة للتسترى، ج ۳، ص ۱۱۱؛ شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۷۱.

[۴۳۲] ( ۲).« تَمَجُّ» من مادة« مج» على وزن« حج» بمعنى قذف شىء من السوائل من الفم، ثم استخدمت هذه المفردة فى سماع الكلام غير الملائم، والجملة أعلاه تعنى أنّ الآذان لا تمتنع ولا تأبى استماع هذه الفضائل بل تقبلها.

[۴۳۳] ( ۳).« رَمِيّة» بمعنى الصيد الذى يناله الإنسان بالرمى، وجمعه« رمايا»، وجملة« مَنْ مالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ» إشارة إلى الشخص الذى يطلب صيداً ويجعله ذلك الصيد ينحرف عن مساره الأصلى وربّما يتيه فى الصحراء، فيقول الإمام عليه السلام بهذا الكلام لمعاوية إنّ أشخاصاً مثل عمرو بن العاص يطلبون صيداً من المقام والمال والجاه، ولذلك انحرفوا عن جادة الحق ولا ـ ينبغى أن تسلم زمام أموركـ بيد هؤلاء الظالمين.

[۴۳۴] ( ۱). سورة طه، الآية ۴۱.

[۴۳۵] ( ۲). سورة طه، الآية ۳۹.

[۴۳۶] ( ۱). عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ۲، ص ۱۸۴.

[۴۳۷] ( ۲). سفينة البحار، مادة حمزة.

[۴۳۸] ( ۳). المصدر السابق.

[۴۳۹] ( ۱). الإصابة، ج ۱، ص ۳۵۴.

[۴۴۰] ( ۲). اسد الغابة، ج ۲، ص ۴۸.

[۴۴۱] ( ۳). مكارم الأخلاق، ص ۲۸۰؛ بحار الأنوار، ج ۸۲، ص ۳۳۳، ح ۱۶.

[۴۴۲] ( ۴). الكافى، ج ۸، ص ۱۸۹، ح ۲۱۶( مع تلخيص يسير).

[۴۴۳] ( ۱). سورة الملك، الآية ۲۷.

[۴۴۴] ( ۲). الكافى، ج ۸، ص ۲۶۷، ح ۳۹۲.

[۴۴۵] ( ۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۷۲. ونقل هذا الحديث ابن عساكر فى تاريخ دمشق، ج ۶، ص ۶۷.

[۴۴۶] ( ۱). مختصر تاريخ دمشق، ج ۶، ص ۶۶.

[۴۴۷] ( ۲). الإصابة، ج ۱، ص ۲۳۷، ترجمة حياة جعفر بن أبى طالب.

[۴۴۸] ( ۳). مختصر تاريخ دمشق، ج ۶، ص ۶۸.

[۴۴۹] ( ۴). من لا يحضره الفقيه، ج، ۴، ص ۳۹۷، ونقل هذا الحديث ابن عساكر فى مختصر تاريخ دمشق، ج ۶، ص ۶۷ أيضاً.

[۴۵۰] ( ۱). سفينة البحار، مادة جعفر.

[۴۵۱] ( ۱).« طَوْل» بمعنى الإمكانات والقدرة المالية، ورد بمعنى الفضل والعطاء أيضاً، وفى الأصل« طول» فى مقابل« عرض»، لأنّ القدرة المالية أو الجسمية نوع من الطول وقدرة الإنسان و« ذِى الطَول» بمعنى العطاء والجود، وعلى هذا الأساس أنّ عبارة« عادِيّ طَوْلِنا» فى الجملة أعلاه بمعنى العطايا الدائمة.

[۴۵۲] ( ۲).« الأَكْفاء» جمع« كفؤ» على وزن« قفل» بمعنى الترادف والتساوى فى الشخصية.

[۴۵۳] ( ۳).« الأحْلاف» جمع« حلف» على وزن« جلف» بمعنى العهد والميثاق و« حلف» على وزن« حرف» تعنى القسم واليمين، وبما أنّ العهد يتمّ توكيده بالقسم فسميت هذه العملية بالحلف.

[۴۵۴] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۵، ص ۱۹۷.

[۴۵۵] ( ۱). صحيح مسلم، ج ۷، ص ۱۴۳ و ۱۴۴.

[۴۵۶] ( ۲). مسند أحمد، ج ۳ ص ۸۰؛ مستدرک الحاکم، ج ۳، ص ۱۸۶.

[۴۵۷] ( ۱). فی ظلال نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۴۷۱.

[۴۵۸] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۵، ص ۱۹۸- ۲۹۵.

[۴۵۹] ( ۳). سورة الأنفال، الآیة ۷۵.

[۴۶۰] ( ۴). سورة آل عمران، الآیة ۶۸.

[۴۶۱] ( ۱).« فَلَجوا» من مادة« فلْج» علی وزن« فتح» بمعنی الانتصار والنجاح، و« فَلَج» علی وزن« حرج» اسم مصدر بمعنی‌النصر، ومفردة« فلج» علی وزن« خرج» تعنی الشق والفاصلة بین شیئین وأحیاناً یتسبب فی الشلل والقعود عن الحرکة والمشی بشکل غیر سلیم.

[۴۶۲] ( ۱). تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۴۴۳( حوادث سنة ۱۱).

[۴۶۳] ( ۲). سفینة البحار، مادة أسد.

[۴۶۴] ( ۳). انظر: کتاب الإمامة والسیاسة، ص ۹ وما بعدها.

[۴۶۵] ( ۱).« شکاة» و« شکْو» و« شکاء» و« شکوی» فی الأصل تعنی المرض، ثم اطلقت علی کل عیب ونقص، والشکایة تعنی اظهار الألم والتظلم.

[۴۶۶] ( ۲).« ظاهر» عندما تتعدی بحرف عن تعنی الزوال والانتهاء، وجملة« ظاهر عَنْکَ عارُها» تعنی أنّ ذلک العار والعیب لا یصیبک ولا ینتسب إلیک.

[۴۶۷] ( ۱).« المخشوش» فی الأصل یقال للجمل الذی ثقب أنفه وادخل فیه حبل أو خشبة متصلة بحبل، فعندمایسحب ذلک الحبل یمیل هذا الحیوان معه حیثما مال، لأنّه لا یستطیع مقاومة الألم الناشیء من جرّ هذا الحبل.

[۴۶۸] ( ۱).« غضاضة» بمعنی النقصان والعیب، وهی من مادة« غض» وتعنی التنقیص والتقصیر.

[۴۶۹] ( ۲).« سنح» من« السنوح» علی وزن« فتوح» بمعنی التذکر والفهم.

[۴۷۰] ( ۱).« أعدی» بمعنی أشد عداوة، وهی فی الأصل من مادة عداوة.

[۴۷۱] ( ۲).« مقاتل» جمع« مقتل» بمعنی محل القتل أو الموضع الخاص من بدن الإنسان الذی إذا اصیب فإنّه یؤدی إلی موت الإنسان وقتله.

[۴۷۲] ( ۳).« فاسْتَقْعَده» یستفاد من مجموع القرائن الموجودة فی هذه العبارة أنّ ضمیر الفاعل یعود إلی عثمان وضمیر الفاعل یعود إلی الإمام علیه السلام یعنی أنّ عثمان لم یقبل بدعم الإمام علیه السلام ودفاعه عنه، وکان قد طلب من الإمام علیه السلام أن یسکت ویجلس فی مکانه ویترک الدفاع عنه، ولکن البعض عکسوا هذا المعنی وقالوا: إنّ الإمام علیه السلام طلب من عثمان أن یجلس ویترک السلوکیات الخاطئة ویستجیب لمطالب الناس، ولکن هذا المعنی بعید، فعندما ندقق فی فاء التفریع فی« فاسْتَقْعَده» نری أنّ المعنی الأول أقرب وأوضح.

[۴۷۳] ( ۱).« بث» فی الأصل بمعنی نشر وفرق و« منون» بمعنی الموت، وعلی ضوء ذلک فإنّ جملة« بَثّ الْمَنونَ» یعنی وفرّ أسباب الموت.

[۴۷۴] ( ۱). الإمامة والسیاسة، ج ۱، ص ۲۱۴.

[۴۷۵] ( ۲).« المعوقین» من مادة« عَوْق» علی وزن« فوق» بمعنی المنع والانصراف عن عمل معین، و« عائق» تعنی« المانع» و« معوق» بمعنی ما یمنع من الشیء.

[۴۷۶] ( ۳). سورة الأحزاب، الآیة ۱۸.

[۴۷۷] ( ۱).« انقم» من مادة« نقم» على وزن« قلم» فى الأصل بمعنى إنكار الشيء. ثم استخدمت بمعنى الإنتقام والانتقاد، وفى هذا المورد جاءت بالمعنى الثانى.

[۴۷۸] ( ۲).« احداث» جمع« حدث» على وزن« عبث» وتعنى كل شيء جديد، وتأتى بمعنى البدعة، وجاءت هنا بهذا المعنى الأخير.

[۴۷۹] ( ۳).« الظنّة» بمعنى التهمة من« الظنّة»، بمعنى إساءة الظن.

[۴۸۰] ( ۴).« المُتنصّح» تعنى الشخص الخيّر والذى ينصح الآخرين بكثرة.

[۴۸۱] ( ۱). سورة هود، الآية ۸۸.

[۴۸۲] ( ۲). الإمامة والسياسة، ج ۱، ص ۵۹؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ۳۹، ص ۴۱۸.

[۴۸۳] ( ۱). تاريخ مدينة دمشق، ج ۳۹، ص ۳۳۷.

[۴۸۴] ( ۲). تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۴۱۶ إلى ۴۱۸.

[۴۸۵] ( ۳). المصدر السابق.

[۴۸۶] ( ۴). المصدر السابق.

[۴۸۷] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۹، ص ۶۱۱.

[۴۸۸] ( ۱).« استعبار» من مادة« عبر» على وزن« ابر» بمعنى البكاء وذرف الدموع.

[۴۸۹] ( ۲).« الفيت» من« الإلفاء» بمعنى العثور على الشيء فجأة.

[۴۹۰] ( ۳).« ناكلين» جمع« ناكل» وهو الإنسان الضعيف والجبان الذى يتراجع عن العمل المقرّر، من« النكول» ويعنى الخوف والتراجع.

[۴۹۱] ( ۱).« هيجاء» بمعنى الحرب، لأنّ الإنسان يعيش حالة الهيجان فى الحرب.

[۴۹۲] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۰.

[۴۹۳] ( ۲).« قتام» بمعنى الغبار.

[۴۹۴] ( ۳).« مُتسربِلين» فى الأصل من« سربال» وهو الثوب، ومتسربل يقال للشخص الذى يرتدى ثوباً، وهنا يشبه‌الإمام عليه السلام الشهادة بالثوب الذى يرتديه المحاربون من جيشه على أبدانهم، وهو ثوب الافتخار والزينة.

[۴۹۵] ( ۴).« نصال» جمع« نصل» على وزن« نسل» ويعنى رأس السهم أو ذؤابة السيف.

[۴۹۶] ( ۱). سورة هود، الآيتان ۸۲ و ۸۳.

[۴۹۷] ( ۲). صفين، ص ۲۳۶.

[۴۹۸] ( ۱). سند الرسالة:

تتعلق هذه الرسالة بالفتنة التى أشعل فتيلها معاوية فى البصرة بواسطة شخص يدعى ابن الحضرمى، وغايته من ذلك التسلط على البصرة حيث أمر معاوية باستغلال الأحقاد المترسبة لدى أهل البصرة من المهزومين فى معركة الجمل وكذلك استغلال قضية مقتل عثمان بن عفان لتثوير الناس فى البصرة واخراجها من دائرة حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام، ولكن لم يحالفهم التوفيق، حيث قتل ابن الحضرمى فى هذه الواقعة، وقد ذكر الواقعة« إبراهيم الثقفى» فى كتابه المعروف الغارات، وبعد أن هدأت هذه الفتنة أرسل الإمام عليه السلام هذه الرسالة إلى أهالى البصرة بواسطة بعض أصحابه، وينبغى الالتفات إلى أنّ كتاب« الغارات» تمّ تأليفه قبل السيد الرضى، ومن هنا فإنّه اقتبس هذه الرسالة من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة.( وصاحب هذا الكتاب إبراهيم بن هلال الثقفى المتوفى فى سنة ۲۸۳)( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۲۷۹).

[۴۹۹] ( ۱). لمزيد الاطلاع انظر: الغارات، ج ۲، ص ۳۷۳- ۴۱۲.

[٥٠٠] ( ١).« حَبْل» أصله بمعنى العهد والذمة، ثم اطلق على كل شىء مفتول، وجملة« انْتِشارُ حَبْلِكَم» كناية عن التفرقوتشتت الجماعة.

[٥٠١] ( ٢).« شقاق» فى الأصل تعنى العداوة والكراهية، وهنا جاءت بمعنى نقض العهد وترك البيعة.

[٥٠٢] ( ٣).« تغبوا» من« الغباوة» بمعنى الجهل والغفلة، وعلى ضوء ذلك فإنّ جملة« لَمْ تَغْبَوْا عَنْه» تعنى أنّكم لستم غافلين عنه.

[٥٠٣] ( ۴). الكافى، ج ۵، ص ٣٢.

[٥٠۴] ( ۵). المصدر السابق، ص ١٢، ح ٢.

[٥٠۵] ( ۶).« خطت» من« الخَطو» على وزن« خَتم» بمعنى تقديم القدم فى المشى، و« خطوة» بمعنى تقديم القدم مرّةواحدة بحيث توجد فاصلة بين القدم فى حال المشى، وهذه المفردة تتعدى بالباء ويكون مفهوم الجملة مورد البحث أنّ الأفكار المهلكة والآراء السخيفة والمفسدة تقودكم إلى المخالفة والتمرد.

[٥٠۶] ( ١).« مُنابَذَة» بمعنى المخالفة والمجابهة، وهى فى الاصل من« النبذ» بمعنى الإلقاء بعيداً وكأنّ الشخص فى مخالفته للآخر يدفع به إلى المجابهة بعيداً عن الصلح والمواءمة.

[٥٠٧] ( ٢).« ها أنا ذا» عبارة مركبة من ثلاث كلمات:« ها» للتنبيه، و« أنا» ضمير المتكلم الواحد و« ذا» اسم إشارة ومفهوم الجملة أنّكم على علم بى وتعرفونى.

[٥٠٨] ( ٣).« جِياد» جمع« جواد» وهى الخيل الممتازة.

[٥٠٩] ( ۴).« رَحَلْت» من مادة« رحل» على وزن« نخل» بمعنى وضع القتب على الإبل، و« ركاب» تعنى الإبل.

[٥١٠] ( ۵).« وَقْعَة» بمعنى الهجمة فى الحرب.

[٥١١] ( ١). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ١۶، ص ۴.

[٥١٢] ( ١). سند الرسالة:

جاء فى كتاب مصادر نهج‌البلاغة أنّ ابن أبى‌الحديد فى شرحه وابن ميثم فى شرحه لنهج البلاغة ذكرا هذه الرسالة مع إضافات قيمة لا توجد فى نهج‌البلاغة، وهذه الحقيقة تشير إلى وجود مصادر أخرى لهذه الرسالة كانت بين أيديهما، مضافاً إلى وجود بعض التفاوت بين نقل ابن أبى‌الحديد وابن ميثم مما يشير إلى أنّ لكل منهما مصدر مستقل اقتبس منه هذه الرسالة، وقد أورد العلوى فى كتابه الطراز بعض مقاطع هذه الرسالة بتعبيرات متفاوتة عن تعبيرات السيد الرضى، وهذا بدوره يدلّ على وجود مصدر آخر لهذه الرسالة.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ٣، ص ٢٧٠).

[٥١٣] ( ١). سورة المجادلة، الآية ٢٢.

[٥١۴] ( ١). ورد هذا الحديث الشريف بهذه العبارة فى كتب الشيعة، مثل: وسائل الشيعة، ج ١١، ص ۴٩٢، ح ٢٣، باب ٣٣ من أبواب كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى كتب أهل السنّة ورد بتعابير مشابهة عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من قبيل:« مَنْ ماتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إمامٌ فَميتَتُهُ ميتَةً جاهِلِيَّةً».( المعجم الكبير، ج ١٠، ص ٢٨٩).

وفى حديث آخر عن معاوية بن أبى سفيان أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:« مَنْ ماتَ بِغَيْرِ إمامٍ ماتَ ميتَةً جاهِلِيَّةً»( مسند أحمد، ج ۴، ص ٩۶).

[٥١۵] ( ٢).« مَحَجَّة» بمعنى الجادة الواسعة والطريق المستقيم والواضح.

[٥١۶] ( ٣).« نَهْجَة» تارة تأتى بمعنى اسم المصدر وتعنى المنهج، وأخرى بمعناها الوصفى وتعنى الواضح والبين.

[٥١٧] ( ۴).« اكْياس» جمع« كيس» بمعنى الذكى والمنتبه والحكيم.

[٥١٨] ( ۵).« الأَنْكاس» جمع« نكس» على وزن« حرص» ويعنى الإنسان الضعيف والذليل والجاهل، من مادة« نكس» على وزن

عکس» وتعنی المنقلب وجعل عالی الشیء سافله.

[۵۱۹] ( ۱). غرر الحکم، ص ۳۲۲، ح ۷۴۶۴.

[۵۲۰] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۱۶۲.

[۵۲۱] ( ۱).« نکب» من« النکب» علی وزن« نقب» وتعنی الانحراف فی المسیر، و« ناکب» هو الشخص الذی انحرف عن الطریق وأعرض عنه، ومن هذه الجهة یقال لمن أعرضت الدنیا عنه أنّه منکوب وأصابته نکبة.

[۵۲۲] ( ۲). سورة الأنفال، الآیة ۵۳.

[۵۲۳] ( ۳). سورة المائدة، الآیة ۱۰۵.

[۵۲۴] ( ۱).« أَوْلَجَتْکَ» من« الإیلاج» و« ولوج» بمعنی دخول شیء ووروده، وعلی ضوء فإنّ« اوْلَجَتْکَ شَراً» من باب إفعال وتأخذ مفعولین ومفهومها أنّ نفسک جرّتک إلی الشر وادخلتک فیه.

[۵۲۵] ( ۲).« أَقْحَمَتکَ» من« الإقحام» بمعنی قذف الشیء فی داخل شیء آخر، وهذا الفعل أیضاً یأخذ مفعولین ومعنی الجملة أنّ نفسک قد قذفت بک فی طریق الضلالة ومتاهة الفتنة.

[۵۲۶] ( ۳).« غیّ» بمعنی الضلالة والانحراف.

[۵۲۷] ( ۴).« أَوْعَرَتْ» من« الإیعار» و« وعر» علی وزن« وقت» فی الأصل بمعنی الصعوبة والعسر والحرج، وجملة« أَوْعَرَتْ عَلَیْکَ الْمَسالِکَ» تعنی أنّها صعّبت علیک العثور علی طرق النجاة، ولهذا یقال للأرض الملیئة بالأحجار والمطبات أنّها أرض وعرة و« وعیر».

[۵۲۸] ( ۱). تقرأ هذه المفردة تارة بصورة تثنیة( بفتح الراء) وأخری بصورة جمع( بکسر الراء). وفی الصورة الاولی تشیر إلی مکان معیّن بین حلب و قنّسرین من أراضی الشام، وفی الصورة الثانیة یمکن أن تکون إشارة إلی ذلک المکان باعتبار حضور أقوام مختلفة فیه.

[۵۲۹] ( ۲). سند الرسالة:

تعتبر هذه الرسالة کما یقول صاحب کتاب مصادر نهج‌البلاغة، من أشهر رسائل ووصایا الإمام

[۵۳۰] ( ۳) أمیرالمؤمنین علیه السلام والتی ذکرها جماعة من أبرز علماء الإسلام فی کتبهم قبل ولادة السید الرضی، منهم المرحوم الشیخ الکلینی فی کتاب الرسائل والمرحوم الحسن بن عبداللّه العسکری( من أساتید الشیخ الصدوق) فی کتاب الزواجر والمواعظ، وصاحب کتاب عقد الفرید فی موضعین من کتابه فی باب مواعظ الآباء للأبناء، والحسن بن علی بن شعبة فی کتاب تحف العقول، ضمن بیانه لکلمات الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام، والشیخ الصدوق بدوره نقل أیضاً مقاطع من هذه الوصیة فی موردین من کتاب من لا یحضر الفقیه، ونقلها بعد السیّد الرضی جماعة کثیرون فی کتبهم منهم: المرحوم السیّد ابن طاووس فی آخر کتاب کشف المحجة، ضمن بیان أنّ هذه الوصیة وردت بأسناد متعددة، ومجموعة الأسناد التی أوردها هؤلاء العلماء فی کتبهم لهذه الرسالة تصل إلی ستة طرق وأسناد( ویتبیّن من مجموعة هذه الطرق والاسناد لهؤلاء العلماء أنّ انتساب هذه الرسالة إلی الإمام علی علیه السلام لا یبقی مجالًا للشک والتردد، أضف إلی ذلک أنّ محتوی هذه الرسالة والوصیة إلی درجة من القوة والمتانة بحیث لا یمکن صدورها من غیر المعصوم).( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۳۰۷- ۳۱۱).

[۵۳۱] ( ۱). الإمامة والسیاسة، ج ۱، ص ۲۹.

[۵۳۲] ( ۱).« زمان» فی الأصل یراد به الوقت المعروف الذی یشمل الأوقات القصیرة والطویلة، ولکن بما أنّ الزمان فی‌هذه الدنیا یقترن بالحوادث المختلفة المرّة والحلوة، فهذه المفردة تشیر أحیاناً إلی هذا المعنی، و« المُقِرُّ لِلزّمان» إشارة إلی الشخص الذی یعیش الإذعان والقبول بهذه الحقیقة وهی أنّ الدنیا دار حوادث ومتغیّرات، ولکنّه عملًا لا ینسجم مع هذه الحوادث.

[۵۳۳] ( ۱). ورد فی الکثیر من النصوص والشروح لنهج البلاغة بعد هذه الصفة صفة أخری وهی« الذامُّ لِلدُّنْیا» وحینئذٍ تبلغ صفات

الدنيا فى هذا المقطع إلى سبع صفات.

[۵۳۴] ( ۲).« الظّاعِن» بمعنى المنتقل، من« الظعن» على وزن« طعن» وتعنى الانتقال من مكان إلى آخر.

[۵۳۵] ( ۱).« الغرض» بمعنى الهدف الذى يوضع ليرميه المتسابقون والرماة.

[۵۳۶] ( ۲).« رهينة» من الرهن وهو الثبات ودوام الشىء، والرهينة جمعها رهائن وهى ما يرهن ويحتسب فيه الشىء فى‌مقابل ثمن.

[۵۳۷] ( ۳).« رمية» عبارة أخرى عن« غرض» و« هدف»( صفة مشبهة بمعنى المفعول).

[۵۳۸] ( ۴).« حليف» بمعنى المتفق والذى يجتمع معه بميثاق، من مادة« حلف» على وزن« حرف» وهو القسم واليمين.

[۵۳۹] ( ۵). سورة آل عمران، الآية ۱۸۵.

[۵۴۰] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۲۲۶.

[۵۴۱] ( ۲). القائل هو لبيد بن ربيعة الجعفرى، وهو من المعمرين، انظر: كمال الدين و تمام النعمة، ص ۵۶۵، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۲۴۵.

[۵۴۲] ( ۱).« جُمُوح» بمعنى التمرد والطغيان، و« جَمُوح» على وزن« قبول» وفى الأصل تعنى الحيوان المتمردوالمنفلت، ثم اطلقت على كل إنسان منفلت ومتمرد بل تطلق أيضاً على الحوادث والقضايا التى تخرج عن اختيار الإنسان.

[۵۴۳] ( ۱).« يَزَع» من مادة« وزع» على وزن« وضع» بمعنى المنع والاعاقة عن شىء.

[۵۴۴] ( ۲).« ما وَرائى» إشارة إلى أهل الدنيا، المقامات، الثروات وأمثال ذلك، وغرض الإمام عليه السلام من ذلك بيان هذه الحقيقة وهى أنّ الالتفات إلى قرب الانتقال من هـذه الـدنيا منعنى من الميل للأمور الدنيويـة وجعلنى ملتفتاً لمصيرى ومستقبلى، والعجيب أنّ بعض شـرّاح نهج‌البلاغة ذكروا فى معنى« ما وَرائى» أنّها تعنى الآخرة، فى حين أنّ مفهوم هذه العبارة يكون بهذه الصورة: إنّ الإلتفات إلى نهاية عمرى شغلنى عن الاهتمام بأمر الآخرة، وهذا التفسير مجانب للصواب.

[۵۴۵] ( ۳).« صدف» من مادة« صدف» على وزن« حذف» بمعنى الإعراض عن شىء.

[۵۴۶] ( ۴).« أَفْضى» من« الإفضاء» و« فضاء» وتعنى الوصول إلى شىء وكأنّه دخل إلى فضائه وجوّه.

[۵۴۷] ( ۱).« مستظهرا» من« الإستظهار» بمعنى طلب المعونة والنصرة من شخص أو شىء.

[۵۴۸] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۶۱.

[۵۴۹] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة التسترى، ج ۸، ص ۳۳۰.

[۵۵۰] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۹۵.

[۵۵۱] ( ۳). سورة ابراهيم، الآيتان ۲۴ و ۲۵.

[۵۵۲] ( ۱). سورة الرعد، الآية ۲۸.

[۵۵۳] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۹۰، ص ۱۵۱، ح ۶ والآية ۲۰۱ من سورة الأعراف.

[۵۵۴] ( ۳). سورة آل عمران، الآية ۱۰۳.

[۵۵۵] ( ۱).« قرّر» من« التقرير» وتـأتى بمعنيين، الأـول، التثبت ووضع الشـىء فى محلّه، والآـخر بمعنى دفع شـخص للإقرار والإعتراف بشىء معين، وفى الجملة مورد البحث جاءت بالمعنى الثانى، يعنى اجعل قلبك يقرّ ويعترف بفناء الدنيا.

[۵۵۶] ( ۱).« فحش» يقال لكل عمل خرج عن حدّ الاعتدال واتجه نحو القبح، ولذلك تطلق هذه الكلمة على جميع‌المنكرات والقبائح الفاضحة، فيقال« فحش» و« فحشاء»، رغم أنّ هذه المفردة تستخدم فى عرفنا المعاصر فى مورد الانحرافات الجنسية( وأحياناً تأتى كلمة فحش بمعناها المصدرى وأخرى يراد منها اسم المصدر).

[۵۵۷] ( ۱).« حَلُّوا» من مادة« حلّ» تأتى أحياناً بمعنى فتح العقدة وحل المشكلة، وأخرى الدخول إلى مكان معين، وفى الجملة أعلاه

جاءت بالمعنى الثانى.

[۵۵۸] ( ۲). سورة الروم، الآية ۴۲.

[۵۵۹] ( ۱). سورة الحج، الآية ۴۶.

[۵۶۰] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۲۸۰، باب الكبائر، ح ۱۱.

[۵۶۱] ( ۲). انظر: الكافى، ج ۲، ص ۲۸۲، باب الكبائر، ح ۱۶.

[۵۶۲] ( ۱). ميزان الحكمة، ح ۱۷۰۳۰.

[۵۶۳] ( ۲). المصدر السابق، ح ۱۷۰۳۱.

[۵۶۴] ( ۳). الخصال، ص ۲۲۸.

[۵۶۵] ( ۴). غرر الحكم، ص ۴۳۰، ح ۹۷۹۵.

[۵۶۶] ( ۵). المصدر السابق، ص ۴۲۹، ح ۹۷۷۴.

[۵۶۷] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۸۸.

[۵۶۸] ( ۲). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار ۸۹.

[۵۶۹] ( ۳). سورة الشمس، الآيتان ۷ و ۸.

[۵۷۰] ( ۴). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۳۲۴.

[۵۷۱] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۸ ص ۳۳۲.

[۵۷۲] ( ۲). المصدر السابق، ص ۳۳۳ ونقل هذه القصة أيضاً المرحوم المحدّث القمى فى تتمة المنتهى، ص ۲۴۸.

[۵۷۳] ( ۱). آداب النفس، ج ۱، ص ۱۰۴ و ۱۰۵.

[۵۷۴] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۸۶.

[۵۷۵] ( ۲). سورة الاسراء، الآية ۳۶.

[۵۷۶] ( ۳). سورة البقرة، الآية ۱۶۹.

[۵۷۷] ( ۴). سورة المائدة، الآية ۱۰۵.

[۵۷۸] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۲، ص ۲۵۹، ح ۷.

[۵۷۹] ( ۲). الكافى، ج ۱، ص ۶۸، ح ۱۰.

[۵۸۰] ( ۱). الكافى، ج ۵، ص ۵۸، ح ۱۰.

[۵۸۱] ( ۲).« خض» صيغة أمر من« الخوض» على وزن« حوض» فى الأصل بمعنى الدخول التدريجى فى الماء، ثم استخدم كناية عن الورود أو الشروع فى كل عمل.

[۵۸۲] ( ۳).« غمرات» جمع« غمرة» على وزن« ضربة» وأصلها من« غمر» وتعنى زوال أثر الشيء، ثم استخدمت فى الماء الكثير الذى يغطى جميع جهات الشيء، يقال:« غمرة» و« غامر» ثم اطلقت على كل ابتلاء شديد وجهل يغمر الإنسان ويحيط به من كل جانب و« غمرات الموت» بمعنى الشدائد التى يواجهها المحتضر فى حالات الموت.

[۵۸۳] ( ۱).« تصبّر» من مادة« صبر» بمعنى الاستقامة وضبط النفس، والفرق بين التصبّر والصبر أنّ الشخص الصبور هو واقعاً من أهل الصبر والاستقامة، وأمّا التصبّر فيقال فى مورد الشخص الذى لم يصبح من أهل الصبر فعلًا، بل يريد أن يملك هذه الحالة النفسية والفضيلة الأخلاقية.

[۵۸۴] ( ۱). معجم الأدباء، ج ۱۲، ص ۳۸ نقلًا عن شرح نهج‌البلاغة للعلّامة التسترى، ج ۸ ص ۳۸۱.

[۵۸۵] ( ۱). معجم حكمة العرب، ص ۲۳۸.

[۵۸۶] ( ۲). انظر: تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۲، ص ۵۲۴، البداية والنهاية، ج ۸، ص ۱۱.

[۵۸۷] ( ۱).« ألجىء» من« الإلجاء» وأصلها من« الجوء» بمعنى الاحتماء بالشىء، و« الجاء» تعنى دفعه لطلب اللجوءوالحماية من الطرف الآخر.

[۵۸۸] ( ۲).« كهف» بمعنى الغار الواسع وثم اطلقت على كل شىء ملاذ وملجأ يلجأ إلى الإنسان.

[۵۸۹] ( ۳).« حريز» بمعنى المحافظ وهو من مادة« حرز» على وزن« فكر» ويعنى حفظ الشىء.

[۵۹۰] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۲۹۳، ح ۳.

[۵۹۱] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۸۸، ص ۲۲۴، ح ۴.

[۵۹۲] ( ۲).« صفح» فى الأصل بمعنى الجانب والطرف المواجه للشىء، ومعناه المصدرى الإعراض وصرف النظر عن الشىء، وبما أنّ صرف الإعراض عن الشىء تارة بدفاع العفو الصفح وأخرى بسبب الغضب والاستياء، فهذه المفردة تستعمل بكلا المعنيين، وضمناً ينبغى الالتفات إلى أنّ فاعل تذهبنّ هو الوصية، ومعنى الجملة أنّ وصيتى لا ينبغى أن تنسى بسبب الاهمال والإعراض عنها، أى لا تتعامل معها من موقع اللامبالاة والتساهل، وجاء فى بعض النسخ كلمة« عنها»، بدلًا من عنك، وفى هذه الصورة سيكون فاعل تذهبنّ المخاطب، أى الإمام الحسن عليه السلام.

[۵۹۳] ( ۱). الكافى، ج ۱، ص ۳۲، ح ۱.

[۵۹۴] ( ۱).« أفضى» من« الإفضاء» وأصلها« فضاء» بمعنى الوصول للشىء وكأنّه دخل فى جوه وفضائه، ثم اطلقت علىمفهوم إلقاء مطلب معين وتعليمه لآخر وكأنّ المتكلّم ألقى هذا المفهوم فى فضاء فكرالمخاطب.

[۵۹۵] ( ۲).« نفور» فى الأصل بمعنى الحيوان الهارب الذى نفر من شىء مخوف، ثم اطلقت على كل إنسان يهرب من شىء.

[۵۹۶] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۶۶.

[۵۹۷] ( ۲). نهج‌البلاغة، الخطبة ۹۳.

[۵۹۸] ( ۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۶۷.

[۵۹۹] ( ۱). شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج ۱۶، ص ۶۷.

[۶۰۰] ( ۲).« بغية» بمعنى الطلب، من مادة« بغى» على وزن« نفى»، ويقول الراغب فى مفرداته إنّ هذه الكلمة تعنى أحياناً مفهوماً ايجابياً وهو طلب الخيرات، وأخرى مفهوماً سلبياً وهو تجاوز حدّ العدالة والميل لجهة الظلم والباطل.

[۶۰۱] ( ۱). الكافى، ج ۸، ص ۹۳.

[۶۰۲] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۶۰۳، ح ۴.

[۶۰۳] ( ۲). المصدر السابق، ج ۶، ص ۴۷، ح ۵.

[۶۰۴] ( ۳). القائل هو سابق البربرى، انظر: جامع البيان العلم و فضله، ص ۸۳.

[۶۰۵] ( ۱).« نخيل» من« النخل» فى الأصل تعنى الغربال الذى يستخدم فى تطهير الدقيق من الشوائب والنخالة، ثماطلقت كلمة« نخيل» على كل شىء تمت تصفيته وتنقيته، والمراد من العبارة أعلاه أننى اخترت لك الشىء النقى والمصفى من تاريخ وسيرة القدماء وتركت الأمور المظلمة والكدرة جانباً، وينبغى الالتفات إلى أنّ« نخيل» بهذا المعنى لها جهة وصفية، وهى غير« نخيل» جمع« نخل» وهى شجرة التمر.

[۶۰۶] ( ۲).« توخيت» من« الوخْى» على وزن« نفى» بمعنى قصد الشىء والتوجه إليه، و« توخى» فى هذا المورد جاءت بمعنى الانتخاب والاصطفاء.

[۶۰۷] ( ۳).« مقتبَل» بمعنى مطلع وبداية كل شىء، وهى من« الإقتبال» وتعنى الشروع بالأمر والابتداء عمل معين.

[۶۰۸] ( ۱). سورة يوسف، الآية ۱۱۱.

[۶۰۹] ( ۱). سورة يوسف، الآية ۳.

[۶۱۰] ( ۲). سورة الروم، الآية ۴۲.

[۶۱۱] ( ۱).« شرائع» جمع« شريعة» وفى الأصل بمعنى الشاطىء والمحل الذى يرد منه الإنسان إلى النهر ليشرب، لأنّ سطح الأنهار عادة يقع أسفل من سطح الأرض، ولذلك يتمّ تعديل الشاطىء بشكل انسيابى وتدريجى أو على شكل مدرجات ليستطيع الناس من الوصول إلى الماء بسهولة. ثمّ اطلقت هذه المفردة على الأحكام السماوية والشرعية والتعاليم الإلهيّة للناس، أعمّ من العقائد والأحكام والأخلاق، وارتباطها بالمعنى الأصلى واضح، لأنّ الإيمان والتقوى والعدل والصلح حالها حال ماء الحياة للإنسان وتحقيق السعادة الأبدية والطريق الوصول إليها من خلال الشرعية الإلهيّة.

[۶۱۲] ( ۱).« شفقة» تأتى فى مثل هذه الموارد مرادفة للخوف، فى حين أنّ معناها الأصلى على حدّ قول بعض الادباءالتوجّه للشىء المقترن بالخوف، أو بعبارة أخرى الخوف مقترن بالحبّ والاحترام والأمل، لأنّ هذه الكلمة فى الأصل من مادة« شفق» وهو ضوء الصبح الباكر الممتزج بالظلام، غاية الأمر أنّ هذه المفردة إذا جاءت مع« من» المتعدّية فإنّ جهة الخوف ستكون غالبة فى العبارة مورد البحث، وعندما تأتى متعدّية بحرف« فى» و« على»، فإنّ المودّة والشفقة ستكون الغالبة، كأن يقول الإنسان لصديقه:« انَا مُشْفِقُ عَلَيْكَ».

[۶۱۳] ( ۱). مفردة« رشد» فى الأصل بمعنى السير نحو المقصد، وجملة« راشداً مَهْدِياً» دعاء يقال عند توديع المسافر، يعنى إن شاء اللّه ستصل إلى مقصودك وتهتدى إلى مرادك.

[۶۱۴] ( ۲).« قصد» تأتى أحياناً بمعنى التيه، وأخرى بمعنى سلوك الطريق المستقيم والمعتدل بعيداً عن الافراط والتفريط، و« قَصْدُ السبيل» تعنى الجادة التى يسلكها الإنسان للوصول إلى مقصده.

[۶۱۵] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۳۱.

[۶۱۶] ( ۲). وسائل‌الشيعة، ج ۱۸، ص ۱۲۹، ابواب صفات قاضى، باب ۱۲، ح ۶۱.

[۶۱۷] ( ۳).« اوْلَجتك» من« الإيلاج» وأصلها« ولوج» بمعنى الدخول فى مكان محدود، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعدية، وعليه فإنّ« أوْلَج» يعنى ادخال شخص أو شىء آخر.

[۶۱۸] ( ۱). مجانى الأدب، ص ۴۷.

[۶۱۹] ( ۲).« عَشْواء» فى الأصل بمعنى الجمل الأعشى وضعيف البصر، ولهذا يضل الطريق ويتمايل نحو اليمين‌واليسار، ثم اطلقت على كل إنسان يسير بهذه الكيفية.

[۶۲۰] ( ۳).« تَوَرَّطَ» من« التورط» على وزن« توكّل» وتعنى السقوط فى مكان يصعب الخلاص منه أو يستحيل الخروج منه.

[۶۲۱] ( ۴).« أَمْثَل» من« المثول» على وزن« طلوع» بمعنى الأفضل والأحسن و« أماثل» و« مُثُل» على وزن« كتب».

[۶۲۲] ( ۱). سورة الأعلى، الآيات ۲- ۴.

[۶۲۳] ( ۱). سورة النحل، الآية ۷۸.

[۶۲۴] ( ۱). سورة لقمان، الآية ۲۷.

[۶۲۵] ( ۲). سورة الأسراء، الآية ۸۵.

[۶۲۶] ( ۱).« رائد» من مادة« رود» على وزن« عود»، وكما ورد فى المتن أنّ الأصل فيها بمعنى السعى وبذل الجهد للعثور على الماء والكلأ، ثم اطلقت على كل سعى للعثور على شىء، والحديث الشريف« الرّائدُ لا يَكْذِبُ أهْلَهُ»، ناظر إلى هذا المعنى، وبما أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان فى صدد تحقيق السعادة لأنصاره وأتباعه فيقال عنه أنّه« رائد».

[۶۲۷] ( ۱).« آل» صيغة المتكلم الواحد، من مادة« ألْو» على وزن« دلو» وهى فى الأصل بمعنى التقصير، وجملة« لم آلك نصيحة» تعنى لم اقصر فى اسداء النصح إليك، واللافت أنّ هذا الفعل لازم لا يأخذ مفعول، رغم أنّ البعض تصور أنّه يأخذ مفعولين، المفعول الأول هو ضمير الخطاب« آلك» والمفعول الثانى« نصيحة»، فى حين أنّ النصيحة تمييز وضمير الخطاب متعلق بمحذوف وهو فى الأصل« لَمْ آلُ لَكَ».

[۶۲۸] ( ۱).« خطر» فى هذا المورد يعنى القدر والمنزلة.

[۶۲۹] ( ۲). سورة الحشر، الآية ۱۹.

[۶۳۰] ( ۱). سورة المائدة، الآيتان ۹۰ و ۹۱.

[۶۳۱] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۵۹، ص ۲۶۷، ح ۴۶.

[۶۳۲] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۱۸۳.

[۶۳۳] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۵۴، ص ۲۳۸.

[۶۳۴] ( ۱).« خَبَرَ» فعل ماضى من« الخُبر» على وزن« قفل» بمعنى الاطّلاع على الحدث، وأحياناً تأتى بمعنى الاختبارللاطلاع على الخبر.

[۶۳۵] ( ۲).« سَفْر» جمع مسافر.

[۶۳۶] ( ۳).« جَديب» بمعنى الجاف وبدون ماء وعلف، وهو من مادة« جَدَب» على وزن« جلب».

[۶۳۷] ( ۴).« أمّوا» من مادة« امّ» على وزن« غم» بمعنى القصد.

[۶۳۸] ( ۵).« خصيب» بمعنى كثير النعمة والماء والنبات، من مادة« خصب» على وزن« جسم» وهو زيادة النعمة وكثرتها.

[۶۳۹] ( ۶).« جناب» بمعنى الناحية.

[۶۴۰] ( ۷).« مريع» بمعنى كثير النعمة والخير، من مادة« مرع» على وزن« رأى» وهو الكثرة والوفرة، و« أَرْضٌ مَريعَةٌ» الأرض الكثيرة المحصولات الزراعية.

[۶۴۱] ( ۸).« وعثاء» من مادة« وعث» على وزن« درس» بمعنى الرمال الناعمة التى تدخل فيها الأقدام وتمنع الشخص من إدامة المسير، أو يعسر عليها المشى، ثم اطلقت على جميع المشكلات التى تعيق الإنسان فى حركة الحياة، و« وَعْثاءُ الطَّرِيقِ» إشارة إلى مشكلات السفر.

[۶۴۲] ( ۹).« جُشُوبَة» بمعنى الخشونة والغلظة.

[۶۴۳] ( ۱).« أَفْظَع» بمعنى غير مقبول، من« الفَظاعة» وهى الشناعة والغلظة.

[۶۴۴] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۹۶.

[۶۴۵] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۵۴.

[۶۴۶] ( ۳). معانى الأخبار، ص ۳۹۰.

[۶۴۷] ( ۱). فى ظلال نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۵۰۲.

[۶۴۸] ( ۲). الكافى، ج ۲، ص ۱۴۶، باب الانصاف والعدل، ح ۱۰.

[۶۴۹] ( ۳). مجمع الزوائد للهيثمى، ج ۱، ص ۱۲۹. وهذا الحديث ذكره المرحوم المحدّث القمى فى كتابه منتهى الآمال فى فصل الفضائل الأخلاقية للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

[۶۵۰] ( ۱). غرر الحكم، ص ۳۰۹، ح ۷۱۰۳.

[۶۵۱] ( ۲). المصدر السابق، ص ۶۵، ح ۸۴۸.

[۶۵۲] ( ۳). المصدر السابق، ح ۸۴۶.

[۶۵۳] ( ۴). المصدر السابق، ص ۳۰۹، ح ۷۱۰۶.

[۶۵۴] ( ۵). المصدر السابق، ح ۷۰۹۶.

[۶۵۵] ( ۶). الکافی، ج ۵، ص ۷۲، ح ۷.

[۶۵۶] ( ۱). سورة البقرة، الآیة ۱۶۷.

[۶۵۷] ( ۲). الکافی، ج ۴، ص ۴۲، ح ۲.

[۶۵۸] ( ۱).« ارتیاد» من مادة« رَود» علی وزن« قَوم» فی الأصل تعنی الذهاب والمجیء مع المداراة والملاءمة فی طلب‌الشیء، وبالنسبة لمشتقاتها تارة تغلب جهة الطلب وأخری جهة الرفق والمداراة، ومفردة« إرادة» مشتقة من هذ الأصل أیضاً.

[۶۵۹] ( ۲).« بلاغ» بمعنی الشیء الذی یوصل الإنسان إلی مقصده.

[۶۶۰] ( ۳). سورة البقرة، الآیة ۱۹۷.

[۶۶۱] ( ۴). سورة العنکبوت، الآیة ۱۳.

[۶۶۲] ( ۱). بالنسبة للضمیر« تَطْلَبُه» وجملة« فلا تَجِدْهُ» هناک خلاف بین شرّاح نهج‌البلاغة فی عودة هذا الضمیر، فالاحتمال الأول أنّه یعود إلی الشخص الفقیر والمحتاج فکأنّه یحمل علی أکتافه الصدقات والمثوبات ویسلمها یوم القیامة لصاحبها، والاحتمال الآخر أنّه یعود علی المال نفسه، یعنی سیحین الوقت الذی تطلب مالًا لانفاقه فی سبیل اللّه ولیس لدیک مال، ولکن التفسیر الأول أرجح کما ذکرنا فی المتن، وجملة« وَاغْتَنِم» شاهد علی ذلک.

[۶۶۳] ( ۱). سورة البقرة، الآیة ۲۴۵.

[۶۶۴] ( ۲). سورة البلد، الآیات ۱۱- ۱۴.

[۶۶۵] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۴۶، ص ۶۵، ح ۲۷.

[۶۶۶] ( ۱).« کؤود» بمعنی الطریق الشاق وصعب العبور، من مادة« کئد» علی وزن« عهد» بمعنی شدّة وصعوبة والعسر.

[۶۶۷] ( ۲).« مخفّ» یعنی الشخص الذی یحمل حملًا حفیفاً، من« خفّ» علی وزن« صف» بمعنی الخفیف.

[۶۶۸] ( ۳).« مثقل» یعنی الشخص الذی یحمل حملًا ثقیلًا، من مادة« ثقل».

[۶۶۹] ( ۱). سورة البلد، الآیات ۱۱- ۱۴.

[۶۷۰] ( ۲).« ارْتَد» یعنی انتخب واختر لک، من« الإرتیاد» کما ذکرنا فی تفسیرها سابقاً.

[۶۷۱] ( ۳).« مُسْتَعْتَب» مصدر میمی، یعنی الاعتذار وطلب رضا، من مادة« عتب» علی وزن« عطف» وله معانٍ متعددة وأحدها الرضا والبهجة، والشخص الذی یعتذر للشخص المقابل یطلب فی الحقیقة رضاه وعفوه، ولذلک تستعمل هذه المفردة بمعنی الاعتذار.

[۶۷۲] ( ۴).« مُنْصَرف» مصدر میمی بمعنی العودة.

[۶۷۳] ( ۵). مستدرک الوسائل، ج ۲، ص ۱۰۴، ح ۱۶.

[۶۷۴] ( ۶). سورة المؤمنون، الآیة ۹۹ و ۱۰۰. وأشار إلیها فی الآیات ۲۸ من سورة الانعام و ۳۷ من سورة فاطر أیضاً.

[۶۷۵] ( ۱). سورة الفرقان، الآیة ۷۷.

[۶۷۶] ( ۲). سورة غافر، الآیة ۶۰.

[۶۷۷] ( ۱). سورة النساء، الآیة ۳۲.

[۶۷۸] ( ۱). سورة یوسف، الآیة ۹۷.

[۶۷۹] ( ۱).« لَمْ یُناقِشْک» من« المناقشة» بمعنی الدقّة والتشدد فی الحساب، ومن هنا اطلقت هذه المفردة علی المناظرة الدقیقة

والمباحثات الكلاميّة الشائكة.

[٦٨٠] ( ٢).« نُزُوع» بمعنى الانفصال عن شيء، ومن هنا اطلقت كلمة« نزع» على حالة الإنسان فى سكرات الموت لأنّهالحظات انفصال الروح عن الجسد.

[٦٨١] ( ٣).« الاستعتاب» مرّ تفسيرها فى القسم الثامن عشر من هذه الوصية.

[٦٨٢] ( ٤). سورة النور، الآية ٣١.

[٦٨٣] ( ٥). سورة الشورى، الآية ٢٥.

[٦٨٤] ( ١). سورة الكهف، الآية ٥٨.

[٦٨٥] ( ٢). سورة الزمر، الآية ٥٣.

[٦٨٦] ( ٣). سورة الفرقان، الآية ٧٠.

[٦٨٧] ( ٤). سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

[٦٨٨] ( ١).« أفضيت» من« الإفضاء» و« فضاء» وتأتى بمعنى الوصول إلى شيء وكأنّما دخل فى فضائه وجوّه.

[٦٨٩] ( ٢).« ابثثته» من مادة« بَثّ» بمعنى فرق ونشر، وهنا جاءت بمعنى نشرت له عن سرّك وأظهرت عن مكنوناتك.

[٦٩٠] ( ١). سورة الشعراء، الآيات ٧٨- ٨١.

[٦٩١] ( ١).« شَآبيب» جمع« شؤبوب» على وزن« بهلول» بمعنى هطول المطر بغزارة وأحياناً تأتى بمعنى كل شدّة.

[٦٩٢] ( ٢). الكافى، ج ٢، ص ٢٦٨، ح ٢.

[٦٩٣] ( ١). سورة غافر، الآية ٦٠.

[٦٩٤] ( ٢). سورة البقرة، الآية ١٨٦.

[٦٩٥] ( ١). سورة البقرة، الآية ٢١٦.

[٦٩٦] ( ٢). أصول الكافى، ج ٢، ص ٦٠، ح ٤.

[٦٩٧] ( ١). انظر: تفسير مجمع البيان والقرطبى والطبرى و تفسير الأمثل و كتب أخرى فى ذيل الآية الشريفة ٧٥ إلى ٧٨ من سورة التوبة.

[٦٩٨] ( ٢). سورة غافر، الآية ٦٠.

[٦٩٩] ( ١). مستدرك الوسائل، ج ٥، ص ٢١٦، ح ١١ وكتب عديدة أخرى.

[٧٠٠] ( ٢). بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٧٢.

[٧٠١] ( ٣). أصول الكافى، ج ٥، ص ٥٦، ح ٣.

[٧٠٢] ( ١). سفينة البحار، ج ١ بحث الدعاء.

[٧٠٣] ( ٢). سورة البقرة، الآية ١٨٦.

[٧٠٤] ( ١). سورة الذاريات، الآية ٥٦.

[٧٠٥] ( ٢).« قُلعَة» لها معانٍ كثيرة: وتطلق على الإنسان الضعيف والشخص العاجز عن حفظ نفسه على سرج الجواد، ولا يقدر على حفظ أمواله فلا- تبقى بيده، كذلك تطلق كلمة« قُلعة» على المكان الذى ينبغى مغادرته، وفى العبارة أعلاه جاءت بالمعنى الأخير، وأصلها من مادة« قلع» و« يقلع».

[٧٠٦] ( ٣).« بُلْغة» بمعنى الزاد المتاع الذى يوصل الإنسان إلى مقصده، وهو من« البلوغ» و« بلاغ»، لأنّ الزاد يبلغ الإنسان إلى مقصده.

[٧٠٧] ( ٤). سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

[۷۰۸] ( ۱). سورة الزمر، الآية ۳۰.

[۷۰۹] ( ۲). سورة العنكبوت، الآية ۵۷.

[۷۱۰] ( ۳). سورة الرحمن، الآية ۲۶.

[۷۱۱] ( ۴). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۷۱۲] ( ۵).« طريد» بمعنى« مطرود» أو الصيد الذى يتبعه الصياد وهو من مادة« طرد» بمعنى دفعه إلى الهرب.

[۷۱۳] ( ۶). سورة النساء، الآية ۷۸.

[۷۱۴] ( ۱). سورة الأحزاب، الآية ۱۶.

[۷۱۵] ( ۲). سورة الزمر، الآية ۳۰.

[۷۱۶] ( ۳). كان المرحوم الدكتور باقر آية اللّه زاده الشيرازى استاذاً قديراً فى مجال الترميم والعمران، وله إعتقادات دينية قوية وعميقة، وقد ابتدأ بهذه الآية الشريفة« إِنَّا لَانُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا»( الكهف، الآية ۳۰) فى محاضرته فى ذلك المهرجان.

[۷۱۷] ( ۱). انظر: بحار الأنوار، ج ۳، ص ۸۴( مع التلخيص والنقل بالمعنى).

[۷۱۸] ( ۱).« حذر» بمعنى التوقّى من الخطر والانتباه فى مقابل المستجدّات.

[۷۱۹] ( ۲).« أزر» فى الأصل من« إزار» وهو اللباس، وبخاصة اللباس الذى يرتديه الإنسان على وسطه، وبهذه المناسبة توحى هذه الكلمة بالتأييد والقدرة وامتلاك القوة.

[۷۲۰] ( ۱).« يبهر» من« البهر» على وزن« بحر» بمعنى حالة تجعل الإنسان مبهوتاً أمام الشىء.

[۷۲۱] ( ۲).« إخلاد» من« الخُلد» و« خلود» بمعنى السكون المستمر فى مكان واحد، و« الاخْلادِ إِلَى الْارْضِ» بمعنى إلالتصاق بها، و« الإِخْلادِ إِلَى الدُّنيا» يعنى التمسك بأمور الدنيا والتشبث بها.

[۷۲۲] ( ۳).« تكالب» يمعنى الهجوم لتحصيل شىء، وهى فى الأصل من مادة« كلب».

[۷۲۳] ( ۱).« نعت» من مادة« نعى» على وزن« سعى» وتعنى الإخبار بموت شخص.

[۷۲۴] ( ۲). سورة الكهف، الآية ۴۵.

[۷۲۵] ( ۳). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۱۳۱.

[۷۲۶] ( ۴). إرشاد القلوب، ج ۱، ص ۲۱.

[۷۲۷] ( ۱).« عاوِيَة» بمعنى الكلاب التى تعوى.

[۷۲۸] ( ۲).« ضارِيَة» بمعنى المتوحشة، وهى من مادة« ضرو» على وزن« ضرب» وتعنى حالة التوحش فى النفس.

[۷۲۹] ( ۳).« يَهِرّ» من« الهرير» وتعنى العواء والنباح.

[۷۳۰] ( ۴).« نعَم» الدواب وغالباً تطلق هذه الكلمة على الإبل( وتأتى هذه المفردة أحياناً بمعنى المفرد أو أخرى بمعنى‌الجمع، وفى هذه الجملة تشمل الإبل والبقر والغنم).

[۷۳۱] ( ۵).« مُعَقَّلَة» وهى المشدودة بالعقال، والعقال حبل خاصّ تربط به رجل البعير حول ركبته.

[۷۳۲] ( ۶).« مُهْمَلَة» يعنى المتروكة، وهنا تعنى الحيوان المتروك لحاله.

[۷۳۳] ( ۱).« سُرُوح» جمع« سرح» على وزن« شرح» وهو الحيوان الذى ترك فى الصحراء ليأكل ويرعى.

[۷۳۴] ( ۲).« عاهَة» بمعنى الآفة والعيب.

[۷۳۵] ( ۳).« وَعْث» يعنى الطريق التى يسير فيها الشخص بصعوبة.

[۷۳۶] ( ۴).« مُسيم» وهو الشخص الذى يسوق الحيوانات للرعى، وهى من« السوْم» على وزن« صوم» ويعنى الرعى.

[۷۳۷] ( ۵).« تاهوا» من« التيه» وهو الحيرة والتيه.

[۷۳۸] ( ۱).« رُويداً» من مادة« رود» على وزن« عَود» فى الأصل تعنى الغدو والرواح والسعى لأداء عمل معيّن بلطافة وليونة، وهذه المفردة تأتى بمعنى المصدر وتقترب من التصغير، يعنى أملهنى وفترة وجيزة، والسبب فى نصب رويداً أنّها مفعول مطلق لفعل محذوف، وكأنّها فى الأصل يقال:« أَمْهِلْ إِمْهالًا قَلِيلًا».

[۷۳۹] ( ۲).« يُسْفِر» من مادة« سفر» على وزن« فقر» وتعنى كشف الغطاء وإزاحة اللثام، ولذلك يقال للمرأة غير المحجّبة سافرة، وتستعمل هذه الكلمة فى طلوع الصبح وكأنّ الصبح يكشف عن لثامه ويزيح نقابه ويشرق، وهنا ظلام فاعل، وفىالحقيقة أنّه شبّهالصبح بموجود نورانىٍّ قد حجب بظلماتالجهلولكن يوشك أن يزاحالنقاب عنه.

[۷۴۰] ( ۳).« أَظعان» تأتى أحياناً جمع« ظعينة» بمعنى الهودج الذى يوضع على الجمل أثناء السفر للركوب، وورود الأظعان يعنى أنّ المسافرين أوشكوا على الوصول.

[۷۴۱] ( ۱).« يُوشِك» من مادة« وَشْك» على وزن« فقر» وتعنى السير السريع، وعلى ضوء ذلك فإنّ مفهوم هذه العبارة أنّاللحوق سرعان ما يتحقق( والصحيح فى يوشك أن تقرأ بكسر الشين وأحياناً تقرأ بفتحها).

[۷۴۲] ( ۲).« مَطيّة» من مادة« مطو» على وزن« عطف» تعنى الحركة الجدية لغرض النجاة فى المسير.

[۷۴۳] ( ۳).« وادع» هو الشخص الذى يجلس بهدوء وسكون، وهذه الكلمة من« الوداعة» أى السكون والهدوء.

[۷۴۴] ( ۴). نهجالبلاغة، الكلمات القصار، ۶۴.

[۷۴۵] ( ۵). المصدر السابق، ۷۴.

[۷۴۶] ( ۶). غرر الحكم، ح ۲۷۸۹.

[۷۴۷] ( ۱). شرح نهجالبلاغة لابن أبىالحديد، ج ۱۶، ص ۹۱.

[۷۴۸] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۴، ص ۴۳.

[۷۴۹] ( ۱). سورة الأنعام، الآية ۲۷.

[۷۵۰] ( ۱).« خفّض» من مادة« خفض» يعنى جرّ الشىء إلى الأسفل فى مقابل رفعه إلى الأعلى، وهنا جاءت بمعنىالطلب القليل وترك الطمع فى الكثير.

[۷۵۱] ( ۲).« أجمل» من« الإجمال» وهو الإعتدال فى العمل وعدم الافراط.

[۷۵۲] ( ۱).« حَرَب» وهى الغارة، وهنا جاءت بمعنى الفعل المبنى للمجهول يعنى من ابتلى بالغارة عليه.

[۷۵۳] ( ۲). كتاب السنة، عمرو بن ابى عاصم، ص ۱۸۲.

[۷۵۴] ( ۱). شرح نهجالبلاغة، ج ۱۸، ص ۲۱۳، والقائل هو بشر بن الحرث المعروف ب( بشر الحافى) انظر: الكنى والألقاب، ج ۲، ص ۱۶۹.

[۷۵۵] ( ۲). معجم كنوز الأمثال والحكم العربية، ص ۶۲.

[۷۵۶] ( ۳).« دَنيّة» الشىء الحقير والوضيع، من مادة« الدناءة» بمعنى الوضاعة.

[۷۵۷] ( ۴).« رغائب» جمع« رغيبة» وتعنى الشىء المطلوب والمرغوب.

[۷۵۸] ( ۵).« تعتاض» من« الإعتياض» وتعنى أخذ العوض عن شىء وفى الأصل من« عوض».

[۷۵۹] ( ۱). اللهوف، ص ۹۷؛ بحار الأنوار، ج ۴۵، ص ۸.

[۷۶۰] ( ۲). الخصال، ج ۱، ص ۲۸۴، ح ۳۳.

[۷۶۱] ( ۱). نهجالبلاغة، الكلمات القصار، ۳۸۷.

[۷۶۲] ( ۲).« تُوجِفُ» من« الإيجاف» وتعنى السير بسرعة، وهى فى الأصل من« وَجْف» على وزن« حذف» وتعنى الحركة السريعة، وبما أنّ هذه الكلمة وردت فى العبارة أعلاه متعدية بالباء فتعنى الحث على سرعة المسير.

[۷۶۳] ( ۳).« مَناهل» جمع« مَنْهل» وهو منبع الماء.

[۷۶۴] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۰، ص ۱۶۹، ح ۶.

[۷۶۵] ( ۲). كنزالعمّال، ج ۳، ص ۴۹۵، ح ۷۵۷۶.

[۷۶۶] ( ۳). بحارالأنوار، ج ۷۵، ص ۹۲، ح ۹۸.

[۷۶۷] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۵، ص ۱۷۲، ح ۵.

[۷۶۸] ( ۲). المصدر السابق، ج ۹۳، ص ۱۵۹، ح ۳۸.

[۷۶۹] ( ۱). روضات الجنات، ج ۷، ص ۸۹ و ۹۰.

[۷۷۰] ( ۱).« تلافى» من مادة« لفى» على وزن« نفى» وتعنى الجبر والتعويض و« الفاه» بمعنى وجده وعثر عليه.

[۷۷۱] ( ۲).« فرط» من« الفرط» على وزن« شرط» يعنى التقصير فى أداء العمل، و« إفراط» التطرف وتجاوز الحد.

[۷۷۲] ( ۱). تهذيب الأحكام، ج ۶، ص ۳۷۸، ح ۲۷۳.

[۷۷۳] ( ۱).« ساعٍ»« ساعى» الجاد فى العمل، من مادة« سعى».

[۷۷۴] ( ۲).« اهجر» من« الهجر» على وزن« فجر» وفى الأصل بمعنى الابتعاد والانفصال. ثم استخدمت فى معنى هـذيان المريض، لأنّ الكلام فى تلك الحال غير مطلوب ومبعد.

[۷۷۵] ( ۳). غرر الحكم، ۴۱۱۹.

[۷۷۶] ( ۱). سورة البقرة، الآيتان ۲۱۹ و ۲۲۰.

[۷۷۷] ( ۲). سورة الفرقان، الآيات ۲۷- ۲۹.

[۷۷۸] ( ۳). أصول الكافى، ج ۲، ص ۳۷۵، ح ۳.

[۷۷۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۱۹۷، ح ۳۱.

[۷۸۰] ( ۲). سورة النساء، الآية ۱۰.

[۷۸۱] ( ۳). كافى، ج ۲، ص ۳۳۱، ح ۵.

[۷۸۲] ( ۴).« خُرْق» وتعنى العنف والشدّة( ضد الرفق والمداراة).

[۷۸۳] ( ۱).« غشّ» من مادة« غش»( بكسر الغين) بمعنى الخيانة.

[۷۸۴] ( ۲).« المستنصَح»( إذا جاء بصيغة اسم مفعول) تعنى الشخص الذى تُطلب النصيحة منه.

[۷۸۵] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۱۱، ص ۲۸۸، ح ۱۰.

[۷۸۶] ( ۲). المصدر السابق، ص ۳۱۸، ح ۲۰.

[۷۸۷] ( ۳).« نَوْكى جمع« أنوك» على وزن« ابتر» وهو الشخص الجاهل والأحمق.

[۷۸۸] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۴۲ وفى بحار الأنوار، ج ۲، ص ۳۵، ح ۳۷ أيضاً مع اختلاف يسير عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

[۷۸۹] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۱۹، ص ۳۴۵.

[۷۹۰] ( ۱). نهج‌البلاغة، الكلمات القصار، ۱۹۶.

[۷۹۱] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۶۵، ص ۲۲۱.

[۷۹۲] ( ۳). کنز العمال، ح ۴۳۱۳۴.

[۷۹۳] ( ۴). غرر الحکم، ۱۰۸۱۸.

[۷۹۴] ( ۱). غرر الحکم، ۱۰۹۱۳.

[۷۹۵] ( ۱).« مخاطر» الذی یلقی نفسه فی الخطر.

[۷۹۶] ( ۲). سورة الملک، الآیة ۲.

[۷۹۷] ( ۱). سورة الروم، الآیة ۳۹.

[۷۹۸] ( ۲).« مهین» وهو الحقیر والضعیف، وأصلها« مهانة».

[۷۹۹] ( ۳).« ظنین» وهو الشخص المتهم، والأصل من« ظنّ» وتأتی بصیغة اسم المفعول.

[۸۰۰] ( ۴).« ساهل» فعل أمر من« مساهلة» بمعنی المداراة.

[۸۰۱] ( ۱).« تجمح» فعل مضارع من« الجموح» بمعنی التمرد والنفور والعصیان.

[۸۰۲] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۶۹، ح ۶.

[۸۰۳] ( ۳). غررالحکم، ح ۱۰۶۴۳.

[۸۰۴] ( ۱).« صَرْم» بمعنی القطع والفصل، وهنا جاء بمعنی قطع العلاقة مع الآخر وهی فی مقابل الصلة وتوثیق العلاقةمع الآخر.

[۸۰۵] ( ۲).« صُدود» مصدر بمعنی المنع.

[۸۰۶] ( ۱).« اللَّطَف» علی وزن« شرف» وفی بعض النسخ علی وزن« قفل» وتعنی إظهار المحبّة والإحسان إلی الطرفالمقابل.

[۸۰۷] ( ۲).« جمود» وتعنی فی هذه العبارة البخل، فی مقابل البذل والعطاء.

[۸۰۸] ( ۳). سورة فصلت، الآیتان ۳۴ و ۳۵.

[۸۰۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۲۷، ص ۵۸، ح ۱۷.

[۸۱۰] ( ۲). المصدر السابق، ح ۱۸.

[۸۱۱] ( ۳). سورة المجادلة، الآیة ۲۲.

[۸۱۲] ( ۴).« امحَضْ» من« المحض» علی وزن« وعظ» بمعنی إخلاص الشیء وتنقیته، وتستعمل فی مورد النصیحةوتعنی طلب الخیر للطرف المقابل الخالی من أی شائبة وغرض شخصی.

[۸۱۳] ( ۱). أصول الکافی، ج ۲، ص ۶۳۹، ح ۵.

[۸۱۴] ( ۲). المصدر السابق، ص ۶۳۸، ح ۲.

[۸۱۵] ( ۳).« مغبّة» العاقبة، وأصلها من« غَبّ» وأحیاناً تأتی هذه المفردة فی مورد الأعمال والتی تعنی عدم التوالی أو الانقطاع بین فترة وأخری، کما ورد فی الحدیث الشریف عن النبیّ الأکرم علیه السلام أنّه قال لبعض أصحابه:« زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً».( مستدرک الوسائل، ج ۱۰، ص ۳۷۴، ح ۱۲۲۱۰).

[۸۱۶] ( ۱). الکافی، ج ۲، ص ۱۱۰، ح ۱۰.

[۸۱۷] ( ۲). المصدر السابق، ح ۶.

[۸۱۸] ( ۳).« لِن» فعل أمر، من« اللین» علی وزن« صین» وتعنی المرونة وعدم القساوة.

[۸۱۹] ( ۴).« غالظ» من« الغلظة» وهی الخشونة( وتقع علی الضد من اللیونة والانعطاف).

[۸۲۰] ( ۵). سورة فصلت، الآیتان ۳۴ و ۳۵.

[۸۲۱] ( ۱). مقاتل الطالبین، ص ۳۳۲. وأورد هذه القصة المرحوم العلّامة المجلسی بشکل أوسع فی بحار الأنوار، ج ۴۸، ص ۱۰۲، ح

۷( مع اختلاف يسير).

[۸۲۲] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۱، ص ۱۷۷، ح ۱۴.

[۸۲۳] ( ۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۶، ص ۱۱۰.

[۸۲۴] ( ۱). الکافی، ج ۴، ص ۱۱، ح ۳.

[۸۲۵] ( ۲). مفردة« زهد» سواء کان متعدیة ب« فی» أو ب« عن» تعنی فی کلا الأمرین عدم الاهتمام والاعتناء، والزاهد إنّما یقال له زاهد لأنّه لا یعتنی بزخارف الدنیا ولا یهتم بمتطلباتها.

[۸۲۶] ( ۱). سورة البقرة، الآیة ۲۷۹.

[۸۲۷] ( ۲). نهج‌البلاغة، الرسالة ۴۷.

[۸۲۸] ( ۳). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۶، ص ۱۱۱.

[۸۲۹] ( ۱). سورة الرحمن، الآیة ۶۰.

[۸۳۰] ( ۱). نهج‌البلاغة، الکلمات القصار، ۳۷۹.

[۸۳۱] ( ۲). سورة هود، الآیة ۶.

[۸۳۲] ( ۱). سورة الطلاق، الآیتان ۲ و ۳.

[۸۳۳] ( ۲). سورة الذاریات، الآیة ۲۲.

[۸۳۴] ( ۳). سورة الجاثیة، الآیة ۵.

[۸۳۵] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۶، ص ۱۱۴.

[۸۳۶] ( ۲). المصدر السابق، ص ۱۱۵.

[۸۳۷] ( ۱). سورة یونس، الآیتان ۲۲ و ۲۳.

[۸۳۸] ( ۲). نهج‌البلاغة، الکلمات القصار، ۴۰۶.

[۸۳۹] ( ۳).« مثوی» کما أشرنا سابقاً أنّها تعنی المکان والمنزل، وهنا جاءت بمعنی منزل الآخرة.

[۸۴۰] ( ۱). نهج‌البلاغة، الکلمات القصار، ۳۳۵.

[۸۴۱] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۰، ص ۱۳۸، ح ۶.

[۸۴۲] ( ۳).« تَفَلّت» من« الفلت» علی وزن« فقر» وفی الأصل بمعنی الخلاص، وتأتی أیضاً بمعنی الأمور التی تصدر من‌الإنسان بشکل عفویّ وبدون تأمّل.

[۸۴۳] ( ۱). نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۵۷.

[۸۴۴] ( ۱). سورة التوبة، الآیة ۵۱.

[۸۴۵] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة للشیخ مغنیة، ج ۳، ص ۵۲۶.

[۸۴۶] ( ۳). سورة لقمان، الآیة ۱۷.

[۸۴۷] ( ۱).« مناسب» من مادة« نسب» وجاءت هنا بمعنی الأقرباء.

[۸۴۸] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۶، ص ۱۱۷.

[۸۴۹] ( ۳). سورة الجاثیة، الآیة ۲۳.

[۸۵۰] ( ۱). أصول الکافی، ج ۲، ص ۱۳۶، ح ۲۳.

[۸۵۱] ( ۲). سورة التغابن، الآیة ۱۴.

[۸۵۲] ( ۱). غرر الحكم، ح ۴۶۶۶.

[۸۵۳] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۲۵۶.

[۸۵۴] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد و شرح نهج‌البلاغة الشيخ مغنية.

[۸۵۵] ( ۱). من لا يحضره الفقيه، ج ۴، ص ۴۰۶، ح ۵۸۷۹.

[۸۵۶] ( ۲). الأمالى للشيخ الصدوق، ص ۵۸۹، ح ۱۰.

[۸۵۷] ( ۱). ذكرنا مفهوم فساد الزمان أكثر فى نفحات الولاية فى الجزء الثانى ذيل الخطبة ۳۲.

[۸۵۸] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱۱.

[۸۵۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۲، ص ۴۹، ح ۱۰.

[۸۶۰] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۲۱.

[۸۶۱] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۷۳، ص ۲۶۶، ح ۳.

[۸۶۲] ( ۱). كان هذا الشخص فى زمانه من شيوخ خراسان وكان عالماً وخبيراً وكريماً وذا فكاهة فى كلامه ولهذا لقبّب« السكرى».( اعلام الزركلى).

[۸۶۳] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة العلّامة التسترى، ج ۸، ص ۴۵۵ ووردت هذه الرواية أيضاً فى كتاب تهذيب الكمال، ج ۲۶، ص ۵۴۸ عم تاريخ بغداد.

[۸۶۴] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۳، ص ۲۶۶، ح ۳.

[۸۶۵] ( ۱).« أفن» بمعنى النقصان وقلّة الفكر والعقل.

[۸۶۶] ( ۱).« قهرمان» كلمة فارسية فى الأصل وانتقلت إلى اللغة الغربية وتعنى المدير والمدبّر والشخص الذى يتولى أمور النفقة، وأحياناً تأتى بمعنى البطل والشجاع أيضاً.

[۸۶۷] ( ۱).« لا تعد» أى لا تتجاوز الحد، من مادة« عدو» على وزن« سرو» وهو تجاوز الحد.

[۸۶۸] ( ۲).« التغاير» من« الغيرة» بمعنى الشدة فى العمل لحفظ النواميس أو رأس المال المهم للآخرين.

[۸۶۹] ( ۳).« ريب»( مع الالتفات إلى فتح الياء) جمع« ريبة» على وزن« غيبة» بمعنى الشك وسوء الظن.

[۸۷۰] ( ۱). الإنسان ذلك المجهول، ص ۱۰۰ وما بعدها.

[۸۷۱] ( ۲). نقلًا عن تقرير وصفى لمؤتمر بكين، من كتاب الشورى الثقافية الاجتماعية للنساء( شوراى فرهنگى اجتماعى زنان)، ص ۱۰.

[۸۷۲] ( ۳). وللمزيد من الاطلاع انظر: دائرة المعارف للفقه المقارن، ج ۱، ص ۸۴- ۸۹.

[۸۷۳] ( ۱). سورة الروم، الآية ۲۱.

[۸۷۴] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۱۸۷.

[۸۷۵] ( ۱). سورة النحل، الآية ۹۷.

[۸۷۶] ( ۱).« يتواكلوا» من« التواكل» و« وكالة» و« تواكل» هو أن يعتمد الشخص فى أموره وأعماله على شخص آخر ويلقى بالمسؤولية عليه.

[۸۷۷] ( ۱).« تصول» من« الصولة» على وزن« دولة» بمعنى الهجوم والحملة فى الميدان.

[۸۷۸] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۶، ص ۱۲۸.

[۸۷۹] ( ۱). وردت هذه الكلمة فى موارد كثيرة من نهج‌البلاغة بصيغة المتكلم بدلًا من صيغة الأمر« استَوْدِع» و« اسأل» وتعنى أننى

أضع دینک ودنیاک ودیعة عند اللّه وأسأله تعالی أفضل ما قسم وقدّر لک فی الدنیا والآخرة، وطبعاً فإنّ مفهوم کلا العبارتین واحد فی الحقیقة، رغم أنّ النسخة الأخیرة أنسب حسب الظاهر وخاصة مع الالتفات إلی کلمة« لک».

[۸۸۰] ( ۲). سورة آل عمران، الآیة ۲۶.

[۸۸۱] ( ۱). مجانی الأدب، ج ۲، ص ۹.

## تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبرازِ المَرافِقِ و التسهیلاتِ – فی آکنافِ البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَمِ - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹